

مجلة

الجامع الإسلامي

هبة التحين

رئيس التحرير: أ.د. أحمد بن عطية الغامدي
مدير التحرير: أ.د. محمد بن يعقوب التركستاني
الأعضاء: أ.د. عيد بن سفر الجحيلي
أ.د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي
د. محمد سيدي محمد الأمين
د. أحمد بن سعيد الغامدي
سكرتير التحرير: أ. عبد الرحمن بن دخيل ربه المطرفي

العدد ١١٤ - السنة ٣٤ - ١٤٢٢ هـ



جميع حقوق الطبع محفوظة لمجلة الجامعة الإسلامية

قواعد نشر البحوث العلمية في مجلة الجامعة

- أ - أن تكون جديدة؛ لم يسبق نشرها.
- ب - أن تكون خاصة بالمجلة.
- ج - أن تكون أصيلة؛ من حيث الجدة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- د - أن تراعى فيها قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيّته.
- هـ - أن لا تكون أجزاء من بحوث مستفيضة؛ قد تمّ نشرها للباحث، ولا أجزاء من رسالته العلميّة في (الدكتوراه) أو (الماجستير).
- و - أن لا يزيد عدد صفحاتها عن مائة للإصدار الواحد، ولا يقلّ عن عشر صفحات، ولهية تحرير المجلة الاستثناء عند الضرورة.
- ز - أن تُصدّر نبذة مختصرة - لا تزيد عن نصف صفحة - للتعريف بها.
- ح - أن يرافقها نبذة مختصرة عن صاحبها؛ تبيّن عمله، وعنوانه، وأهمّ أعماله العلميّة.
- ط - أن يقدم صاحبها خمس نسخ منها.
- ي - أن تقدّم مطبوعة وفق المواصفات الفنيّة التالية:
 - ١ - البرنامج وورد ٢٠٠٠ أو ما يمثّله.
 - ٢ - نوع الحرف Traditional Arabic
 - ٣ - نوع حرف الآية القرآنيّة Decotype Naskh Special
 - ٤ - مقاس الصّفحة الكلّي : ١٢ سم × ٢٠ سم (بالرقم)
 - ٥ - حرف المتن : ١٦ أسود.
 - ٦ - حرف الهامش : ١٤ أبيض.
 - ٧ - رأس الصّفحة : ١٢ أسود.
 - ٨ - العنوان الرئيسيّ : ٢٠ أسود.
 - ٩ - العنوان الجانبيّ : ١٨ أسود.
 - ١٠ - الأقراص تكون من النوعيّة الجيدة، ويكون حفظ الملفات على نظام DOC.
- ك - أن يُقدّم البحث - في صورته النهائيّة - في ثلاث نسخ ؛ منها نسختان على قرصين مستقلّين ، ونسخة على ورق .
- ل - لا تلتزم المجلة بإعادة البحوث لأصحابها ؛ نشرت أم لم تنشر .

عنوان المراسلات: تكون المراسلات باسم مدير التحرير:
(ص.ب ١٧٠ — المدينة المنورة — هاتف وفاكس ٨٤٧٢٤١٧
البريد الإلكتروني iu@iu.edu.sa) .

الموادّ المنشورة في المجلّة تعبّر عن آراء أصحابها

محتويات العدد

الصفحة

الموضوع

- الوجيز في حكم تجويد الكتاب العزيز :
للدكتور محمد بن سيدي محمد الأمين ٩
- زيادات القطيعي على مسند الإمام أحمد برواية ابنه عبدالله : دراسة
وتحريجاً :
للدكتور دخیل بن صالح اللحیدان ٨٩
- سدة الذرائع في مسائل العقيدة؛ على ضوء الكتاب والسنة الصحيحة :
للدكتور عبدالله بن شاکر الجنیدی ١٧١
- المداراة وأثرها في العلاقات العامة بين الناس — دراسة شرعية اجتماعية :
للدكتور محمد بن سعد بن عبدالرحمن آل سعود ٢٥٧
- أبو تراب اللغوي، وكتابه الاعتقَاب (القسم الأول) :
للدكتور عبدالرزاق بن فراج الصّاعدي ٣٤٣

الْوَجِيزُ فِي حُكْمِ تَجْوِيدِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ

إِعْدَادُ

د. مُحَمَّدُ بْنُ سَيِّدِي مُحَمَّدٌ مُحَمَّدُ الْآمِينَ

الأستاذ المساعد في طلبة القرآن الكريم بالجامعة

والأخذ بالتجويد حتم لازم	من لم يجود القرآن آثم
لأنه به الإله أنزلا	وهكذا منه إلينا وصلا
وهو أيضاً حلية التلاوة	وزينة الأداء والقراءة

محمد بن محمد بن محمد الجزري

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب مرتلاً، ووعد من قرأه على كل حرف منه عشر حسنة إحساناً منه وتفضلاً.

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على أفصح من نطق بالضاد، من تلا كتاب ربه فتفطرت لسماعه قلوب العباد.

وعلى آله وصحبه الذين عرفوا لحروفه الحق والمستحق فهمسوا التاء وجهروا بالجيم ففاضوا برضوان من الله والله ذو فضل عظيم فضبطوا حروفه وهيناته، وصانوه عن اللحن الذميم وبعد:

فبإني متناول بالبحث والدرس إن شاء الله تعالى جانباً من جوانب الكتاب العزيز تناقلته الأمة جيلاً بعد جيل حتى وصل إلينا محاطاً بالرعاية والإتقان معلوم القواعد بالتحديد مقرب الموارد بالتمهيد إنه «الأخذ بالتجويد»

لقد كان الأئمة وسلفنا الصالح لا يفرقون بين القرآن وتجويده لأهم يعلمون علم اليقين أن القرآن نزل مرتلاً مجوداً من العزيز الحكيم، فبه قرءوا القرآن وأقرءوه ومن تلقى عنهم به ألزموه.

فلما ضعفت الهمم وتباعد الناس عن أخذ كتاب ربهم من أفواه الشيوخ الضابطين ظهر دعاة الفصل بين القرآن وتجويده.

ونادى فريق بتجريد القرآن من رسمه وضبطه، بل إن واقع الأمة اليوم منذر بتركه وهجره.

وأمام هذه التحديات والتعديات التي أثارَت البلبلة في أذهان أهل العلم بله الناشئة.

كان لا بد من وقفة يُجلى فيها الحق وتُبرأ فيها الذمة، ويعود فيها أهل القرآن إلى تجويد كتاب ربهم بعزيمة وهمة.

وهذا ما سأحاول الوصول إليه من خلال كتابة هذا البحث بعد القراءة

الطويلة في هذا الموضوع وجمع مادته من كتب شتى. ويمتاز هذا البحث عن نظائره بما سيلحظه القارئ من حضور لأئمة الإقراء أصحاب الأسانيد العالية، فمن كتبهم أستمد مادتي، وبأقوالهم أقوي حجتي، وعلى الله أولاً وآخرأ اعتمادي وعُدتي.

فيا رب أنت الله حسبي وعدي عليك اعتمادي ضارعاً متوكلاً^(١)
«ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير»^(٢)

واقضى العمل في هذا البحث أن تأتي خطته على ما يأتي :
مقدمة وستة مباحث وخاتمة.

المقدمة : وفيها لمحة عن اهتمام السلف بالتجويد والسبب
الباعث على تأليف هذا البحث.

المبحث الأول : تعريف التجويد لغة واصطلاحاً.
المبحث الثاني : نشأة التجويد.

المبحث الثالث : عناية الأمة بالأخذ بالتجويد.
المبحث الرابع : كيف يتلقى القرآن.

المبحث الخامس : حكم الأخذ بالتجويد.
المبحث السادس : اللحن في القراءة.

الخاتمة.

(١) حرز الأمانى للشاطبي : ٨

(٢) سورة الممتحنة آية : ٤

المبحث الأول: تعريف التجويد لغة واصطلاحاً

تعريفه لغة :

يقال : جاد الشيء جُودة أي صار جيداً، وأجدت الشيء فجاد، والتجويد

مثله^(١).

فالتجويد: مصدر من جَوَّد تجويداً إذا أتى بالقراءة مجودة الألفاظ، بريئة من

الجور في النطق بها.

ومعناه انتهاء الغاية في إتقانه وبلوغ النهاية في تحسينه، ولهذا يقال جَوَّد

فلان في كذا إذا فعل ذلك جيداً، والاسم منه الجودة ضد الرداءة^(٢).

ويقال لقارئ القرآن الكريم المحسن تلاوته (مجوّد) بكسر الواو إذا أتى

بالقراءة مجوِّدة الألفاظ، بريئة من الجور والتحريف حال النطق بها^(٣).

وفي الاصطلاح :

هو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها مراتبها، ورد الحرف إلى مخرجه

وأصله، وإحاقه بنظيره وشكله، وتصحيح لفظه وتلطيف النطق به على حال

صيغته وكمال هيئته من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف.

وهو حلية التلاوة وزينة القراءة^(٤).

(١) لسان العرب لابن منظور ١٣٥/٣ مادة : جود

(٢) التحديد لحقيقة الإتقان والتجويد للداني : ٧٠، التمهيد في علم التجويد لابن الجزري :

٥٩، النشر : ٢١٢/١

(٣) هداية القاري : ٤٥/١

(٤) التحديد للداني: ٧٠، التمهيد: ٥٩، النشر: ٢١٢/١، المصباح الزاهر: ١٤٦٨/٤

ويقول الهذلي^(١) في كامله : فأما تجويد الحروف فمعرفة ألفاظها وقراءتها، وأصولها وفروعها وحدودها وحقوقها وقطعها ووصلها، ومدّها وحدرها وتحقيقها وترسيلها وترتيلها، ومذاهب القراء فيها، وهو حلية التلاوة وزينة القراءة.^(٢)

وعرّفه المتأخرون فقالوا : هو إخراج كل حرف من مخرجه وإعطاؤه حقه ومستحقه من الصفات.^(٣)

(١) يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل أبو يوسف بن علي القاسم الهذلي، ولد في حدود التسعين وثلاثمائة.

قال ابن الجزري عنه: لا أعلم أحداً في هذه الأمة رحل في القراءات رحلته ولا لقي من لقي من الشيوخ، قال في كتابه الكامل: فجملة من لقيت في هذا العلم ثلاثمائة وخمسة وستون شيخاً من آخر المغرب إلى باب فرغانة يميناً وشمالاً وجبلاً وبحراً، ولو علمت أحداً تقدم علي في هذه الطبقة في جميع بلاد الإسلام لقصدته، من أبرز شيوخه: أحمد بن محمد بن علان، أحمد بن نفيس، الحسن بن علي بن إبراهيم المالكي، قرأ عليه: أبو العز القلانسي، وإسماعيل بن الأخشيد. توفي سنة (٤٦٥هـ).

غاية النهاية: ٣٩٧/٢، العبر في خبر من عبر الذهبي: ٣٢٠/٢

(٢) الكامل للهذلي لوحة: ١٩/ب

(٣) نهاية القول المفيد محمد مكي نصر: ١٢، فتح المجيد لحمد بن خلف الحسيني الشهير بالحداد: ٣، هداية القارئ: ٤٥/١

وحق الحرف من الصفات أي الصفات اللازمة الثابتة التي لا تنفك عنه بحال كالجهر، والشدة، والاستعلاء، والإطباق، والقلقلة.

والمستحق: أي من الصفات العارضة التي تعرض له في بعض الأحوال وتنفك عنه في البعض الآخر لسبب من الأسباب كالترقيق والتفخيم والإظهار والإدغام والمد والقصر وغير ذلك.

هداية القارئ: ٤٥/١

المبحث الثاني: نشأة التجويد

نشأ التجويد على وجه التحديد منذ الوهلة الأولى التي نزل فيها القرآن الكريم على قلب سيد الأولين والآخرين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(١).

هذه الآيات قرأها جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتلة، فحفظها رسول الله صلى الله عليه وسلم على تلك الكيفية التي تلقاها بها وأداها كما سمعها.

يشهد لذلك ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل عليه السلام ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم يرتله ترتيلاً)^(٢).

فقوله: يرتله ترتيلاً هذا اللفظ يحتمل كل ما يرد فيه من معان فيحتمل نزوله على مكث وتمهل، ويحتمل بيان حروفه وحركاته، وإعطاء كل حرف منه حقه ومستحقه.

ولقائل أن يقول: إذا كان القرآن نزل بادئ ذي بدء مرتلاً مجوداً وقرأه الرسول صلى الله عليه وسلم كما أنزل فما معنى أمر الله لرسوله بالترتيل في آية المزمل «ورتل القرآن ترتيلاً»^(٣) وهي متأخرة النزول عن آيات سورة العلق السابقة.

(١) سورة العلق الآيات : ١-٥

(٢) المستدرك للحاكم وقال صحيح الإسناد وأقره الذهبي : ٢٢٣/٢

(٣) سورة المزمل آية : ٤

ويجاء عن ذلك بأن الخطاب وإن كان له صلى الله عليه وسلم إلا أن المراد أمته فهم مطالبون بترتيل وتجويد ما نزل إليهم من ربهم. ولذلك نظائر كثيرة في كتاب الله من توجيه الخطاب لنبه صلى الله عليه وسلم والمراد أمته، من ذلك قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَحْذُولًا﴾^(١). فمعلوم أنه صلى الله عليه وسلم لا يجعل مع الله إلهاً آخر ولا يقعد مذموماً محذولاً.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَبْلُغُنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾^(٢)، ومعلوم أن والديه صلى الله عليه وسلم قد ماتا قبل ذلك بزمن طويل فلا وجه لاشتراط بلوغهما أو أحدهما الكبر بعد أن ماتا منذ زمن طويل، إلا أن المراد التشريع لغيره صلى الله عليه وسلم^(٣). ومثل ذلك كثير.

فأية المزملة إنما تفيد التأكيد والالتزام بتلك الكيفية التي نزل عليها القرآن وبيان أنها أفضل مراتب القراءة وحض الأمة على الأخذ بها. ولقد كان صلى الله عليه وسلم هو المعلم الأول لهذه الأمة تلاوة كتاب ربهم وقراءته امتثالاً لأمر ربه حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾^(٤).

وتواتر ذلك في السنة: فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول

(١) سورة الإسراء آية : ٢٢

(٢) سورة الإسراء آية : ٢٣

(٣) أضواء البيان : ٤٩٤/٣

(٤) سورة المائدة آية : ٦٧

الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن»^(١).
وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «كنا إذا تعلمنا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم نتعلم من العشر الذي نزلت بعدها حتى نعلم ما فيه»^(٢).

وعن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله أمرني أن أعرض القرآن عليك. فقال: أستماني لك ربك. قال: نعم. فقال أبي: بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون»^(٣).

قال أبو عبيد القاسم بن سلام^(٤): معنى هذا الحديث عندنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أراد بذلك العرض على أبي أن يتعلم منه القراءة ويثبت فيها وليكون عرض القرآن سنة، وليس هذا على أن يستذكر النبي صلى الله عليه وسلم منه شيئاً بذلك العرض^(٥).

(١) مسلم : ٢٠٤/١

(٢) المستدرک : ٥٧٧/١

(٣) فتح الباري : ١٢٦/٧، مسلم : ٨٥/٦، المسند : ١٣٠/٣، ١٣٧

(٤) أبو عبيد القاسم بن سلام الخراساني الأنصاري أحد الأعلام المجتهدين أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن علي بن حمزة الكسائي، وإسماعيل بن جعفر وسليم بن عيسى. روى القراءة عنه أحمد بن إبراهيم وراق خلف، وأحمد بن يوسف التلغلي وله اختيار في القراءة وافق عليه العربية والأثر. توفي سنة (٢٤٤هـ)

غاية النهاية : ١٧/٢، الطبقات الكبرى لابن سعد : ٣٥٥/٧، تاريخ بغداد : ٤٠٣/١٢، الكامل في التاريخ لابن الأثير : ٥٠٩/٦

(٥) فضائل القرآن لأبي عبيد : ٣٥٩

قال السخاوي^(١): كان القراء في الأمر الأول يقرأ المعلم على المتعلم اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه كان يتلو كتاب الله عز وجل على الناس كما أمره الله عز وجل^(٢). فعلمهم صلى الله عليه وسلم القرآن مرتلاً مجوداً كما نزل.

ويؤكد هذه الصلة الوثيقة بين القرآن والتجويد قول ابن الجزري^(٣):
لأنه به الإله أنزلاً وهكذا منه إلينا وصلاً^(٤)
فالضمير في لأنه عائد إلى القرآن وفي به يعود على التجويد أي أن الله

(١) أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد علم الدين السخاوي شيخ مشايخ الإقراء بدمشق قرأ على أبي القاسم الشاطبي، وعلى أبي اليمن الكندي، وأبي الفضل محمد بن يوسف. قرأ عليه أبو الفتح محمد بن علي الأنصاري وأبو شامة، والقاضي عبدالسلام الزواوي وغيرهم. أقرأ الناس نيفاً وأربعين سنة بجامع دمشق. توفي سنة (٦٤٣هـ).
غاية النهاية : ٥٦٨/١، سير أعلام النبلاء الذهبي : ١٢٢/٢٣، طبقات الشافعية للسبكي : ٢٩٧/٨، وفيات الأعيان ابن خلكان : ٣٤٠/٣

(٢) جمال القراء : ٤٤٦/٢

(٣) شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري، إمام المقرئين وخاتمة الحفاظ المحققين، قرأ على أبي محمد عبد الوهاب ابن السلار، وعلى أبي المعالي محمد بن أحمد بن اللبان، وقرأ على أبي بكر عبدالله بن الجندي وغيرهم، وقرأ عليه الكثيرون منهم ابنه أبو بكر أحمد وأحب محمد بن أحمد بن الهائم، ومحمد بن علي بن نفيس وغيرهم. توفي سنة (٨٣٣هـ).

غاية النهاية : ٢٤٧/٢، إنباء الغمر بأبناء العمر للحافظ ابن حجر : ٢٤٥/٨، الضوء اللامع، للسخاوي : ٢٥٥/٩، البدر الطالع للشوكاني : ٢٥٧/٢.

(٤) المقدمة الجزرية : ٨

أنزل القرآن بالتجويد وهذا ما يجب أن يفهمه كل من تدبر وعقل النصوص واستنبط منها ما يليق بكمال الله وجلاله في ذاته وأسمائه وصفاته فله الكمال المطلق سبحانه.

فالقُرآن أكمل الكتب نزل بأكمل الهيئات على أفضل الرسل لخير أمة أخرجت للناس ثم نقله الصحابة كما علّموا فلم يغيروا ولم يبدّلوا وتناقلته الأمة بعدهم جيلاً بعد جيل على تلك الكيفية التي نزل بها فحافظوا في معانيه وحافظوا على مبانيه وعملوا بما فيه فكان الأخذ بالتجويد سمة القراء المتقنين، ومنهج الأئمة المستندين، ومضماراً للمتنافسين.

قال الداني^(١): وقراء القرآن متفاضلون في العلم بالتجويد والمعرفة بالتحقيق فمنهم من يعلم ذلك قياساً وتميزاً وهو الحاذق النبيه، ومنهم من يعلمه سماعاً وتقليداً وهو الغبي الفهيه، والعلم فطنة ودراية أكد منه سماعاً ورواية، وللدراية ضبطها ونظمها وللرواية نقلها وتعلمها، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم^(٢).

ظل التجويد يتلقى مع القرآن من أفواه الشيوخ الضابطین فالمخل بالتجويد محل بالقراءة مهما كان حفظه للحروف.

(١) عثمان بن سعيد بن عثمان أبو عمرو الداني القرطبي المعروف بابن الصيرفي، أستاذ الأستاذين وشيخ مشايخ المقرئين أخذ القراءة عن خلف بن إبراهيم بن خاقان، وطاهر بن عبدالمنعّم بن غلبون، وأبي الفتح فارس بن أحمد وغيرهم. قرأ عليه: أبو داود سليمان بن نجاح، ومحمد بن عيسى المغامي، ومحمد بن يحيى بن مزاحم وغيرهم. توفي سنة (٤٤٤هـ).
غاية النهاية : ٥٠٣/١، تذكرة الحفاظ للذهبي : ١١٢٠/٣، الصلة لابن بشكوال : ٢/٥٩٢، جذوة المقتبس للحمدي : ٤٨٣/٢

(٢) التحذيد للداني : ٦٩، والفهيه: العبيّ، اللسان : ٥٢٥/١٣.

أورد الداني بسنده عن أبي هاشم الرفاعي^(١) عن سليم^(٢) عن حمزة^(٣) قال: إن الرجل يقرأ القرآن فما يلحن حرفاً أو قال ما يخطئ حرفاً وما هو من القرآن في شيء.

قال الداني معقّباً على هذه الرواية: يريد أنه لا يقيم قراءته على حدّها، ولا يؤدي ألفاظه على حقّها، ولا يوقّي الحروف صيغتها، ولا ينزلها منازلها من التلخيص والتبيين والإشباع والتمكين، ولا يميز بين سين وصاد، ولا ظاء ولا ضاد، ولا يفرق بين مشدد ومخفف ومدغم ومظهر، ومفخم ومرقق، ومفتوح وممال، وممدود ومقصور، ومهموز وغير مهموز، وغير ذلك من غامض القراءة، وخفاء التلاوة الذي لا يعلمه إلا المهرة من المقرئين، ولا يميزه إلا الحذاق من المتصدرين الذين تلقوا ذلك أداءً وأخذوه مشافهة، وضبطوه وقيدوه، وميزوا

(١) محمد بن يزيد بن رفاعة بن سماعة أبو هاشم الرفاعي، أخذ القراءة عرضاً عن سليم سمع قراءة الأعشى على أبي بكر وروى عن الكسائي، روى القراءة عنه موسى بن إسحاق القاضي، وعلي بن الحسن القطيعي توفي سنة (٢٤٨هـ)

غاية النهاية : ٢٨٠/٢، تاريخ بغداد : ٣٧٥/٣

(٢) سليم بن عيسى بن سليم أبو عيسى، عرض على حمزة وهو أخص أصحابه وأضبطهم وهو الذي خلفه في القيام بالقراءة، قرأ عليه حفص بن عمر الدوري وخلف بن هشام. توفي سنة (١٨٨هـ)

غاية النهاية : ٣١٨/١، الثقات لابن حبان : ٢٩٥/٨

(٣) حمزة بن حبيب بن عمارة أبو عمارة الكوفي أحد القراء السبعة ولد سنة (٨٠هـ) أدرك الصحابة بالسنن، أخذ القراءة عرضاً عن سليمان الأعمش، وحمران بن أعين، روى القراءة عنه إبراهيم بن أدهم والحسن بن عطية، وخلاد بن خالد. توفي سنة (١٥٦هـ) غاية النهاية : ٢٦١/١

جليه وأدركوا خفيّه وهم قليل من الناس^(١).

وربما قرأ الرجل فأعجب بنفسه وأعجب الحاضرون بقراءته ولكن أئمة التجويد والقراءة بحكم خبرهم وثاقب نظرهم يردون عليه ما قرأ ولا يعتبرونه شيئاً لإخلاله بقواعد التجويد من حيث لا يشعر.

أورد الداني بسنده عن هشام بن بكر^(٢) وكان هو وأبوه من القراء قال كنت عند عاصم^(٣) ورجل يقرأ عليه قال فما أنكرت من قراءته شيئاً قال فلما فرغ قال له عاصم والله ما قرأت حرفاً.

قال الداني معقّباً على هذه الرواية: يريد أنك لم تقم القراءة على حدها ولم توف الحروف حقها، ولا احتذيت منهاج الأئمة من القراء، ولا سلكت طريق أهل العلم بالأداء، وهذا وما قدمناه دال على تأكيد علم التجويد والأخذ بالتحقيق والله ولي التوفيق^(٤).

قلت : نعم إن للقراء فطنة ودراية عجيبة في استكشاف اللحن مهما دق وخفي فأذا هم أدق من موازين الذهب. وملاحظاتهم تنبيك بالعجب. ولقد أدركت من شيوخ الإقراء من هذا حاله. فقد تلقيت في سن الطلب

(١) التحديد للداني : ٨٤

(٢) لم أعثر له على ترجمة.

(٣) عاصم بن مهذلة بن أبي النجود أبو بكر الأسدي شيخ الإقراء بالكوفة. أحد القراء السبعة اختلف في سنة وفاته فقيل (١٢٧هـ) وقيل (١٢٨هـ)، قرأ على أنس بن مالك، وأخذ القراءة عرضاً على زر بن حبيش، وأبي عبد الرحمن السلمي، روى القراءة عنه أبان بن تغلب، وحفص بن سليمان، وحماد بن سلمة.

غاية النهاية : ٣٤٦/١، مشاهير علماء الأمصار : ١٦٥

(٤) التحديد : ٨٥

بالسنة الرابعة بكلية القرآن الكريم في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية على نخبة من أساتذة القراءات ومنهم شيخنا وشيخ مشايخنا الشيخ عبد الفتاح القاضي^(١) رحمه الله تعالى تلقينا عليه القراءات الثلاث بمضمّن متن الدرة في القراءات الثلاث المتممة للعشر لابن الجزري فكان أحدنا يقرأ كالمقيد يقوم ويسقط من كثرة إشاراتنا لنا بالوقوع في اللحن رغم ما كان يتمتع به البعض من جودة في القراءة وصوت حسن نظرب لسماعه.

ولكنها ملكة وهبهم الله إياها لكثرة ممارستهم وفضل من الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

مما تقدم نلاحظ منهج أئمة الإقراء في أخذهم بالتجويد كل من رام القراءة عليهم وأنهم لا يصدرونه متى أخل بشيء من قواعده بل ولا يعدونه قارئاً. فما كل من يتلو الكتاب يقيمه

وما كل من في الناس يقرئهم مقري^(٢)

فلما بدأت عصور التدوين كان لعلم التجويد منها حظ ونصيب فأفردت

(١) الشيخ العلامة عبدالفتاح بن عبدالغني بن محمد القاضي، ولد في مدينة دمنهور سنة (١٣٢٠هـ). حفظ القرآن على الشيخ علي عيادة وتلقى القراءات العشر على الشيخ همام قطب، والشيخ حسن الصبحي وغيرهما. رحل إلى المدينة سنة (١٣٩٤هـ) وعين رئيساً لقسم القراءات منذ إنشائه وكانت له جهوده الطيبة المباركة في تطوير كلية القرآن الكريم وتلقي عنه الكثير، وكنت ممن تلقى عنه بالكلية القراءات الثلاث، وكتابه الفرائد الحسان في عد الآي، من نظمه. توفي رحمه الله تعالى سنة (١٤٠٣هـ).

ترجم له الشيخ المرصفي في كتابه هداية القارئ : ٦٥٨/٢، والدكتور عبدالعزيز القارئ في مجلة كلية القرآن الكريم العدد الأول : ٢٩٧

(٢) من قصيدة الخاقاني: انظر : قصيدتان في تجويد القرآن : ١٨

مباحثه وقواعده بالتأليف وضَمَّن بعض القراء كتبهم بعض أبوابه ومسائله فمنهم المقل ومنهم المكثّر.

ولعل أول من أفرده بالتصنيف أبو مزاحم موسى بن عبيد الله الخاقاني البغدادي المتوفى سنة (٣٢٥هـ)^(١) في قصيدته الخاقانية الرائعة والتي من أبياتها :

أيا قارئ القرآن أحسن أداءه يضاعف لك الله الجزيل من الأجر

فما كل من يتلو الكتاب يقيمه وما كل من في الناس يقرئهم مقرى

وإن لنا أخذ القراءة سنة عن الأولين المقرئين ذوي الستر^(٢)

٢- ثم علي بن جعفر بن سعيد أبو الحسن السعيد الرازي الحذاء المتوفى

في حدود سنة ٤١٠هـ في كتابه: التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي^(٣).

٣- مكّي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة (٤٣٧هـ) وكتابه : الرعاية

لتجود القراءة وتحقيق لفظ التلاوة.^(٤)

٤- أبو عمرو الداني المتوفى سنة (٤٤٤هـ) وكتابه: التحديد في الإتقان

والتجويد^(٥). وذكر في مقدمته سبب تأليفه بأنه راجع إلى ما رآه من إهمال القراء

والمقرئين في عصره تجويد التلاوة وتحقيق القراءة وتركهم استعمال ما ندب الله

إليه وحث نبيه صلى الله عليه وسلم وأمته عليه من تلاوة التنزيل بالترسل

(١) غاية النهاية : ٣٢١/٢

(٢) قصيدتان في تجويد القرآن : ١٨

(٣) غاية النهاية : ٥٢٩/١ وهو مطبوع

(٤) مطبوع

(٥) مطبوع

والترتيل^(١).

٥- أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني الإشبيلي المتوفى سنة (٥٣٩هـ) وكتابه: نهاية الإتقان في تجويد تلاوة القرآن^(٢).

٦- علم الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالصمد السخاوي المتوفى سنة (٦٤٣هـ) وكتابه: عمدة المفيد وعدة المجيد في معرفة التجويد^(٣).

٧- نجم الدين محمد بن قيصر بن عبدالله البغدادي المارديني المتوفى سنة (٧٢١هـ) وكتابه: الدر النضيد في معرفة التجويد^(٤).

٨- تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عمر الجعبري المتوفى سنة (٧٣٢هـ) وكتابه: عقود الجمان في تجويد القرآن^(٥).

٩- شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد الجزري المتوفى سنة (٨٣٣هـ) خاتمة المحققين ورافع لواء القراء والمجودين وكتابه: التمهيد في علم التجويد^(٦).

وذكر في مقدمته أن سبب تأليفه: أنه لما رأى الناشئة من قراء زمانه وكثيراً من منتهيهم قد غفلوا عن تجويد ألفاظهم، وأهملوا تصفياتها من كدره، وتخليصها من درنه، رأيت الحاجة داعية إلى تأليف مختصر ابتكر فيه مقالاً يهز عطف

(١) التحديد : ٩٨

(٢) مخطوط

(٣) مطبوع

(٤) مخطوط وهو نظم

(٥) مخطوط

(٦) مطبوع

الفاتر، ويضمن غرض الماهر، ويسعف أمل الراغب، ويؤنس وسادة العالم.^(١) ثم أتبع ذلك بنظم المقدمة الجزرية^(٢) ضمنها كثيراً من مباحث علم التجويد وقد كتب لهذه المقدمة القبول بين طلاب العلم وتناولها العلماء بالشرح والتعليق حتى ربت شروحها على الحصر الدقيق.

١٠- برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي المتوفى سنة (٨٨٥هـ) وكتابه: القول المعتبر في أصول التجويد لكتاب ربنا المجيد^(٣).

١١- زين الدين أبو الفتح جعفر بن إبراهيم السنهوري المتوفى سنة (٨٩٤هـ) وكتابه: الجامع المفيد في صناعة التجويد^(٤).

١٢- أحمد بن نصر المياداني المقرئ المتوفى سنة (٩٢٣هـ) وكتابه: قواعد التجويد^(٥).

وغير هؤلاء كثير يطول حصرهم وما ذكرته فيه الكفاية، إذ ليس الغرض الحصر والاستقصاء بل العلم والدراية.

(١) التمهيد : ٥٢

(٢) مطبوع

(٣) مخطوط

(٤) مخطوط

(٥) مخطوط

المبحث الثالث: عناية الأمة بالأخذ بالتجويد

قدمت في المبحث السابق أن القرآن نزل مرتلاً مجوداً وأن الرسول صلى الله عليه وسلم تلقاه كذلك وبلغ أمته ما نزل عليه بحروفه وهيئاته. بقي أن نعرف ما المراد بالترتيل المأمور به في قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾. الرتل: حسن تناسق الشيء.

وثرغر رتل ورتل حسن التنضيد مستو النبات. وقيل المفلج وقيل بين أسنانه فروج لا يركب بعضه على بعض. ورتل الكلام: أحسن تأليفه وأبانه وتمهل فيه. والترتيل في القراءة: الترسل فيها والتبيين من غير بغي. قال علي رضي الله عنه حينما سئل عن معنى الترتيل: (هو تجويد الحروف ومعرفة الوقوف)^(١).

قال أبو العباس: ما أعلم الترتيل إلا التحقيق والتبيين والتمكين أراد في قراءة القرآن.

وقال مجاهد: الترتيل الترسل.

قال: ورتله ترتيلاً بعضه على إثر بعض.

قال أبو منصور: ذهب به إلى قولهم ثغر رتل إذا كان حسن التنضيد.

وقال ابن عباس في معنى الآية: قال: بينه تبييناً.

قال أبو إسحاق: والتبيين بأن يجعل في القراءة وإنما يتم التبيين بأن يبين جميع

الحروف ويوفيهما حقها من الإشباع.

وقال الضحاك: انبذه حرفاً حرفاً.

(١) الكامل للذهبي: لوحة: ١٩/ب، النشر: ٢٠٩/١

وقال الفراء: اقرأه على هينتك ترسلًا^(١).

وقال الراغب: الرتل اتساق الشيء وانتظامه على استقامة يقال رجل رتل الأسنان، والترتيل إرسال الكلمة من الفم بسهولة واستقامة^(٢).

وقال الخازن في تفسيره: وقيل الترتيل هو التوقف والترسل والتمهل والإفهام وتبيين القراءة حرفاً حرفاً إثره في إثر بعض بالمد والإشباع والتحقيق^(٣).

وقال القرطبي في تفسيره: الترتيل في القراءة هو التأنى فيها والتمهل وتبيين الحروف والحركات تشبيهاً بالثغر المرتل وهو المشبه بنور الأقحوان وهو المطلوب في قراءة القرآن^(٤).

وقال الزمخشري في الكشاف: ترتيل القرآن قراءته على ترسل وتودة بتبيين الحروف وإشباع الحركات حتى يجيء المتلو منه شبيهاً بالثغر المرتل وهو المقلج المشبه بنور الأقحوان وأن لا يهذه هذا ولا يسرده سرداً^(٥).

وقال الشيرازي^(٦) في كتابه الموضح: الترتيل هو من قولهم ثغر رتل إذا كان مقلجاً وذلك إذا انفرج ما بين الأسنان على استواء فيها، وترتل في مسيره إذا

(١) لسان العرب: ٢٦٥/١١ مادة (ر ت ل)، معاني القرآن للزجاج: ٢٣٩/٥، معاني

القرآن للفراء: ١٩٧/٣، جامع البيان عن تأويل القرآن للطبري: ١٢٦/٢٩

(٢) المفردات للراغب: ١٨٧

(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل: ٣٢١/٤

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ١٧/١

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري: ١٧٥/٤

(٦) هو الإمام نصر بن علي بن محمد أبو عبدالله الشيرازي الفارسي المعروف بابن أبي مريم قرأ على

محمود بن حمزة بن نصر. قال عنه ابن الجزري: إمام كبير المحل. توفي بعد سنة (٥٦٥هـ).

غاية النهاية: ٣٣٧/٢، انباه الرواة على أبناء النحاة للقفطي: ٣٤٤/٣

تتابعت خطاه من غير سرعة، فكَذلك الترتيل هو التَّأني في القراءة مع تفصيل الكلم بعضها من بعض جامع لشرائط التجويد والتقويم^(١).

وقال ابن الجزري: وقال علماؤنا: أي تلبث في قراءته وافصل الحرف من الحرف الذي بعده، ولا تستعجل فتدخل بعض الحروف في بعض^(٢).

بعد هذا العرض تبين لنا معنى الترتيل المأمور به، وأنه تبين القراءة وإتباع بعضها بعضاً على تأن وتؤدة مع تجويد اللفظ وحسن تأديته وتقويمه وإخراجه من مخرجه، فهو الأصل ولذلك نوه الله بشأنه حينما أكد الفعل بالمصدر تعظيماً لشأنه وترغيباً في ثوابه، «ورتل القرآن ترتيلاً»^(٣)، «ورتلناه ترتيلاً»^(٤).

وعلى هذا جاءت قراءته صلى الله عليه وسلم.

كما ثبت في صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سئل كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال: كانت مدّاً، ثم قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) يمد بسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم^(٥).

قال السدائي مبيناً وجه الاستدلال من هذا الحديث على وجوب الأخذ بالتجويد: وهذا حديث مخرّج من الصحيح، وهو أصل في تحقيق القراءة، وتجويد الألفاظ، وإخراج الحروف من مواضعها، والنطق بها على مراتبها، وإيفائها صيغتها، وكل حق هو لها، من تلخيص وتبيين ومدّ وتمكين وإطباق وتنفش وصغير وغنة وتكرير واستطالة وغير ذلك، على مقدار الصيغة وطبع الخلقة، من

(١) الموضح في وجوه القراءات للشيرازي : ١٥٤/١

(٢) التمهيد لابن الجزري : ٦١

(٣) سورة المزمل آية : ٤

(٤) سورة الفرقان آية : ٣٢

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري : ٩١/٩

غير زيادة ولا نقصان^(١).

رحم الله الداني ما أوسع علمه، وأجزل لفظه، وأحكم عبارته كيف لا وهو حصن حصين وسند في القراءة متين.

فقد رأيت من تخط في فهم هذا الحديث فلم يعرف المراد بالمد فيه فقال: القراء لا يثبتون مداً في هذه المواضع الثلاثة...

ومن قائل: إذا كان أداء القرآن - تجويده - متلقى بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم أين دليله النصي؟

وهل مقدار الحركة منضبط أو هو مختلف باختلاف سرعة القارئ وبطئه... الخ.

ولست هنا في مقام تتبع الأخطاء والمفوات بل هي وقفة تأمل وإنعام نظر فقد كفانا صاحب المنجد^(٢) في هذه المسائل شر الانقسام.

وأقول لهؤلاء جميعاً لا بد من مراجعة علماء القراءات وما دونه قديماً وحديثاً فما أشكل عليكم حله وصعب عليكم فهمه فإن لديهم الدواء النافع والبيان الساطع، والحكم القاطع، وكل علم يسأل عنه أهله.

ومن ذلك ما روي عن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في سبخته قاعداً قط حتى كان قبل وفاته بعام، فكان يصلي في سبخته قاعداً، ويقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها»^(٣).

(١) التحديد للداني : ٨٠

(٢) منجد المقرئين لابن الجزري: الباب السادس، الفصل الثاني: في أن القراءات العشر متواترة فرشاً وأصلاً حال اجتماعهم وافتراقهم: ٥٧

(٣) موطأ الإمام مالك. ما جاء في صلاة القاعد : ٩٨، سنن الدرامي : ٢٦٢/١

وعن أم سلمة رضي الله عنها أنها نعتت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم مفسرة حرفاً حرفاً. (١)

قال ابن القيم: وكانت قراءته ترتيلاً لا هذا ولا عجلة بل قراءة مفسرة حرفاً حرفاً، وكان يقطع قراءته آية آية وكان يمد عند حروف المد فيمد الرحمن ويمد الرحيم. (٢)

أقول: لقد تلقت الأمة القرآن الكريم بحروفه وقراءته وكيفية النطق بتلك الحروف والهيئات والصيغ التي جاءت بها على أنها سنة متبعة يجب الحفاظ عليها والالتزام بها وتعليمها كما جاءت عنه صلوات الله وسلامه عليه واتباع هديه في ذلك.

أورد ابن مجاهد بأسانيده جملة من الأحاديث والآثار الدالة على وجوب الاتباع في نقل القراءة وترك الابتداع.

من ذلك ما رواه عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «قال لنا علي بن أبي طالب إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تقرأوا كلما علمتم» (٣).

وأورد بسنده عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه قال: القراءة سنة (٤). وفي رواية أخرى عن خارجة قال: القراءة سنة فاقروا كما تجدونه (٥). وبسنده عن عروة بن الزبير قال: إنما القراءة سنة من السنن فاقروا كما

(١) الترمذي: ٢٥٤/٤، سنن أبي داود: ٧٣/٢، المصنف لابن أبي شيبة: ٥٥٢/١٠

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد : ٤٨٢/١

(٣) كتاب السبعة لابن مجاهد : ٤٧

(٤) كتاب السبعة لابن مجاهد : ٤٩

(٥) كتاب السبعة لابن مجاهد : ٥٠

علمتموه^(١). وفي رواية: فاقراءوه كما أقرئتموه^(٢).

وورد عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقرئ رجلاً فقرأ الرجل ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾^(٣) مرسله فقال ابن مسعود: ما هكذا أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال وكيف أقرأكها؟ قال: أقرأنيها: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾^(٤) فمدها.

فابن مسعود وهو من علمنا إتقاناً وضبطاً وحسن أداء، من قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حقه: «من سره أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد»^(٥).

أنكر رضي الله عنه على هذا الرجل أن يقرأ كلمة (الفقراء) من غير مد ولم يرخص له في ذلك^(٦) مع أن فعله وتركه سواء في عدم التأثير على دلالة الكلمة ومعناها ولكن لما كانت القراءة سنة متبعة وكيفياتها كذلك لم يقبل ابن مسعود من هذا الرجل أن يقرأ بغير ما قرأ به على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لا يكون غاشاً له موافقاً له على ما لم يقرأ به.

ويؤكد ابن مسعود رضي الله عنه الحض على الأخذ بالتجويد وأنه زينة

(١) كتاب السبعة لابن مجاهد : ٥٢

(٢) كتاب السبعة لابن مجاهد : ٥٢

(٣) سورة التوبة آية : ٦٠

(٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي : ٢٢١/٤، النشر : ٣١٥/١

(٥) المسند بتحقيق أحمد شاكر : ٢٣٠/١، ٢٧٠

(٦) قال ابن الجزري مبيناً أن قصر المتصل لم يصح عن أحد من القراء : وقد تتبعته فلم أجده في قراءة صحيحة ولا شاذة بل رأيت النص بمده.

النشر : ٣١٥/١

التلاوة فيقول فيما رواه عنه الضحاك قال: قال عبدالله بن مسعود: جودوا القرآن وزينوه بأحسن الأصوات وأعربوه فإنه عربي والله يحب أن يعرب به^(١). وعن زر بن حبیش رحمه الله تعالى قال: قرأ رجل على عبدالله بن مسعود (طه) ولم يكسر — أي لم يمل — فقال عبدالله بن مسعود (طه) وكسر ثم قال: والله هكذا علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢).

وجاء رجل إلى الإمام نافع^(٣) ليقرأ عليه بالحدرد^(٤) فوجهه نافع إلى ما هو أنفع له من الحدرد وهو بيان الكيفية التي يجب أن يقرأ بها كتاب الله عز وجل والمنهج القويم الذي سلكه الصحابة والتابعون في الأخذ والأداء.

أورد الداني بسنده قال: جاء رجل إلى نافع فقال: تأخذ على الحدرد، فقال نافع ما الحدرد؟ ما أعرفها أسمعا قال فقرأ الرجل فقال نافع: الحدرد، أو قال حدردنا، أن لا نسقط الإعراب، ولا ننفي الحروف، ولا نخفف مشددا، ولا نشدد مخففا، ولا نقصر ممدودا، ولا نمد مقصورا، قراءتنا قراءة أكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سهل جزل، لا غرض ولا نلوك، نبر ولا نبتهر، نسهل ولا نشدد، نقرأ على أفصح اللغات وأمضاها، ولا نلتفت إلى أقاويل الشعراء وأصحاب اللغات، أصاغر عن أكابر ملي عن وفي، ديننا دين العجائز، وقراءتنا

(١) النشر : ٢١٠/١

(٢) جمال القراء : ٤٩٨/٢، النشر : ٣١/٢

(٣) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم أبو رويم، ويقال أبو نعيم مولى جعونة بن شعوب الليثي حليف

حمزة بن عبد المطلب قرأ على سبعين من التابعين وهو أحد القراء السبعة توفي سنة ١٦٩هـ

غاية النهاية: ٢٣٠/٢، التيسير لأبي عمرو الداني: ٤، السبعة لابن مجاهد: ٥٣

(٤) يأتي تعريفه ص: ٣٥، ٣٦، ٣٧.

قراءة المشايخ، نسمع في القرآن، ولا نستعمل فيه بالرأي، ثم تلا نافع^(١): ﴿قل
لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم
لبعض ظهيراً﴾^(٢).

قال الداني معقبا على هذه الرواية: «وهذا كلام من آيد ووفق ونُصر وفُهم
وجُعل إماماً عالماً وعلماً يُقْتفى أثره ويُتبع سننه».

وهذه الطريقة التي وصفها وبينها وأوضحها وعرف أن الصحابة رضوان
الله عليهم احتذوها هي التي يجب على قراء القرآن أن يمثلوها في التحقيق،
ويسلكوها في التجويد وينبذوا ما سواها مما هو مخالف لها وخارج عنها وعلى
ذلك وجدنا الأئمة من القراء والأكابر من أهل الأداء.^(٣)

نعم لقد عمل أئمة الإقراء الذين خصهم الله بحمل كتابه وشرفهم بالذب
عن حياضه في كل عصر ومصر بهذه العبارات النيرة والتوجيهات الخيرة
الصادرة من إمام دار الهجرة ورأس القراء السبعة الإمام نافع فجاءت مؤلفاتهم
وأقوالهم شارحة وموضحة لذلك المنهج القويم والمسلك السليم ولا يشذ عنهم
إلا من لا يعتد بقوله، فهم الحفظة الناقلون، والقراء المجودون.

ولعلي في هذه العجالة أن أقتبس بعض الشواهد على ما ذكرت من حصهم
على الأخذ بالتجويد قولاً وعملاً، وعلى أي صفة كانت القراءة ترتيلاً أو تحقيقاً
أو حدرأ.

قال مكّي^(٤) رحمه الله تعالى في باب صفة من يجب أن يقرأ عليه وينقل عنه:

(١) التحديد للداني : ٩٣

(٢) سورة الإسراء آية : ٨٨

(٣) التحديد للداني : ٩٤

(٤) مكّي بن أبي طالب أبو محمد القيسي القيرواني الأندلسي إمام علامة محقق أستاذ القراء

يجب على طالب القرآن أن يتخير لقراءته ونقله وضبطه أهل الديانة والصيانة والفهم في علوم القرآن والنفاذ في علم العربية والتجويد بحكاية ألفاظ القرآن وصحة النقل عن الأئمة المشهورين بالعلم.

فإذا اجتمع للمقرئ صحة الدين والسلامة في النقل والفهم في علوم القرآن، والنفاذ في علوم العربية والتجويد بحكاية ألفاظ القرآن كملت حالته ووجبت إمامته، وقد وصف من تقدمنا من العلماء المقرئين القراء فقال: القراء يتفاضلون في علم التجويد فمنهم من يعلمه رواية وقياساً وتميزاً فذلك الحاذق الفطن، ومنهم من يعرفه سماعاً وتقليداً فذلك الوهن الضعيف لا يلبث أن يشك ويدخله التحريف والتصحيف إذا لم يبن على أصل ولا نقل عن فهم.^(١)

وقال في موضع آخر بعد فراغه من أبواب التجويد والفصول التي أوضح فيها القواعد اللازمة لذلك: والمقرئ إلى جميع ما ذكرناه في كتابنا هذا أحوج من القارئ لأنه إذا علمه علمه، وإذا لم يعلمه لم يعلمه فاستوى في الجهل بالصواب في ذلك القارئ والمقرئ ويضل القارئ بضلال المقرئ فلا فضل لأحدهما على الآخر.^(٢)

وقال الداني مبيناً الطريقة التي ينبغي للقارئ أن يسلكها حال القراءة قال: ينبغي للقارئ أن يأخذ نفسه بتفقد الحروف التي لا يوصل إلى حقيقة اللفظ

والجودين. قرأ القراءات على أبي الطيب عبد المنعم بن غلبون، وسمع من أبي بكر محمد بن علي الأذفوي، قرأ عليه يحيى بن إبراهيم البياز وموسى بن سليمان اللخمي، ومحمد بن محمد بن أصبغ وغيرهم. توفي سنة (٥٤٣٧هـ).

غاية النهاية : ٣٠٩/٢، معرفة القراء الكبار للحافظ الذهبي : ٣١٦/٢

(١) الرعاية : ٨٩

(٢) الرعاية : ١٥٣

بها إلا بالرياضة الشديدة والتلاوة الكثيرة مع العلم بحقائقها والمعرفة بمنازلها فيعطي كل حرف منها حقه من المد إن كان ممدودا ومن التمكن إن كان مُمكنًا ومن الهمز إن كان مهموزا ومن الإدغام إن كان مدغما، ومن الإظهار إن كان مظهرا ومن الإخفاء إن كان مخفيا، ومن الحركة إن كان محركا ومن السكون إن كان مسكنا.

ومتى لم يفعل ذلك القارئ ولم يستعمل اللفظ به كذلك صار عند علماء هذه الصناعة لاحنا^(١).

ويوجه الهذلي قارئ كتاب الله إلى الأخذ بأسباب التجويد مبينا له القواعد التي يجب عليه الاهتمام بها حتى يصير قارئاً مصدرا ومتى أدخل بشيء من تلك التوجيهات لم يجز له أن يقرئ أحداً من الناس.

قال رحمه الله: والأصل أن يتفقد الإنسان لفظه ويعتبر النظم والترتيل والتحقيق والحد.

والترتيل: القراءة بتفكر.

والتحقيق إعطاء الحروف حقوقها من غير زيادة ولا نقصان ولا تكلف، وإتباع نفس برفع صوت، ولا مبالغة في النفس فينقطع. ولا يخلط آية رحمة بعذاب إذا لم يكن موضع الوقف.

والحد: أن يقرأ بغير تفكر في المعاني ولا يمضغ، ولا يزيد ولا ينقص، وليكن صوته على وتيرة واحدة، ويجتهد في مخارج الحروف وذلك بعد أن يعرف مخارجها على اختلاف أقاويل العرب، ويعلم مجهورها من مهموسها وزائدها من أصلها، ومبدؤها مما لا يثبت فيه البدل، ومطبقها من المنخفض منها، ونطعها من لثويها، وذلقها من أسليها، وحلقها من حنكيها، وأشباه ذلك مما فيه طول

(١) التحديد للداني : لوحة : ٩٨/١

فمن لم يعلم مثل هذا ولم يفهمه لم يجز له أن يقرئ أحداً من الناس ولا يأخذ على أحد حرفاً، ويحرم عليه ذلك في هذه الصناعة. ^(١)

وقال الشهرزوري ^(٢) في المصباح الزاهر: إن من لم يعط الحرف حقه من الصفات اللازمة والعارضة، ويخرجه من مخرجه المحدد له فقد صرفه عن مبناه وحاد به عن معناه.

قال: اعلم أن التجويد حلية التلاوة وزينة الأداء والقراءة، وهو إعطاء الحروف حقوقها، وترتيبها مراتبها، ورد الحرف من حروف المعجم إلى مخرجه وأصله، وإخاقه بنظيره وشكله، وإشباع لفظه ولفظ النطق به؛ لأنه متى ما تغير عما ذكرته لك من وصفه زال عن وضعه ووصفه. ^(٣)

ويقول الشيرازي إن حسن الأداء فرض واجب على من رام قراءة شيء من كتاب الله سواء رتل، أو حقق أو حذر.

قال: وأما الحذر فهو تسهيل القراءة وهو يراد للتحفظ والاستكثار من الدرس، وهو أيضاً يرتضى إذا لم يفارق التجويد وذلك بأن تعطى الحروف

(١) الكامل للهندي : لوحة : ٢٤/ب، ٣١/أ

(٢) المبارك بن الحسن بن أحمد أبو الكرم الشهرزوري إمام كبير، ثقة محقق، قرأ على أحمد بن الحسن بن خيرون، وأحمد بن علي الهاشمي، وأحمد بن علي بن سوار، وغيرهم. قرأ عليه هبة الله بن يحيى الشيرازي، وعبد الوهاب بن سكينه وغيرهما، وكتابه المصباح من أحسن ما ألف في القراءات. توفي رحمه الله تعالى سنة (٥٥٠هـ).

غاية النهاية : ٣٨/٢.

(٣) المصباح الزاهر : ١٤٦٩/٤.

حقوقها من مخارجها ومسالكها ويوفر عليها حظوظها من حركاتها وسكناتها من غير زيادة مجاوزة للحد، ولا نقصان مؤد للقدح، فإن حسن الأداء فرض في القراءة، ويجب على القارئ أن يتلو القرآن حق تلاوته صيانة للقرآن من أن يجد التغيير واللحن إليه سيلاً. ^(١)

ويوضح ابن أم قاسم المرادي ^(٢) أن الأخذ بالتجويد هو منهج القراء جميعاً لا خلاف بينهم في ذلك، والقارئ مطالب به في كل الأحوال.

قال: اعلم وفقنا الله وإياك أن التجويد هو إعطاء كل حرف حقه من مخرجه وصفته، والقراء مجمعون على التزام التجويد في جميع أحوال القراءة من ترتيل وحدر وتوسط، وربما توهم قوم أن التجويد إنما يكون مع الترتيل لا اعتقادهم أن التجويد إنما هو الإفراط في المد وإشباع الحركات ونحو ذلك مما لا يتأتى مع الحدر وليس كما توهموه وإنما حقيقة تجويد القرآن ما قدمته لك، وذلك متأت مع الحدر كما يتأتى مع الترتيل، ولا يُنكر أن الأخذ بالترتيل أتم مداً وتحريكاً وإسكاناً من الأخذ بالحدر، ولكن لا بد في جميع ذلك من إقامة مخارج الحروف وصفاتها. ^(٣)

ثم نقل عن الأهوازي قوله: وأما الحدر فإنه القراءة السهلة السمحة العذبة الألفاظ التي لا تخرج القارئ عن طباع العرب وعما تكلمت به الفصحاء بعد أن يأتي بالرواية عن الإمام من أئمة القراءة على ما نقل عنه من المد والهمز والقطع

(١) الموضح في وجوه القراءات للشيرازي : ١٥٦/١

(٢) الحسن بن قاسم بن عبدالله بن علي المرادي المالكي المشهور بابن أم قاسم نسبة إلى جدته أم أبيه. قرأ القراءات على مجد الدين إسماعيل، وأخذ عن أبي حيان. توفي سنة (٥٧٤٩هـ) غاية النهاية: ٢٢٧/١، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للحافظ بن حجر: ١١٦/٢

(٣) المفيد في شرح عمدة المجيد، الحسن بن قاسم المرادي : ٣٨

والوصل والتشديد والتخفيف والإمالة والتفخيم والاختلاس والإشباع فإن خالف شيئاً من ذلك كان مخطئاً. ^(١)

ثم يأتي خاتمة المحققين من فاق أقرانه وسأوى بعض المتقدمين في الأسانيد المتصلة بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى الله رب العالمين فيعلن وجوب الأخذ بالتجويد وإثم التارك له قهواً استناداً إلى أقوال الأئمة وسلف هذه الأمة من القراء الذين عليهم مدار أسانيد القراءات وإليهم يعزى اختلاف الطرق والروايات فالقول الفصل قولهم والخارق لإجماعهم لا يضرهم. فقال في المقدمة ^(٢) :

والأخذ بالتجويد حتم لازم من لم يجد القرآن آثم
لأنه به الإله أنزلاً وهكذا منه إلينا وصلاً

ثم بين ذلك أوضح بيان في النشر فقال:

ولا شك أن الأمة كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده متعبدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراءة المتصلة بالحضرة النبوية الأفضحية العربية التي لا يجوز مخالفتها ولا العدول عنها إلى غيرها، والناس في ذلك بين محسن مأجور ومسيء آثم، أو معذور.

فمن قدر على تصحيح كلام الله تعالى باللفظ الصحيح العربي الفصيح وعدل إلى اللفظ الفاسد العجمي أو النبطي القبيح استغناء بنفسه واستبداداً برأيه وحده واتكالا على ما ألف من حفظه، واستكباراً عن الرجوع إلى عالم يوقفه على صحيح لفظه فإنه مقصر بلا شك، وآثم بلا ريب وغاش بلا مرية،

(١) المفيد في شرح عمدة المجيد، الحسن بن قاسم المرادي : ٣٩

(٢) المقدمة الجزرية ضمن كتاب : مجموعة في فن التجويد : ٩

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) ^(١).

أما من كان لا يطاوعه لسانه أو كان لا يجد من يهديه إلى الصواب بيانه فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها ^(٢).

أقول: لم يكن ابن الجزري بدعا من الناس فيما صرح به من وجوب الأخذ بالتجويد لكتاب الله وتأثير المتهاون بتطبيق قواعده الموافقة للغة العرب لمن استطاع إليها سبيلا فقد سبقه إلى ذلك علماء القراءات العالمون بحقائقها ودقائقها وقد تقدم عن الداني ومكي والهدلي والشهرزوري والشيرازي ما يفيد ذلك فائمة الإقراء كلهم مجمعون على وجوب الأخذ به.

قال الداني مبيناً أن الأخذ بالتجويد من أُلزم الأشياء للقارئ وأنه منهج السلف:

تجويد لفظ الحرف في الأداء
مما جرى قبل ومالم يجر
وحكمه التحقيق والتبيين
بكل حرف من كلام ربكا
وبنعيم الخلد سوف تحظى
من الشفاء ومن البيان
بأنه مع الكرام السفرة
فليرغب القراء في التحقيق
من الأئمة مصايح الدجي ^(٣)

من أُلزم الأشياء للقراء
وكل حرف من حروف الذكر
فحقه التفكيك والتمكين
فاستعمل التجويد عند لفظكا
فعن قريب بالجزيل تجزى
قد جاء في الماهر بالقرآن
ما فيه مقنع لمن تدبره
هذا مقال الصادق المصدق
وليسلكوا فيه طريق من مضى

(١) صحيح مسلم بشرح النووي : ٣٧/٢

(٢) النشر : ٢١٠/١

(٣) الأرجوزة المنبهة: للداني: ٢٩٧

المبحث الرابع: كيف يتلقى القرآن

مما تقدم تبين لنا أن أخذ القراءة سنة متبعة يجب على الآخذ أن يتلقاها من أفواه الشيوخ الضابطين ويؤديها كما أدت إليه سنة الله في حفظه لهذا الكتاب العظيم وصونا له عن التحريف واللحن «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون»^(١) فهذا سيد الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يدارس جبريل بالقرآن ويعارضه به في كل رمضان فلما كان العام الذي توفي فيه عارضه القرآن مرتين.^(٢)

ولا شك أن تلك المعارضة لم تكن قاصرة على الحفظ فقط بل كانت شاملة له وللكيفية التي تتلى بها حروف القرآن وتؤدي بها على أكمل وجه وأحسنه. قال الكرماي: وفائدة درس جبريل تعليم الرسول صلى الله عليه وسلم تجويد لفظه وتصحيح الحروف من مخارجها وليكون سنة في حق الأمة لتجويد التلامذة على الشيوخ في قراءاتهم.^(٣)

ثم إنه صلى الله عليه وسلم تأكيداً لقاعدة أخذ القرآن مشافهة قرأ على أبي بن كعب كما في الحديث المتقدم ليعلمه طريقة التلاوة وترتيلها وعلى أي صفة تكون قراءة القرآن ليكون ذلك سنة في الإقراء والتعليم ولتكون المشافهة هي الوسيلة لنقل كتاب رب العالمين لما فيها من الضبط والإتقان لا غيرها من الوسائل.

قال الداني مبينا الحكمة من قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي:

(١) سورة الحجر آية : ٩

(٢) فتح الباري : ٣٠/١

(٣) لطائف الإشارات للقسطلاني : ٢٠٩

في هذا الحديث أيضا أصل كبير في وجوب معرفة تجويد الألفاظ وكيفية النطق بالحروف على هيئتها وصيغتها وأن ذلك لازم لكل قراء القرآن أن يطلبوه ويتعلموه

وواجب على جميع المتصدرين أن يأخذوه ويعلموه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أمر به واتباعا له على ما أكد به بفعله ليكون سنة يتبعها القراء ويقتدي بها العلماء. (١)

وبالمشاهدة تلقى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وعرضوا عليه وسمعوا منه.

فهذا ابن مسعود يقول: والله لقد أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين سورة. (٢)

وبالمشاهدة تلقى التابعون عن الصحابة وهكذا تناقلت الأمة القرآن وأخذته بالمشاهدة جيلا بعد جيل حتى وصل إلينا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ونسب ابن الجزري إلى أن من أراد أن يحكم القراءة والتجويد ويتلو كتاب ربه كما نزل فعليه بترويض اللسان وتعويد النطق الصحيح المتلقى من فم المحسن المتقن.

قال: ولا أعلم سببا لبلوغ نهاية الإتقان والتجويد ووصول غاية التصحيح والتسديد مثل رياضة الألسن والتكرار على اللفظ المتلقى من فم المحسن. (٣)

وينظم ذلك المعنى في المقدمة فيقول:

(١) التحديد للداني : ٨١

(٢) فتح الباري : ٦٤/٩

(٣) النشر : ٢١٣/١

وليس بينه وبين تركه إلا رياضة امرئ بفكه^(١)

فمن أراد قراءة شيء من كتاب الله سواء كان ذلك المقروء للحفظ أو مجرد القراءة وجب عليه تصحيح ذلك القدر المقروء.

ولا يتأتى تصحيحه إلا بعرضه وأخذه من أفواه الشيوخ الضابطين، ومتى استتكف عن ذلك استكباراً واعتداداً بالنفس فقد وقع في الخطأ لا محالة ومن هنا لحقه الإثم الذي ذكره العلماء:

من لم يجود القرآن آثم

فإن لرسم المصحف قواعده وضوابطه، ولكل حرف منه مخرجه وصفاته، ولكل لفظ منه كيفيته وأدائه.

وقد قيل في حال من يأخذ العلم عن الشيوخ ومن لم يأخذه عنهم:

من يأخذ العلم عن شيخه مشافهة يكن عن الزبغ والتصحيف في حرم

ومن يكن آخذاً للعلم من صُحف فعلمه عند أهل العلم كالعدم^(٢)

وقيل: لا تأخذوا القرآن من مصحفي ولا العلم من صحفي^(٣).

وإن تعجب فعجب قول البعض إن القرآن نزل بلغة العرب والعربي يستطيع قراءته بطبعه فلا يحتاج إلى من يعلمه كيفية النطق به.

وهذا القول لا يصدر إلا ممن خانه فهمه، ولم يكن عن أهل الذكر آخذاً علمه فإن أصاب فعلى غير هدى، وإن أخطأ فهو به أجدى «أفمن يشي

(١) المقدمة الجزرية : ٨

(٢) القول السديد : ٧

(٣) شرح ما يقع فيه التصحيف للعسكري: ١٠

مكباً على وجهه أهدى أمن يشي سويًا على صراط مستقيم^(١).
 فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أفصح من نطق بالضاد قد
 تلقى القرآن من جبريل عرضاً وسماعاً وأمر بالإنصات والإصغاء التام حتى يفرغ
 جبريل من القراءة ثم يقرأ هو بعد ذلك حسب ما سمع وتلقى كما في قوله تعالى:
 ﴿إِن عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ﴿ثُمَّ إِنِّي عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾^(٢)
 وقال تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي
 عِلْمًا﴾^(٣)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾
 قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة، وكان مما
 يحرك شفتيه، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنِّي عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾
 قال: جمعه لك في صدرك وتقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾
 قال: فاستمع له وأنصت ﴿ثُمَّ إِنِّي عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ ثم إن علينا أن نقرأه.
 فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع
 فإذا انطلق جبريل قرأه النبي صلى الله عليه وسلم كما قرأه^(٤).
 ويستفاد من هذه الآيات ما يأتي :

أولاً : حفظ النص القرآني وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿إِن عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ أي
 في صدرك فتحفظ نصه.
 ثانياً : القراءة وكيفيتها وصفة أدائها وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنَهُ﴾

(١) سورة الملك آية : ٢٢

(٢) سورة القيامة آية : ١٦ ، ١٧ ، ١٨

(٣) سورة طه آية : ١١٤

(٤) فتح الباري : ٢٩/١

أي وعلينا تعليمك قراءته، فالقرآن هنا مصدر بمعنى القراءة وليس علماً.
ثالثاً : معرفة ما في القرآن من العلم والعمل وهذا مأخوذ من قوله تعالى:
﴿ثم إن علينا بيانه﴾ أي علينا تعليمك حلاله وحرامه كما علمناك قراءته. ^(١)

وأحاديث مدارس جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن في كل رمضان واعتبار الصحابة القراءة سنة متبعة يجب العمل بها والمصير إليها مما تقدم بيانه كل ذلك يستفاد منه أن الأخذ والتلقي والعرض والسماع أمور لا بد منها لطالب القرآن مهما بلغت منزلته وعلا كعبه أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته من بعده والتابعين لهم بإحسان.

روى الداني بسنده أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع رجلاً يقرأ في سورة يوسف (ليسجننه عني حين) فقال له عمر: من أقرأكها؟ قال أقرأنيها ابن مسعود.

فكتب عمر إلى ابن مسعود رضي الله عنه: سلام عليك أما بعد فإن الله أنزل هذا القرآن فجعله قرآناً عربياً مبيناً، وأنزله بلغة هذا الحي من قريش، فإذا جاءك كتابي هذا فأقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل والسلام. ^(٢)

قال الداني معقّباً على هذه الرواية: وهذا الخبر أصل كبير ومعناه تعليم عمر عبد الله رضي الله عنهما — رياضة الألسنة، وأمره إياه أن يأخذ من يقرئه بالتفرقة بين الحروف المتشابهة في اللفظ المتقاربة في المخرج، حتى يؤدي القرآن على ما أنزل عليه من القراءات واللغات دون ما يجوز من ذلك من كلام العرب

(١) سنن القراءة د. عبدالعزيز قاري : ٢٤٤

(٢) التحديد: ٨٢، المحتسب: ٣٤٣/١، الكشف: ٣١٧/٢، والعرب تبدل أحد هذين الحرفين من صاحبه لتقاربهما في المخرج.

ولعاقماً إذا كان مخالفاً لما أنزل عليه من الأحرف، ألا ترى أن الفرق بين العين والحاء بحة الحاء، ولولا هي لكانت عيناً.

وإنما كانت ذات بحة لهما مسها وجهر العين، فميز عمر رضي الله عنه الفرق بينها، وأمر عبدالله رضي الله عنه بتتبع ذلك على القارئ وتلخيص بيانه للتالين فيلزم سائر القراء وجميع أهل الأداء استعمال ذلك وتفقدته حتى يلفظ بالحروف على هيئتها وينطق بها على مراتبها. ^(١)

ومن تتبع كلام الأئمة في المخاير التي تعرض لكل حرف من حروف الهجاء وسلامة النطق به حال القراءة واجتماعه مع غيره علم علم اليقين أن الطريق ليس سالكا لكل من رآه ولو كان من أرباب الفصاحة والبلاغة بل لا بد فيه من القائد الخبير ورياضة باللسان تذلل العسير.

قال في النشر: أول ما يجب على مرید إتقان قراءة القرآن تصحيح إخراج كل حرف من مخرجه المختص به تصحيحاً يمتاز به عن مقاربه، وتوفية كل حرف صفته المعروفة به توفية تخرجه عن مجانسه، يعمل لسانه وفمه بالرياضة في ذلك إعمالاً يصير ذلك له طبعاً وسليقة.

فكل حرف شارك غيره في مخرج فإنه لا يمتاز عن مشاركته إلا بالصفات، وكل حرف شارك غيره في صفاته فإنه لا يمتاز عنه إلا بالمخرج. كالهَمْزة والهاء: اشتركا مخرجا وانفتاحا واستفالا وانفردت الهمزة بالجهر والشدة.

والعين والحاء: اشتركا مخرجا واستفالا وانفتاحا وانفردت الحاء بالهمس والرخاوة الخالصة.

والغين والحاء: اشتركا مخرجا ورخاوة واستعلاء وانفتاحا وانفردت الغين

(١) التجديد : ٨٣

بالجهر.

والجيم والشين والياء اشتركت مخرجاً وانفتاحاً واستفلاً، وانفردت الجيم بالشدة واشتركت مع الياء في الجهر، وانفردت الشين بالهمس، والتفشي، واشتركت مع الياء في الرخاوة.

والضاد والطاء: اشتركا صفة وجهراً ورخاوة واستعلاء وإطباقاً، وافترقا مخرجاً، وانفردت الضاد بالاستطالة.

والطاء والذال والتاء: اشتركت مخرجاً وشدة، وانفردت الطاء بالإطباق والاستعلاء، واشتركت مع الذال في الجهر، وانفردت التاء بالهمس واشتركت مع الذال في الانفتاح والاستفال.

والطاء والذال والتاء: اشتركت مخرجاً ورخاوة وانفردت الطاء بالاستعلاء والإطباق واشتركت مع الذال في الجهر، وانفردت التاء بالهمس واشتركت مع الذال استفلاً وانفتاحاً.

والصاد والزاي والسين: اشتركت مخرجاً ورخاوة وصفيراً وانفردت الصاد بالإطباق والاستعلاء واشتركت مع السين في الهمس، وانفردت الزاي بالجهر، واشتركت مع السين في الانفتاح والاستفال.

قال: فإذا أحكم القارئ النطق بكل حرف على حدته موف حقه فليعمل نفسه بإحكامه حالة التركيب؛ لأنه ينشأ عن التركيب ما لم يكن حالة الأفراد وذلك ظاهر فكم ممن يحسن الحروف مفردة ولا يحسنها مركبة بحسب ما يجاورها من مجانس ومقارب، وقوي وضعيف، ومفخم ومرقق، فيجذب القوي الضعيف، ويغلب المفخم المرقق فيصعب على اللسان النطق بذلك على حقه إلا بالرياضة الشديدة حالة التركيب.

فمن أحكم صحة اللفظ حالة التركيب حصل حقيقة التجويد بالإتقان والتدريب.^(١)

وتوضيحا لما ذكر ابن الجزري نورد بعض الأمثلة ليُعلم أن قراءة القرآن تحتاج إلى دربة ورياضة على أهل الخبرة والدراية. فاهمز مثلا له أحكامه التي يجب مراعاتها سواء كان مبدوءاً به أو موقوفا عليه.

قال في النشر: الهمزة إذا ابتدأ بها القارئ من كلمة فليلفظ بها سلسلة في النطق سهلة في الذوق، ولتحتفظ من تغليظ النطق بها نحو: (الحمد) (الذين) (أعندرقم) ولا سيما إذا أتى بعدها ألف نحو (آتى) و (آيات) و (آمين) فإن جاء حرف مغلف كان التحفظ أكد نحو: (الله) (اللهم) أو مفخم نحو (الطلاق) (اصطفى) و (أصلح)

فإن كان حرفا مجانسها أو مقاربها كان التحفظ بسهولتها أشد وبتريقها أوكد نحو: (اهدنا) (أعوذ) (أعطى) (أحطت) (أحق) فكثير من الناس ينطق بها في ذلك كالمتهوع.^(٢)

قال مكى: ويجب على القارئ إذا وقف على الهمزة وهي متطرفة بالسكون أن يطلب اللفظ بها وإظهارها في وقفه لأنها لما بعد مخرجها وضعفت وأتت في آخر الكلمة وذهبت حركتها للوقف وضعفت بالسكون صعب إظهارها في الوقف وخيف عليها النقص فلا بد من إظهارها عند الوقف والتكلف لذلك نحو (أسوأ) و (يستهزئ) فإن كان قبلها ساكن من حروف المد واللين صعب اللفظ بها في الوقف أشد مما قبله فيجب أن تظهرها بالوقف وتتطلب باللفظ نحو الوقف

(١) النشر : ٢١٤/١ ، ٢١٥

(٢) النشر : ٢١٦/١

على (السراء) و(الضراء) و(سوء) و(شيء) و(يضيء) و(شاء) و(جاء) و (يشاء) فإن كنت تروم الحركة كان ذلك أسهل قليلا من وقوفك بالسكون. وإن كان الساكن قبل الهمزة غير حرف مد ولين فهو أصعب في طلب الهمزة في الوقف إذا كنت لا تروم الحركة نحو قوله تعالى: (دفع) و (ملء) و(سوء)

فاعرف هذا كله وتحفظ منه في وقفك وإن لم تحفظ من إظهار الهمزة في هذا في وقفك كنت حاذفا حرفا ولا حنا في ذلك.^(١)

ومن ذلك (التاء) يتحفظ بما فيها من الشدة لئلا تصير رخوة وربما جعلت سينا لاسيما إذا كانت ساكنة نحو (فتنة) و (فترة) وليكن التحفظ بها أكد إذا تكررت نحو: (تتوفاهم) و (تتلوا) وكذا كل ما تكرر من مثلين نحو (ثالث ثلاثة) و (حاججتم) و(لا أبرح حتى) ونحو ذلك.

قال في الرعاية: فبيان هذا الحرف المكرر لازم لأن في اللفظ به صعوبة لأنه بمنزلة الماشي يرفع رجله مرتين أو ثلاث مرات ويردها في كل مرة إلى الموضع الذي رفعها منه.

وقد مثله بعض العلماء بمشي المقيّد فالتحفظ ببيانه لازم للقارئ ومعرفته لذلك زيادة في فهمه وعلمه بحقيقة لفظه.^(٢)

قال ابن الجزري: وإذا سبقت الطاء التاء لخصت صوت الطاء مع الإتيان بصوت الإطباق ثم تأتي بالتاء مرققة على أصلها وهذا قليل في زماننا ولا يقدر

(١) الرعاية : ١٥١

(٢) الرعاية : ٢٠٥، النشر : ٢١٧/١

عليه إلا الماهر الجود. ^(١)

ومن ذلك (السين) إذا جاورت حرفاً من حروف الإطباق سواء كانت ساكنة أو متحركة وجب بيانها في رفق وتؤدة وإلا صارت صاداً بسبب المجاورة لأن مخرجهما واحد ولولا التسفل والانفتاح اللذان في السين لكانت صاداً، ولولا الاستعلاء والإطباق اللذان في الصاد لكانت سيناً.

وينبغي أن يبين صفيها أكثر من الصاد لأن الصاد بين الإطباق نحو (بسطة) و (مسطورا) و (تسطع) و (أقسط) فتلفظ بها في حالي سكوتها وتحريكها برفق ورقة.

وإذا سكنت وأتى بعده جيم أو تاء فبينها نحو (مستقيم) و (مسجد) ونحو ذلك.

ولولا تبينها لالتبست بالزاي للمجاورة.

واحذر أن تحركها عند بيانك صفيها. ^(٢)

ومن ذلك الضاد فإنه حرف عسير على اللسان والناس يتفاضلون في النطق به قال ابن الجزري: فمنهم من يجعله (ظاء) مطلقاً، لأنه يشارك الظاء في صفتها كلها ويزيد عليها بالاستطالة، فلولا الاستطالة واختلاف المخرجين لكانت ظاء.

وإدائها ظاء لا يجوز في كلام الله تعالى لمخالفته المعنى الذي أراد الله تعالى إذ لو قلنا (الضالين) بالظاء كان معناه الدائمين وهذا خلاف مراد الله تعالى وهو مبطل للصلاة، لأن الضلال بالضاد هو ضد الهدى كقوله ﴿ضَلَّ مِنْ تَدْعُونِ إِلَّا يَاهُ﴾ ﴿وَالضَّالِّينَ﴾ ونحوه، وبالظاء هو الدوام كقوله ﴿ظَلَّ وَجْهَهُ مَسْوداً﴾

(١) التمهيد : ١٢١

(٢) التمهيد : ١٣٧

ومنهم من لا يوصلها إلى مخرجها بل يخرجها من دونه ممزوجة بالطاء المهملة لا يقدر على غير ذلك ومنهم من يخرجها لاماً مفخمة.

وإذا أتى بعد الضاد حرف إطباق وجب التحفظ بلفظ الضاد لئلا يسبق اللسان إلى ما هو أخف عليه وهو الإدغام كقوله: «فمن اضطر» «ثم اضطره» وإذا سكنت الضاد وأتى بعدها حرف من حروف المعجم فلا بد من المحافظة على بيائها وإلا بادر اللسان إلى ما هو أخف منها نحو: «أفضم» و «خضم» و «واخفض جناحك» و «قيضنا» و «فرضنا» ونحو ذلك.^(١)

وهكذا تناول العلماء كل حرف من حروف الهجاء مبينين خصائصه ومميزاته وكيفية النطق به وما يجب له

سواء كان مبدوء به أو موقوفاً عليه وسواء كان مفرداً أو اقترن بغيره ولو تتبعنا ذلك لخرجنا عن الاختصار

وإنما ذكر العلماء ذلك وبينوه أوضح بيان لما رأوا من وقوع الطلاب في الخطأ واللحن فيه

قال مكِّي في الرعاية بعد بيانه للمباحث والأبواب التي عقدها لأحكام التجويد:

كل ما ذكرته لك من هذه الحروف وما نذكره لم أزل أجد الطلبة تزل بهم ألستهم إلى ما نبهت عليه وتميل هم طباعهم إلى الخطأ فيما حذرت منه فبكثرة تنسجني لألفاظ الطلبة بالمشرق والمغرب وقفت على ما حذرت منه، ووصيت به من هذه الألفاظ كلها وأنت تجد ذلك من نفسك وطبعك.^(٢)

(١) التمهيد : ١٤٠-١٤٢

(٢) الرعاية : ١٧٠

فإذا كان هذا حال الطلاب في تلك القرون المتقدمة فماذا عسى أن نقوله
عمن طغت عليه العجمة وفشي فيه اللحن وغلب عليه اعوجاج اللسان من أهل
زماننا هل يُترك يقرأ بحسب طبعه ولهجته وما سهل على لسانه ؟

ولقد رد العلماء هذه المقولة ووصفوا قائلها بالنقص والجهالة.

قال مكّي رحمه الله تعالى: وليس قول المقرئ والقارئ أنا أقرأ بطبعي وأجد
الصواب بعادي في القراءة لهذه الحروف من غير أن أعرف شيئاً مما ذكرته بحجة
بل ذلك نقص ظاهر فيهما.

لأن من كانت هذه حجته يضيّب ولا يدري، ويخطئ ولا يدري؛ إذ علمه
واعتماده على طبعه وعادة لسانه، يمضي معه أينما مضى به من اللفظ، ويذهب
معه أين ما ذهب، ولا يبني على أصل ولا يقرأ على علم ولا يقرئ عن فهم فما
أقربه من أن يذهب عنه طبعه، أو تتغير عليه عادته وتستحيل عليه طريقته؛ إذ
هو بمنزلة من يمشي في ظلام في طريق مشتبه فالخطأ والزلل منه قريب.

والآخر بمنزلة من يمشي على طريق واضح معه ضياء لأنه يبني على
أصل، وينقل عن فهم، ويلفظ عن فرع مستقيم وعلة واضحة فالخطأ منه
بعيد، فلا يرضى امرؤ لنفسه في كتاب الله جل ذكره وتجويد ألفاظه إلا بأعلى
الأمور وأسلمها من الخطأ والزلل^(١).

وإلى وجوب عرض القرآن وأخذه عن أهل الضبط والإتقان نبه الداني في
منظومته المنبهة فقال:

(١) الرعاية : ١٥٣

واعلم بأن العرض للقرآن	على الإمام الفاضل الديان
من سنة النبي والصحابة	ذوي المحل وذوي القرابة
والتابعون بعد لم يعدوه	بل من وكيد الأمر قد عدّوه
إذ كان قد صح عن الرسول	بأنه قرا على جبريل
وقد قرا بالوحي إذ أتاه	على أبي ثم قد أقراه
فأي شيء بعد هذا يتبع	وهل يرد الحق إلا مبتدع
أو جاهل لقوله لا ينظر	إذ هو في الوري كمن لا يبصر ^(١)

(١) الأرجوزة المنبهة: للداني: ١٦٦

المبحث الخامس: حكم الأخذ بالتجويد

بعد النظر في النصوص الواردة عن الأئمة في مسألة حكم الأخذ بالتجويد وما تقدم من بيان اعتناء سلف هذه الأمة به. تحرر عندي أن تعلم علم التجويد فرض كفاية. وأن العمل بأحكامه حال القراءة فرض عين سواء كان ذلك في الصلاة أو خارج الصلاة وسواء كان المقروء يسيراً أو كثيراً وذلك لما يأتي:

أولاً:

أن الأمة قد أجمعت على تلقي القرآن وعرضه منذ نزوله جيلاً بعد جيل بهذه الكيفية التي عرفت بالتجويد لا خلاف بينهم في ذلك، إذ القراءة عندهم سنة متبعة.

وقد كنت عزمت على عقد مبحث أذكر فيه أدلة المعارضين للقول بالوجوب ومناقشتها فلم أجد دليلاً من إمام معتبر يقول بغير الوجوب فصرفت عنه النظر.

وما ذكره بعض العصريين من أنه دليل معارض للقول بالوجوب كقصة اختلاف هشام بن حكيم وعمر بن الخطاب في القراءة ونحو ذلك، تتبعته فألفيته بعيداً كل البعد عن تقرير أحكام التلاوة وأدائها التي هي صلب الموضوع ولبه، بل هو راجع إلى اختلاف القراءات والحكمة من تعدد الحروف النازلة.

ثانياً:

أن قراءة القرآن وتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من

أئمة القرآن المسنين إلى رسول الله ﷺ عبادة.

قال تعالى: ﴿ فاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾^(١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول (ألم) حرف ولكن (ألف) حرف و(لام) حرف و(ميم) حرف»^(٢). وكل عبادة يجب أن تؤدي كاملة غير منقوصة ليحصل لصاحبها الثواب كاملاً.

وبقدر ما نقص منها مع قدرته على التمام نقص من أجره وثوابه وبقدر تفريطه لحقه الإثم والعقاب.

وإلى ما ذكرت أشار ابن الجوزي بقوله: ولا شك أن الأمة كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده متعبدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراءة المتصلة بالحضرة النبوية الأفضحية العربية التي لا تجوز مخالفتها ولا العدول عنها إلى غيرها، والناس في ذلك بين محسن مأجور ومسيء آثم، أو معذور.

فمن قدر على تصحيح كلام الله تعالى باللفظ الصحيح العربي الفصيح وعدل إلى اللفظ الفاسد العجمي أو النبطي القبيح استغناءً بنفسه واستبداداً برأيه وحده، واتكالا على ما ألف من حفظه، واستكباراً عن الرجوع إلى عالم يوقفه على صحيح لفظه، فإنه مقصر بلا شك وآثم بلا ريب وغاش بلا مرية فقد قال رسول الله ﷺ «الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة

(١) سورة المزمل آية ٢٠.

(٢) الترمذي: ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن: ٣٣/٥، حديث رقم (٢٩١٠) وابن الضريس في فضائل القرآن: ٤٦. وفي جامع الأصول: ٤٩٨/٨.

المسلمين وعامتهم».

أما من كان لا يطاوعه لسانه أو كان لا يجد من يهديه إلى الصواب بيانه فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها^(١).
ثالثاً:

ما ثبت في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتبع فيه وهو عليه شاق له أجران»^(٢).
والماهر بالشيء الحاذق العارف به.

ولا يكون ماهراً بالقرآن عارفاً به من أخلّ بشيء من معانيه ومبانيه. فمن لم يعط الحروف حقها من المدّ إن كانت ممدودة، ومن التمكين إن كانت مُمكنة، ومن الهمز إن كانت مهموزة، ومن الإدغام إن كانت مدغمة، ومن الإظهار إن كانت مظهرة، ومن الإخفاء إن كانت مخفية، ومن الحركة إن كانت محرّكة، ومن السكون إن كانت مسكّنة ... إلخ، مع قدرته على ذلك، لم يكن ماهراً بالقرآن، وأما من كان لا يطاوعه لسانه مع اجتهاده وحرصه على الوصول إلى مرتبة الماهر فإن الله أعدله من الأجر على قدر اجتهاده إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، فمن رام مصاحبة السفارة الكرام البررة وجب عليه أن يقيم حروفه ويحرص على أدائها سالمة من الخطأ والزلل كما يقيم حدوده.
رابعاً:

ما ورد من النهي عن الهزيمة وهي الإسراع بالقراءة إلى الحد الذي لا يمكن القارئ من ضبط أحكام القراءة، ولا يمكن السامع من التدبر، ومثلها هذا،

(١) النشر: ٢١٠/١، ٢١١.

(٢) فتح الباري: ٦٩١/٨، ومسلم في صلاة المسافرين رقم ٨٤/٦.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لا تشروه نثر الدقل^(١)، ولا تهذوه هذ الشعر^(٢)،
قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة.

وعن أبي وائل قال جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود فقال: قرأت المفضل
البارحة فقال: ((هَذَا كَهَذَا الشعر، إنا قد سمعنا القراءة، وإني لأحفظ القرآن التي
كان يقرأ بها النبي ﷺ: ثمان عشرة سورة من المفضل وسورتين من آل حم)).

ولذلك ورد النهي عن ختم القرآن في أقل من سبع وفي رواية أقل من
ثلاث كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

فإذا فهي عن الهذمة والهذّ وجب الأخذ بضدهما وهو تبين الحروف
وإخراجها من مخارجها وإعطاؤها حقها على الصفة المتلقة من أئمة القراءة
الناقلين لها بالأسانيد المتصلة سواء كان ذلك في ترتيل، أو تدوير، أو حدر.

فدو الحذق معط للحروف حقوقها
إذا رتل القرآن أو كان ذا حدر^(٥)

خامساً:

إن القول بعدم وجوب الأخذ بهذه الأحكام من إظهار وإدغام وإخفاء ومد
وترقيق وإمالة ونحو ذلك.

(١) الدقل هو رديء التمر ويابسه وما ليس له اسم خاص فتراه ليسه ورداءته لا يجتمع

ويكون منشوراً. اللسان: ٢٤٦/١١

(٢) تفسير البغوي: ٤٠٧/٤.

(٣) فتح الباري: ٨٨/٩.

(٤) فتح الباري: ٩٤/٩. مسلم بشرح النووي: ٤٢/٨

(٥) من قصيدة الخاقاني: أنظر قصيدتان في التجويد: ١٩.

فيه قدح صريح لصدر هذه الأمة من القراء الناقلين إلينا كتاب ربنا بحروفه وقراءاته ورواياته وطرقه بهذه الكيفيات والهيئات التي تلقوها وأقروا بها ودونوها في كتبهم حتى وصلت إلينا عن طريقهم بالأسانيد المتصلة.

فهل يقول ذو بصيرة أنهم أنشأوها واخترعوها من أنفسهم وأوجبوها على الناس وتناقلها الناس عنهم في كل عصر ومصر.

ولم يخالفهم أحد أو يأخذ على أيديهم لاستحداثهم في كتاب الله ما ليس منه، والله عَلَّمَكَ قد تكفل بحفظ كتابه (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) [الحجر: ٩] والإجماع قائم على أن من زاد في القرآن حركة أو حرفاً أو نقص من تلقاء نفسه مصراً على ذلك يكفر.

كما أن الإجماع قائم على أن النقص في كيفية القرآن وهيئته كالنقص في ذاته ومادته.

فترك المد والغنة والتفخيم والترقيق، ترك حروفه وكلماته. فإذا كان الجواب قطعاً بالنفي وأهم براء من الاختراع والابتداع بل منهجهم الإتيان، فلا يقرأ أحدهم إلا بما أقرئ، وجب اتباعهم، قال محمد بن صالح: سمعت رجلاً يقول لأبي عمرو ^(١) كيف تقرأ:

(لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ وَلَا يُوثِقُ وِثْقَهُ أَحَدٌ) ^(٢)

(١) زيان بن العلاء أبو عمرو البصري، أحد القراء السبعة ولد سنة (٦٨هـ) وقيل سنة (٧٠هـ)

قرأ على الحسن البصري، وحيد بن قيس الأعرج، وعلى أبي العالية.

توفي سنة (١٥٤هـ) وقيل غير ذلك.

غاية النهاية: ٢٩٢/١، تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر: ١٧٨/١٢، طبقات خليفة بن

خياط: ٢٢٧

(٢) سورة الفجر آية ٢٥-٢٦.

قال: (لا يعذب) بالكسر، فقال له الرجل كيف وقد جاء عن النبي ﷺ (لا يعذب) بالفتح، فقال له أبو عمرو: لو سمعت الرجل الذي قال سمعت النبي ﷺ ما أخذته عنه وتدرى ما ذاك لأني أقم الواحد الشاذ إذا كان على خلاف ما جاءت به العامة.

قلت وقراءة الفتح أيضاً قراءة متواترة.

قرأها من السبعة الإمام الكسائي، ومن العشرة يعقوب الحضرمي^(١) وإنما أنكرها أبو عمرو لأنها لم تبلغه على وجه التواتر، لأن الخبر قد يتواتر عند قوم دون قوم^(٢).

وقال ابن مجاهد أخبرنا الأصمعي قال: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: لولا أنه ليس لي أن أقرأ إلا بما قد قرئ به لقرأت حرف كذا وحرف كذا^(٣) كذا.

وبين الشهرزوري في كتابه المصباح أن أحكام التجويد من إظهار وإدغام وإقلاب وإخفاء وإمالة وتفخيم وتحقيق همز وتخفيفه كل ذلك من لغة العرب التي نزل بها القرآن، وما من قارئ من قراء الأمصار: الحجاز والشام والعراق إلا وقد ورد عنهم الإدغام والإظهار والهمز والتلين والحدرد والتحقيق والإمالة والتفخيم، وليس لأحد أن يعيب على قارئ من قرأ بهذه الأوصاف بل كل واحد من هذه الأوصاف نقله الخلف عن السلف جيلاً بعد جيل وقيلاً بعد قبيلاً من لدن رسول الله ﷺ إلى زماننا هذا، ووقع على جواز ذلك الاتفاق في كل

(١) النشر ٢/٤٠٠

(٢) جمال القراءة للسخاوي: ٢٣٥/١، منجد المقرئين: ٦٨.

(٣) السبعة لابن مجاهد: ٤٨.

عصر ومصر إماماً بعد إمام وقدوة بعد قدوة إلى زماننا هذا.^(١)
قلت : لازال الإجماع والاتفاق قائماً على ما ذكر عن الأئمة قراء الأمصار
من تلك الأحكام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فالتارك للقراءة بها قارئ
للقرآن بغير لغة العرب التي نزل عليها.

وفي موضع آخر من كتابه بين أن أخذهم لقواعد التجويد ليس بدعاً من
أنفسهم وإنما هو النقل والرواية عن الأئمة الماضين والسلف الصالحين، فقد
أوضحوا في كتبهم وبينوا في مصنفاتهم التجويد في القراءة والتحقيق في التلاوة،
ولم يتركوا لغيرهم في ذلك مسلكاً وليس لنا فيما نورده من ذلك إلا التقريب
والترتيب.. والله الموفق.^(٢)

فعلينا أن نسلك مسلك أئمتنا ونقتفي أثرهم فهم الأمناء الناقلون والحفظة
المسندون.

قرأوا القرآن فأدوه أحسن أداء، وكان حسن الأداء سبيلهم لحسن
الاستماع، وكان حسن الاستماع سبيلاً لحسن التدبر، وحسن التدبر سبيلاً
لحسن الانتفاع.

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

(١) المصباح الزاهر : ٩٢٩/٣.

(٢) المصباح الزاهر : ١٤٦٨/٤.

المبحث السادس: اللحن في القراءة

يأتي اللحن لمعان كثيرة، والذي يعنينا منه في هذا المبحث هو ما كان بمعنى الخطأ والميل عن الصواب في القراءة.

قال في اللسان: اللحن واللحن واللحن واللحن: ترك الصواب في القراءة والنشيد ونحو ذلك.

ورجل لاحن ولحن ولحن ولحن: يخطئ.

وفي المحكم: كثير اللحن، ولحن: نسيه إلى اللحن ^(١).

قال ابن الجزري في التمهيد: واللحن الخطأ ومخالفة الصواب.

وبه سمي الذي يأتي بالقراءة على ضد الإعراب لحناً، وسمي فعله اللحن، لأنه كالمائل في كلامه عن جهة الصواب والعدل عن قصد الاستقامة ^(٢).

واللحن في جميع صورته وأشكاله منهي عنه مستبشع في القراءة.

كما روى الحاكم في مستدركه عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمع النبي ﷺ رجلاً قرأ فلحن قال ﷺ (أرشدوا أخاكم).

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحذر القراء منه.

فعن سليمان بن يسار: انتهى عمر إلى قوم يقرئ بعضهم بعضاً فلما رأوا عمر سكتوا فقال: ما كنتم تراجعون، فقلنا: كنا نقرئ بعضنا بعضاً، فقال:

(١) اللسان: ٣٧٩/١٣، مادة ل ح ن.

(٢) التمهيد: ٧٦.

(٣) المستدرک ٤٣٩ / ٢ ، وقال الحاكم: صحيح الإسناد وأقره الذهبي.

أقرأوا ولا تلحنوا^(١) .
 وكان أبو جعفر^(٢) القارئ يقول: من فقه الرجل عرفانه اللحن^(٣) .
 ينقسم اللحن إلى قسمين:
 لحن جلبي: أي ظاهر.^(٤)
 وخفي: أي مستتر.
 ولكل واحد منهما حدّ يخصه، وحقيقة بها يمتاز عن صاحبه.
 القسم الأول: اللحن الجلبي:
 وهو خلل يطرأ على الألفاظ فيخل بعرف القراءة سواء أدخل بالمعنى أم لم
 يخل، وهذا النوع من اللحن قد يكون في بنية الكلمة وحروفها التي تتركب
 منها، بأن يبدل القارئ منها حرفاً بآخر، فيبدل الضاد ظاء، والذال زائاً، والشاء
 سيناً، والغين خاءً، ونحو ذلك.
 وقد يكون في حركات الكلمة سواء كان ذلك في أولها أو في وسطها، أم
 في آخرها.
 فيجعل الفتحة كسرة، أو الضمة فتحة، أو إحدى هذه الحركات سكوناً،

(١) المصنف لابن أبي شيبة: ٤٥٩/١٠، شعب الإيمان: ٢٤٢/٥، إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري: ١٩/١.

(٢) يزيد بن القعقاع الإمام أبو جعفر المخزومي المدني، أحد القراء العشرة، عرض القرآن على مولاه عبدالله بن عياش، وعبد الله بن عباس، وأبي هريرة.
 روى عنه نافع بن أبي نعيم، وسليمان بن مسلم بن حجاز، توفي سنة (١٣٠ هـ)، غاية النهاية: ٣٨٢/٢.

(٣) المصنف لابن أبي شيبة: ٤٥٩/١٠

(٤) السبعة لابن مجاهد: ٤٩، التحديد للداني: ١١٨.

أو نحو ذلك، سواء ترتب على هذا الخطأ تغير في المعنى كضم التاء أو كسرهما من نحو: «أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» [الفاتحة: ٧] ونحو: «لَمْ كُنْتُ عَلَيْكَ الْقَاتِلَ» [النساء: ٧٧].

أو فتحها أو كسرهما من نحو: «مَا قُلْتُ لَهُمْ» [المائدة: ١١٧].
أم لم يترتب عليه تغير في المعنى كضم الهاء من قوله تعالى: «الْحَمْدُ لِلَّهِ» [الفاتحة: ٢] و «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» [البقرة: ٢٠].
وهذا النوع من اللحن حرام شرعاً باتفاق المسلمين، معاقب عليه فاعله إن تعمده.

فإن فعله ناسياً أو جاهلاً فهو معفو عنه إن شاء الله تعالى.
وسمي هذا النوع جلياً لجلالته وظهوره وعدم خفائه على أحد سواء كان من القراء أم من غيرهم.

قال الداني: اعلّموا أن كل حرف من حروف القرآن يجب أن يمكن لفظه ويوفى حقه من المتزلة التي هو مخصوص بها على ما حددناه وما تحدده ولا يبخل شيئاً من ذلك فيتحول عن صورته ويزول عن صيغته وذلك عند علمائنا في الكراهة والقبح كلحن الإعراب الذي يتغير فيه الحركات وينقلب به المعاني^(١).

القسم الثاني: اللحن الخفي:

وهو خلل يطرأ على الألفاظ فيخل بالعرف دون المعنى وهو نوعان:
الأول: مثاله ترك الإدغام في موضعه، وكذلك الإظهار، والإقلاب، والإخفاء، وترقيق المفخم وعكسه، وتخفيف المشدد كذلك.
وقصر الممدود، ومد المقصور، والوقف بالحركة كاملة في غير الوقف

(١) التحديد للداني ١١٨

بالروم، إلى غير ذلك من الأخطاء التي تتنافى والقواعد التي دوّنها علماء القراءة وضبطها أئمة الأداء.

الثاني: وهو لا يعرفه إلا مهرة القراء وحقّاقهم ومثاله: تكرير الرءات، وتطنين النونات، وتغليظ اللامات، في غير محله، وترقيقها كذلك، ونقص الغنة أو الزيادة على مقدارها، والزيادة على مقدار المد أو النقص عنه، إلى غير ذلك مما يخل باللفظ ويذهب برونقه وحسن طلاوته.

وسمي مخفياً لاختصاص معرفته بعلماء القراءة دون غيرهم، وقد اختلف العلماء في هذا القسم الثاني من اللحن الخفي هل هو ملحق بالقسم الأول في الاتفاق على حرمة أم أن الأمر فيه دون ذلك.

فمن قال بحرمة وأنه لا فرق بينه وبين القسم الأول البركوي^(١) في شرحه على الدر اليتيم قال: تحرم هذه التغيرات جميعها لأنها وإن كانت لا تخل بالمعنى تخل باللفظ، وتؤدي إلى فساد رونقه وذهاب حسنه وطلاوته^(٢).

وناصر الدين الطبلاوي^(٣) يرى أن هذه القواعد من الواجب الشرعي الذي يثاب فاعله ويعاقب تاركه.

(١) محمد بن بيرعلي البركوي الرومي الحنفي تقي الدين، واعظ نحوي مفسر محدث، توفي

سنة (٩٨١هـ)

معجم المؤلفين، رضا كحالة ٩/١٢٣، كشف الظنون، حاجي خليفة ١/٧٣٦.

(٢) نهاية القول المفيد: ٢٩.

(٣) محمد بن سالم الطبلاوي ناصر الدين، من علماء الشافعية، عاش نحو مائة سنة، توفي سنة

(٩٦٦هـ)

الأعلام، خير الدين الزركلي: ٤/٧

وذلك في نص سؤال وجه إليه فأجاب عليه بما يفيد ذلك^(١).
ويرى ملا علي القاري^(٢) في شرحه على المقدمة الجزرية أن هذا القسم الثاني لا يصل في الحرمة إلى ما عليه القسم الأول فيقول: ولا شك أن هذا النوع مما ليس بفرض عين يترتب عليه العقاب الشديد وإنما فيه خوف العتاب والتهديد.

والذي أميل إليه في هذه المسألة أن هذه الكيفيات والهيئات التي يقرأ بها كتاب الله ﷻ من إظهار وإدغام وإخفاء وهمس للحروف وجهر لها ونحو ذلك، كل ذلك متلقى عن رسول الله ﷺ حفظه الصحابة ونقلوه إلى من بعدهم إلى أن وصل إلينا متواتراً بالأسانيد المتصلة مما بينته سابقاً.

فإذا كانت هذه الكيفيات متواترة كان العمل بها والمحافظة على مراعاتها أمراً واجباً شرعاً تحرم مخالفتها ويأثم المتهاون بأدائها.

ولقد سبق قول الداني في أنه ينبغي للقارئ أن يأخذ نفسه بتفقد الحروف التي لا يوصل إلى حقيقة اللفظ بها إلا بالرياضة الشديدة والتلاوة الكثيرة مع العلم بحقائقها والمعرفة بمنازلها فيعطي كل حرف منها حقه من المد إن كان ممدوداً ومن التمكين إن كان ممكناً، ومن الهمز إن كان مهموزاً، ومن الإدغام إن كان مدغماً، ومن الإظهار إن كان مظهراً، ومن الإخفاء إن كان مخفياً، ومن الحركة إن كان محركاً، ومن السكون إن كان مسكناً.

(١) نهاية القول المفيد: ٢٩ - ٣١.

(٢) علي بن محمد سلطان، وقيل: علي بن سلطان الهروي المعروف بالقاري، فقيه حنفي، له

كتب كثيرة في القراءات، توفي سنة (١٠١٤هـ).

الأعلام، الزركلي: ١٦٦/٥

(٣) المنح الفكرية في شرح الجزرية: ١٩.

ومتى لم يفعل ذلك القارئ ولم يستعمل اللفظ به كذلك صار عند علماء هذه الصناعة لاحقاً^(١).

والمدار في كل هذا على من كان يستطيع أن يأتي بهذه الكيفيات المتواترة ولكنه استنكف عن ذلك استكباراً وعناداً.

أما من كان لا يطاوعه لسانه أو كان لا يجد من يهديه إلى الصواب بيانه، فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها.

فأول علم الذكر إتقان حفظه ومعرفة باللحن من فيك إذا يجري

فكن عارفاً باللحن كيما تزيله وما للذي لا يعرف اللحن من عنبر^(٢)

وأما النوع الثاني من اللحن الخفي وهو ما لا يعرفه إلا مهرة القراء وخذأقهم.

بأن ينقص القارئ الغنة عن المقدار المقرر لها وهو حركتان فيأتي بها حركتين إلا رباعاً مثلاً، أو أقل من الربع.

أو يزيدها على المقدار فيجعلها حركتين ورباعاً أو أدنى من الربع، أو يجعل المد اللازم خمس حركات ونصف حركة أو ثلاثة أرباع حركة، أو يجعله ست حركات ورباع حركة أو نصف حركة، فينقصه عن المقدار المقرر له، أو يزيده عليه.

ومثل ذلك يقال في باقي المد من: المتصل، والمنفصل، والعارض للسكون. وبأن يفاوت بين المدود المتصلة والمنفصلة مثلاً، فيقرأ بعضها بخمس حركات مثلاً، وينقص بعضها عن هذا المقدار ولو قليلاً، أو يزيدها عليها ولو قليلاً.

(١) التحديد للداني: لوحة: ٩٨/أ

(٢) للخاقاني: قصيدتان في تجويد القرآن: ٢١.

وبأن يقف على بعض الكلمات بالروم، ثم يقف على نظائرها بالسكون
المحض أو الإشمام.

وبأن يبالغ في تفخيم الحروف المفخمة، فيزيد عن الحد المطلوب، وبأن يبالغ
في ترقيق الألف المسبوق بحرف استفال حتى يظن أنها مماله، وبأن يبالغ في تحقيق
الهمز المسبوق بحرف مد حتى يتوهم أنه مشدد.

إلى غير ذلك من الأمور التي لا يتنبه لها إلا المهرة العارفون بالتجويد
المأهرون به علماً وعملاً الآخذون من أفواه الشيوخ الضابطين فإن هذا وإن كان
من اللحن إلا أنه لا يخل بالقراءة الصحيحة ولا يقدح في ضبط التلاوة وحسنها.
وإنما يخل بكمال الضبط ونهاية الحسن والبلوغ بالقراءة إلى أسمى مراتب
الإحسان والإتقان.

وعلى هذا لا يكون ارتكاب مثل هذه الأمور الدقيقة جداً محرماً ولا
مكروهاً ممن وقع فيه من غير تعمد.

بل يكون خلاف الأولى والأفضل والأكمل، والله الموفق.
وإذا لحن المصلي في الفاتحة فإنه أخل بركن من أركان الصلاة، وعليه فإنه
تفسد صلاته.

سواء كان ذلك اللحن مغيراً للمعنى أو للمبنى، وهذا على أرجح قولي أهل
العلم.

قال النووي: ولو قال: «وَلَا الضَّالِّينَ» [الفاتحة: ٧] بالظاء بطلت صلاته،
على أرجح الوجهين إلا أن يعجز عن الضاد بعد التعلم فيعذر^(١).

قال في النشر: واختلفوا في صلاة من يبدل بحرف غيره، سواء تجانسا أم
تقارباً، وأصح القولين عدم الصحة كمن قرأ «الْحَمْدُ» بالعين، و«الدِّين»

(١) الأذكار للنووي: ٤٦.

(١)

بالتاء أو (الْمَغْضُوبُ) بالخاء أو الظاء .

على أنه في كل ذلك يعتبر الجهد الذي يبذله المكلف في تصحيح قراءته، فإن كان مع اجتهاده وحرصه على التصحيح غلبه لسانه ولم يقو على اجتناب اللحن فلا حرج عليه، لأن التكليف مقيد بالاستطاعة ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، فبعد است فراغ الوسع في تصحيح القراءة إن وقع المصلي في اللحن فصلاته تجزئه، كصلاة الأثلغ، والأعجمي الشديد العجمة، والشيخ الفاني الذي لا يستطيع أن يقوم لسانه ونحوهم من طوائف الأمة الذين لا يقدرّون على تحاشي اللحن .

وأما إمامة اللحن ويسميه الفقهاء (أُمِّيًّا).

وهو الذي لا يحسن قراءة مالا تصح الصلاة إلا به من القرآن فلا خلاف في كراهة إمامته، ولا ينبغي له أن يؤم الناس والصحيح من أقوال أهل العلم بطلان الاقتداء به، وفساد الصلاة خلفه.

وهذا مذهب أبي حنيفة، ومالك، وأحمد، والأصح من مذهبي الشافعي وقال به أبو ثور، وابن المنذر، واختاره المزني.

(٣)

وهو مذهب عطاء، وقنادة من التابعين .

وقيل: تفسد صلاة القارئ خلف الأُمِّي، وتصح صلاة من كان مثله.

قال في النشر: ولهذا أجمع من نعلمه من العلماء على أنه لا تصح صلاة

(١) النشر: ٢١١/١.

(٢) سنن القراءة: ١٢٨.

(٣) المغني لابن قدامة: ٣٢/٣.

المجموع شرح المذهب: ٢٦٩/٤.

قارئ خلف أمي وهو من لا يحسن القراءة ^(١) .

وهذا آخر ما تيسر جمعه في هذا البحث، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفعنا به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ... آمين.

(١) النشر: ٢١١/١. المغني لابن قدامة: ٢٩/٣.

الخاتمة

إنه لجدير بكل مسلم يحل كتاب ربه ويعظمه أن يصونه عن اللحن والتحريف، ويكون لسانه رطباً به في كل وقت وحين، وفق الكيفية التي أمر الله أن يتلى بها وحض عليها رسوله صلى الله عليه وسلم، وتناقلتها الأمة جيلاً بعد جيل حتى وصلت إلينا محاطة بالرعاية، متصلة بالأسانيد.

فمضى ما قرئ القرآن مجوداً مصححاً كما أنزل تلذذت الأسماع بتلاوته، وخشعت القلوب عند قراءته ولو لم يكن القارئ من أصحاب المقامات والتطريب، ومضى اختلت موازين الحروف لم يقم النغم والتطريب مقامها، بل لا يحسن الصوت حقيقة مع الإخلال بشيء من قواعد التجويد والتلاوة.

فحسن الصوت شيء زائد عن أحكام التلاوة وقواعدها وهبة من الله لمن شاء من خلقه وهو حسن بشروطه وليس هذا محل بحثه.

ولئن وقف أبناء اللغة العربية البررة مع لغتهم وتعاهدوها ورعوها حتى رعايتها مما لم تعهده لغة أخرى في روايتها وترتيب قواعدها واستقصاء أصولها وإحصاء مفرداتها واستيعاب الشواهد عليها وضبط كلماتها وموازينها وبيان الفروق اللغوية بين مترادفاتهما، وتحقيق المعرب من الدخيل محتسبين الأجر في ذلك لأنها لغة القرآن.

فحري بأهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته والمصطفون من خلقه أن يذودوا عن حمى القرآن وأن لا يتركوه لعبث العابثين وتأويل الجاهلين فكما هم مطالبون بالحفاظ على حروفه وحدوده هم مطالبون بالحفاظ على معانيه ومبانيه والكيفية التي تؤدي بها تلك الحروف لأنها أكمل الكيفيات وأتم الهيئات وتطبيقها تنال أعلى الدرجات في الحياة وبعد الممات.

وإنه من فضل الله على هذه البلاد المملكة العربية السعودية أنه لا زال ولاية الأمر فيها قائمين بالحفاظ على كتاب الله وتجويده في كل المناسبات الخاصة منها والعامة.

ففي مجال المسابقة المحلية التي يرعاها سمو الأمير سلمان بن عبد العزيز في كل عام يشترط في كل فرع من فروعها الخمسة التلاوة والتجويد. ومثل ذلك في المسابقة الدولية التي تنظمها وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف كل عام بمكة المكرمة على مستوى العالم يشترط في كل فرع من فروعها الخمسة التلاوة والتجويد.

فما يثار بين الفينة والفينة من التقليل بأهمية التجويد لا محل له في دولة القرآن وبين أهل القرآن.

﴿ ربنا أتم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير ﴾
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس الآيات

الصفحة	الآية
١٦	يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك
٣١	إنما الصدقات للفقراء والمساكين
٤٠	إنما نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون
١٦	لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً
١٦	إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف
٣٣	قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن
٤٣	ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقرضى إليك وحيه
٢٨	ورتلناه ترتيلاً
١٢	ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا
٤٣	أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى
٢٨، ١٥	ورتل القرآن ترتيلاً
٥٤	فاقرءوا ما تيسر من القرآن
٤٣	إن علينا جمعه وقرآنه
٥٨	لا يعذب عذابه أحد
١٥	اقرأ باسم ربك الذي خلق.

فهرس الأحاديث والآثار

الصفحة	الحديث
٦٠	انتهى عمر إلى قوم يقرئ بعضهم بعضاً
٣٠	أن رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرأوا كما علمتم
١٧	إن الله أمرني أن أعرض القرآن عليك
٣٢	جودوا القرآن
٣٩	الدين النصيحة
٦٠	سمع رسول الله ﷺ رجلاً قرأ فلحن
١٥	فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة
٣٠	القراءة سنة
٤٠	كان رسول الله ﷺ يعارض جبريل بالقرآن
٤٣	كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة
١٧	كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد
٣١	كان ابن مسعود يقرئ رجلاً
١٧	كنا إذا تعلمنا من النبي ﷺ عشر آيات
٢٨	كيف كانت قراءة النبي ﷺ
٤١	لقد أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢٩	ما رأيت رسول الله ﷺ يصلي في سبحته
٥٥	الماهر بالقرآن
٣١	من سره أن يقرأ القرآن رطباً
٦١	من فقه الرجل عرفانه اللحن
٥٤	من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة
٣٠	نعتت قراءة رسول الله ﷺ مفسرة
٤٢	لا تأخذوا القرآن من مصحفي

٥٦

لا تنثروه نشر الدقل

٥٦

هَذَا كَهَذَا الشعر

فهرس الأبيات

البيت	الصفحة
أيا قارئ القرآن أحسن أداءه	٢٣
فأول علم الذكر إتقان حفظه	٦٥
فذو الحذق معط للحروف حقوقها	٥٦
فكن عارفاً باللحن كيما تزيله	٦٥
فما كل من يتلوا الكتاب يقيمه	٢٣
فيا رب أنت الله حسبي وعدتي	١٢
لأنه به الإله أنزلا	٣٨
من يأخذ العلم عن شيخه مشافهة	٤٢
وإن لنا أخذ القراءة سنة	٢٣
وكل خير في اتباع من سلف	٥٩
والأخذ بالتجويد حتم لازم	٣٨
وليس بينه وبين تركه	٤٢
ومن يكن آخذاً للعلم من صحف	٤٢

فهرس الأعلام

الصفحة	العلم
٢٤	إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبري
٢٥	إبراهيم بن عمر بن حسين البقاعي
٢٥	أحمد بن نصر الميداني
٢٥	جعفر بن إبراهيم السنهوري
٣٧	الحسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي
٢٠	حمزة بن حبيب الزيات
٥٧	زبان بن العلاء أبو عمرو البصري
٢٠	سليم بن عيسى
٢٤	شريح بن محمد بن شريح الرعيني
٢١	عاصم بن بهدلة بن أبي النجود
٢٢	عبد الفتاح بن عبد الغني القاضي
١٩	عثمان بن سعيد الداني
٢٣	علي بن جعفر بن سعيد السعدي
٦٤	علي بن محمد بن سلطان القارئ
١٨	علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي
١٧	القاسم بن سلام أبو عبيد
٣٦	المبارك بن الحسن أبو الكرم الشهرزوري
٦٣	محمد بن بير علي البركوي
٦٣	محمد بن سالم الطبلاوي
٢٤	محمد بن قيصر بن عبد الله البغدادي
١٨	محمد بن محمد بن محمد الجزري
٢٠	محمد بن يزيد بن رفاعة أبو هاشم الرفاعي

٣٣	مكي بن أبي طالب القيسي
٢٣	موسى بن عبيد الله الحاقاني
٣٢	نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم
٢٧	نصر بن علي بن محمد أبو عبد الله الشيرازي
٦١	يزيد بن القعقاع أبو جعفر المخزومي
١٤	يوسف بن علي بن جبارة

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم - مصحف المدينة النبوية - طباعة مجمع الملك فهد.
٢. أخلاق حملة القرآن الكريم.
أبو بكر أحمد بن الحسين الآجري المتوفى سنة (٣٦٠هـ)
تحقيق الدكتور / عبد العزيز القاري، مكتبة الدار، ط ١، ١٤٠٨هـ
٣. الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار.
حمي الدين / يحيى بن شرف النووي المتوفى سنة (٦٧٦هـ).
دار المعرفة بيروت.
٤. الأرجوزة المنبهة على أسماء القراء والرواه.
أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني المتوفى سنة (٤٤٤هـ).
تحقيق: محمد مجقان الجزائري، نشر: دار المغني - الرياض - ط ١ - ١٤٢٠هـ.
٥. الأعلام.
خير الدين الزركلي، المتوفى سنة (١٣٩٧هـ) ط ٣.
٦. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن.
للشيخ محمد الأمين الشنقيطي المتوفى سنة (١٣٩٣هـ).
طبع وتوزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية - الرياض.
٧. أنباء الغمر بأبناء العمر.
لأبي الفضل / أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة (٨٥٢هـ).
مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الدكن، الهند.
٨. إنباه الرواة على أنباه النحاة.
لأبي الحسن علي بن يوسف القفطي المتوفى سنة (٦٢٤هـ).
تحقيق محمد أبو الفصل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ١ - ١٤٠٦هـ
٩. إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله.
أبو بكر الأنباري: محمد بن القاسم المتوفى سنة (٣٢٨هـ) ط المجمع العلمي بدمشق.

١٠. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع.
محمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة (١٢٥٠هـ).
نشر دار الكتاب الإسلامي القاهرة.
١١. تاريخ بغداد.
أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفى سنة (٤٦٣هـ).
نشر دار الكتاب العربي بيروت.
١٢. التحديد في الإتيان والتجويد.
أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني المتوفى سنة (٤٤٤هـ)
دراسة وتحقيق الدكتور / غانم قدوري ط١، (١٤٠٧هـ).
ونسخة أخرى خطية بمكتبة الجامعة الإسلامية رقمها ١/٧٤٣١.
١٣. تذكرة الحفاظ.
أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، الحافظ الذهبي المتوفى سنة (٧٤٨هـ)
تحقيق أبو هاجر محمد، دار الكتب العلمية بيروت ط١ - ١٤٠٥هـ
١٤. التمهيد في علم التجويد.
أبو الخير محمد بن محمد بن محمد الجزري المتوفى سنة (٨٣٣هـ)
تحقيق غانم قدوري، مؤسسة الرسالة ط٤ - ١٤١٨هـ
١٥. تهذيب التهذيب.
الحافظ بن حجر العسقلاني، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الدكن، الهند.

١٦. التيسير في القراءات السبع.

أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، عني بتصحيحه — أوتوبرتزل —
نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٤هـ.

١٧. الثقات.

أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي المتوفى سنة (٣٥٤هـ)
ط مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند — سنة ١٣٩٣هـ

١٨. جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ.

أبو السعادات، المبارك بن محمد بن الأثير الجزري المتوفى سنة (٦٠٦هـ)
تحقيق عبد القادر الأرناؤوط سنة ١٣٨٩هـ.

١٩. جامع البيان عن تأويل القرآن.

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة (٣١٠هـ)
مطبعة الحلبي ط ٣، ١٣٨٨هـ.

٢٠. الجامع لأحكام القرآن.

أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى سنة (٦٧١هـ)
طبع دار إحياء التراث بيروت.

٢١. جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس.

أبو عبد الله محمد بن أبي نصر بن حميد المتوفى سنة (٤٨٨هـ)
تحقيق يوليم الأياري، نشر دار لكتاب المصري ودار لكتاب اللبناني ط ٢ — ١٤١٠هـ

٢٢. جمال القراء وكمال الإقراء.

علي بن محمد السخاوي المتوفى سنة (٦٤٣هـ)
تحقيق الدكتور / علي حسين البواب، مطبعة المدني القاهرة، ط ١، ١٤٠٨هـ

٢٣. حرز الأمانى ووجه التهاني.

القاسم بن فيرة الشاطبي المتوفى سنة (٥٩٠هـ)

تصحيح محمد تميم الزعبي، دار المطبوعات الحديثة، ط ١ - ١٤٠٩هـ

٢٤. الدر المنثور في التفسير بالمأثور.

عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة (٩١١هـ)

نشر دار الفكر بيروت، ط ١ - ١٤٠٣هـ.

٢٥. الدر الكامنة في أعيان المائة الثامنة.

الحافظ بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد سيد جاد الحق، مطبعة المدني ط

٢ - ١٣٨٥هـ.

٢٦. الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة.

لأبي محمد، مكّي بن أبي طالب القيسي، المتوفى سنة (٤٣٧هـ)

تحقيق الدكتور / أحمد حسن فرحات، دار عمار، الأردن، ط ٢، ١٤٠٤هـ.

٢٧. زاد المعاد في هدي خير العباد.

محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، المتوفى سنة (٧٥١هـ)

تحقيق شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط.

مؤسسة الرسالة، ط ٢ - ١٤٠٥هـ.

٢٨. السبعة في القراءات.

أحمد بن موسى بن مجاهد، المتوفى سنة (٣٢٤هـ)

تحقيق الدكتور / شوقي ضيف، دار المعارف مصر، ط ٢.

٢٩. سنن أبي داود.

لأبي سليمان بن الأشعث، المتوفى سنة (٢٧٥هـ)

مراجعة محمد محيي الدين، دار الكتب العلمية بيروت

٣٠. سنن الترمذي.

محمد بن عيسى الترمذي، المتوفى سنة (٢٧٩هـ)
مطبعة الحلبي، مصر

٣١. سنن الدارمي.

محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، المتوفى سنة (٢٥٥هـ)
تحقيق عبد الله هاشم يماني. الناشر: حديث أكاديمي باكستان - ١٤٠٤هـ.

٣٢. سنن القراء ومناهج المجودين.

الدكتور / عبد العزيز عبد الفتاح القاري، نشر مكتبة الدار ط ١، ١٤١٤هـ.

٣٣. سير أعلام النبلاء.

الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.

تحقيق الدكتور / بشار عواد، ود / محي هلال مؤسسة الرسالة، ط ١ - ١٤٠٥هـ.

٣٤. شعب الإيمان.

للبيهقي أحمد بن الحسين، المتوفى سنة (٤٥٨هـ)

طبع الدار السلفية، بمباي، الهند.

٣٥. شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف.

الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري المتوفى سنة (٣٨٢هـ)

تحقيق عبد العزيز أحمد، مطبعة الحلبي ط ١ - ١٣٨٣هـ.

٣٦. صحيح مسلم بشرح النووي.

مسلم بن الحجاج القشيري المتوفى سنة (٢٦١هـ)

المطبعة المصرية.

٣٧. الصلة.

خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال، المتوفى سنة (٥٧٨هـ)

تحقيق إبراهيم الأياري، نشر دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني ط ٢ - ١٤١٠هـ.

٣٨. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع.

محمد بن عبد الرحمن السخاوي، المتوفى سنة (٩٠٢هـ)
نشر دار مكتبة الحياة بيروت.

٣٩. الطبقات الكبرى.

محمد بن سعد بن منيع البصري، المتوفى سنة (٢٣٠هـ)
دار صادر بيروت.

٤٠. الطبقات.

لأبي عمرو خليفة بن خياط العصفري، المتوفى سنة (٢٤٠هـ)
تحقيق د/ أكرم ضياء العمري، دار طيبة للتوزيع والنشر، ط ٢ - ١٤٠٢هـ.
٤١. العبر في خبر من غبر.

محمد بن أحمد بن عثمان الحافظ الذهبي، تحقيق أبو هاجر محمد، دار
الكتب العلمية بيروت، ط ١ - ١٤٠٥هـ.

٤٢. غاية النهاية في طبقات القراء.

أبو الخير محمد بن الجرزي، عني بنشره. ج براجستراسر، دار الكتب
العلمية بيروت، ط ٢ - ١٤٠٠هـ.

٤٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري.

أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، نشر المكتبة السلفية.

٤٤. فتح المجيد في علم التجويد.

محمد بن علي بن خلف الحسيني الشهير بالحداد، مطبعة البابي الحلبي، ط ٢.

٤٥. فضائل القرآن.

لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، المتوفى سنة (٢٢٤هـ)
تحقيق مروان عطية، محسن خرابة، وفاء تقي الدين طبع دار ابن كثير،
دمشق، ط ١ - ١٤١٥هـ.

٤٦. فضائل القرآن.

لأبي عبد الله محمد بن أيوب بن الضريس، المتوفى سنة (٢٩٤هـ)
تحقيق غزوة بدير، دار الفكر بيروت، ط ١ - ١٤٠٨هـ.

٤٧. قصيدة الخاقاني.

موسى بن عبيد الله بن يحيى الخاقاني، المتوفى سنة (٣٢٥هـ)
ضمن: قصيدتان في تجويد القرآن، تحقيق د. عبد العزيز القاري، ط ١ -
١٤٠٢هـ.

٤٨. القول السديد في بيان حكم التجويد.

محمد بن علي بن خلف الحسيني الشهير بالحداد، مطبعة الحلبي.

٤٩. الكامل في التاريخ.

محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير الجزري، المتوفى سنة (٦٣٠هـ)
دار الكتب العلمية بيروت، ط ١ - ١٤٠٧هـ.

٥٠. الكامل في القراءات الخمسين.

يوسف بن علي بن جبارة الهذلي، المتوفى سنة (٤٦٥هـ)
مخطوط عن مكتبة الأزهرية.

٥١. الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.

جار الله محمود بن عمر الزنجشيري، المتوفى سنة (٥٣٨هـ)
مطبعة دار المعرفة بيروت.

٥٢. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.

مصطفى بن عبد الله المعروف بحاجي خليفة، المتوفى سنة (١٠٦٧هـ)
دار الكتب العلمية بيروت.

٥٣. لباب التأويل في معاني التنزيل.

على بن محمد بن إبراهيم البغدادي المعروف بالخازن
المتوفى سنة (٦٤١هـ) توزيع المكتبة الشعبية بيروت.

٥٤. لسان العرب.

لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، المتوفى سنة (٧١١هـ)
نشر دار صادر بيروت.

٥٥. لطائف الإشارات لفنون القراءات.

أحمد بن محمد القسطلاني، المتوفى سنة (٩٢٣هـ)
تحقيق الشيخ / عامر السيد عثمان، عبد الصبور شاهين
نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة، ط ١ - ١٣٩٢هـ.

٥٦. مجلة كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية.

مطبعة الجامعة الإسلامية، سنة ١٤٠٣هـ.

٥٧. المجموع شرح المذهب.

يحيى بن شرف النووي

تحقيق محمد نجيب المطيعي، مكتبة الإرشاد، جدة

٥٨. المختص في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها.

أبو الفتح عثمان بن جني، المتوفى سنة (٣٩٢هـ)

تحقيق: علي النجدي، والدكتور عبد الحليم النجار، والدكتور عبد الفتاح

شلي - مطبعة إحياء التراث - القاهرة - ط ١، ١٣٨٩هـ

٥٩. المستدرك على الصحيحين.

لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، المتوفى سنة (٤٠٥هـ)

مطبعة دار الكتاب العربي بيروت.

٦٠. المسند.

للإمام أحمد بن حنبل، المتوفى سنة (٢٤١هـ)
شرح أحمد شاكر، دار المعارف بمصر، ط ٤ - ١٣٧٣هـ.

٦١. مشاهير علماء الأمصار.

محمد بن حبان البستي، تصحيح. م. فلايشهر.
دار الكتب العلمية بيروت.

٦٢. المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر.

لأبي الكرم المبارك بن الحسن الشهرزوري، المتوفى سنة (٥٥٠هـ)
رسالة دكتوراه / إبراهيم الدوسري.

٦٣. المصنف في الأحاديث والآثار.

عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، المتوفى سنة (٢٣٥هـ)
تحقيق مختار أحمد الندوي، الدار السلفية، الهند - ١٤٠٢هـ.

٦٤. معاني القرآن وإعرابه.

لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، المتوفى سنة (٣١١هـ)
شرح وتحقيق د. / عبد الجليل شلي، عالم الكتب بيروت، ط ١ - ١٤٠٨هـ.

٦٥. معاني القرآن.

لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، المتوفى سنة (٢٠٧هـ)
عالم الكتب بيروت، ط ٣ - ١٤٠٣هـ.

٦٦. معجم المؤلفين.

عمر رضا كحالة المتوفى سنة (١٤٠٨هـ)، نشر مكتبة المثنى، ودار إحياء
التراث، بيروت.

٦٧. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار.

للحافظ أبي عبد الله الذهبي، تحقيق محمد سيد جاد الحق
مطبعة دار التأليف القاهرة ط ١.

٦٨. المغني.

موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي

المتوفى سنة (٦٢٠هـ)

تحقيق الدكتور / عبد الله بن عبد المحسن التركي، والدكتور / عبدالفتاح

محمد الحلو، ط ١ - ١٤٠٦هـ.

٦٩. المفردات في غريب القرآن.

لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المتوفى سنة (٥٠٢هـ)

تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة بيروت.

٧٠. المفيد في شرح عمدة المجيد في النظم والتجويد.

الحسن بن قاسم المعروف بابن أم قاسم المرادي، المتوفى سنة (٧٤٩هـ)

تحقيق الدكتور / علي حسين البواب، نشر مكتبة المنار، الأردن، سنة

١٤٠٧هـ

٧١. المقدمة الجزرية.

محمد بن محمد الجزري، ضمن مجموع أمهات متون، نشر دار

المطبوعات الحديثة جدة.

٧٢. منجد المقرئين ومرشد الطالبين.

للحافظ بن الجزري، دار الكتب العلمية بيروت.

٧٣. المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية.

ملا علي بن سلطان محمد القاري، المتوفى سنة (١٠١٤هـ)

مطبعة الحلبي سنة ١٣٦٧هـ.

٧٤. الموضح في وجوه القراءات وعللها.

نصر بن علي بن محمد الشيرازي الفارسي، المتوفى بعد

سنة (٥٦٥هـ)

تحقيق الدكتور / عمر حمدان الكبيسي، ط ١ - ١٤١٤هـ.

٧٥. موطأ الإمام مالك.

رواية يحيى بن يحيى الليثي، المتوفى سنة (٢٣٤هـ)
إعداد أحمد راتب عرموش، مطبعة دار النفائس
بيروت. ط ٧ - ١٤٠٤هـ.

٧٦. النشر في القراءات العشر.

للمحافظ أبي الخير محمد بن الجرزي. تصحيح الشيخ علي محمد الضباع
مطبعة مصطفى محمد البابي، القاهرة.

٧٧. نهاية القول المفيد في علم التجويد.

الشيخ محمد مكي نصر، تصحيح الضباع، مطبعة الحلبي
سنة ١٣٤٩هـ.

٧٨. هداية القاري إلى تجويد كلام الباري.

عبد الفتاح السيد عجمي المرصفي، المتوفى سنة (١٤٠٩هـ) ط ١ - ١٤٠٢هـ

٧٩. وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان.

لأبي العباس أحمد بن محمد بن خلكان، المتوفى سنة (٦٨١هـ)
تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١١
تعريف التجويد لغة واصطلاحاً	١٣
نشأة التجويد	١٥
المخل بالتجويد محل بالقراءة	١٩
بدء التدوين في علم التجويد	٢٣
تعريف الترتيل	٢٦
كيف كانت قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم	٢٨
القراءة سنة متبعة	٣٠
حض الأئمة على وجوب الأخذ بالتجويد	٣٣
الكيفية التي يتلقى بها القرآن	٤٠
بيان خطأ من ترك الأخذ والتلقي عن الشيوخ اعتماداً على عربيته	٤٢
حكم الأخذ بالتجويد	٥٣
اللحن في القراءة	٦٠
الخاتمة	٦٩
الفهارس	٧١

زياداتُ القطيعي على مُسندِ الإمامِ أحمدَ بروايةِ ابنِ عبدِ الله دراسةٌ وتخریجٌ

إعدادُ
د. دَخِيلِ بْنِ صَالِحِ اللَّحِيدِ
المُتَسَانِرِ السَّاعِدِ فِي طَلَبَةِ أُمُورِ الدِّينِ بِالرِّيَاضِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلُّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَا بَعْدُ^(١) :

فَإِنْ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْمُهْدِيِّ هُدًى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ^(٢).

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَفِظَ هَذِهِ الْأُمَّةَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ الَّذِي تَنَاقَلَتْهُ الْأَجْيَالُ بِالتَّوَاتُرِ، وَحَفِظَ لَهَا سُنَّةَ نَبِيِّهَا مُحَمَّدٍ ﷺ بِأَنْ يَسِرَ لَهَا صَحَابَتُهُ الْكَرَامُ — رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ —، فَحَفِظُوهَا وَفَهَمُوهَا وَعَمَلُوهَا بِهَا، وَسَارَ عَلَى فَهْمِهِمْ مِنْ أَتَى بَعْدَهُمْ، وَذَبُّوا عَنْهَا تَحْرِيفَ الْمُتَأَوِّلِينَ، وَشَبَهَاتِ الْمُبْطِلِينَ، وَغُلَطِ الْوَاهِمِينَ.

وَقِيضَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْسُنَّةِ مِنَ الْأُتَمَّةِ النِّقَادِ الَّذِينَ بَيَّنُّوا أَحْوَالَ الرِّوَاةِ، وَمَيَّزُوا الصَّحِيحَ مِنَ الضَّعِيفِ حَتَّى يَكُونَ الْمُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى بَصِيرَةٍ فِي اسْتِخْرَاجِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مِنْهَا، وَمَعْرِفَةِ الْحَلَالِ مِنَ الْحَرَامِ، وَالْخَاصِّ مِنَ الْعَامِ، وَالنَّاسِخِ مِنَ الْمَنْسُوخِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

-
- (١) هذه إحدى ألفاظ خطبة الحاجة، أخرجها الإمام مسلم (في ٧ كتاب الجمعة، ١٣ باب تخفيف الصلاة والخطبة، ٨٦٨/٥٩٣/٢)، والنسائي (في ٢٦ كتاب النكاح، ٣٩ باب ما يستحب من الكلام عند النكاح، ٣٢٨٠)، من حديث ابن عباس — رضي الله عنهما — .
- (٢) أخرج الإمام مسلم (في ٣ كتاب الجمعة، ١٣ باب تخفيف الصلاة والخطبة، ٨٦٧)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول : ((أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ))، وفي رواية عنده أنه قال : ((كان رسول الله ﷺ يخطب الناس، يحمد الله ويثني بما هو أهله ثم يقول : مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ)) الحديث.

وقد عُني العلماء بتدوين الحديث في المسانيد والسنن والجوامع والمصنفات، والمعاجم والمشيخات والأجزاء الحديثية وغيرها من مصادر السنة التي نقلت بالأسانيد المتصلة، وضُبِطت ألفاظها بالعرض والمقابلة وإثبات السماع تأكيداً على حفظها من الزيادة والنقصان، مع تواتر العزو إليها في كتب أهل العلم بما لا يجعل للشك فيها مجالاً.

ومن أبرز ما عُني به أهل الحديث، زيادات الرواة عن شيوخهم، حيث قد يضيف تلميذ المؤلف أو من دونه بعض مروياته عن شيوخه بحيث تتميز بهم عن مرويات المؤلف.

وكانت هذه الزيادات واضحة عند متقدمي أهل الحديث لمعرفةهم بالشيوخ والطبقات، ولما ضُعِفَت الهمم فيمن أتى بعدهم احتيج إلى معرفتها ودراستها والتنبيه إليها، وإفرادها بالتأليف، وقد جاء هذا البحث في دراسة زيادات واحد من هؤلاء الرواة، وهو : الإمام القَطيَعي، ليسهم في تعريف زيادات الرواة، واستنباط أنواعها، ومعرفة درجتها، وضوابطها، وكان ذلك من أسباب اختيار هذا الموضوع، إضافة إلى تأكيد ما يلي :

١- منزلة فن زيادات رواة الكتب، وهو مما يستدرك على من ألف في مصطلح الحديث.

٢- الحاجة إلى معرفة أصحاب الزيادات ومروياتهم، ولا سيما أنهم - وإن كانوا ثقاتاً في أنفسهم - إلا أنهم ليسوا من النقاد الجهابذة الذين ينتقون مروياتهم، بل شأان أكثرهم العناية بأداء ما سمعوا - سواء أكان صحيحاً أم ضعيفاً -، بل قد تكون أكثر زيادات بعضهم موضوعة كالقطيعي، حيث إنهم يرون براءة الذمة بالإسناد، والعهددة على من رروا عنه من شيوخهم.

٣- أثر هذا الفن في تمييز زيادات رواة الكتب من مرويات مؤلفيها، ولا سيما من كان معروفاً بالانتقاء حيث يؤدي خفاؤها إلى الوهم في نسبة الزيادات - مع ضعفها - إليهم، وقد وهم العلامة الهيثمي - مع جلالة قدره - فعزى

حديثاً إلى مسند الإمام أحمد، وهو من زيادات القطيعي عليه^(١)، ومن هو دون الهيثمي من باب أولى، ويؤدي هذا إلى عدم الدقة في بيان مكانة المصادر، كما قد ينسب أهل الأهواء الحديث الموضوع من هذه الزيادات إلى الأئمة أنفسهم فتحصل الشبهة لمن لا علم له بها، وقد دحض شيخ الإسلام ابن تيمية شبهاتهم في عدة مواضع من كتبه، ومنه قوله : ((ليس هذا الحديث في مسند أحمد، ولا رواه أحمد لا في المسند ولا في الفضائل... وإنما هو من زيادات القطيعي التي فيها من الكذب الموضوع ما اتفق أهل العلم على أنه كذب موضوع))^(٢).

٤ - تبين آراء أهل العلم في زيادات القطيعي على مسند الإمام أحمد برواية ابنه عبد الله، فمنهم النافي ومنهم المثبت ومنهم من يرى قتلها، ومنهم من يرى كثرتها، مما يدعو إلى تحرير القول فيها، وبيان الصواب بالاستقراء والدراسة التفصيلية الميئة لعدددها ومواضعها، وما يدل على أنها من زيادات القطيعي، مع الحكم عليها.

ومن الجدير بالذكر أن هذا البحث يُعدُّ - فيما يُعلم - أول دراسة مفردة بزيادات القطيعي على المسند، وهو يتكون بعد المقدمة السابقة من :
من فصلين، وخاتمة، وفهارس، وبيانات على النحو التالي :

الفصل الأول : الدراسة، وفيه :

المبحث الأول : التعريف بعبد الله بن أحمد.

المبحث الثاني : التعريف بالقطيعي.

المبحث الثالث : التعريف بمسند الإمام أحمد.

المبحث الرابع : التعريف بزيادات الرواة.

المبحث الخامس : التعريف بزيادات القطيعي.

(١) سيأتي توضيحه في ص : ١٢٣

(٢) منهاج السنة ٧٥/٤

الفصل الثاني : تخريج زيادات القطيعي.

الخاتمة : وتشتمل على أهم نتائج البحث.

الفهارس، وفيها :

١- فهرس المصادر والمراجع.

٢- فهرس الموضوعات.

هذا وسميت هذا البحث : «زيادات القطيعي على مسند الإمام أحمد برواية ابنه عبد الله، دراسة وتخريجاً»، وأسأل الله تعالى أن ينفع به ويغفر لي ولوالدي ولذوي أرحامي ولجميع المسلمين، والحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول : الدراسة

وهو في خمسة مباحث :

- المبحث الأول : التعريف بعبد الله بن أحمد.
- المبحث الثاني : التعريف بالقطيعي.
- المبحث الثالث : التعريف بمسند الإمام أحمد.
- المبحث الرابع : التعريف بزيادات الرواة.
- المبحث الخامس : التعريف بزيادات القطيعي.

المبحث الأول : التعريف بعبد الله ابن الإمام أحمد^(١) :

أولاً : اسمه ونسبه ونسبته وتاريخ ولادته :

فهو : عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني البغدادي أبو عبد الرحمن. ولد سنة ٢١٣هـ.

ثانياً : شيوخه : تلقى عبد الله بن الإمام أحمد عن شيوخ كثيرين، وفي مقدمتهم : والده - ت ٢٤١هـ - ، ويحيى بن عبدويه - وهو أكبر شيخ له - ت ٢٣١هـ - ، وأحمد بن جَنَاب المصيصي - ت ٢٣٠هـ - ، وأحمد بن محمد بن أيوب - ت ٢٢٨هـ - ، وإبراهيم بن الحجاج السامي - ت ٢٣١هـ - ، ويحيى بن معين إمام الجرح والتعديل - ت ٢٣٣هـ - ، وخليفة بن خياط صاحب التاريخ والطبقات - ت ٢٤٠هـ - وغيرهم، قال الحافظ أبو بكر : محمد بن عبد الغني بن نقطة - ت ٦٢٩هـ - عنه : ((حدث عن جماعة يزيدون على الأربعمائة جمعنا أسماءهم في كتاب مفرد))^(٢).

ثالثاً : تلاميذه، ومنهم : أحمد بن شعيب النسائي صاحب السنن - ت ٣٠٣هـ - ، وموسى ابن هارون الحمال - ت ٢٩٤هـ - ، وعبد الرحمن بن أبي حاتم - ت ٣٢٧هـ - ، وأحمد بن جعفر القطيعي - ت ٣٦٨هـ - ، وغيرهم.

رابعاً : مكانته العلمية: عبد الله بن الإمام أحمد : حافظ ثقة، ومحدث

(١) الإمام أحمد غني عن التعريف فهو علم مشهور عند الخاصة والعامة، ولهذا اقتضت على التعريف بابنه عبد الله بإيجاز أيضاً؛ لتعلق البحث بغيره.

(٢) التقييد لمعرفة الرواة ٤٥/٢

كبير، قال عنه الإمام أحمد : ((إن ابني قد وعى علماً كثيراً))^(١)، وقال عنه أيضاً : ((إن ابني محظوظ من علم الحديث لا يكاد يذاكرني إلا بما لا أحفظ))، وقال أبو بكر: أحمد بن علي الخطيب البغدادي -ت ٤٦٣هـ- عنه : ((كان ثقة ثباً فهماً))^(٢)، وقال تلميذه أبو الحسين : أحمد بن محمد البغدادي الشهير بابن المنادي -ت ٣٣٦هـ- عنه : ((ما زلنا نرى أكابر شيوختنا يشهدون له بمعرفة الرجال، وعلل الحديث والأسماء والكنى، والمواظبة على طلب الحديث في العراق وغيرها، ويذكرون عن أسلافهم الإقرار له بذلك)).

خامساً : مسموعاته من والده : سمع عبد الله بن الإمام أحمد من والده غالب مروياته، وفي ذلك يقول تلميذه ابن المنادي : ((لم يكن في الدنيا أحد أروى عن أبيه منه ؛ لأنه سمع المسند وهو ثلاثون ألفاً، والتفسير وهو مائة ألف وعشرون ألفاً، سمع منها ثمانين ألفاً، والباقي وجادة، وسمع الناسخ والمنسوخ، والتاريخ، وحديث شعبة، والمقدم والمؤخر في كتاب الله تعالى، وجوابات القرآن، والمناسك الكبير والصغير، وغير ذلك من التصانيف))^(٣).

وقال عبد الله : ((كل شيء أقول : قال أبي، قد سمعته مرتين أو ثلاثة، وأقله مرة))^(٤).

وقال الطبراني : ((حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا أبي قال : قبور أهل السنة من أهل الكبائر روضة، وقبور أهل البدعة من الزهاد حفرة، فساق

(١) سير أعلام النبلاء ١٣/٥١٦

(٢) تاريخ بغداد ٩/٣٧٦

(٣) طبقات علماء الحديث، لابن عبد الهادي الصالحي ٢/٣٧٩

(٤) العلل ٩٩/٤

أهل السنة أولياء الله، وزهاد أهل البدعة أعداء الله))^(١).

سادساً : وفاته : كانت وفاة عبد الله بن الإمام أحمد في شهر جمادى الآخرة، سنة ٢٩٠هـ، وله سبع وسبعون سنة كعمر أبيه، ودفن في مقابر باب التَّيْنِ^(٢) في بغداد، رحمة الله عليه^(٣).

-
- (١) طبقات الحنابلة ١/١٨٨، وطبقات علماء الحديث، لابن عبد الهادي الصالح ٢/٣٧٩
(٢) قال ياقوت الحموي (في معجم البلدان ١/٣٠٦) : ((باب التَّيْنِ : بلفظ التين الذي تأكله الدواب، اسم محلة كبيرة كانت ببغداد، وبها قبر عبد الله بن أحمد بن حنبل)).
(٣) المنتظم لابن الجوزي ١٣/٢١٧، وتهذيب الكمال ٤/٣١٥٧، والبداية والنهاية ٦/٩٦، وسير أعلام النبلاء ١٣/٥١٦، وتهذيب التهذيب ٥/٢٤٦، وشذرات الذهب ٢/٢٠٣.

المبحث الثاني : التعريف بالقطيعي : أولاً : اسمه ونسبه ونسبته وكنيته :

هو : أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك بن شعيب البغدادي القطيعي أبو بكر، واشتهر "بالقطيعي" و "بأبي بكر ابن مالك"، وربما نسب به بعضهم إلى جده فقال : أحمد بن شبيب، وحمدان لقب جده، واسمه أحمد، قاله ابن الجوزي^(١) - ت ٥٩٧هـ -.

والقطيعي : بفتح القاف، وكسر الطاء وسكون الياء المنقوطة من تحتها بائتين وفي آخرها العين المهملة، قاله الأمير ابن ماكولا^(٢) - ت ٤٧٥هـ - والسمعاني^(٣) - ت ٥٦٢هـ -، وهي نسبة إلى : قطعة الدقيق مَحَلَّة في أعلى غربي بغداد، سكنها فنسب إليها^(٤).

ثانياً : ولادته ونشأته :

ولد القطيعي سنة ٢٧٤هـ، قال أبو طالب : محمد بن الحسين بن أحمد بن بكر - ت ٤٣٦هـ - : ((سمعت أبا بكر بن مالك يذكر أن مولده في يوم الاثنين لثلاث خلون من المحرم سنة أربع وسبعين ومائتين، وقال : كانت والدتي بنت أخي ابن عبد الله الجصاص، وكان عبد الله بن أحمد بن حنبل يميننا فنقرأ عليه ما نريده، وكان يُقعدني في حجره حتى يقال له : يؤولك فيقول : إني أحبه))^(٥).

وهو صاحب رحلة، قال عنه الذهبي - ت ٧٤٨هـ : ((رحل وكتب

(١) المنتظم ١٤/٢٦٠

(٢) الإكمال ٧/١٤٩

(٣) الأنساب ١٠/٤٦٤

(٤) تاريخ بغداد ٤/٧٣، والإكمال ٧/١٤٩.

(٥) تاريخ بغداد ٤/٧٣

وخرُجَ))^(١)، وقال عنه ابن الجزري - ٨٣٣هـ - : ((ارتحل إلى البصرة والموصل وواسط وكتب وجمع، مع الصدق والدين والخير والسنة))^(٢).

ثالثاً : شيوخه :

أخذ القَطِيعِي العلم عن عدد من المحدثين والحفاظ^(٣)، مثل الحافظ أبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم الحربي البغدادي - ت ٢٨٥هـ - صاحب الإمام أحمد وكتاب غريب الحديث^(٤)، والحافظ المسند أبي مسلم إبراهيم بن عبد الله بن مسلم بن ماعز البصري الكَجّ - ت ٢٩٢هـ - صاحب كتاب السنن^(٥)، والإمام الحافظ أبي العباس أحمد بن علي بن مسلم البغدادي الأَبَّار - ت ٢٩٠هـ - صاحب التاريخ^(٦)، والمقرئ الثقة أبي الحسن إدريس بن عبد الكريم البغدادي الحداد - ت ٢٩٢هـ -^(٧)، والحافظ أبي يعقوب إسحاق بن الحسن بن ميمون البغدادي الحربي من رواة الموطأ عن القَعْنِي - ت ٢٨٤هـ -^(٨)، والحافظ أبي علي بشر بن موسى بن صالح الأسدي البغدادي - ت ٢٨٨هـ -^(٩)، والإمام الحافظ أبي بكر جعفر بن محمد بن الحسن الفَرَيَّابِي صاحب كتاب أحكام العيدين، ودلائل النبوة وغيرهما - ت

(١) سير أعلام النبلاء ٢١٠/١٦

(٢) المصعد الأحمدي ٤٢

(٣) ذكرهم الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢١٠/١٦

(٤) تاريخ بغداد ٢٧/٦، وطبقات الخنابلة ٨٦/١

(٥) طبقات علماء الحديث، لابن عبد الهادي الصالح ٦١٥/٣٢٢/٢

(٦) طبقات الحفاظ، للسيوطي ٢٨٠

(٧) طبقات القراء، للذهبي ٢٠٤/١

(٨) سير أعلام النبلاء ٤١٠/١٣

(٩) ستاتي ترجمته في ص : ١٤٩

٣٠١هـ - (١)، والحافظ أبي عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل الشيباني المروزي ثم البغدادي - ت ٢٩٠هـ - (٢)، والمسند أبي شعيب عبد الله ابن الحسن بن أحمد الحراني - ت ٢٩٥هـ - (٣)، والمسند الثقة أبي خليفة الفضل بن الحباب بن محمد الجُمَحي - ت ٣٠٦هـ - (٤)، وأبي العباس محمد بن يونس بن موسى الكُذَيْمي القرشي البصري - ت ٢٨٦هـ - (٥)، والإمام الحافظ الفقيه القاضي المقرئ أبي بكر موسى بن إسحاق بن موسى الخطمي الأنصاري - ت ٢٩٧هـ - (٦).
 رابعاً : تلاميزه (٧) :

لقد كانت للقطيعي منزلة جليلة في عصره، ومما يدل على ذلك : عناية أئمة الحديث في وقته بالأخذ عنه، والسماع منه مثل : الحافظ أبي نُعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني صاحب الحلية (٨) - ت ٤٣٠هـ -، والمسند المعمر أبي الحسن بُشَري بن مَسِيس الفاتني الرومي (٩) - ت ٤٣١هـ -، والإمام العلامة الفقيه أبي علي الحسن بن شهاب بن الحسن العُكْبَري - ت ٤٢٨هـ - (١٠)، والحدث المسند

(١) طبقات علماء الحديث، لابن عبد الهادي الصالح ٢/٤١٢/٣٨٢

(٢) سبقت ترجمته في ص : ٩٦

(٣) ستأتي ترجمته في ص : ١٢٦

(٤) ستأتي ترجمته في ص : ١٤٢

(٥) ستأتي ترجمته في ص : ١٣٣

(٦) الجرح والتعديل ٨/١٣٥، طبقات الشافعية، للسبكي ٢/٣٤٥، وطبقات القراء، لابن

الجزري ٢/٣١٧

(٧) ذكرهم الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٦/٢١١

(٨) طبقات علماء الحديث، لابن عبد الهادي الصالح ٣/٢٨٨/٩٧٠

(٩) تاريخ بغداد ٧/١٣٥، والإكمال، للأمير ابن ماکولا ٧/٥١، ٧٩، ٢٥٥

(١٠) طبقات الحنابلة ٢/١٨٦

أبي علي الحسن بن علي بن محمد التميمي البغدادي المعروف بابن المذهب - ت ٤٤٤ هـ -^(١)، والإمام المحدث الثقة أبي محمد الحسن بن علي بن محمد بن الحسن الشيرازي ثم البغدادي الجوهري الملقب - ت ٤٥٤ هـ - سَمِعَ من القَطِيعِي سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، قاله الذهبي^(٢)، والحافظ أبي محمد الحسن ابن أبي طالب محمد بن الحسن بن علي البغدادي الخلال - ت ٤٣٩ هـ -^(٣)، والحافظ الناقد أبي علي خلف بن محمد بن علي الواسطي صاحب كتاب : "أطراف الصحيحين" - المتوفى بُعيد الأربعمئة بيسير -^(٤)، والحافظ الواعظ أبي القاسم عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن بشران الأموي البغدادي صاحب الأمالي - ت ٤٣٠ هـ -^(٥)، والمسند المقرئ أبي القاسم عُبيد الله بن أحمد بن عثمان الأزهري البغدادي الصيرفي المعروف بابن السَّوَادِي - ت ٤٣٠ هـ -^(٦)، والواعظ المحدث أبي الفتح عُبيد الله بن أبي حفص عمر بن عثمان ابن شاهين البغدادي - ت ٤٤٠ هـ -^(٧)، والحافظ الناقد الجهيد أبي الحسن علي بن عمر ابن أحمد الدارقطني البغدادي صاحب كتاب : "السنن والعلل" - ت ٣٨٥ هـ -^(٨)، والفقيه الثقة أبي طالب عمر بن إبراهيم بن سعيد الزهري الوقاصي - ت ٤٣٤ هـ -^(٩)، والإمام الحافظ أبي الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رَزَق

(١) الميزان للذهبي ٥١٠/١، ولسان الميزان، لابن حجر ٢٣٦/٢

(٢) سير أعلام النبلاء ٦٨/١٨

(٣) تاريخ بغداد ٤٢٥/٧

(٤) أخبار أصبهان ٣١٠/١، وتذكرة الحفاظ للذهبي ١٠٦٧/٣

(٥) سير أعلام النبلاء ٤٥٠/١٧

(٦) غاية النهاية، لابن الجزري ٤٨٥/١

(٧) العبر، للذهبي ١٩٢/٣، وسير أعلام النبلاء ٦٠١/١٧

(٨) طبقات علماء الحديث، لابن عبد الهادي الصالح ٩٠١/١٨٣/٣

(٩) تاريخ بغداد ٢٧٤/١١، وطبقات الشيرازي ١٢٥

البغدادي البزاز المعروف بابن رَزْقويه - ت ٤١٢ هـ -^(١)، والإمام الحافظ المحقق أبي الفتح محمد بن أحمد بن محمد بن فارس ابن أبي الفوارس البغدادي - ت ٤١٢ هـ -^(٢)، والمسند الصدوق أبي طالب محمد بن الحسين بن أحمد بن بُكير - ت ٤٣٦ هـ -^(٣)، والفقيه المحدث القاضي أبي عمر : محمد بن الحسين بن محمد البَسْطامي - ت ٤٠٨ هـ -^(٤)، والحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الحاكم النيسابوري - ت ٤٠٥ هـ - صاحب كتاب المستدرک علی الصحيحین^(٥)، والمحدث الواعظ أبي طاهر محمد بن علي بن محمد البغدادي المشهور بابن الغلّاف - ت ٤٤٢ هـ -^(٦)، والمحدث أبي بكر محمد بن المؤمل ابن الصقر الوراق المعروف بغلام الأبهري - ت ٤٣٤ هـ -^(٧).

وآخر من حدث عنه أبو محمد : الحسن بن علي بن محمد الشيرازي الجوهري المُقنَّعي، قال الذهبي عنه : ((خاتمة أصحابه))^(٨)، وقال أيضاً : ((كان آخر من روى في الدنيا عنه بالسماع والإذن))^(٩)، وذكر أن سماعه منه كان سنة ٣٦٨ هـ -^(١٠).

(١) سير أعلام النبلاء ٢٥٧/١٧

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي ١٠٥٣/٣

(٣) تاريخ بغداد ٢٥٣/٢

(٤) طبقات الشافعية، للسبكي ١٤٠/٤، وسير أعلام النبلاء ٣٢٠/١٧

(٥) طبقات علماء الحديث، لابن عبد الهادي الصالح ٩٤١/٢٣٧/٣

(٦) تاريخ بغداد ١٠٣/٣

(٧) تاريخ بغداد ٣١٢/٣

(٨) سير أعلام النبلاء ٢١١/١٦

(٩) سير أعلام النبلاء ٦٨/١٨

(١٠) المصدر نفسه.

خامساً : مكانته العلمية :

كان القَطِيعِي محدثاً مكثراً من أسند أهل زمانه، قال عنه تلميذه الدارقطني: ((ثقة زاهد قديم، سمعت أنه مجاب الدعوة))^(١)، وقال تلميذه أبو عبد الله الحاكم : ((ثقة مأمون))^(٢)، وقال تلميذه ابن المذهب : ((أحدث العالم المفيد الثقة))^(٣) وقال عنه تلميذه أبو بكر أحمد بن محمد بن غالب البرقاني - ت ٤٢٥ هـ - ((ثقة))^(٤)، وقال عنه الخطيب البغدادي^(٥)، والأمير ابن ماكولا^(٦)، والسمعاني^(٧)، وابن كثير^(٨)، وابن الجزري^(٩) : ((كثير الحديث))، وزاد الأخيران : ((ثقة)).

وقد تُكلم فيه بسبب نسخه بعض كتبه من غيرها بعد غرق كتبه، قال تلميذه محمد بن أحمد بن أبي الفوارس : ((له في بعض المسند أصول فيها نظر، ذكر أنه كتبها بعد الغرق))^(١٠)، وقال تلميذه أبو بكر البرقاني : ((كان شيخاً صالحاً غرقت قطعة من كتبه فنسخها من كتاب ذكروا أنه لم يكن سماعه فيه،

(١) سؤالات السلمي له ١٤

(٢) كما في تاريخ بغداد ٧٤/٤

(٣) كما في المصعد الأحمد، لابن الجزري ٢٩

(٤) تاريخ بغداد ٧٣/٤

(٥) المصدر السابق.

(٦) الإكمال ١٤٩/٧

(٧) الأنساب ١٠/٦٤

(٨) البداية والنهاية ٢٩٣/١١

(٩) غاية النهاية ٤٣/١

(١٠) تاريخ بغداد ٧٤/٤

فغمزوه لأجل ذلك، وإلا فهو ثقة^(١)، وقال أيضاً : ((كنت شديد التنقيب عن حال ابن مالك حتى ثبت عندي أنه صدوق لا يُشك في سماعه، وإنما كان فيه بله فلما غرقت القَطِيعَة بالماء الأسود غرق كل شيء من كتبه، فنسخ بدل ما غرق من كتاب لم يكن فيه سماعه، ولما اجتمعت مع الحاكم بن عبد الله بن البيع بنيسابور، ذكرت ابن مالك ولينته فأنكر علي، وقال : ذاك شيخي، وحسن حاله أو كما قال))^(٢).

وهذا الجرح محل تأمل ؛ لأن الثقة لا يُقدم على ذلك إلا إذا كانت هذه الكتب معارضة على كتبه، قال ابن الجوزي : ((مثل هذا لا يطعن به عليه ؛ لأنه يجوز أن تكون تلك الكتب قد قُرئت عليه، وعورض بها أصله))^(٣)، وقال ابن كثير : ((هذا ليس بشيء؛ لأنها قد تكون معارضة على كتبه التي غرقت))^(٤)، ويؤكد ذلك ما تقدم من توثيق الأئمة له، ثم إنهم على شدة تحريمهم لم يمتنعوا من الرواية عنه بسبب ذلك، ولا سيما أن فيهم الحافظ الناقد الدارقطني، ولهذا يقول الخطيب البغدادي : ((لم نر أحداً امتنع من الرواية عنه، ولا ترك الاحتجاج به))^(٥)، ويقول ابن الجوزي : ((قد روى عنه الأئمة : الدارقطني وابن شاهين والبرقاني وأبو نعيم والحاكم، ولم يُمتنع من الرواية عنه، ولا تُرك الاحتجاج به))^(٦)، ويقول ابن كثير : ((لم يمتنع أحد من الرواية عنه، ولا

(١) المصدر السابق.

(٢) تاريخ بغداد ٧٤/٤

(٣) المنتظم ٢٦٠/١٤

(٤) البداية والنهاية ٢٩٣/١١

(٥) تاريخ بغداد ٧٣/٤

(٦) المنتظم ٢٦١/١٤

التفتوا إلى ما طعن عليه بعضهم وتكلم فيه^(١).

وَتُكَلِّمُ فِيهِ أَيْضاً بِسَبَبِ اخْتِلَاطِهِ، قَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَحْمَدَ الْقَصْرِيُّ : ((قَالَ لِي ابْنُ اللَّبَّانِ الْفَرَضِيُّ: لَا تَذْهَبُوا إِلَى الْقَطِيعِيِّ، قَدْ ضَعَفَ وَاخْتَلَّ، وَقَدْ مَنَعْتَ ابْنِي مِنَ السَّمَاعِ مِنْهُ))^(٢)، وَيُرْوَى عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مُحَمَّدَ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْفَرَاتِ الْبَغْدَادِيِّ - ت ٣٨٤ هـ - أَنَّهُ قَالَ: ((خَلَطَ فِي آخِرِ عَمْرِهِ، وَكَفَّ بَعْدَهُ وَخَرَفَ، حَتَّى كَانَ لَا يَعْرِفُ شَيْئاً مِمَّا يُقْرَأُ عَلَيْهِ))^(٣)، وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الصَّلَاحِ: ((اخْتَلَّ فِي آخِرِ عَمْرِهِ وَخَرَفَ حَتَّى لَا يَعْرِفُ شَيْئاً مِمَّا يُقْرَأُ عَلَيْهِ))^(٤)، وَيَرَى الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ أَنَّ تَغْيِيرَهُ كَانَ قَلِيلاً^(٥)، وَتَعَقَّبَ ابْنُ الصَّلَاحِ عَلَى كَلَامِهِ السَّابِقِ فَقَالَ: ((هَذَا الْقَوْلُ غُلُوٌّ وَإِسْرَافٌ، وَقَدْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ أَسْنَدُ أَهْلِ زَمَانِهِ))^(٦)، وَكَلَامُ الذَّهَبِيِّ مَحَلُّ تَأَمُّلٍ؛ لِأَنَّ ابْنَ الصَّلَاحِ مُؤَيَّدٌ بِمَنْ سَبَقَ، وَبِذَلِكَ أَجَابَ ابْنُ حَجَرٍ، وَذَكَرَ أَنَّ سَمَاعَ ابْنِ الْمَذْهَبِ مِنْهُ كَانَ قَبْلَ اخْتِلَاطِهِ^(٧).
وَالَّذِي يَتَرَجَّحُ أَنَّهُ ثِقَةٌ مَسْنَدٌ مَكْثَرٌ زَاهِدٌ تَغْيِيرٌ بِأَخْرَةٍ.

هَذَا مَا يَتَعَلَّقُ بِحَالِهِ، أَمَّا عَنْ مَرْوِيَّاتِهِ فَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْأَثْمَةِ النِّقَادِ الَّذِينَ يَعْنُونَ بِالِانْتِقَاءِ، وَيَعْرِفُونَ أَحْوَالَ الرِّوَاةِ^(٨)، وَلَعَلَّهُ مِمَّنْ يَرَى بَرَاءَةَ الذِّمَّةِ

(١) البداية والنهاية ٢٩٣/١١

(٢) كما في تاريخ بغداد ٧٤/٤، وسير أعلام النبلاء ٢١٢/١٦

(٣) كما في تاريخ بغداد ٧٤/٤، حيث يقول الخطيب البغدادي: ((حُدِّثْتُ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ ابْنَ الْفَرَاتِ)) وَذَكَرَهُ، وَهَذَا مُنْقَطِعٌ.

(٤) علوم الحديث ٣٩٧

(٥) المصدر السابق.

(٦) كما في الميزان للذهبي ٨٧/١

(٧) لسان الميزان ١٥١/١

(٨) سِيَّاتِي (في ص: ١١٨، ١٢٣) أَنَّ لِلْقَطِيعِيِّ زِيَادَاتٌ كَثِيرَةٌ عَلَى فُضَائِلِ الصَّحَابَةِ لِلْإِمَامِ

بمجرد الإسناد، وقد اشتهر ذلك أيضاً عن فريق من متقدمي أهل الحديث ؛ لأنهم يرون أن من أسند أحال إلى مَلِيٍّ، قال الحافظ ابن حجر: ((أكثر المحدثين في الأعصار الماضية من سنة مائتين وهلمَّ جرّاً إذا ساقوا الحديث بإسناده، اعتقدوا أنهم برئوا من عهده))^(١)، ويقول الذهبي عنه : ((لم يكن القطيعي من فرسان الحديث، ولا مجوداً، بل أدى ما تحمله إن سَلِمَ من أوهام في بعض الأسانيد والمتون))^(٢).

سادساً : آثاره ومؤلفاته :

يُعتبر القطيعي من مكثري الرواية ولا سيما عن عبد الله بن الإمام أحمد - كما تقدم-، وقد سمع من عبد الله بن الإمام أحمد المسند، وذكر ابن نقطة أنه فاته على عبد الله بن أحمد خمسة أوراق من مسند عبد الله بن مسعود، فرواها عنه بالإجازة، وهي من أوله^(٣).

وسمع منه أيضاً: الزهد، والفضائل، والتأريخ، والمسائل وغير ذلك، قاله الخطيب البغدادي^(٤).

ومن مروياته أيضاً كتاب : ((النهي عن اللقب)) لشيخه أبي إسحاق إبراهيم الحاربي^(٥)، وحديث أبي عاصم الضحاك بن مخلد النبيل لأبي مسلم

أحمد، أكثرها موضوعة، وزياداته على مسند الإمام أحمد على قلتها- واهية الأسانيد.

(١) لسان الميزان ٩٠/٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ٥٢٤/١٣.

(٣) كما في المعجم المفهرس للحافظ ابن حجر ٤٧٦/١٢٩.

(٤) تأريخ بغداد ٧٣/٤.

(٥) كما في المعجم المفهرس، للحافظ ابن حجر ٢٣٩.

إبراهيم بن عبد الله الكجّي^(١).

وأما مؤلفاته فمنها :

- أ - الفوائد المتقاة والأفراد والغرائب الحسان^(٢)، وتسمى أيضاً القطيعات الخمسة^(٣)، وخامسها هو جزء الألف دينار^(٤).
ب - أمالي ذكرها الحافظ ابن حجر^(٥)، والكتاني^(٦).

سابعاً : وفاته :

توفي القَطِيعِي في ذي الحجة سنة ٣٦٨هـ ببغداد، ودفن في مقابر باب حرب قريباً من قبر الإمام أحمد^(٧)، رحمة الله عليهما.

(١) المصدر السابق ١٣٤٩/٣١٦، ١٠٨٩/٤١٩.

(٢) في الظاهرية برقم ٥٢٢ حديث.

(٣) كما في المعجم المفهرس، للحافظ ابن حجر ٤٥٢/١، ٤٦/٢، ٢٣١، والمجمع المؤسس له أيضاً ٤٥٢/١، والرسالة المستطرفة ٩٣.

(٤) المعجم المفهرس ٩٩٠/٢٣٠، وهو مطبوع بتحقيق : بدر البدر.

(٥) المصدر السابق ١٤٥٤/٣٤٠.

(٦) الرسالة المستطرفة ١٦٠.

(٧) انظر : تاريخ بغداد ٧٤/٤، والمنتظم، لابن الجوزي ٢٦١/١٤، وشذرات الذهب ٦٥/٣.

المبحث الثالث : التعريف بمسند الإمام أحمد :

المسند، هو : الكتاب الذي روى مؤلفه فيه أحاديث كل صحابي على حدة، قال الخطيب البغدادي : ((منهم من يختار تخريجها على المسند، وضم أحاديث كل واحد من الصحابة بعضها إلى بعض))^(١).

وقد بدأت عناية أهل العلم بتأليف المسانيد في أوائل عصر تدوين السنة في أواخر القرن الثاني الهجري^(٢)، وكانت بداية تأليف الإمام أحمد لمسنده بعد عودته من رحلته إلى الإمام عبدالرزاق الصنعاني في اليمن - ت ٢١١هـ - قاله ابنه عبد الله^(٣).

ويشتمل المسند على ثمانية عشر مسنداً قاله أبو المحاسن: محمد بن علي الحسيني - ت ٧٦٥هـ -^(٤)، وابن حجر^(٥)، وقد ذكر محمد بن جابر الوادي آشي - ت ٧٤٩هـ - أنها ستة عشر^(٦)، وهو محمول على أنه أضاف بعضها إلى بعض قاله ابن حجر^(٧).

وهذا العدد إنما هو للمسانيد الرئيسة، بحيث يندرج تحت بعضها عدد من المسانيد التفصيلية كمسند : ((بني هاشم)) و((الأنصار))، وأما عدد مسانيده تفصيلاً فهو : (١٠٥٦) مسنداً، بحسب ما أورده الحافظ أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله بن عساكر - ت ٥٧٩هـ -، في كتابه ((ترتيب أسماء

(١) الجامع لأحلاق الراوي ٢٨٤/٢

(٢) انظر : هدي الساري - مقدمة فتح الباري -، للحافظ ابن حجر ٦

(٣) خصائص المسند، لأبي موسى المديني ٢٥

(٤) التذكرة بمعرفة رجال العشرة ٣/١

(٥) المجمع المؤسس ٣٢/٢

(٦) برناجه ١٩٨.

(٧) المجمع المؤسس ٣٢/٢

الصحابة الذين أخرج حديثهم أحمد حنبل في المسند^(١).
وعدد أحاديثه ثلاثون ألفاً قاله ابن المنادي^(٢)، وهذا باطراح المكر
وزيادات ابنه عبد الله؛ لأنه معها يصل إلى أربعين ألفاً، قال ابن عساكر : ((يبلغ
عدد أحاديثه ثلاثين ألفاً سوى المعاد وغير ما ألحق به ابنه عبد الله من عالي
الإسناد))^(٣)، وقال الحسيني : ((وجملة أحاديثه أربعون ألفاً بالمكرر مما رواه عنه
ابنه الحافظ أبو عبد الرحمن عبد الله، وفيه من زياداته))^(٤).

وقد توفي الإمام أحمد قبل إتمام تنقيحه، وهذا ما يفسر وجود التكرار
والتداخل في مسانيدته الرئيسة، فقد قال ابن عساكر : ((خلط فيه بين أحاديث
الشاميين والمدنيين...، بل قد امتزج في بعضه أحاديث الرجال بأحاديث
النسوان...، وكثر فيه تكرار الحديث المعاد المروي بعينه بالمتن والإسناد...،
ولست أظن ذلك - إن شاء الله - وقع من جهة أبي عبد الله - رحمه الله - ،
فإن محله في هذا العلم أوفى، ومثل هذا على مثله لا يخفى، وقد نراه توفي قبل
تهذيبه... وترتيبه))^(٥)، وقال ابن الجوزي : ((مات قبل تنقيحه وتهذيبه))^(٦)،
وقال ابن حجر : ((لم يرتب مسانيد المقلين، فرتبها ولده عبد الله، فوقع منه
إغفال كبير من جعل المدني في الشامي ونحو ذلك))^(٧).

والمعروف في المسانيد أنها تُعنى بجمع مرويات الصحابي دون النظر إلى

(١) ١٧١

(٢) خصائص المسند ٢٣

(٣) ترتيب أسماء الصحابة ٣٠

(٤) التذكرة ٣/١

(٥) ترتيب أسماء الصحابة ٣٣

(٦) المصعد الأحمد ٣٠

(٧) المعجم المفهرس ٤٧٦/١٢٩

الثبوت وعدمه، ولهذا فهي في المرتبة التالية للمصنفات على الأبواب قاله أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن الصلاح - ت ٦٤٣ هـ - ^(١)، وغيره، ويحمل كلامه على الأصل ؛ لأن الإمام أحمد انتقى أحاديث مسنده، فقد قال : ((عملت هذا الكتاب إماماً إذا اختلف الناس في سنة رسول الله ﷺ رُجع إليه)) ^(٢)، وقال ابن عمه أبو علي حنبل بن إسحاق الشيباني - توفي قبل ٢٧٣ هـ - : ((جمعنا عمي لي ولصالح ولعبد الله، وقرأ علينا المسند، وما سمعه منه - يعني تاماً - غيرنا، وقال لنا : إن هذا الكتاب قد جمعته وانتقيته من أكثر من سبعمائة وخمسين ألفاً، فما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله ﷺ فارجعوا إليه، فإن كان فيه، وإلا فليس بحجة)) ^(٣)، ويحمل كلام الإمام على اعتبار المؤلفات إلى زمنه، حيث إن تصنيف الإمام البخاري والإمام مسلم للصحيحين بعده، ويحمل أيضاً على أنه يريد أصول الأحاديث في الغالب، فقد قال الذهبي : ((هذا القول على غالب الأمر، وإلا فلنا أحاديث قوية في الصحيحين والسنن والأجزاء ما هي في المسند)) ^(٤)، وقال ابن الجزري : ((يريد أصول الأحاديث وهو صحيح، فإنه ما من حديث غالباً إلا وله أصل في هذا المسند)) ^(٥).

ومما يدل على أنه انتخبه أيضاً تصريح ابنه عبد الله في عدة مواضع من المسند بأنه أعرض عن إخراج حديث فيه لضعفه، ومنه قول عبد الله عند حديث

(١) علوم الحديث ٣٨

(٢) خصائص المسند ٢٢

(٣) المصدر نفسه ٢١.

(٤) المصعد الأحمد ٣١

(٥) المصدر نفسه.

رواه عن أبيه : ((هذا الحديث لم يخرج به أبي في مسنده من أجل ناصح^(١)) ؛ لأنه ضعيف في الحديث، وأمله علي في النوار^(٢))، وكان الإمام أحمد يضرب على أحاديث أخرجه في المسند حيث تبين له ضعفها، ومنها حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال : ((ما شيع آل محمد من خبز مأدوم حتى مضى لوجهه))، قال عبد الله : ((كان أبي قد ضرب على هذا الحديث في كتابه ؛ لأنه لم يرض الرجل الذي حدث عنه يزيد))^(٣).

وقد نبه عدد من الأئمة إلى انتقاء المسند، يقول أبو موسى المديني : ((هذا الكتاب أصل كبير، ومرجع وثيق لأصحاب الحديث، أنتقي من حديث كثير،

(١) هو : ناصح بن عبد الله التميمي المَحَلَمي الحائِك أبو عبد الله، وبالدراصة لحاله يتبين أنه متروك الحديث، فقد قال ابن معين وأبو داود : ((ليس بشيء))، وقال البخاري وأبو حاتم : ((منكر الحديث))، وزاد أبو حاتم : ((ضعيف الحديث))، وقال أبو أحمد الحاكم : ((ذهب الحديث))، وقال ابن حبان في المجروحين : ((استحق الترك))، وقال الفلاس : ((متروك الحديث))، وضعفه النسائي والترمذي والدارقطني وابن عدي، وذكر أبو حاتم والفلاس وأبو عبد الله الحاكم وابن عدي أنه روى عن سَمَك عن جابر بن سَمُرَةَ منكرات، وقال أبو حاتم : ((كأنه لا يعرف غير سَمَك))، وروايته هذه التي في المسند من هذا الوجه، وقد ذكر ابن عدي أنه من جملة شيعة أهل الكوفة، وقال ابن حجر في فتح الباري : ((ضعيف جداً)).

انظر : تاريخ الدوري ١٢٣٥، ٣٢٩١، والضعفاء الصغير للبخاري ٣٨٤، والتاريخ الكبير ١٢٢/٨، والجرح والتعديل ٥٠٢/٨، وسؤالات الآجرّي لأبي داود ٣٨٠، ٨٩٤، وجامع الترمذي ٣٣٧/٤، والضعفاء والمتروكين للنسائي ٦١٢، والمجروحين لابن حبان ٥٤/٣، والضعفاء والمتروكين للدارقطني ٥٣٧، والكامل لابن عدي ٢٥١٠/٧، والميزان ٢٤٠/٤، وتهذيب التهذيب ٣٥٨/١٠، وفتح الباري ٢٤٣/١١.

(٢) المسند ٩٦/٥

(٣) خصائص المسند لأبي موسى المديني ٢٦، وذكر نماذج أخرى.

ومسموعات وافرة، فجعله إماماً ومعتمداً، وعند التنازع ملجأً ومستنداً^(١)، ويقول الذهبي : ((فإنه محتو على أكثر الحديث النبوي، وقل أن يثبت حديث إلا وهو فيه...، وقل أن تجد فيه خبراً ساقطاً))^(٢)، ويقول الحافظ ابن حجر : ((لا يشك منصف أن مسنده أنقى أحاديث وأتقن رجالاً من غيره^(٣)، وهذا يدل على أنه انتخبه))^(٤).

وقال الإمام أحمد : ((لم أذكر فيه ما أجمع الناس على تركه))^(٥)، وهذا شرط أبي داود قاله أبو عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي^(٦) - ت ٧٩٤هـ - ، وقال أيضاً : ((أخبرني شيخنا أبو العباس بن تيمية أنه اعتبر مسند أحمد فوجد أكثره على شرط أبي داود))^(٧).

والذي يظهر أن المسند أجود من سنن أبي داود، فقد قال شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الدمشقي - ت ٧٢٨هـ - : ((نزه أحمد مسنده عن أحاديث جماعة يروي عنهم أهل السنن كأبي داود والترمذي، مثل : مشيخة كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده، وإن كان أبو داود يروي في سننه منها، فشرط أحمد في مسنده أجود من شرط أبي داود في سننه))^(٨).

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصعد الأحمدي ٣٤

(٣) يعني من المسانيد ؛ لأن كلام ابن حجر في المسانيد.

(٤) النكت على كتاب ابن الصلاح ٤٤٧/١

(٥) النكت على كتاب ابن الصلاح للزركشي ٣٥٦/١

(٦) المصدر نفسه.

(٧) النكت على كتاب ابن الصلاح للزركشي ٣٥٦/١

(٨) قاعدة جلية في التوسل والوسيلة ٩٥

ومن الجدير بالذكر أن ما تقدم لا يلزم منه عدم وجود الأحاديث الضعيفة بل والقليل من الأحاديث الموضوعة، فقد قال ابنه عبد الله : ((أخرج فيه أحاديث معلولة بعضها ذكر عللها، وسائرهما في كتاب العلل لئلا يخرج في الصحيح))^(١)، وقد ذكر عدد من العلماء أحاديث موضوعة فيه، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية حيث يقول : ((ليس كل حديث رواه أحمد... في مسنده، يقول إنه صحيح، بل أحاديث مسنده هي التي رواها الناس عن هو معروف عند الناس بالنقل ولم يظهر كذبه، وقد يكون في بعضها علة تدل على أنه ضعيف بل باطل، لكن غالبها وجمهورها أحاديث جيدة يُحتج بها، وهي أجود من أحاديث سنن أبي داود))^(٢)، ويقول أبو الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير الدمشقي - ت ٧٧٤هـ - : ((فيه أحاديث ضعيفة بل موضوعة، كأحاديث فضائل مرو، وشهداء عسقلان))^(٣)، ويقول الحافظ عبد الرحيم بن الحسين العراقي - ت ٨٠٦هـ - : ((أما وجود الضعيف فيه فهو محقق، بل فيه أحاديث موضوعة وقد جمعتها في جزء، وقد ضعف الإمام أحمد نفسه أحاديث فيه))^(٤)، ويقول الزركشي: ((في المسند أحاديث سئل عنها فضعفها وأنكرها))^(٥)، ويقول ابن حجر : ((الحق أن أحاديثه غالبها جيد، والضعاف منها إنما يوردها للمتابعات، وفيه القليل من الضعاف والغرائب والأفراد، أخرجها ثم صار يضرب عليها شيئاً فشيئاً، وبقي منها بعده بقية))^(٦).

(١) الفهرسة لابن خير ١٤٠

(٢) منهاج السنة ٦١/٤

(٣) اختصار علوم الحديث ١١٧/١

(٤) التقييد والإيضاح ٤٢

(٥) النكت على مقدمة ابن الصلاح ٣٦٢/١

(٦) تعجيل المنفعة ٢٤٠/١

والتحقيق أن الأحاديث الموضوعة على ضربين :
أحدهما : ما استدل على وضعها بكذب أحد رواتها، وهذه لم يخرجها الإمام أحمد في مسنده.

الآخر : ما استدل على وضعها وبطلانها بدليل منفصل، وهو الذي يندرج تحته ما ذكر في المسند من الأحاديث الموضوعة، بل يوجد من ذلك في كتب السنن وغيرها، والحجة في هذا التفصيل قول شيخ الإسلام ابن تيمية : ((تنازع الحافظ أبو العلاء الهمداني والشيخ أبو الفرج ابن الجوزي : هل في المسند حديث موضوع، فأنكر الحافظ أبو العلاء أن يكون في المسند حديث موضوع، وأثبت ذلك أبو الفرج وبيّن أن فيه أحاديث قد علم أنها باطلة، ولا منافاة بين القولين فإن الموضوع في اصطلاح أبي الفرج هو الذي قام دليل على أنه باطل... والغالب على ما ذكره في الموضوعات أنه باطل باتفاق العلماء، وأما الحافظ أبو العلاء وأمثاله فإنما يريدون بالموضوع : المختلق المصنوع الذي تعتمد صاحبه الكذب))^(١)، وقال في موضع آخر : ((من قد يغلط في الحديث ولا يعتمد الكذب... توجد الرواية عنهم في السنن ومسند الإمام أحمد ونحوه، بخلاف من يعتمد الكذب، فإن أحمد لم يرو في مسنده عن أحد من هؤلاء))^(٢).

(١) (٢) قاعدة جلية في التوسل والوسيلة ٩٤.

المبحث الرابع : التعريف بزيادات الرواة. المطلب الأول : معناها :

المقصود بالزيادات^(١) هنا : إضافة راوي الكتاب فيه ما ليس منه من مروياته أو مرويات مؤلفه في كتاب آخر، مع تمييزه لها، وتكون من تلميذ مؤلف الكتاب الراوي له، وتكون ممن دونه^(٢).

وباب زيادات الرواة مما يستدرك على المصنفين في علوم الحديث، وينبغي على الجاهل به خلط كبير، وله أمثلة متعددة من صنيع رواة المصادر الحديثية المسندة، وهي تختلف عن زيادات الرواة لكتاب واحد، بعضهم على بعض، وعن فن زوائد المصادر الحديثية بعضها على بعض^(٣).

المطلب الثاني : أنواعها.

المتأمل في زيادات رواة المصادر الحديثية يلحظ أنها على أنواع، منها :
النوع الأول : مرويات لهم عن شيوخ آخرين غير مؤلفي هذه المصادر، وتبين عند النظر في طرف الإسناد الأدنى، لمن كان له معرفة بطبقات الرواة والشيوخ، وهي الغالب في زياداتهم، ومنها :

(١) معنى الزيادة في اللغة واضح، انظر: تهذيب اللغة (٢/٤٨١، مادة : زيد) للجوهري، و(اللسان ٣/١٩٨، مادة: زيد) لابن منظور.

(٢) سيأتي -إن شاء الله - ذكر نماذج توضح هذا التعريف

(٣) قد ألف فيها العلماء كتباً مشهورة كمجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيتمي - ت ٨٠٧ هـ -، وإتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للبوصيري - ت ٨٤٠ هـ -، والمطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر - ت ٨٥٢ هـ - وغيرها، وألف في أصوله الدكتور : خلدون الأحمد كتاباً سماه: ((علم زوائد الحديث)) - وهو مطبوع في دار القلم في دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - وذكر فيه تعريفه وثمرته والمصنفات فيه.

١- زيادات الحافظ أبي الحسن علي بن إبراهيم بن سلمة القزويني القطان
- ت ٣٤٥هـ-، في سنن ابن ماجه - ت ٢٧٥هـ-، وهو الراوي عنه
السنن.

وهي قليلة، ومنها : قوله : ((حدثنا يحيى بن عبد الله الكرايسي، ثنا علي
ابن الجعد، عن شعبة، عن عمرو بن مرة، مثل حديث علي عليه السلام)^(١)، يعني
حديث : ((إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً فظنوا به الذي هو أهناه
وأهداه وأتقاه)).

وقد أفردا بالتأليف الدكتور الأستاذ مسفر بن غرم الله الدميني في كتاب
سماه : ((زيادات أبي الحسن القطان على سنن ابن ماجه))^(٢).

٢- زيادات الحافظ أبي علي محمد بن الحسن بن الصواف - ت ٣٥٩هـ-^(٣)
في مسند الإمام الحميدي - ت ٢١٩هـ-، وهو الذي يروي المسند عن بشر بن
موسى الأسدي عن الإمام الحميدي.

وهي قليلة ومنها : قوله : ((ثنا إبراهيم بن عبد الله البصري، ثنا إبراهيم بن
بشار الرمادي، ثنا سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن أبيه، قال : أخبرني
من سمع علي بن أبي طالب على منبر الكوفة، فذكر معناه))^(٤)، يعني حديث
خطبة علي لفاطمة - رضي الله عنهما - .

٣- زيادات الحافظ أبي بشر يونس بن حبيب بن عبد القاهر الأصبهاني^(٥)
في مسند أبي داود الطيالسي - ت ٢٠٤هـ-، وهو الراوي عنه المسند.

(١) مقدمة السنن ٩/١

(٢) وهو مطبوع في الرياض سنة ١٤١٢هـ.

(٣) انظر ترجمته في : تاريخ بغداد ٢٨٩/١، وسير أعلام النبلاء ١٨٤/١٦

(٤) مسند الحميدي ٢٣/١ عقب حديث : ٣٨

(٥) انظر ترجمته في : ذكر أخبار أصفهان ٣٤٥/٢، وسير أعلام النبلاء ٥٩٦/١٢

ومنها قوله : ((حدثت عن إعرابي قال عن شعبة قال عبد الله : إنما علقها^(١) كان رسول الله ﷺ يفعلها))^(٢).

٤ - زيادات أبي عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب : فضائل الصحابة لأبيه.

وهي كثيرة قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((له كتاب مشهور في فضائل الصحابة روى فيه أحاديث لا يرويه في المسند لما فيها من الضعف لكونها لا تصلح أن تروى في المسند لكونها مراسيل أو ضعافاً بغير الإرسال، ثم إن هذا الكتاب زاد فيه عبد الله زيادات))^(٣).

ومنها قول عبد الله : ((قننا^(٤) أبو عمران محمد بن جعفر الوركاني، قال أنا أبو الأحوص، عن عُبَيْر أبي زُبَيْد، عن محمد بن خالد، عن عطاء، قال : قال رسول الله ﷺ : لا تسبوا أصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله))^(٥).

٥ - زيادات لأبي بكر أحمد بن جعفر بن حمدان القُطَيْعِي على فضائل الصحابة للإمام أحمد برواية ابنه عبد الله.

وهي كثيرة ومشملة على أحاديث موضوعة، حيث يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : ((ثم إن القطيعي الذي رواه^(٦) عن ابنه عبد الله زاد عن شيوخه

(١) كذا هنا، وهو عند الإمام أحمد (٤٤٤/١) بلفظ: ((أُنِيَ عُلِقَهَا))، ومعناه : من أين تعلمها وأخذها إلا من السنة، قال ابن الأثير (في النهاية ٢٨٨/٣) : ((أي : من أين تعلمها ومن أخذها))، والمقصود أن ابن مسعود صوبه وأيده بأنها السنة عن النبي ﷺ.

(٢) عقب حديث : ٣٦٤

(٣) منهاج السنة ١٠٦/٤.

(٤) اختصار لقوله : ((قال حدثنا)).

(٥) فضائل الصحابة ١١/٥٤/١.

(٦) يعني : كتاب الفضائل.

زيادات وفيها أحاديث موضوعة باتفاق أهل المعرفة^(١)، ويقول أيضاً : ((كتاب الفضائل فيروي فيه ما سمعه من شيوخه سواء كان صحيحاً أو ضعيفاً فإنه لم يقصد ألا يروي في ذلك إلا ما ثبت عنده، ثم زاد ابن أحمد زيادات، وزاد أبو بكر القطيعي زيادات، وفي زيادات القطيعي أحاديث كثيرة موضوعة فظن ذلك الجاهل أن تلك من رواية أحمد، وأنه رواها في المسند))^(٢).

ومنها : باب في آخر فضائل علي عليه السلام، حيث يقول : ((ومن فضائل علي عليه السلام من حديث أبي بكر بن مالك^(٣) عن شيوخه غير عبد الله)) ثم قال : ((حدثنا هيثم بن خلف، قتنا محمد بن أبي عمر الدوري، قتنا شاذان، قتنا جعفر بن زياد، عن مطر عن أنس يعني ابن مالك قال: قلنا لسلمان: سل النبي صلى الله عليه وآله من وصيه، فقال له سلمان : يا رسول الله من وصيك ؟، قال : يا سلمان من كان وصي موسى ؟، قال : يوشع بن نون، قال : فإن وصي ووارثي يقضي ديني وينجز موعودي علي بن أبي طالب))^(٤).

٦ - زيادات عبد الله بن الإمام أحمد في مسند والده.

وهي كثيرة يقول الذهبي: ((له زيادات كثيرة في مسند والده))^(٥)، وهي على عدة صور منها:

أ - مرويات للإمام أحمد في غير المسند، قام عبد الله بنقلها إلى المسند مع التنبيه إليها، وهذا النوع قليل جداً، ومنه قوله : ((حدثني أبي -أملاه علينا في النوادر- قال : كتب إلي أبو توبة الربيع بن نافع، قال حدثنا الهيثم بن حميد، عن

(١) منهاج السنة ١٠٦/٤

(٢) المصدر نفسه.

(٣) هو : القطيعي.

(٤) فضائل الصحابة ١٠٥٢/٦١٥/٢

(٥) سير أعلام النبلاء ٥٢٤/١٣

زيد بن واقد، عن سليمان بن موسى، عن كثير بن مرة، عن تميم الداري قال : قال رسول الله ﷺ : من قرأ بمائة آية في ليلة كُتِبَ له قنوت ليلة^(١).

ب - طرق لأحاديث رواها والده أشبه بالمستخرج، مثل قول الإمام أحمد : ((حدثني علي بن عبد الله، حدثنا معتمر بن سليمان...)) الحديث، وقال عبد الله بعده : ((وحدثني يحيى بن معين، قال حدثنا معتمر بن سليمان...))^(٢) الحديث، وأحياناً يرويه عن شيخ والده مثل قول الإمام أحمد : ((حدثنا عبد الله ابن محمد بن أبي شيبة قال : حدثنا جعفر بن عون...)) الحديث، قال عبد الله بعده : ((وسمعتُه أنا من عبد الله بن أبي شيبة بالكوفة))^(٣).

ج - أحاديث من رواية غير الصحابي الذي روى حديثه والده.

ومنها : ما أخرج الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : ((سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا قلت لصاحبك : أنصت والإمام يخطب يوم الجمعة، فقد لغوت))^(٤)، وروى ابنه عبد الله في موضع آخر حديث أبي بن كعب رضي الله عنه وفيه : ((ليس لك من صلاتك اليوم الا ما لغوت، فذهبت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له وأخبرته بالذي قال أبي، فقال : صدق أبي))^(٥).

د - أحاديث شارك فيها والده وزاد فيها بعض الألفاظ والصحابي واحد، ومنها : ما أخرج الإمام أحمد من رواية ربيعة ابنة عياض قالت : ((سمعت جدي عُبيدة بن عمرو الكلابي يقول : رأيت رسول الله ﷺ توضأ فاسبغ الوضوء، قال :

(١) المسند ١٧٠٨٣/١٠٣/٤

(٢) ١٧٨٧٩/١٩٢/٤

(٣) ١٧٣٨٤/١٤٠/٤

(٤) ١٦٠٤٦/٤٨١/٣

(٥) ٢١٦٠٦/١٤٣/٥

وكانت ربيعة إذا توضأت أسبغت الوضوء^(١)، ورواه عبد الله من طريق آخر وزاد : ((حتى ترفع الخمار فتمسح على رأسها))^(٢).

هـ - أحاديث تامة رواها عبد الله عن شيوخه.

ومنها : حديث قُطْبَةُ بن قتادة رضي الله عنه قال : ((رأيت رسول الله ﷺ يفطر إذا غربت الشمس))^(٣)^(٤).

٧ - زيادات القطيعي على مسند الإمام أحمد برواية ابنه عبد الله - السابقة-، وهي قليلة^(٥).

النوع الثاني : مرويات لمؤلفي المصادر أنفسهم، غير أنها مأخوذة من كتب أخرى لهم، وهذا النوع قليل، وسبق بيان أن لعبد الله بن الإمام أحمد في المسند زيادات من هذا القبيل.

(١) ١٦٠٤٦/٤٨١/٣

(٢) ١٦٨٤١/٧٩/٤

(٣) ١٦٨٣٨/٧٨/٤

(٤) الصور الثلاث الأخيرة عني بها الدكتور عامر حسن صبري فأفرد بها بكتاب سماه: ((زوائد

عبد الله ابن أحمد بن حنبل في المسند))، وعددها عنده : ((٢٣٣)) حديثاً.

(٥) سيأتي تفصيل ما يتعلق بها في المبحث التالي.

المبحث الخامس : التعريف بزيادات القطيعي.

أختلف في وجود زيادات للقطيعي على مسند الإمام أحمد برواية ابنه عبد الله، فأثبتها الساعاتي حيث يقول : ((أحاديث المسند تنقسم إلى ستة أقسام.... ، وقسم رواه الحافظ أبو بكر القطيعي، عن غير عبد الله وأبيه - رحمهم الله تعالى-، وهو أقل الجميع))^(١).

وذكر عبد الحي اللكنوي أنها زيادات كثيرة، ونسبه إلى شيخ الإسلام ابن تيمية، فقال: ((قال ابن تيمية في منهاج السنة :... ثم زاد ابنه عبد الله على مسند أحمد زيادات، وزاد أبو بكر القطيعي زيادات، وفي زيادات القطيعي أحاديث كثيرة موضوعة^(٢)))، وصنع عبد الحي اللكنوي محل تأمل ؛ لأن كلام شيخ الإسلام في وصف زوائد القطيعي على فضائل الصحابة للإمام أحمد برواية ابنه عبد الله، وتقدم بيانه^(٣).

وقد تعقب العلامة الألباني^(٤) من يرى كثرتها، إلا أنه نفى وجودها مطلقاً فقال : ((ليس له زيادات في المسند خلافاً لما اشتهر))، ونفيه لها مطلقاً محل تأمل، ولعله ظنها من زيادات عبد الله بن الإمام أحمد، ولا سيما أن الموجود منها في المطبوع^(٥) من مسند الإمام أحمد موضع واحد، قد يخفى على المستقري للمسند. والحاصل أن للقطيعي زيادات على المسند بيد أنها قليلة جداً، ولهذا يقول

(١) الفتح الرباني ٢١/١

(٢) انظر : الأجوبة الفاضلة لعبد الحي اللكنوي ٩٨، ووافقه محققه الدكتور : عبد الفتاح أبو غدة.

(٣) ص : ١١٨

(٤) صحيح الترغيب والترهيب ١٥١/١

(٥) الطبعة الأولى بمصر في المطبعة الميمنية سنة ١٣١٣هـ، وهي التي صورتها بعد ذلك دار الفكر، والمكتب الإسلامي في بيروت.

الحافظ ابن حجر : ((فيه شيء يسير من زيادات أبي بكر القطيعي الراوي عن عبد الله))^(١)، ويبينها في عدة مواضع من كتابه : ((إطراف المسند المعتلي بأطراف المسند الحنبلي))^(٢)، وكتابته : ((إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة))^(٣)، وقد وقفت على أربعة أحاديث منها، رواها عن شيوخه المعروف بالرواية عنهم^(٤).

وقد حصل وهم للعلامة الهيثمي فعزى أحدها^(٥) إلى الإمام أحمد في مسنده، وسبب هذا الوهم عناية الهيثمي في كتابه : ((مجمع الزوائد)) بمقت الحديث وصحابه، ولهذا ذهل في هذا الموضوع عن طرف إسناده الأدنى، ومن ذا يسلم.

ويتبين من خلال دراسة هذه الزيادات أن إسناده الحديث الأول واه، فشيخ القطيعي فيه رموه بالكذب.

وكذا إسناده الحديث الثاني حيث إن فيه راوياً رموه بالكذب، مع أن في إسناده اضطراب، والحديث الثالث صحيح، وأما الرابع فالذي يظهر أن القطيعي أخطأ في متنه فقلب المعنى^(٦).

والخلاصة : أن أسانيد أكثرها واهية مع قلتها، والقطيعي ليس من الأئمة النقاد الذين لهم الخبرة بأحوال الرواة والأسانيد، وهو مثل المؤلفين في الفضائل والمغازي وغيرهم، ممن يعنون بمجرد نقل الأخبار وأداء ما سمعوا، وفيهم يقول

(١) المعجم المفهرس ١٢٩

(٢) منها : ١٥٥/٢٧٠/١

(٣) منها : ٢٨٩/٣٩٣/١

(٤) انظر الفصل الثاني، ص : ١٢٦

(٥) انظر الحديث الثاني هنا، ص : ١٣٣

(٦) انظر، ص : ١٥١

شيخ الإسلام ابن تيمية : ((هؤلاء وأمثالهم قصدوا أن يرووا ما سمعوا من غير تمييز بين صحيح ذلك وضعيفه))^(١).

(١) منهاج السنة ٨٤/٤

الفصل الثاني :

تخريج زيادات القطيع

الحديث الأول :

قال القطيعي : ((حدثنا أبو شعيب : عبد الله بن الحسن بن أحمد الحراني، ثنا أبو جعفر النّفيلي، ثنا كثير بن مروان، عن إبراهيم بن أبي عَبَلَة الشامي، عن أنس رضي الله عنه قال : دخل علينا رسول الله ﷺ - يعني المدينة - فلم يكن في أصحابه أشمط غير أبي بكر، وكان يُغَلِّفُها بالحناء والكتم)).
وذكر ابن حجر أنه من زيادات القطيعي ^(١).

١ - دراسة الإسناد :

* أبو شعيب، هو : الأموي البغدادي المؤدب.

سمع من أبيه، وجده، وأحمد بن عبد الملك الحراني، وأبي جعفر النّفيلي، وكان سماعه منه سنة ثمان عشرة ومائتين، ن قاله أبو علي بن الصواف.
وروى عنه الحاملي، ومحمد بن مخلد، وإسماعيل بن علي الخطبي، وغيرهم، ورواية القطيعي عنه مشهورة ^(٢).

قال عنه صالح بن محمد -جزرة-، والدارقطني، ومسلمة : ((ثقة))، وزاد الدارقطني : ((مأمون)).

وقال موسى بن هارون : ((صدوق...))، السماع من أبي شعيب الحراني يفضل على السماع من غيره ؛ فإنه المحدث ابن المحدث ابن المحدث)).

(١) إطراف المسند المعتبر ١/٢٧٥/١٥٥، وإتحاف المهرة ١/٣٩٣/٢٨٩، وبحث عنه في المطبوع - المصور عن الطبعة الأولى الميمية بمصر سنة ١٣١٣هـ -، فلم أجده، ولم يجده أيضاً محقق "إطراف المسند"، و"إتحاف المهرة"، كما لم أظفر به -في مظانه- في عدد من النسخ الخطية، منها : نسخة مصورة من المكتبة القادرية ببغداد برقم (٦٦١)، ونسخة دار الكتب المصرية برقم (٤٤٨)، ونسخة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم (٤٢٤٦ ف).

(٢) انظر : أحاديثه عنه في جزء الألف دينار من ح ١٠١ حتى ح ١٠٦

وذكر نصر الصائغ أنه كان يأخذ الأجرة على التحديث، ولا يقدر هذا في ضبط الراوي.

وذكره ابن حبان في الثقات، وقال : ((كتب عنه أصحابنا، يخطئ ويهم))، وهذا جرح مفسر فيقدم ؛ ولهذا فإن الذهبي قال عنه : ((صدوق)).
والخلاصة أنه : صدوق، ومات سنة ٢٩٥، قاله أبو علي بن الصواف، وصححه الخطيب البغدادي، ومولده سنة ٢٠٦ هـ^(١).

* وأبو جعفر الثفيلي، هو : عبد الله بن محمد بن علي بن نفيل القضاعي الحراي. روى عن : الإمام مالك، وزهير بن معاوية، وعبد الله بن مبارك، وغيرهم. وروى عنه : أبو داود، والنسائي، وأبو زرعة، ويحيى بن معين، وغيرهم. وبالدراسة لحاله يتبين أنه : ثقة حافظ، وثقه وأثنى عليه الإمام أحمد، وأبو حاتم، وأبو داود، والنسائي، والدارقطني، وابن حبان، وغيرهم، وأخرج له البخاري، وأصحاب السنن، ومات سنة ٢٣٤ هـ^(٢).

* وكثير بن مروان بن محمد بن سويد الفهري المقدسي أبو محمد. روى عن : إبراهيم بن أبي عبلة، وعبد الله بن يزيد الدمشقي، والحسن بن عرفة، وغيرهم. وروى عنه : محمد بن الصباح، وأبو جعفر الثفيلي، وابنه محمد بن كثير، وغيرهم.

(١) انظر : سؤالات السهمي للدارقطني ٣٢٦، والثقات لابن حبان ٣٦٩/٨، وتاريخ بغداد ٤٣٥/٩، والميزان ٤٠٦/٢، واللسان ٣٣٨/٣

(٢) انظر : الجرح والتعديل ١٥٩/٥، وسؤالات أبي داود للإمام أحمد ٣١٨، وسؤالات الآجري لأبي داود ١٤٠، ١٧٨٩، ١٧٩٢، والثقات لابن حبان ٣٥٦/٨، وتهذيب الكمال ٣٥٤٥/١٦، وتهذيب التهذيب ١٥/٦، والتقريب ٣٥٩٤.

قال ابن معين: ((ضعيف))^(١)، وقال أيضاً: ((شامي ليس بشيء، كذاب كان ببغداد يحدث بالمنكرات))^(٢)، وقال أيضاً: ((رأيتُه وكان كذاباً))^(٣)، وقال محمود ابن غيلان: ((أسقطه أحمد وابن معين وأبو خيثمة))^(٤)، وقال الآجري: ((سألت أبا داود عن كثير بن مروان، قال: شامي، بلغني عن يحيى أنه ضعفه))^(٥)، وقال يعقوب بن سفيان: ((شامي ليس حديثه شيئاً))^(٦)، وقال النسائي: ((ليس بشيء))^(٧)، وقال أبو حاتم: ((يكتب حديثه ولا يحتج به))^(٨)، وذكره العقيلي^(٩) والدارقطني^(١٠)، وابن شاهين^(١١)، وابن الجوزي^(١٢) في الضعفاء، وقال ابن حبان في المجروحين: ((منكر الحديث جداً، لا يجوز الاحتجاج به، ولا الرواية عنه إلا وجه التعجب))^(١٣).
والذي يظهر أنه: كذاب يحدث بالمنكرات؛ لما تقدم من كلام الإمام ابن معين، حيث رآه وسر مروياته وتبين له كذبه.

(١) تاريخ الدوري ٤٩٩٧، ٥١١٤

(٢) تاريخ بغداد ٤٨١/١٢

(٣) لسان الميزان ٥٧١/٤، وتعجيل المنفعة ١٤٧/٢

(٤) سؤالاته ١٦٣١

(٥) المعرفة والتاريخ ٤٥٠/٢

(٦) تعجيل المنفعة ١٤٧/٢

(٧) الجرح والتعديل ١٥٧/٧

(٨) الضعفاء الكبير ٧/٤

(٩) الضعفاء والمتروكين ٤٤٧

(١٠) تاريخ أسماء الضعفاء والكذابين ٥٢٩

(١١) الضعفاء والمتروكين ٢٧٩٣

(١٢) ٢٢٥/٢

* وإبراهيم بن أبي عَبْلَةَ الشامي، واسم أبي عَبْلَةَ: شَمْرُ بن يقظان بن عبد الله الفلسطيني الرملي.

روى عن : واثلة بن الأسقع^(١)، وأم الدرداء - رضي الله عنها^(٢) -، وغيرهما.

وروى عنه : مالك، والليث، وابن المبارك، وغيرهم.

وبالدراسة لحاله يتبين أنه : ثقة، وثقه ابن معين، ودُحيم، والنسائي، ويعقوب بن سفيان، وأبو حاتم، والدارقطني، وغيرهم، وأخرج له البخاري، ومسلم، وأبوداود، والنسائي، وابن ماجه، ومات سنة ١٥٢هـ^(٣).

٢ - الحَكَم عليه : مما سبق يتبين أنه إسناده، وسيأتي أنه محل بالنعارة، وأما متنه فنثبت من طرق أخرى.

٣ - تخرجه وبيان اختلاف الرواة فيه على وجهين :

الوجه الأول : من رواه عن إبراهيم بن أبي عَبْلَةَ، عن أنس بن مالك^(٤)، وهو :

* كثير بن مروان في هذه الرواية التي أخرجها القَطِيعي.

الوجه الثاني: من رواه عن إبراهيم بن أبي عَبْلَةَ، عن عُقْبَةَ بن وَسَّاج، عن أنس^(٥)، وهما :

أ - محمد بن حَمِير :

(١) قاله ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٢/١٠٥/٢٩٧

(٢) قاله ابن معين (تأريخ الدوري ٥١٨٣، ٥٣٣٥).

(٣) انظر : سؤالات ابن الجنيد لابن معين ٧٠، والجرح والتعديل ٢/١٠٥، وتهذيب الكمال ١/٥٩

وتهذيب التهذيب ١/١٢٤، والتقريب ٢١٣

أخرجه البخاري^(١)، وابن سعد^(٢)، وأبو نعيم^(٣) من طريق محمد، عن إبراهيم به بنحوه.

ب - وأبو عبيد المذحجي مولى سليمان بن عبد الملك :
علّقه البخاري بالجزم^(٤) ووصله الإسماعيلي^(٥)، وابن حبان^(٦) من طريق الأوزاعي عنه به بنحوه وبلفظ : ((فكان أسنَّ أصحابه)) وزيادة في آخره.
* النظر في أحوال الرواة *

* كثير بن مروان، تقدم عند دراسة الإسناد.

* ومحمد بن حمير، هو : السليحي الحمصي.

روى عن : إبراهيم بن أبي عبلة، ومحمد بن زياد، والأوزاعي، والثوري، وغيرهم.
وروى عنه: سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي، ونعيم بن حماد، وهشام بن عبد الملك، وغيرهم.
قال ابن معين^(٧)، ((وذُحيم ثقة))^(٨)، وذكره ابن حبان في الثقات^(٩)،
وأخرج له البخاري، وأبوداود في المراسيل، والنسائي، وابن ماجه.

(١) في (٦٣) كتاب مناقب الأنصار، ٤٥ هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، ٢٥٦/٧/٣٩١٩.

(٢) الطبقات ١٩١/٣

(٣) حلية الأولياء ٢٤٨/٥

(٤) في (٦٣) كتاب مناقب الأنصار، ٤٥ هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، ٢٥٦/٧/٣٩١٩.

(٥) كما في تعليق التعليق لابن حجر ٩٧/٤

(٦) كما في الإحسان ٥٤٦٩/٢٨٣/١٢

(٧) تاريخ الدارمي ٧٥٩

(٨) تهذيب التهذيب ١١٨/٩

(٩) ٤٤١/٧

وقال الإمام أحمد : ((ما علمت إلا خيراً))^(١)، وقال ابن معين^(٢)،
والنسائي^(٣)، والدارقطني^(٤) : ((لا بأس به)).
وقال أبو حاتم : ((يكتب حديثه ولا يحتج به))^(٥)، وقال يعقوب بن سفيان :
((ليس بالقوي))^(٦)، ولهذا أورده ابن الجوزي في الضعفاء والكذابين^(٧)، وقال
الذهبي : ((له غرائب وأفراد))^(٨).
وأبو حاتم متشدد، ويعقوب قد خالفه الجمهور، وتفسير الذهبي لا يحطه إلى
مرتبة الضعيف، ولهذا فإن ابن حجر قال عنه : ((صدوق))^(٩).
والخلاصة أنه : لا بأس به، وله غرائب وأفراد.
* وأبو عبيد المذحجي مولى سليمان بن عبد الملك، قيل اسمه حي أو حبي.
روى عن : أنس، وعمر بن عبد العزيز، وعقبة بن وسّاج، وغيرهم.
وروى عنه : الأوزاعي، ومالك، وسهيل بن أبي صالح، وغيرهم.
وبالداسة لحاله يتبين أنه : ثقة، وثقه أحمد، وأبوزرعة، ويعقوب بن سفيان،
وعلي المديني، وغيرهم، وأخرج له البخاري تعليقاً، ومسلم، وأبوداود،

(١) العلل لعبد الله ٤١٢٩

(٢) معرفة الرجال لابن محرز ٣٣٧/٩١/١

(٣) تهذيب التهذيب ١١٨/٩

(٤) سؤالات البرقاني ٤٢٦

(٥) الجرح والتعديل ١٣١٥/٧

(٦) المعرفة والتاريخ ٣٠٩/٢

(٧) ٥٥/٣

(٨) الميزان ٥٣٢/٣

(٩) التقريب ٥٨٣٧

والنسائي، ومات سنة فيه بعد المئة^(١).

* النظر في اختلاف الرواة *

كما سبق يتبين أن رواية كثير: منكورة لمخالفته رواية الثقات، وقال ابن حجر عن روايتهم: ((وهو الصواب))^(٢).

٤ - الحكم العام على الحديث :

كما تقدم يتبين أن متن الحديث قد صح من طرق أخرى.

٥ - شرح غريبه :

* قوله : ((أَشْمَطُ))، الشَّمَطُ : الشيب قاله ابن الأثير^(٣)، والمقصود بيان أنه أكبرهم سنًا، وقد جاء في رواية البخاري المتقدمة بلفظ : ((أَسَنَ))، وهذا يدل أيضاً على أن البقية كانوا شباباً.

* وقوله : ((الكَتَمُ)) هو : بفتح الكاف والمثناة الخفيفة : ورق يخضب به، ينبت في الصخور فيتدلى خيطاناً لطافاً^(٤).

(١) انظر : العلل لعبد الله ١٨٥١، والجرح والتعديل ٢٧٥/٣، والمعرفة والتاريخ ٤٧٢/٢،

وتحذير الكمال ٧٤٧١/٣٤، وتحذير التهذيب ١٧٦/١٢، والتقريب ٨٢٢٧

(٢) إطراف المسند المعتبر ١٥٥/٢٧٠/١

(٣) النهاية في غريب الحديث ٥٠١/٢

(٤) انظر : أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري للخطابي ١٦٩٧/٣، والنهاية لابن الأثير

١٥٠/٤، وفتح الباري ٢٥٨/٧

الحديث الثاني :

قال القَطيَعي : ((حدثنا محمد بن يونس، ثنا محمد بن خالد بن عثمة، ثنا إبراهيم بن سعد، عن عبد الله بن عامر، عن محمد، عن رجل من أهل البصرة، عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ليس من البر الصيام في السفر)).

وذكر ابن حجر أنه من زيادات القَطيَعي ^(١)، وعزاه الهيثمي ^(٢) للإمام أحمد، وهو وهم منه؛ لأن محمد بن يونس من شيوخ القَطيَعي - كما سيأتي - .

١ - دراسة الإسناد :

* شيخ القَطيَعي، هو : محمد بن يونس بن موسى بن سليمان الكُدَيْمي القرشي السامي - بالمهملة - البصري أبو العباس.

روى عن : روح بن عبادة، وأبي داود الطيالسي، وسعيد بن عامر، وغيرهم.

وروى عنه : ابن أبي الدنيا، وإسماعيل، والقَطيَعي، وغيرهم.

وبالدراسة لحاله يتبين أنه : كذاب يضع الحديث، فقد كذبه محمد بن هارون ^(٣)،

وأبو داود ^(٤)، وعبد الله بن الإمام أحمد ^(٥)، والحافظ القاسم بن زكريا المَطَّرَز ^(٦)،

(١) إطراف المُسندِ المُعتلي ٧٤/٦/٧٧٨١، وبُحِث عنه في المطبوع من المسند فلم أظفر به،

وكذا لم يظفر به محقق "إطراف المُسندِ المُعتلي"، ولم أجده أيضاً في عدد من النسخ الخطية

المذكورة في ص ١٢٦

(٢) مجمع الزوائد ١٦١/٣ وقال : ((فيه رجل لم يسم)).

(٣) الكامل لابن عدي ٢٢٩٥/٦

(٤) سؤالات الآجري ١٨٥٦

(٥) كما في سؤالات السهمي ٤٠٤

(٦) الضعفاء والمتروكين للدارقطني ٤٨٧

وابن حبان^(١)، وابن عدي^(٢).

وقال ابن أبي حاتم : ((سمعت أبي وعرض عليه شيء من حديثه فقال : ليس هذا حديث أهل الصدق))^(٣)، وقال ابن عدي : ((كان ابن صاعد وعبد الله بن محمد لا يمتنعان من الرواية عن كل ضعيف... إلا عن الكذبي فإنهما كانا لا يرويان عنه لكثرة مناكيره، ولو ذكرت كل ما أنكر عليه وإدعائه ووضع لطلال ذلك))^(٤)، وقال أبو أحمد الحاكم : ((ذهب الحديث، تركه ابن صاعد وابن عقدة، وسمع منه ابن خزيمة ولم يحدث عنه، وقد حفظ فيه سوء القول عن غير واحد من أئمة الحديث))^(٥)، وقال الدارقطني : ((يتهم بوضع الحديث))^(٦)، وقال الذهبي : ((هالك))^(٧)، وقال أيضاً : ((أحد المتروكين))^(٨)، وقال حين أورد بعض مناكيره : ((ومن افترى هذا على أبي نعيم؟!))^(٩)، قال ابن حجر : ((يعني أنه من أكذب الناس))^(٩).

فإن قيل : إن الإمام أحمد أثنى عليه حيث يقول : ((كان حسن المعرفة، حسن الحديث ما وجد عليه إلا صحبته سليمان الشاذكوي))^(١٠)، فيجاب عليه

(١) المحروحين ٣١٣/٢

(٢) الكامل لابن عدي ٢٢٩٥/٦

(٣) الجرح والتعديل ١٢٢/٨

(٤) الكامل ٢٢٩٤/٦

(٥) تهذيب التهذيب ٤٧٨/٩

(٦) سؤالات السهمي ٧٤

(٧) المغني ٦٤٦/٢

(٨) الميزان ٧٤/٤

(٩) تهذيب التهذيب ٤٧٨/٩

(١٠) كما في تاريخ بغداد ٤٣٩/٣

بأنه لم يتبين حاله إلا بعد وفاة الإمام أحمد، حيث كانت في سنة ٢٤١هـ، وتوفي الكُدَيْمي سنة ٢٨٦هـ، ولهذا يقول الدارقطني : ((ما أحسن القول فيه إلا من لم يخبر حاله))^(١).

هذا وقال ابن حجر في التقريب: ((ضعيف))^(٢)، وحكمه محل تأمل، وتقدم ما يخالفه، وابن حجر نفسه قال عنه في هدي الساري - مقدمة فتح الباري - : ((واو))^(٣).

* ومحمد بن خالد بن عثمة، هو : الحنفي البصري، وعثمة : أمه، قاله أبو داود^(٤)، وابن أبي حاتم^(٥).

روى عن : إبراهيم بن إسماعيل، ومالك بن أنس، وسليمان بن بلال، وغيرهم.

وروى عنه : بُنْدَار، وعلي المديني، والكُدَيْمي، وغيرهم.

وبالدراسة لحاله يتبين أنه: لا بأس به، فقد قال عنه الإمام أحمد: ((ما أرى بجديسه بأس))^(٦)، وقال أبو زرعة : ((لا بأس به))^(٧)، وقال أبو حاتم : ((صالح الحديث))^(٧)، وذكره ابن حبان في الثقات وقال : ((ربما أخطأ))^(٨)، وأخرج له أصحاب السنن^(٩).

(١) كما في تهذيب التهذيب ٤٧٨/٩

(٢) ٦٤١٩

(٣) ٤٦٠

(٤) ١٣٢٧

(٥) الجرح والتعديل ٢٤٣/٧

(٦) العلل لعبد الله ٤٥٥/٣

(٧) الجرح والتعديل ٢٤٣/٧

(٨) ٦٧/٥٥/٩

(٩) انظر : تهذيب الكمال ٥١٧٩/٢٥، وتهذيب التهذيب ١٢٥/٩، والتقريب ٥٨٤٧

* وإبراهيم بن سعد بن إبراهيم الزهري المدني ثم البغدادي أبو إسحاق.
روى عن : أبيه، والزهري، وشعبة، وغيرهم.

وروى عنه : الليث، وأبو داود الطيالسي، وإبناه يعقوب وسعد، وغيرهم.
وبالدراسة لحاله يتبين أنه : ثقة حجة، وثقه الإمام أحمد، وابن معين، وأبو حاتم، والعجلي وغيرهم، وأثنى عليه ابن معين أيضاً، وأخرج له أصحاب الكتب الستة، ومات سنة ١٨٥هـ^(١).

* وعبد الله بن عامر، هو : الأسلمي المدني أبو عامر.

روى عن : أبي الزناد، ومحمد بن المنكر، وسهيل بن أبي صالح، وغيرهم.
وروى عنه : يزيد بن حبيب، والأوزاعي، وسليمان بن بلال، وغيرهم.
وبالدراسة لحاله يتبين أنه : ضعيف يقلب الأسانيد والمتون ويرفع المراسيل والموقوف، وضعفه : ابن سعد، وابن معين، وأحمد، وأبو زرعة، وأبو حاتم، وأبو داود، والنسائي، والدارقطني، وأبو أحمد الحاكم، وزاد ابن معين : ((ليس بشيء))، وزاد أبو حاتم : ((ليس بمتروك))، وأخرج له ابن ماجه.
وقال الإمام البخاري : ((يتكلمون في حفظه))، وقال أيضاً : ((ذهب الحديث))، وقال ابن حبان في المجروحين : ((يقلب الأسانيد والمتون، ويرفع المراسيل والموقوف))، وقال ابن عدي : ((لا يتابع في بعض هذه الأخبار... وهو ممن يكتب حديثه))، وقال ابن حجر : ((ضعيف))^(٢).

(١) انظر : تأريخ الدارمي ٧، وطبقات ابن سعد ٣٢٢/٧، والعلل لعبد الله بن الإمام أحمد ٢٨٢، ٢٤٧٥، ٣٤٢٢، والجرح والتعديل ١٠١/٢، وترتيب ثقات العجلي ٢٣، وتأريخ بغداد ٨١/٦، وتهذيب التهذيب ١٠٥/١، والتقريب ١٧٧

(٢) انظر : التأريخ الكبير ١٥٦/٥، والأوسط ١٣٨/٢، وطبقات ابن سعد - القسم المتمم - ٤١٠/٣٤٥، والضعفاء والمتروكين للنسائي ٦١، والعلل لعبد الله بن الإمام أحمد ٥٦٤٢، والجرح والتعديل ١٢٣/٥، والمجروحين لابن حبان ٦/٢، والضعفاء والمتروكين للدارقطني ١٤، والكامل =

* ومحمد : كذا قال عبد الله بن عامر هنا، وسيأتي^(١) أنه قال مرة أخرى : ((عن رجل يقال له محمد، عن أبي بَرْزَةَ...))، وقال أيضاً : ((عن محمد بن آل أبي بَرْزَةَ، عن أبي بَرْزَةَ))، وهذا كله اضطراب منه، وقد أورد الإمام البخاري محمد هذا في باب أفناء الناس من المحمدين^(٢)، وهم غير المنسوبين، وقال : ((لم يصح حديثه)).

والخلاصة أنه : مجهول العين.

* ورجل من أهل البصرة : تقدم في السابق ما يدل على أنه محمد، ولم يضبط عبد الله بن عامر هذا الإسناد.

* وأبو بَرْزَةَ، هو : نَضْلَةُ بن عبيد الأسلمي الصحابي ؓ.

٢ - الحكم عليه : مما سبق يتبين أنه إسناد واه، وتقدم أن البخاري ذكر عدم صحته، وقال الدارقطني في العلل : ((غير ثابت))^(٣)، وحكمهما على هذا الإسناد، وأما منته فصح من حديث جابر ؓ كما سيأتي.

لا بن عدي ١٤٧٠/٤، وتهذيب الكمال ١٧٥/٤، وتهذيب التهذيب ٢٤١/٥، والتقريب ص ٣٤٠٦.

تنبيه : رمز له في الميزان (٤٣٩٤/٤٤٨/٢) برمز : ابن ماجه والترمذي، والذي يظهر أن ذكر الترمذي، وهم، بدليل ما في المغني (٣٢٣٦/٤٣٤/١)، والكاشف (٢٨٢٦/١٠٠/٢)، حيث ذكر رمز ابن ماجه وحده، وهو الذي يوافق ما في تهذيب الكمال وتهذيب التهذيب وكنا التقريب، سواء بتحقيق محمد عوامة ٣٤٠٦، أم بتحقيق أبي الأشبال صغير أحمد ٣٤٢٨، أم بتحقيق وتحرير بشار عواد، وشعيب الأرناؤوط ٣٤٠٦، وقد ذكروا جميعاً أنهم اعتمدوا نسخة بخط ابن حجر.

(١) ص : ١٣٨

(٢) التأريخ الكبير ٢٦٩/١

(٣) ٣٠٨/٣

٣ - تخريجه وبيان اختلاف رواية عبد الله بن عامر له على ثلاثة أوجه :
الوجه الأول : رواه عن : محمد، عن رجل من أهل البصرة، عن أبي بَرْزَةَ ؓ.
وهي رواية القَطِيعي هنا عن الكُدَيْمي، عن محمد بن خالد بن عثمة، عن إبراهيم بن سعد، عن عبد الله به.

الوجه الثاني : رواه عن : رجل يقال له محمد، عن أبي بَرْزَةَ ؓ.
أخرجه الإمام البخاري في التاريخ الكبير^(١)، وأعرض عن أدائه بصيغة التحديث حيث قال : ((قال لي : محمد بن أبي سميئة حدثنا محمد بن عثمة، عن إبراهيم بن سعد، عن عبد الله بن عامر الأسلمي، عن رجل يقال له محمد، عن أبي بَرْزَةَ))^(٢) الحديث، والذي يظهر أن الإمام صنع ذلك لو هن هذا الإسناد، ولهذا قال بعده : ((ولم يصح حديثه))^(٣).

وأخرجه البزار عن محمد بن معمر، عن محمد بن خالد، عن إبراهيم بن سعد، عن عبد الله بن عامر، عن محمد بن آل أبي بَرْزَةَ، عن أبي بَرْزَةَ ؓ^(٢).
الوجه الثالث : رواه عن : خاله عبد الرحمن بن حَرْمَلَةَ، عن محمد بن المنكدر، عن أبي بَرْزَةَ الأسلمي ؓ.

أخرجه الطبراني عن محمد بن عبد الله الحضرمي، عن معمر بن بكار السعدي، عن إبراهيم بن سعد، عن عبد الله بن عامر به، وقال الطبراني : ((لم يرو هذا الحديث عن عبد الرحمن بن حَرْمَلَةَ إلا عبد الله بن عامر، ولا عن عبد الله ابن عامر إلا إبراهيم بن سعد، تفرد به معمر بن بكار، ولا يُروى عن أبي بَرْزَةَ إلا بهذا الإسناد))^(٣)، ويرد على الطبراني ما تقدم.

(١) ٢٦٩/١

(٢) البحر الزخار ٣٨٥٨/٣٠٢/٩

(٣) المعجم الأوسط ٥٥٩٧/٣٧٣/٥

* النظر في الاختلاف السابق *

مما سبق يتبين أن عبد الله بن عامر اضطرب في إسناده اضطراباً شديداً، كما أنه قلب إسناده إذ الحديث مشهور برواية جابر بن عبد الله رضي الله عنه - كما سيأتي - ، وابن عامر معروف بالضعف وقلب الأسانيد كما تقدم^(١)، ويؤكد ذلك أن المحفوظ عن عبد الرحمن بن حرملة في هذا الباب مرسل سعيد بن المسيّب بلفظ آخر، وهو ما أخرجه عبد الرزاق عن ابن عيينة، عن عبد الرحمن ابن حرملة، عن ابن المسيّب قال : ((كنت عنده فأتاه قوم من أهل الجزيرة فقالوا: يا أبا محمد^(٢) إنا نسافر في المحامل وإنا نُكفى، أفنصوم؟ قال : لا، قالوا : إنا نقوى على ذلك، قال : رسول الله كان أقوى وخيراً منكم، قال : خياركم الذين إذا سافروا قصرُوا الصلاة، ولم يصوموا))^(٣)، وبذلك يتبين أنه قلب الأسانيد والمتون.

هذا ولا يتابعه على روايته عن محمد بن المنكدر إلا من هو أدنى منه، حيث أخرج البخاري في تأريخه^(٤)، وابن عدي^(٥) من طريق خالد العبد، عن محمد بن المنكدر، عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً: ((خياركم من قصر الصلاة في السفر، وأفطر)).

* وخالد العبد، هو : ابن عبد الله البصري.

روى عن : الحسن البصري، وابن المنكدر.

وروى عنه : سلم بن قتيبة، وإسرائيل، وغيرهما.

(١) ص : ١٣٦

(٢) هو : ابن المسيّب.

(٣) المصنف ٤٤٨٠/٥٦٦/٢

(٤) ١٦٥/٣

(٥) الكامل ٨٩٥/٣

وبالدراسة لحاله يتبين أنه : كذاب قدرى، رماه عمرو بن علي بالوضع^(١)، وروى البخاري بإسناده إلى عبد الصمد بن عبد الوارث أنه قال : ((سمعت خالداً العبد - وهو ضعيف - يقول: قال الحسن: صليت خلف ثمانية وعشرين بدرية كلهم يقنت بعد الركوع، فقلت: من حدثك؟، قال: حدثنا ميمون المرائي، فلقيت ميموناً فسألته، فقال : قال الحسن مثله، قلت من حدثك؟، قال : خالد العبد))^(٢)، قال البخاري : ((ما أعلم لميمون إلا حديثين))، وهذه الحكاية دليل على أن خالداً كان يكذب، وروى البخاري أيضاً بإسناده إلى سلم بن قتبية أنه قال : ((أتيت خالداً العبد، فإذا معه درج فيه : حدثنا الحسن، حدثنا الحسن، فانفلت الدرج من يده، فإذا في أوله هشام بن حسان قد محاه، قلت ما هذا؟، قال : هذا كتبت أنا هشام بن حسان عن الحسن، قلت : تكون مع هشام، وتكتب فيه هشام؟، قال : ما أعرفني بك أأنت خرجت مع إبراهيم))^(٣)، قال البخاري : ((إبراهيم هذا كان إنساناً علوياً خرج))^{(٤)(٥)}، وصنيع خالد السابق يدل على أنه كان يسرق الأسانيد ويغيرها، وقد أورد البخاري في ترجمة حديث ((خياركم)) - حديث الباب-، وقال بعده : ((منكر الحديث))^(٦)،

(١) التاريخ الأوسط ٤٣/٢

(٢) التاريخ الكبير ١٦٥/٣، والأوسط ٩٨/٢، ٩٩

(٣) المصدر نفسه.

(٤) التاريخ الكبير ١٦٥/٣، والأوسط ٩٨/٢، ٩٩

(٥) إبراهيم هو : ابن عبد الله بن الحسن العلوي، خرج على بني عباس، والمقصود أن خالداً أراد تخويف سلم بأنه إن أظهر حاله وشى به، انظر تعليقات العلامة المعلمي على التاريخ

الكبير ١٦٦/٣

(٦) في التاريخ الكبير ١٦٥/٣

وكذبه الدارقطني^(١)، وقال في الضعفاء والمتروكين : ((متروك))^(٢)، وقال ابن حبان في المجروحين : ((كان يسرق الحديث، ويحدث من كتب الناس من غير سماع))^(٣)، وقال ابن عدي : ((قدري... ليس له من الحديث إلا مقدار عشرة وأقل... وأحاديثه... مناكير))^(٤)، وقال الذهبي : ((قدري واه تركوه))^(٥).
وقد أورد الدارقطني في العلل رواية عبد الله بن عامر، عن عبد الرحمن بن حرملة، عن ابن المنكدر، عن أبي بَرْزَة، ورواية خالد العبْد، عن ابن المنكدر، عن جابر، وقال : ((كلاهما غير ثابت))^(٦)، يعني بهذا الإسناد.

٤ - الحكم العام : متن الحديث قد صح من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه حيث أخرجه الإمام أحمد^(٧)، والبخاري^(٨)، ومسلم^(٩)، وأبو داود^(١٠)، والنسائي^(١١)، وغيرهم من طريق شعبة، عن محمد بن عبد الرحمن بن أسعد، عن محمد بن عمرو بن الحسن، عن جابر به بمثله وقصة في متنه.

(١) كذا في الميزان ٦٣٣/١، وفي لسان الميزان ٤٨٠/٢، ولم أجده في سؤالات البرقاني، والسهمي، والسلمي، والحاكم، وابن بكير للدارقطني، والسنن والعلل له أيضاً.

(٢) ١٩٨/١٩٨

(٣) ٢٨٠/١

(٤) الكامل ٨٩٥/٣

(٥) المغني في الضعفاء ٢٠٣/١

(٦) ١١٥٨/٣٠٨/٦

(٧) ٣٩٩، ٣١٩/٣

(٨) في (٣٠ كتاب الصوم، ٣ باب قول النبي ﷺ لمن ظَلَّل عليه واشتد الحر : ليس من البر الصيام في السفر، ١٩٤٦).

(٩) في (١٣ كتاب الصيام، ١٥ باب جواز الصوم والفطر للمسافر، ٢٦١٢).

(١٠) في (١٤ كتاب الصيام، ٤٣ باب اختيار الفطر، ٢٤٠٧).

(١١) في (٢٢ كتاب الصوم، ٤٩ باب، ٢٢٦٤).

الحديث الثالث :

قال القطيعي : ((حدثنا الفضل بن الحُبَاب، حدثنا القَعْنَبِي، حدثنا شعبة، حدثنا منصور، عن رِئِيعي، عن أبي مسعود، عن النبي ﷺ قال : ((إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِوةِ الْأُولَى : إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ))^(١). وذكر ابن حجر أنه من زوائد القطيعي^(٢).

١ - دراسة الإسناد :

* شيخ القطيعي، هو : الفضل بن الحُبَاب بن محمد بن شعيب بن عبد الرحمن الجُمَحِي البصري، والحُبَاب لقب أبيه، واسمه : عمرو، قاله ابن حبان^(٣). روى عن : القَعْنَبِي، وأبي الوليد الطيالسي، ومُسَدَّد، وعلي المديني، وغيرهم.

وروى عنه: أبو عَوَانة، وابن حبان في صحيحيهما، والطبراني، والإسماعيلي، وغيرهم.

ذكره ابن حبان في الثقات^(٤)، وقال مسلمة بن القاسم : ((كان ثقة مشهوراً كثير الحديث))^(٥)، وقال الخليلي : ((احترقت كتبه، منهم من وثقه، ومنهم من تكلم فيه، وهو إلى التوثيق أقرب، والمتأخرون أخرجوه في الصحيح))^(٥)، وقال ابن حجر : ((روى عنه ابن عبد البر في الاستذكار^(٦) من

(١) المسند ٢٢٧٠٢/٢٧٣/٥

(٢) إطراف المُسْنَدِ المُعْتَلِي ٨٨٢٣/٧٨/٧، وإتحاف المهرة ٢٦٨/١١

(٣) ٨/٩

(٤) كما في لسان الميزان ٥١٣/٤

(٥) الإرشاد في معرفة علماء الحديث ٢٣٣/٥٢٦/٢

(٦) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار ١٤٢٩٤/١٠

طريقه حديثاً منكراً جداً ما أدري من الآفة فيه...^(١)، فلعل ابن الأحرر سمعه منه^(٢) بعد احتراق كتبه^(٣)، وذكر الدارقطني في الغرائب له حديثاً وقال: ((تفرد به أبو خليفة))^(٣)، وقال ابن حجر: ((أخطأ في سنده))^(٣).

ولم يصرح الخليلي باختلاطه بعد احتراق كتبه، وما ذكره ابن حجر - مع أنه احتمال - لا يفيد الاختلاط، بل هو عند التأمل دليل على الضبط؛ لأن من كان مكثراً واحترقت كتبه، ولم يخطئ إلا في حديثين، فهو بالإتقان والثقة والحفظ أولى، وقد أغرب عدد من الحفاظ المتقنين المكثرين في أحاديث مع جلالته وتوفر كتبه، ولم يحطهم ذلك عن مرتبتهم، ولهذا فإن الذهبي قال عنه: ((مسند عصره بالبصرة... كان ثقة عالماً ما علمت فيه لينا))^(٤)، وقال أيضاً: ((ولد سنة ست ومئتين، وغني بهذا الشأن وهو مراهق، فسمع سنة عشرين ومئتين، ولقي الأعلام، وكتب علماً جمّاً. وكان ثقة صادقاً مأموناً))^(٥).

والذي يظهر أنهم تكلموا فيه من أجل مسألة الوقف في القرآن، حيث قال مسلمة بن القاسم: ((كان يقول بالوقف وهو الذي نُقِمَ عليه))^(٦)، وذكر السهمي أنه لما حضرته الوفاة قال: ((قد جعلت كل من تكلم فيَّ في حلٍ إلا من قال إني أقف في القرآن، أقول: القرآن كلام الله غير مخلوق))^(٧)، وقال أبو علي التيسابوري الحافظ: ((دخلت أنا وأبو عَوانة البصرة، فقيل: إن أبا خليفة

(١) لسان الميزان ٥١٣/٤

(٢) لسان الميزان ٥١٣/٤

(٣) لسان الميزان ٥١٣/٤

(٤) الميزان ٣٥٠/٣

(٥) سير أعلام النبلاء ٧/١٤

(٦) لسان الميزان ٥١٣/٤

(٧) سؤالات السهمي للدارقطني ٣٥٢

قد هُجر، ويُدعى عليه أنه قال : القرآن مخلوق، فقال لي أبو عَوانة : يا بني لا بد أن ندخل عليه، قال: فقال له أبو عَوانة: ما تقول في القرآن؟، فاحمر وجهه وسكت، ثم قال: القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر، وأنا تائب إلى الله من كل ذنب إلا الكذب، فإني لم أكذب قط، أستغفر الله، قال : فقام أبو علي فقبل رأسه، ثم قام أبو عَوانة إلى أبي خليفة فقبل كتفه^(١).

والخلاصة أنه : ثقة احترقت كتبه فرجاً أغرب، ومات سنة ٣٠٥ هـ.

* والقَعْنِي هو: عبد الله بن مسلمة بن قَعْنَب الحارثي المدني البصري أبو عبد الرحمن. روى عن : مالك، وشعبة، والليث، وغيرهم.

وروى عنه : البخاري، ومسلم، وأبو داود، وأبو زرعة، وأبو حاتم، وغيرهم. وثقه العجلي وابن قانع، وأثنى عليه مالك، وابن معين، وأبو زرعة، والنسائي، وابن المديني، وغيرهم، وأخرج له الجماعة إلا ابن ماجه^(٢).

وقال ابن حجر: ((ثقة عابد))^(٣)، وكلامه محل تأمل، فمرتبه أعلى من ذلك، فقد قال ابن معين: ((ثقة مأمون لا يسأل عنه، لو ضاع كتابه ثم أخذه ممن سمع معه في المثل، كان حائزاً، هو رجل صدق))^(٤)، وقال أبو حاتم - على تشدده- : ((ثقة حجة))^(٥)، وقال أبو زرعة : ((ما كتبت أجل في عيني منه))^(٦)، وذكر يعقوب بن سفيان أنه ثقة ثم قال : ((حجة))^(٧)، وذكره ابن

(١) سير أعلام النبلاء ١٤/١٠

(٢) انظر : طبقات ابن سعد ٣/٢٩١، وسؤالات الدقاق لابن معين ٣٧٣، وترتيب ثقات العجلي ٧٥٦، وتهذيب التهذيب ٦/٢٩

(٣) التقريب ٣٦٢٠

(٤) معرفة الرجال لابن محرز ١/٤٤٥

(٥) الجرح والتعديل ٥/١٨١

(٦) الموضع السابق.

(٧) المعرفة والتاريخ ١/٣٤٧

حَبان في الثقات وقال : ((كان من المتقين في الحديث))^(١)، ولهذا قال عنه الذهبي : ((أحد الأعلام))^(٢)، وقال أيضاً : ((الإمام الثبت القدوة شيخ الإسلام))^(٣).

والخلاصة أنه : ثقة حجة عابد، ومات سنة ٢٢١هـ.

* وشعبة هو : ابن الحجاج العتكي مولاهم، الواسطي ثم البصري أبو بسطام، الثقة الحافظ المتقن أمير المؤمنين في الحديث^(٤).

* ومنصور هو : ابن المعتمر بن عبد الله السلمي الكوفي أبو عتّاب.

. روى عن : زيد بن وهب، وإبراهيم النخعي، والحسن البصري، وربيعي بن حراش، وغيرهم.

روى عنه : الأعمش، وسليمان التيمي، والثوري، وشعبة، وغيرهم.

وهو : ثقة ثبت، وثقه وأثني عليه الإمام أحمد، ويحيى بن معين، وعلي بن المديني، والعجلي، وأبو حاتم، وأبو زرعة، وغيرهم، وأخرج له أصحاب الكتب الستة، ومات سنة ١٣٢هـ^(٥).

(١) ٣٥٣/٨

(٢) الكاشف ١٣١/٢

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٥٧/١٠

(٤) انظر ترجمته في : طبقات ابن سعد ٩٣/٩، الجرح والتعديل ١٢٦/١، ١٦٠٩/٤، والثقات ٤٤٦/٦، وتهذيب الكمال ٥٨١/٢، وتهذيب التهذيب ٣٣٨/٤، والتقريب

٢٧٩٠

(٥) انظر : طبقات ابن سعد ٥٠٠/٥، وتاريخ الدوري ٤١١٢، وسؤالات ابن محرز ٦٤٥، والجرح والتعديل ٧٧٨/٨، والعلل لعبد الله بن الإمام أحمد ٦٦٦، وترتيب ثقات العجلي ٥٧٠، والثقات ٤٧٣/٧، وتهذيب الكمال ١٣٧٦/٣، والكاشف ٣٠٢/١، وتهذيب

تهذيب ٢٧٧/١٠، والتقريب ٦٩٠٨

* ورَبِيعِي هو : ابن حِرَاش - بكسر الحاء المهملة، وآخره معجمة - العبسي الكوفي أبو مريم.

روى عن : عمر، وعلي، وابن مسعود، وأبي موسى، وأبي مسعود، - رضوان الله عليهم -، وغيرهم.

وروى عنه : الشعبي، ومنصور بن المعتمر، وأبو مالك الأشجعي، وغيرهم. وهو : ثقة عابد مخضرم، وثقه ابن سعد والعجلي، وغيرهما، وأخرج له أصحاب الكتب الستة، ومات سنة ١٠٠هـ - على خلاف^(١).

* وأبو مسعود هو : عقبة بن عمرو الأنصاري البصري^(٢).

٢ - الحكم عليه : مما سبق يتبين أنه إسناده صحيح، ولم يسمع القَعْنَبِي من شعبة إلا هذا الحديث - كما سيأتي في التخريج - .

٣ - لطائفه : إسناده كله عراقيون، وأبو مسعود نزل الكوفة قاله ابن سعد^(٢).

٤ - تخرجه :

أخرجه ابن حبان عن أبي خليفة الفضل بن الحُبَاب^(٣).

وأبو داود^(٤)، كلاهما عن القَعْنَبِي.

والبخاري^(٥) عن آدم بن أبي إياس.

(١) انظر: طبقات ابن سعد ١٢٧/٦، والجرح والتعديل ٢٣٠٧/٣، وترتيب ثقات العجلي ٤١٨، وتاريخ بغداد ٤٣٣/٨، والثقات ٢٤٠/٤، وتهذيب الكمال ٤٠١/١، والكاشف ١٧٧/٣، وتهذيب التهذيب ٢٠٥/٣، والتقريب ١٨٧٩

(٢) الطبقات ١٦/٦

(٣) كما في الإحسان ٦٠٧/٣٧١/٢

(٤) في (٤٠ كتاب الأدب، ٦ باب في الحياء، ٤٧٩٧).

(٥) في (٦٠ كتاب أحاديث الأنبياء، ٥٤ باب، ٣٤٨٤).

والطيالسي^(١)، وأحمد عن محمد بن جعفر^(٢)، وروح بن عباد^(٣)، كلهم -
 القَعْنِي، وآدم والطيالسي، ومحمد، وروح - عن شعبة.
 وأخرجه أحمد عن سفيان الثوري^(٤).
 والبخاري من طريق زهير بن معاوية^(٥)، ثلاثتهم - شعبة، والثوري،
 وزهير - عن منصور به بمثله، ورواية آدم عند البخاري بدون قوله : ((الأولى)).
 وسئل أبو داود : ((أعند القَعْنِي عن شعبة غير هذا الحديث ؟، قال :
 لا))^(٦)، وقال ابن حبان ((ما سمع القَعْنِي من شعبة إلا هذا الحديث))^(٧).
 ٥ - شرح قوله : ((فاصنع ما شئت)) :
 ذكر أهل العلم في معناها أقوال منها :

أ - أنه أمر بمعنى التهديد والوعيد، وإلى هذا ذهب أبو العباس أحمد بن
 يحيى ثعلب، والمعنى: إذا لم يكن حياء، فاعمل ما شئت فإن الله يجازيك عليه،
 ولهذا نظائره ومنه قول تعالى : ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٨)،
 وقوله: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾^(٩).^(١٠)

(١) ٦٢١

(٢) ١٢٢/٤

(٣) ١٢١/٤

(٤) ١٢١/٤

(٥) في (٦٠ كتاب أحاديث الأنبياء، ٥٤ باب، ح ٣٤٨٣).

(٦) في (٤٠ كتاب الأدب، ٦ باب في الحياء، ٤٧٩٧).

(٧) في الموضوع السابق من الإحسان.

(٨) فصلت، آية : ٤٠

(٩) الزمر، آية : ١٥

(١٠) انظر : معالم السنن للخطابي ١٠٩/٤

ب - أنه بمعنى الخبر وإن كان لفظه لفظ الأمر، وإلى هذا ذهب أبو عبيد القاسم بن سلام^(١)، والمعنى : من لم يستح صَنَعَ ما يشاء، وانهمك في كل فاحشة ومنكر.

(١) غريب الحديث ٣٢/٣

الحديث الرابع :

قال القَطِيعِي : ((حدثنا بشر بن موسى بن صالح بن شيخ بن عميرة الأسدي، ثنا الفضل بن دُكَيْن، ثنا زكريا بن أبي زائدة، عن عامر الشَّعْبِي، عن مسروق، قال : قالت عائشة : فتلت القلائد لهدى رسول الله ﷺ وهو محرم)).
وذكر ابن حجر أنه من زيادات القَطِيعِي ^(١).

١ - دراسة الإسناد :

* شيخ القَطِيعِي، هو : أبو علي البغدادي.

روى عن : حفص بن عمر، والحميدي، وسعيد بن منصور، وغيرهم.
روى عنه : إسماعيل الصَّفَّار، وأبو علي بن الصواف، والطبراني، والقَطِيعِي، وغيرهم.

وهو: ثقة نبيل، وثقه الدارقطني، والخطيب البغدادي، والذهبي، وغيرهم، ومات سنة ٢٨٨هـ ^(٢).

* والفضل بن دُكَيْن بن حماد التيمي مولا هم الأحول أبو نُعيم المَلَانِي الكوفي، مشهور بكنيته، ودُكَيْن لقب أبيه، واسمه عمرو،
روى عن : الأعمش، والثوري، ومالك، وغيرهم.

روى عنه : البخاري، ومحمد بن عبد الله بن نُمير، وابن أبي شيبة، وغيرهم.
وهو: ثقة ثبت، وثقه وأثنى عليه : ابن سعد، وابن معين، وابن المديني وأحمد،

(١) إطراف المُسندِ المَعْتَلِي ١٢١١١/٢٢٩/٩، وبحث عنه فلم أظفر به في المطبوع من مسند الإمام، وعدد من النسخ الخطية المذكورة في ص ١٢٦، وكذا لم يظفر به محقق : "إطراف المسند المَعْتَلِي".

(٢) انظر : سؤالات السلمي للدارقطني ٧٤، والجرح والتعديل ٣٦٧/٢، وتاريخ بغداد ٨٦/٧، وطبقات علماء الحديث للصالح ٦٠٤/٣١٠/٢، وتذكرة الحفاظ ٦١١/٢، وسير أعلام

والعجلي، وأبو حاتم، وغيرهم، وأخرج له أصحاب الكتب الستة، وذكر ابن المديني، وابن معين أن أوثق أصحاب الثوري: يحيى القطان، وابن مهدي، ووكيعة، وابن المبارك، وأبو نُعيم-يعني: الفضل بن دُكَيْن-، ومات سنة ٢١٩هـ^(١).

* وزكريا بن أبي زائدة، هو : الهمداني الوادعي الكوفي أبو يحيى.

روى عن : أبي إسحاق السَّبيعي، وعامر الشعبي، وسماك بن حرب، وغيرهم.
روى عنه : الثوري، وشعبة، وابن المبارك، ويحيى القطان، وأبو نُعيم، وغيرهم.
وبالدراسة لحاله يتبين أنه : ثقة، وثقه : ابن سعد، والعجلي، وأحمد، وأبو داود، والنسائي، والبزار، ويعقوب بن سفيان، وغيرهم، وأخرج له أصحاب الكتب الستة، وكان يدلّس، قاله أبو حاتم، وقال أبو زرعة : ((كان يدلّس كثيراً عن الشعبي))، وجعله ابن حجر في المرتبة الثانية، ومات سنة ١٤٨هـ^(٢).

* وعامر الشَّعْبي هو : ابن شراحيل الكوفي أبو عمرو.

روى عن : علي، وسعد بن أبي وقاص، وأبي هريرة، وغيرهم - رضوان الله عليهم.

روى عنه : أبو إسحاق السَّبيعي، والأعمش، ومنصور بن المعتمر، وغيرهم.
وهو: ثقة ثبت فقيه فاضل، وثقه وأثنى عليه: سفيان بن عيينة، والحسن

(١) انظر : طبقات ابن سعد ٤٠٠/٦، ومعرفة الرجال لابن محرز ٥٠٤/١، وسؤالات ابن هانئ للإمام أحمد ٢١٦٤، والجرح والتعديل ٦١/٧، وترتيب ثقات العجلي ١٣٥١، والثقات ٣١٩/٧، وتهذيب الكمال ١٠٩٦/٢، وتهذيب التهذيب ٢٤٣/٨، والتقريب ٥٤٠١

(٢) انظر : طبقات ابن سعد ٣٥٥/٦، والعلل لعبد الله بن الإمام أحمد ٦٩٠، وسؤالات الآجرّي لأبي داود ٥٤٥، والمعرفة والتاريخ ٦٥٦/٢، ١٠٩/٣، وترتيب ثقات العجلي ٤٦٠، والجرح والتعديل ٥٩٤/٣، والثقات ٣٣٤/٦، وتهذيب التهذيب ٥٨٤/٣، والتقريب ٢٠٢٢، وفتح الباري ١٢٦/١، ٣٠٩، وتعريف أهل التقديس لابن حجر ٦٢/٤٧

البصري، وابن معين، وأبو زرعة، والعجلي، وغيرهم، وأخرج له أصحاب الكتب الستة، ومات بعد ١٠٠هـ^(١).

* مسروق هو : ابن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي الكوفي أبو عائشة.

روى عن: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ومعاذ، وعائشة — رضوان الله عليهم — ، وغيرهم.

وروى عنه : الشعبي، وإبراهيم النخعي، ومكحول، وغيرهم.

وهو : ثقة فقيه عابد مخضرم، وثقه ابن سعد، وابن معين، والعجلي، وغيرهم، وأخرج له أصحاب الكتب الستة، ومات سنة ٦٢هـ^(٢).

٢ - الحكم عليه : متن هذا الحديث معلول إذ قوله : ((وهو محرم)) يخالف الخفوظ من أنه ﷺ لم يكن محرماً حينذاك، والذي يظهر أن الوهم من القطيعي نفسه.

٣ - تخريجه، وبيان وهم القطيعي فيه :

قال القطيعي في روايته لهذا الحديث : ((وهو محرم)) فخالف بذلك رواية الحفاظ له بهذا الإسناد وبغيره من أن النبي ﷺ كان حلالاً ولم يكن محرماً. والقطيعي نفسه قد رواه على الصواب في جزء الألف دينار بهذا الإسناد حيث قال : ((حدثنا بشر قال : حدثنا أبو نعيم، قال : حدثنا زكريا بن أبي

(١) انظر : الجرح والتعديل ٤/١٢٤، وترتيب ثقات العجلي ٧٥١، وسؤالات الآجري لأبي داود ٦٨، والثقات ٥/١٨٥، وتهذيب الكمال ٢/٦٤٢، وتهذيب التهذيب ٥/٥٧، والتقريب ٣٠٩٢

(٢) انظر : طبقات ابن سعد ٦/٧٦، وتأريخ الدارمي ٧٤٨، والجرح والتعديل ٨/٣٩٦، وترتيب ثقات العجلي ١٥٦١، والثقات ٥/٤٥٦، وتأريخ بغداد ١٣/٢٣٢، وتهذيب الكمال ٣/١٣٢٠، وتهذيب التهذيب ١٠/١٠٠، والتقريب ٦٦٠١

زائدة، عن عامر الشعبي عن مسروق، عن عائشة قالت : قَتَلْتُ هُدي رسول الله ﷺ القلائد قبل أن يُحرم^(١).

وأخرجه الإمام أحمد عن يحيى بن سعيد^(٢).

والبخاري عن أبي نعيم^(٣).

ومسلم عن ابن نمير^(٤)، ثلاثهم عن زكريا بن أبي زائدة، وصرح بالسماع عند الإمام أحمد.

وأخرجه أحمد^(٥)، والدارمي^(٦)، والبخاري^(٧)، ومسلم^(٨)، والنسائي^(٩)، والطحاوي^(١٠)، من طريق إسماعيل بن أبي خالد.

وأخرجه أحمد^(١١)، ومسلم^(١٢)، وأبو يعلى^(١٣)، والطحاوي^(١٤) من طريق داود بن أبي هند، ثلاثهم - زكريا، وإسماعيل وداود - عن عامر الشَّعْبِيِّ به.

(١) ١٥٩/٩٩

(٢) ١٩١/٦

(٣) في (٢٥) كتاب الحج، ١١٠ باب تقليد الغنم، (١٧٠٤).

(٤) في (٧) كتاب الحج، ٦٤ باب استحباب بعث الهدي إلى الحرم، (١٣٢١).

(٥) ٣٠/٦، ١٢٧، ١٩٠، ٢٠٨

(٦) ١٩٤١

(٧) في (٧٤) كتاب الأشربة، ١٥ باب إذا بعث بمديه ليذبح لم يحرم عليه شيء، (٥٥٦٦).

(٨) في (٧) كتاب الحج، ٦٤ باب استحباب بعث الهدي إلى الحرم، (١٣٢١).

(٩) في (٢٤) المناسك، ٦٥ باب قتل القلائد، (٢٧٧٩).

(١٠) ٢٦٥/٢

(١١) ٣٥/٦

(١٢) في (٧) كتاب الحج، ٦٤ باب استحباب بعث الهدي إلى الحرم، (١٣٢١).

(١٣) ٤٦٥٨

(١٤) ٢٦٥/٢

وأخرجه مالك^(١)، وأحمد^(٢)، والبخاري^(٣)، ومسلم^(٤)، والنسائي^(٥)، وابن خزيمة^(٦) من طريق عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة - رضي الله عنها - .

وأخرجه الحميدي^(٧)، وأحمد^(٨)، والبخاري^(٩)، ومسلم^(١٠)، والترمذي^(١١)، والنسائي^(١٢)، وابن ماجه^(١٣)، وابن خزيمة^(١٤) من طريق الأسود، عن عائشة - رضي الله عنها - .

(١) ٣٤٠/١

(٢) ٢٨٠/٦

(٣) في (٢٥) كتاب الحج ١٠٩ ، باب من قلد القلائد بيده ، (١٧٠٠) .

(٤) في (٧) كتاب الحج ، ٦٤ باب استحباب بعث الهدي إلى الحرم ، (١٣٢١) .

(٥) في (٢٤) كتاب المناسك ، ٦٥ باب فتل القلائد .

(٦) ٢٥٧٤

(٧) ٢١٨

(٨) ٩١/٦ ، ١٩١ ، ٢٥٣ ، ٢٦٢

(٩) في (٢٥) كتاب الحج ، ١١٠ باب تقليد الغنم ، (١٧٠١) .

(١٠) في (٧) كتاب الحج ، ٦٤ باب استحباب بعث الهدي إلى الحرم ، (١٣٢١) .

(١١) في (٧) كتاب الحج ، ٧٠ باب ما جاء في تقليد الغنم ، (٩٠٩) .

(١٢) في (٢٤) كتاب المناسك ، ٦٥ باب فتل القلائد .

(١٣) في (٢٥) كتاب المناسك ، ٩٤ باب تقليد البدن ، (٣٠٩٥) .

(١٤) ٢٦٠٨

وأخرجه الحميدي^(١)، وأحمد^(٢)، والبخاري^(٣)، ومسلم^(٤)، وأبو داود^(٥)،
والنسائي^(٦)، وابن ماجه^(٧)، من طريق عروة، عن عائشة - رضي الله عنها - .
وروايات حديث عائشة - رضي الله عنها - كثيرة، وكلها تنص على أن
النبي ﷺ كان حلالاً ولم يحرم.

٤ شرح غريبه :

* قولها : ((فَتَلْتُ))، الفَتْلُ: لِيْ وَبَرَمُ شِعْبِي الحبل، وهو: الجَذَل، قال
الليث: ((الفتل: لي الشيء كليك الحبل))^(٨)، وقال صاحب القاموس : ((أَبْرَمَ
الحبل : جعله طاقَيْنِ ثم فتله))^(٩)، وقال أيضاً : ((جدله يجدله : أحكم
فَتْلَهُ))^(١٠).

* وقولها : ((القلائد))، هي : الحبال من الصوف التي تُعلَق في عنق الهدي
ليعرف أنه هدي، قال أبو عبد الله : محمد بن أبي نصر الحميدي - ت ٤٨٨هـ :

(١) ٢٠٨

(٢) ٣٦/٦، ١٨٥، ٢٠٠، ٢٢٥

(٣) في (٢٥) كتاب الحج، ١٠٧ باب فتل القلائد، (١٦٩٨).

(٤) في (٧) كتاب الحج، ٦٤ باب استحباب بعث الهدي إلى الحرم، (١٣٢١).

(٥) في (١١) كتاب المناسك، ١٦ باب من بعث هديه وأقام، (١٧٥٨).

(٦) في (٢٤) كتاب المناسك، ٦٥ باب فتل القلائد.

(٧) في (٢٥) كتاب المناسك، ٩٤ باب تقليد الغنم.

(٨) كما في تهذيب اللغة مادة : فتل ٢٨٩/١٤

(٩) مادة : برم : ١٣٩٤

(١٠) مادة : جدل : ١٢٦٠

((قلائد الهدي : ما يُعلّق في عنقه ليعلم أنه هدي))^(١)، وقال القاضي عياض -
ت ٥٤٤هـ - : ((تقليد الهدي وقلائد الهدي هو : أن يعلق في عنقه نعل أو
جلدة أو شبه ذلك علامة له))^(٢)، وهي هنا من الصوف بدليل ما جاء في رواية
القاسم بن محمد عن عائشة - رضي الله عنها - بلفظ : ((فَتَلَّتْ قَلَائِدَهَا مِنْ
عِهْنٍ كَانَ عِنْدِي))^(٣)، وَالْعِهْنُ : الصوف، قال الحميدي : ((الْعِهْنُ : الصوف
الملون، الواحدة عَهْنَةٌ، وهي القطعة من الْعِهْنِ))^(٤).

(١) تفسير غريب ما في الصحيحين ٥٠٣

(٢) مشارق الأنوار ١٨٤/٢

(٣) أخرجه البخاري في (٢٥ كتاب الحج، ١١١ باب القلائد من الْعِهْنِ، ١٧٠٥)، ومسلم

في (٧ كتاب الحج، ٦٤ باب استحباب بعث الهدي إلى الحرم، ١٣٢١) وغيرها.

(٤) تفسير غريب ما في الصحيحين ٥٠٥

الخاتمة

تظهر من خلال هذه الدراسة عدة نتائج يتم إجمال أهمها فيما يلي :

١. حاجة أبواب علم مصطلح الحديث إلى الإكمال، وذلك بأن يضاف إليها ما يتعلق بمعرفة زيادات رواة الكتب على مؤلفيها، وتعد زيادات القطيعي على مسند الإمام أحمد برواية ابنه عبد الله مثلاً لها.
٢. أن غاية أكثر هؤلاء الرواة أصحاب الزيادات - أداء ما سمعوا ونقل الأحاديث دون تمييز بين الثابت وغيره؛ لأنهم ليسوا من الأئمة النقاد الذين يعنون بانتقاء مروياتهم، ويعرفون أحوال الرواة.
٣. أن لقطيعي زيادات قليلة على مسند الإمام أحمد برواية ابنه عبد الله، بلغت أربعة أحاديث.
٤. أنه روى أكثرها بأسانيد واهية، ويروي عن شيوخ له اقموا بالكذب، وفيها من الرواة كذلك.
٥. أن تقدم وفاة المعدل على وفاة الراوي، من أسباب خفاء حاله على المعدل عند تعارض الجرح والتعديل في الراوي، وسبق أن الإمام أحمد حسن حال محمد بن يونس الكندي^(١) مع أن جمهور الأئمة على خلافه، وهو محمول على أن الإمام أحمد وثقه بناء على ما علمه من حاله قبل وفاته، إذ توفي قبله بخمس وأربعين سنة، وهي المدة التي تبين فيها حاله لغالب الأئمة الذين رموه بالكذب.
٦. الأصل اتصال رواية الثقة الذي لم يوصف بالتدليس عمن عاصره بحيث يمكن سماعه منه، أو سمع منه إلا إذا نص أحد الأئمة النقاد على أن هذا الراوي لم يسمع من شيخه إلا أحاديث معدودة، مثل القعني، فقد نص أبو

(١) انظر : ص: ١٣٤ من هذا البحث.

داود وغيره على أنه لم يسمع من شيخه شعبة إلا حديثاً واحداً^(١).
٧. ضرورة التنبيه عند دراسة كتب الرواية إلى ما هو أصيل من صنيع صاحب الكتاب، وإلى ما هو زيادات عليه، حتى يَصْدُقَ الحكم على تلك الكتب، وتُعرف مناهج أصحابها وشروطهم، ونحو ذلك.

(١) انظر : ص : ١٤٧ من هذا البحث.

المراجع

- القرآن الكريم.
- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، لأحمد بن أبي بكر البوصيري، تحقيق: عادل السعد، نشر : مكتبة الرشد في الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
- إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق : د. زهير الناصر، نشر : الجامعة الإسلامية في المدينة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لعلي بن بلبان الفارسي، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- الإرشاد في معرفة علماء الحديث، لأبي يعلى الخليل بن عبد الله الخليلي القزويني، تحقيق : د. محمد سعيد عمر، نشر : مكتبة الرشد في الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار، للحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر النمري، تحقيق : الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي، نشر : مؤسسة الرسالة في بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
- إطراف المسند المعتلي بأطراف المسند الحنبلي، للحافظ ابن حجر، تحقيق : د. زهير بن ناصر الناصر، نشر : دار ابن كثير في دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
- أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق : د. محمد بن سعد آل سعود، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- الإكمال في رفع الارياب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، لابن ماكولا، تحقيق : عبد الرحمن المعلمي، نشر : محمد أمين ، في بيروت.

- الأنساب، للسمعاني، تحقيق : عبد الرحمن العلمي، نشر : مجلس دائرة المعارف العثمانية في الهند، الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ.
- اختصار علوم الحديث، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي - مع الباعث الحثيث، لأحمد شاكر -، نشر : دار العاصمة في الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- البحر الزخار المعروف بمسند أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، تحقيق : د. محفوظ الرحمن زين الله، نشر : مكتبة العلوم والحكم في المدينة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
- البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير، تحقيق : د. أحمد أبو ملح، نشر : دار الكتب العلمية في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- برنامج محمد بن جابر الوادي آشي، تحقيق : محمد الحبيب الهيلة، نشر : مركز البحوث العلمي في مكة المكرمة، طبعة ١٤٠١هـ.
- تأريخ أسماء الضعفاء والمتروكين، لأبي جعفر عمر بن أحمد بن شاهين، تحقيق : د. عبد الرحيم القشقرى، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- التأريخ الأوسط، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق : محمد ابن إبراهيم اللحيدان، نشر : دار الصميعي في الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- التأريخ الكبير، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق : عبد الرحمن العلمي، نشر : دار الكتب العلمية في بيروت.
- تأريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، نشر : دار الكتب العلمية في بيروت.
- تأريخ عثمان بن سعيد الدارمي عن يحيى بن معين، تحقيق : د. أحمد محمد نور سيف، نشر : دار المأمون للتراث في دمشق.
- التأريخ، ليحيى بن معين، رواية الدوري، تحقيق : د. أحمد محمد نور

سيف، نشر: مركز البحث العلمي في جامعة الملك عبد العزيز في مكة،
الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.

- تجريد أسانيد الكتب المشهورة، انظر : المعجم المفهرس.
- التدوين في أخبار قزوين، لعبد الكريم بن محمد الرافي القزويني، تحقيق :
عزيز الله العطاردي، نشر : المطبعة العزيزية في الهند، ١٤٠٤هـ.
- تذكرة الحفاظ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، نشر : دار
الفكر العربي.

• التذكرة بمعرفة رجال الكتب العشرة، للحسيني، تحقيق : د. رفعت
فوزي، نشر : مكتبة الخانجي في القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

- ترتيب أسماء الصحابة الذين أخرج حديثهم أحمد بن حنبل في مسنده،
للحافظ أبي القاسم : علي بن الحسين بن عساكر، تحقيق : د. عامر صبري،
نشر : دار البشائر الإسلامية في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

• ترتيب تاريخ ثقات أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي، لعلي بن أبي بكر
الهيثمي، تحقيق : د. عبد المعطي قلعجي، نشر : دار الكتب العلمية في
بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني،
تحقيق : د. إكرام الله إمداد، نشر : دار البشائر الإسلامية في بيروت، الطبعة
الأولى ١٤١٦هـ.

• تغليق التعليق على صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني،
تحقيق : سعيد عبد الرحمن القزقي، نشر : المكتب الإسلامي في الأردن،
الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

- تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، لأبي عبد الله محمد بن
أبي نصر الحميدي، تحقيق : د. زبيدة محمد سعيد، نشر : مكتبة السنة في
القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

- تقريب التهذيب، لابن حجر، تحقيق : محمد عوامة، نشر : دار الرشيد في حلب، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- التقييد لمعرفة الرواة والسنن والمسانيد، لأبي بكر محمد بن عبد الغني بن نفضة، طبع بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية في الهند، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
- التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، لعبد الرحمن بن الحسين العراقي، نشر: دار الحديث في بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.
- تهذيب التهذيب، للحافظ ابن حجر العسقلاني، نشر : دار الفكر في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
- تهذيب اللغة، لأبي منصور : محمد بن أحمد الأزهرى، نشر : دار القومية العربية في مصر، طبعة ١٣٨٤هـ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
- تهذيب الكمال، لأبي الحجاج يوسف المزى، تحقيق : د. بشار عواد، نشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- الثقات، للحافظ ابن حبان، نشر : مكتبة مدينة العلم في مكة، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، تحقيق : شعيب الأرناؤوط، نشر : مؤسسة الرسالة في بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، نشر : دار السلام في الرياض، بإشراف معالي الشيخ : صالح بن عبد العزيز آل الشيخ - مع موسوعة الكتب الستة-.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، نشر : بيت الأفكار الدولية

- في الرياض، طبعة ١٤١٩هـ.
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق : محمود الطحان، نشر : مكتبة المعارف في الرياض، طبعة ١٤٠٣هـ.
- الجرح والتعديل، لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، نشر : دار الكتب العلمية في بيروت، الطبعة الأولى ١٣٧٢هـ.
- جزء الألف دينار وهو الخامس من الفوائد المنتقاة والأفراد الغرائب الحسان، لأبي بكر أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي، تحقيق : بدر بن عبد الله البدر، نشر : دار النفائس في الكويت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
- حلية الأولياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، نشر : دار الكتاب العربي في بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ.
- خصائص المسند، لأبي موسى محمد بن عمر المديني، تحقيق : أحمد محمد شاكر، نشر : دار المعارف في مصر ١٣٧٧هـ، في مقدمة مسند الإمام أحمد.
- ذكر أخبار أصبهان، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، نشر : الدار العلمية في الهند، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.
- الرسالة المستطرفة لبیان مشهور كتب السنة المشرفة، لـ محمد بن جعفر الكتاني، نشر : دار البشائر الإسلامية في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- زوائد عبد الله بن أحمد بن حنبل في المسند، للدكتور عامر حسن صبري، نشر : دار البشائر الإسلامية في بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- سؤالات أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد، ليحيى بن معين، تحقيق : أحمد بن محمد نور سيف، نشر مكتبة الدار في المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- سؤالات أبي بكر أحمد بن محمد البرقاني، للدارقطني، تحقيق :

د. عبد الرحيم القشقري، نشر: خانة جميلي في باكستان، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

• سؤالات أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد السلمي، للدارقطني في الجرح والتعديل، تحقيق: سليمان آتش، نشر: دار العلوم في الرياض ١٤٠٨هـ.

• سؤالات أبي عبيد الآجري، لأبي داود السجستاني، تحقيق: د. عبد العليم بن عبد العظيم، نشر: دار الاستقامة في مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

• سؤالات حمزة بن يوسف السهمي، للدارقطني، تحقيق: موفق عبد الله بن عبد القادر، نشر: مكتبة المعارف في الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

• سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، نشر: دار السلام في الرياض، بإشراف معالي الشيخ: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ - مع موسوعة الكتب الستة .

• سنن أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه، نشر دار السلام في الرياض بإشراف معالي الشيخ: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ - مع موسوعة الكتب الستة .

• سنن النسائي الصغرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، نشر: دار السلام في الرياض، بإشراف معالي الشيخ: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ - مع موسوعة الكتب الستة .

• سير أعلام النبلاء، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، نشر: مؤسسة الرسالة في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

• شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، نشر: دار الآفاق في بيروت.

• شرح معاني الآثار، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، تحقيق:

محمد زهري النجار، نشر : دار الكتب العلمية في بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.

• صحيح أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، نشر : المكتب الإسلامي في بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.

• صحيح البخاري، انظر : الجامع الصحيح المختصر.

• صحيح الترغيب والترهيب، ل محمد بن ناصر الدين الألباني، نشر: المكتب الإسلامي في بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

• صحيح مسلم، انظر : المسند الصحيح المختصر.

• الضعفاء الكبير، لأبي جعفر أحمد بن عمرو العقيلي، تحقيق : د. عبد المعطي قلعجي، نشر: دار الكتب العلمية في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

• الضعفاء والمتروكين، لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني، تحقيق : موفق عبد الله بن عبد القادر، نشر : مكتبة المعارف في الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

• الضعفاء والمتروكين، لأبي الفرج : عبد الرحمن بن علي الجوزي، تحقيق : عبد الله القاضي، نشر : دار الكتب العلمية في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

• طبقات الحنابلة، للقاضي أبي الحسن محمد بن أبي يعلى، نشر : دار المعرفة في بيروت.

• طبقات علماء الحديث، لابن الهادي، تحقيق: أكرم البوشي، نشر: دار إحياء الكتب العربية في مصر.

• الطبقات الكبرى، ل محمد بن سعد، نشر : دار بيروت، في بيروت ١٤٠٠هـ.

• العلل الواردة في الحديث النبوي، للدارقطني، تحقيق : د. محفوظ الرحمن السلفي، نشر : دار طيبة في الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

• العلل ومعرفة الرجال، لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، رواية ابنه

- عبد الله، تحقيق : وصي الله عباس، نشر : المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- علم زوائد الحديث، للدكتور خلدون الأحذب، نشر : دار القلم في دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
 - علوم الحديث، لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشَّهْرَزُورِي بن الصلاح، تحقيق: نور الدين عتر، نشر : دار الفكر في دمشق، ١٤٠٦هـ.
 - غريب الحديث، للإمام الحري، تحقيق : د. سليمان العايد، نشر : دار المدني في جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
 - فتح الباري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق : محب الدين الخطيب، نشر : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض.
 - الفتح الرباني بترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، للعلامة : أحمد ابن عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي، نشر : دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية.
 - فضائل الصحابة، للإمام أحمد، تحقيق : وصي الله بن محمد عباس، نشر : مركز البحث العلمي في مكة، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
 - فهرسة، لأبي بكر محمد بن خير الأموي الأشبيلي، نشر : مطبعة قومش في سرقة، ١٨٩٣هـ.
 - الفوائد المنتقاة والأفراد، انظر : جزء الألف دينار.
 - قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق : عبد القادر الأرَنْزُوط، نشر : دار البيان في دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
 - القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، نشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
 - الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: عزت علي عيد عطية، نشر دار الكتب

الحديث في القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٢.

- الكامل في ضعفاء الرجال، لأبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني، نشر : دار الفكر في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
- لسان العرب، لأبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، نشر: دار صادر في بيروت.
- لسان الميزان، لابن حجر، نشر : دار الفكر في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- المجروحين من الخدثين والضعفاء والمتروكين، لأبي حاتم محمد بن حبان البستي، تحقيق : محمود إبراهيم زايد، نشر : دار الوعي في حلب.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن أبي بكر الهيثمي، نشر : دار الكتاب العربي في بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.
- المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، للحافظ ابن حجر، تحقيق : د. يوسف المرعشلي، نشر : دار المعرفة في بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- مسائل عبد الله بن الإمام أحمد : انظر : العلل ومعرفة الرجال.
- المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، نشر : دار إحياء التراث العربي في بيروت.
- مسند أبي بكر عبد الله بن الزبير الحميدي، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي، نشر: عالم الكتب في بيروت.
- مسند أبي داود الطيالسي - سليمان بن داود-، نشر دار المعرفة في بيروت.
- مسند أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق : عبد الله هاشم، نشر: حديث أكاديمي في باكستان ١٤٠٤هـ.
- مسند أبي يعلى الموصلي - أحمد بن علي المثنى-، تحقيق : حسين سليم

- أسد، نشر: دار المأمون للتراث في دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
- مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، نشر: دار صادر في بيروت.
 - مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض اليعصب، نشر: المكتبة العتيقة في تونس.
 - المصعد الأحمدي في ختم مسند الإمام أحمد، لابن الجزري، المطبوع في أول مسند الإمام أحمد، تحقيق: أحمد شاكر، نشر: دار المعارف في مصر ١٣٧٧هـ.
 - مصنف عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، نشر: المكتب الإسلامي في بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.
 - المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: أيمن أبويعمان، وأشرف صلاح علي، نشر: مؤسسة قرطبة ١٤١٨هـ.
 - معالم السنن - شرح سنن أبي داود -، لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، نشر: المكتبة العلمية في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.
 - المعجم المفهرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنشورة -، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد شكور، نشر: مؤسسة الرسالة في بيروت الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
 - معرفة الرجال، ليعحي بن معين، رواية أحمد بن محمد بن مخرز، تحقيق: محمد كامل القصار، نشر: مجمع اللغة العربية في دمشق ١٤٠٥هـ.
 - المعرفة والتاريخ، لأبي يوسف يعقوب بن سفيان البسوي، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، نشر مؤسسة الرسالة في بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.
 - المغني في الضعفاء، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. نور الدين عتر.
 - المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن

- الجوزي، تحقيق : نعيم زرزور، نشر : دار الكتب العلمية في بيروت.
- منهاج السنة في نقض كلام الشيعة والقدرية لشيخ الإسلام ابن تيمية، نشر : مكتبة الرياض الحديثة في الرياض.
 - موطأ الإمام مالك بن أنس، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، نشر : دار إحياء الكتب العربية لعيسى الباي الحلبي.
 - ميزان الاعتدال في نقد الرجال لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق : علي البجاوي، نشر : دار المعرفة في بيروت.
 - النكت على كتاب ابن الصلاح، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق : مسعود عبد الحميد السعدي، نشر : دار الكتب العلمية في بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
 - النكت على مقدمة ابن الصلاح، للزركشي، تحقيق : زين العابدين بن محمد، نشر دار أضواء السلف في الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
 - النهاية في غريب الحديث، لأبي السعادات بن الأثير، تحقيق : طاهر الزاوي، نشر : المكتبة العلمية في بيروت.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٩١
الفصل الأول : الدراسة	٩٥
المبحث الأول : التعريف بعبد الله ابن الإمام أحمد	٩٦
المبحث الثاني : التعريف بالقَطيبي	٩٩
أولاً : اسمه ونسبه	٩٩
ثانياً : ولادته ونشأته	٩٩
ثالثاً : شيوخه	١٠٠
رابعاً : تلاميذه	١٠١
خامساً : مكانته العلمية	١٠٤
سادساً : آثاره ومؤلفاته	١٠٧
سابعاً : وفاته	١٠٨
المبحث الثالث : التعريف بمسند الإمام أحمد	١٠٩
المبحث الرابع : التعريف بزيادات الرواة	١١٦
المطلب الأول : معناها	١١٦
المطلب الثاني : أنواعها	١١٦
المبحث الخامس : التعريف بزيادات القَطيبي	١٢٢
الفصل الثاني : تخريج زيادات القَطيبي	١٢٥
الحديث الأول	١٢٦
الحديث الثاني	١٣٣

١٤٢ الحديث الثالث
١٤٩ الحديث الرابع
١٥٦ الخاتمة
١٥٨ المراجع
١٦٩ فهرس الموضوعات

سُدُّ الذَّرَائِعِ فِي مَسَائِلِ الْعَقِيدَةِ عَلَى ضَوْءِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ

إِعْدَادُ

د. عَبْدَ اللَّهِ بْنُ شَاكِرِ الْجُنَيْدِيِّ

الرَّشَادِ السَّاعِدِ فِي ظِلِّهِ الْعَالَمِينَ بِالْفَقْهَةِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾^(١) .
﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾^(٢) .
﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾^(٣) .
أما بعد :

فلعل من نافلة القول ومكرور الكلام أن يقال : إن التوحيد وإفراد الله بجميع أنواع العبادة أساس دعوة الأنبياء والمرسلين، فما من نبي بُعث في قومه إلا أمرهم به ودعاهم إليه، كما قال تعالى : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾^(٤) ، وهو مفتتح دعوة الأنبياء والمرسلين، فكل منهم قال لقومه : (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)، والمتبع لكتاب الله الكريم يجد هذا واضحاً فيه غاية الوضوح، كما أنه كان من أعظم ما اعتنى به نبينا الأمين ﷺ حيث مكث في مكة ثلاثة عشر عاماً يركز ويؤكد الدعوة إلى هذا

(١) آل عمران / آية : ١٠٢ .

(٢) النساء / آية : ١ .

(٣) الأحزاب / آية : ٧٠ ، ٧١ .

(٤) الأنبياء / آية : ٢٥ .

التوحيد، ثم بعد هجرته كان ينافح ويدافع ويزيل العقبات التي تعترض طريقه، حتى يُبلِّغ ما أوحى الله به ويدخل الناس بهذا التوحيد إلى الدين الذي ارتضاه الله لهم، ووضع القواعد اللازمة لصيانته، وقضى على كل وسيلة مفضية إلى الإخلال به، وسدَّ كل ذريعة يمكن أن تؤدي إلى شائبة فيه — كما سيتضح من خلال هذا البحث — إن شاء الله تعالى — وهذا من كمال الشريعة ومقاصدها الحميدة.

يقول العلامة ابن القيم — رحمه الله — : «لما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تفضي إليها كانت طرقها وأسبابها تابعة لها معتبرة بها، فوسائل المحرمات والمعاصي في كراهتها والمنع منها بحسب إفضائها إلى غاياتها وارتباطاتها بها، ووسائل الطاعات والقربات في محبتها والإذن فيها بحسب إفضائها إلى غايتها، فوسيلة المقصود تابعة للمقصود وكلاهما مقصود لكنه مقصود قصد الغايات، وهي مقصودة قصد الوسائل، فإذا حرّم الرب تعالى شيئاً وله طرق ووسائل تفضي إليه فإنه يحرمها ويمنع منها، تحقيقاً لتحريمه وتثبيتاً له، ومنعاً أن يقرب حماه، ولو أباح الوسائل والذرائع المفضية إليه لكان ذلك نقضاً للتحريم، وإغراءً للنفوس به، وحكمته تعالى وعلمه يأبى ذلك كل الإباء» (١).

ولأهمية هذا الموضوع وتحليلته، وعدم وجود كتاب يجمع شتات ما تفرق من أقوال لعلماء السلف فيه، استعنت الله عز وجل في الكتابة حوله سائلاً العلي الأعلى أن ينفع به.

وقد تضمن البحث بعد هذه المقدمة والتمهيد خمسة فصول وخاتمة، وبيان ذلك فيما يلي:

- المقدمة : وقد بينت فيها أهمية دراسة هذا الموضوع والكتابة حوله .
- التمهيد : وقد بينت فيه مفهوم الذريعة ، والأدلة على وجوب سدها من القرآن والسنة وأقوال بعض الأئمة .
- الفصل الأول : سد الذرائع المؤدية إلى الشرك الأكبر .
- a. وتحتة ثلاثة مباحث:
- المبحث الأول : تعريف الشرك الأكبر وبيان خطورته .
- المبحث الثاني : بعض الآيات والأمثلة المتعلقة بسد الذرائع إلى الشرك الأكبر .
- المبحث الثالث : بعض أحاديث سد الذرائع المتعلقة بالشرك الأكبر .
- الفصل الثاني : سد الذرائع المؤدية إلى الشرك الأصغر .
- وتحتة مبحثان:
- ١ - المبحث الأول : سد الذرائع في الألفاظ .
- ٢ - المبحث الثاني : سد الذرائع في الأعمال .
- الفصل الثالث : سد الذرائع في توحيد المعرفة والإثبات .
- وتحتة مبحثان:
- ١ - المبحث الأول : سد الذرائع في مضاهاة أفعال الله تعالى .
- ٢ - المبحث الثاني : سد الذرائع في توحيد الأسماء والصفات .
- الفصل الرابع : سد الذرائع المتعلق بالنبوة والرسالة .
- وتحتة أربعة مباحث :
- ١ - المبحث الأول : تأييد الأنبياء بمعجزات لا تحصل لغيرهم .
- ٢ - المبحث الثاني : النهى عن المفاضلة بين الأنبياء .
- ٣ - المبحث الثالث : إرسال المرسلين بلسان أقوامهم ليعقلوا خطابهم .
- ٤ - المبحث الرابع : نهى المؤمنين عن مخاطبة النبي ﷺ بلفظ «راعنا» .

● الفصل الخامس : سد الذرائع المتعلق بالإمامة والخروج على الحاكم •
وتحته مبحثان :

١- المبحث الأول : وجوب تنصيب إمام واحد والاجتماع عليه •

٢- المبحث الثاني : ترك الخروج على الحاكم وطاعته في غير معصية الله •

● الخاتمة :

هذا وقد جعلته بين التطويل الممل والتقصير المخل، مع رغبة في العودة إليه عند فسحة من الوقت •

وأسأل الله عز وجل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يثيبني عليه خيراً يوم الدين، وأن يغفر لي ولوالدي ولجميع المسلمين •

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين •

التمهيد : ويشتمل على ما يلي :

- ١- تعريف الذريعة ومفهوم سد الذرائع .
- ٢- الأدلة على وجوب سد الذرائع .

أولاً: تعريف الذريعة:

الذريعة : هي الوسيلة والسبب إلى الشيء، وأصلها عند العرب : الناقة التي يستتر بها رامى الصيد حتى يصل إلى صيده ^(١) .

قال ابن تيمية : «والذريعة : ما كان وسيلة وطريقاً إلى الشيء، لكن صارت في عرف الفقهاء عبارة عما أفضت إلى فعل محرم، ولو تجردت عن ذلك الإفضاء لم يكن فيها مفسدة، ولهذا قيل : الذريعة: الفعل الذي ظاهره أنه مباح وهو وسيلة إلى فعل المحرم» ^(٢) .

وقال الشاطبي : «حقيقة الذريعة :التوسل بما هو مصلحة إلى مفسدة» ^(٣) .
والذرائع بذلك تختلف عن الحيل، فسد الذرائع مطلوب، والحيل محرمة لا تجوز، لأن حقيقتها :تقديم عمل ظاهر الجواز لإبطال حكم شرعي وتحويله في الظاهر إلى حكم آخر، كالواهب ماله عند رأس الحول فرارا من الزكاة ^(٤) .
قال ابن تيمية :«واعلم أن تجويز الحيل يناقض سد الذرائع مناقضة ظاهرة، فإن الشارع سد الطريق إلى ذلك المحرم بكل طريق، والمحتال يريد أن يتوسل إليه» ^(٥) .

(١) لسان العرب جـ ٨/ ٩٦ ، والقاموس المحيط جـ ٣/ ٢٤ .

(٢) مجموعة الفتاوى الكبرى جـ ٣/ ١٣٩ .

(٣) الموافقات جـ ٣/ ١٩٩ .

(٤) المرجع السابق جـ ٣/ ٢٠١ .

(٥) مجموعة الفتاوى الكبرى جـ ٣/ ١٤٥ .

وقال ابن القيم : «وتجوز الحيل يناقض سد الذرائع مناقضة ظاهرة فإن الشارع يسد الطريق إلى المفسد بكل ممكن، واحتال يفتح الطريق إليها بحيلة، فأين من يمنع من الجائز خشية الوقوع في المحرم إلى من يعمل الحيلة في التوصل إليه»^(١).

ثانياً: الأدلة على وجوب سد الذرائع:

دل القرآن والسنة والإجماع على وجوب سد الذرائع وإليكم بعض ما جاء من ذلك .

أولاً: أدلة القرآن الكريم:

١ - قال تعالى : ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم﴾^(٢).

وجه الدلالة من الآية : أن الله سبحانه وتعالى هي المؤمنين عن سب آلهة المشركين، وإن كان فيه مصلحة، إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها، وهي سب المشركين لله عز وجل، فكان النهي سبباً لهذه الذريعة، وهذا دليل على المنع من الجائز إذا كان يؤدي إلى محرم .

قال القرطبي : «في هذه الآية ضرب من الموانع، ودليل على وجوب الحكم بسد الذرائع»^(٣).

ونقل القاسمي عن بعض العلماء قوله في الآية : «إنه متى خيف من سب الكفار وأصنامهم أن يسبوا الله، أو رسوله، أو القرآن لم يجوز أن يُسبوا ولا دينهم، قال : وهي أصل في قاعدة سد الذرائع»^(٤).

(١) إعلام الموقعين جـ ٣ / ١٧١ .

(٢) الأنعام / آية : ١٠٨ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن جـ ٤ / ٢٤٩٧ .

(٤) محاسن التأويل جـ ٦ / ٢٤٦٣ .

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدى : «وفي هذه الآية الكريمة دليل للقاعدة الشرعية، وهو أن الوسائل تعتبر بالأمر التي توصل إليها، وأن وسائل المحرم، ولو كانت جائزة تكون محرمة إذا كانت تفضى إلى الشر»^(١).

٢- وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢).

وجه الدلالة من الآية : أن الله سبحانه وتعالى فهمي المؤمنين عن كلمة «راعنا»، ومعناها عندهم راعنا سمعك، أى : اسمع لنا ما نريد أن نسأل عنه ونراجعك فيه، وهذا معنى صحيح، ولكن الله فهمهم عنها سدا للذريعة، لأن اليهود كانوا يقولونها لاوين بها ألسنتهم، لتوافق كلمة شتم عندهم، أو نسبة النبي ﷺ إلى الرعونة.

وسياتى كلام على هذه الآية - إن شاء الله تعالى - فى الفصل الخامس من هذا البحث.

ثانياً : الأدلة من السنة النبوية :

١- عن عبدالله بن عمرو - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ ((إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه . قيل يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال : يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه))^(٣).

(١) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان جـ ٢ / ٤٥٤، ٤٥٥ .

(٢) البقرة / آية : ١٠٤ .

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب الأدب باب ٤ جـ ١٠ / ٤٠٣، ومسلم كتاب الإيمان باب

٣٨ ط/ ٩٢ وأبو داود فى كتاب الأدب باب ١٢٩ جـ ٥ / ٣٥٢ .

ووجه الدلالة من هذا الحديث : أن النبي ﷺ جعل الرجل لاعناً لأبويه إذا كان سبياً في ذلك، وإن لم يقصده .

قال النووي - رحمه الله - في شرحه للحديث «فيه دليل على أن من تسبب في شيء جاز أن ينسب إليه ذلك الشيء، وإنما جعل هذا عقوقاً لكونه يحصل منه ما يتأذى به الوالد تأذياً ليس بالهين وفيه قطع الذرائع، فيؤخذ منه النهي عن بيع العصير ممن يتخذ الخمر، والسلاح ممن يقطع الطريق ونحو ذلك . والله أعلم»^(١).

وقال ابن حجر : «قال ابن بطلال : هذا الحديث أصل في سد الذرائع، ويؤخذ منه أن من آل فعله إلى محرم يحرم عليه ذلك الفعل، وإن لم يقصد إلى ما يحرم، والأصل في هذا الحديث : قوله تعالى : ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله﴾^(٢).

٢- قال عبدالله بن أبي بن سلول في غزوة بني المصطلق : «أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فبلغ النبي ﷺ فقام عمر فقال : يا رسول الله : دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال النبي ﷺ : «دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»^(٣).

ووجه الدلالة من قول النبي ﷺ هذا، أنه كان يكف عن قتل المنافقين مع كونه مصلحة، لئلا يكون ذريعة لتفجير الناس عنه وقولهم : إن محمداً يقتل أصحابه .

يقول ابن تيمية في ذلك : «إن النبي ﷺ كان يكف عن قتل المنافقين مع كونه مصلحة لئلا يكون ذريعة إلى قول الناس أن محمداً ﷺ يقتل أصحابه

(١) شرح النووي على مسلم جـ ٢ / ٨٨ .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري جـ ١٠ / ٤٠٤ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير جـ ٨ / ٦٤٨ ، ومسلم في كتاب البر باب ١٦ جـ ٤

١٩٩٨ /

لأن هذا القول يوجب النفور عن الإسلام ممن دخل فيه، وممن لم يدخل فيه، وهذا النفور حرام»^(١).

ثالثاً: الإجماع :

أجمع الصحابة على بعض المسائل التي يمكن أن يستدل بها على وجوب سد الذرائع، وقد اعتبرها أهل العلم أدلة على سد الذرائع واحتجوا بها، كما عمل بها كثير من الأئمة، وإليك بعض الأدلة.

١- إن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ورثوا المطلقة المبتوتة في مرض الموت، حيث يتهم بقصد حرمانها من الميراث بلا تردد، وإن لم يقصد الحرمان، لأن الطلاق ذريعة وأما حيث لا يتهم ففيه خلاف معروف^(٢).

وقد رجح ابن قدامة توريتها فقال: «وإن كان الطلاق في المرض المخوف، ثم مات من مرضه ذلك في عدتها ورثته، ولم يرثها إن ماتت، وروى عن عتبة بن عبد الله بن الزبير لا ترث مبتوته، ولنا: أن عثمان - رضى الله عنه - ورث تماضر بنت الأصبع الكلبية من عبد الرحمن بن عوف، وكان طلقها في مرضه فبتها، واشتهر ذلك في الصحابة فلم ينكر فكان إجماعاً»^(٣).

٢- إجماع الصحابة - رضى الله عنهم - وعامة الفقهاء على قتل الجماعة بالواحد، وإن كان قياس القصاص يمنع ذلك، لئلا يكون عدم القصاص ذريعة إلى التعاون على سفك الدماء، قال ابن قدامة: «.....».

(١) مجموعة الفتاوى الكبرى جـ ٣ / ١٤٠ .

(٢) انظر مجموعة الفتاوى الكبرى لابن تيمية جـ ٤ / ١٤٣ .

(٣) المغني جـ ٦ / ٣٢٩، ٣٣٠ .

ولأن القصاص لو سقط بالاشتراك أذّن إلى التسارع إلى القتل به، فيؤدى إلى إسقاط حكمة الردع والزجر»^(١).

وقد تتابع كثير من العلماء على اعتبار سد الذرائع، وحكمها الإمام مالك في أكثر أبواب الفقه، كما ذكر الشاطبي^(٢)، وقال بعد أن ذكر خلافا بين الإمامين مالك والشافعي: «فقد ظهر أن قاعدة سد الذرائع متفق على اعتبارها في الجملة»^(٣).

وقال ابن بدران: «سد الذرائع هو مذهب مالك وأصحابنا»^(٤). يعنى الحنابلة.

وقد قال بها ابن تيمية، وذكر لها ثلاثين شاهدا من الشريعة يدل عليها^(٥)، وتوسع ابن القيم فذكر تسعة وتسعين دليلا عليها، وختم كلامه بقوله: «ولنقتصر على هذا العدد من الأمثلة الموافق لأسماء الله الحسنى التى من أحصاها دخل الجنة....» وباب سد الذرائع أحد أرباع التكليف، فإنه أمر ونهى، والأمر نوعان: أحدهما: مقصود لنفسه، والثانى: وسيلة إلى المقصود، والنهى نوعان: أحدهما: ما يكون المنهى عنه مفسدة فى نفسه. والثانى: ما يكون وسيلة إلى المفسدة، فصار سد الذرائع المفضية إلى الحرام أحد أرباع الدين»^(٦).

(١) المرجع السابق جـ ٧ / ٦٧٢، ومجموعة الفتاوى الكبرى جـ ٤ / ١٤٣.

(٢) الموافقات جـ ٤ / ١٩٨.

(٣) المرجع السابق جـ ٤ / ٢٠٠، ٢٠١.

(٤) المدخل إلى مذهب أحمد / ١٣٨.

(٥) مجموعة الفتاوى الكبرى جـ ٣ / ١٣٨ - ١٤٥.

(٦) إعلام الموقعين جـ ٣ / ١٧١.

الفصل الأول : سد الذرائع المؤدية إلى الشرك الأكبر المبحث الأول : تعريف الشرك الأكبر وبيان خطورته

الشرك الأكبر : هو أن يجعل العبد لله شريكاً ونداً في ربوبيته وإلهيته، وأغلب شرك المشركين وقع في توحيد الإلهية كدعاء غير الله، أو صرف أى لون من ألوان العبادة لغير الله كالذبح والنذر والخوف والرجاء والحبة وما إلى ذلك . والشرك بالله أعظم ذنب عصى الله به، فهو أظلم الظلم، وأكبر الكبائر، وما هلك الأمم الغابرة وأعدت لهم النيران في الآخرة إلا بالشرك، وما أرسل الله الأنبياء والمرسلين وأنزل عليهم الكتب بالحق المبين إلا للتحذير منه وبيان قبحه وشؤمه، ودعوة الناس إلى ضده ألا وهو تحقيق التوحيد لله رب العالمين . والشرك خطره عظيم وضرره على العبد كبير، وذلك للأسباب التالية:

١- لأنه تشبيه للمخلوق العاجز الضعيف بالواحد الأحد المتفرد بالجلال والكمال، ومن أشرك مع الله أحداً فقد شبهه به، وهذا أعظم الظلم كما في الصحيحين ^(١) . من حديث عبدالله بن مسعود - رضى الله عنه - «قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك» قال النووي: «الند: الضد والشبه، وفلان ند فلان ونديده ونديده أى: مثله .. أما أحكام هذا الحديث: ففيه أن أكبر المعاصي الشرك، وهذا ظاهر لا خفاء فيه» ^(٢) .

٢- أن الله لا يغفر لمشرك مات على الشرك دون توبة . قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ ^(٣) .

(١) أخرجه البخارى في مواضع منها كتاب التفسير باب ٣ جـ ٨ / ١٦٣ ، وكتاب التوحيد باب

٤٦ جـ ٥٠٣ / ١٣ ، ومسلم كتاب الإيمان . باب كون الشرك أقبح الذنوب جـ ١ / ٩٠ .

(٢) شرح النووي على مسلم جـ ٢ / ٨٠ ، ٨١ .

(٣) النساء / آية : ٤٨ ، ١١٧ .

- ٣- أن الله حرم الجنة على كل مشرك . قال تعالى : ﴿ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾ ^(١) .
- ٤- أن الشرك يحبط جميع الأعمال التي يعملها العبد، وتصير هباءً منثوراً في يوم الدين . قال تعالى : ﴿ ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك وتكونن من الخاسرين ﴾ . بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ^(٢) .

(١) المائدة / آية : ٧٢ .

(٢) الزمر / آية : ٦٥ ، ٦٦ .

المبحث الثاني : بعض الآيات والأمثلة المتعلقة بسد الذرائع إلى الشرك الأكبر .

بعد الوقوف على خطورة الشرك الأكبر ومفاسده وأضراره أتعرض لذكر نماذج يسيرة من القرآن والسنة جاء بها الشرع الحكيم لقطع علائق الشرك كله وما يؤدي إليه، حتى يتبين لنا كيف أن الإسلام سدَّ الذرائع المؤدية إلى الشرك، وأحكم الحديث في هذا الباب أيما إحكام ليحذر العباد من الشرك ومن الوسائل المفضية إلى حصوله ووقوعه، فمن ذلك:

- ١- الآيات الدالة على عبودية عيسى - عليه السلام - وأنه بشر رسول مخلوق ، ليس بإله، أو فيه جزء من الإله، أو أنه ابن الله - تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا-، وذلك سداً لذريعة الشرك، واتخاذها لها من دون الله أو مع الله، ودفعاً لأي شبهة ترد على الطريقة التي خلق بها . قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١).
- قال ابن تيمية :«..... فأعنى بقوله (مثل عيسى) إشارة إلى البشرية المأخوذة من مريم الطاهرة ، لأنه لم يذكر هنا اسم المسيح، إنما ذكر عيسى فقط، فإنه سبحانه خلق هذا النوع البشري على الأقسام الممكنة لبيان عموم قدرته، فخلق آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق زوجته حواء من ذكر بلا أنثى، كما قال : (وخلق منها زوجها)، وخلق المسيح من أنثى بلا ذكر، وخلق سائر الخلق من ذكر وأنثى، وكان خلق آدم وحواء أعجب من خلق المسيح، فإن حواء خلقت من ضلع آدم، وهذا أعجب من خلق المسيح في بطن مريم، وخلق آدم أعجب من هذا وهذا، وهو أصل خلق حواء فلهذا شبهه الله بخلق آدم الذي هو أعجب من خلق المسيح... وهذا كله يبين به أن المسيح عبدٌ ليس بإله، وأنه مخلوق كما خلق آدم»^(٢).

(١) آل عمران / آية : ٥٩ .

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ ٢ / ٢٩٣ - ٢٩٥ .

وقال ابن كثير: «يقول تعالى: ﴿إِنْ مِثْلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ﴾ في قدرة الله تعالى حيث خلقه من غير أب (كمثل آدم) فإنه الله تعالى خلقه من غير أب ولا أم، بل «خلقته من تراب ثم قال له كن فيكون» والذي خلق آدم قادر على خلق عيسى بطريق الأولى والأخرى، وإن جاز ادعاء النبوة في عيسى بكونه مخلوقاً من غير أب، فجواز ذلك في آدم بالطريقة الأولى، ومعلوم بالاتفاق أن ذلك باطل فدعوها في عيسى أشد بطلاناً وأظهر فساداً، ولكن الرب عز وجل أراد أن يظهر قدرته حين خلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، كما خلق البرية من ذكر وأنثى»^(١).

ويقرر ربنا في آيات أخرى بشرية عيسى وأمه — عليهما السلام — وأنها من جنس البشر، ويسلكان في الطبيعة البشرية ما يسلكه غيرهم. قال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صَدِيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نَبِّينَ لَهُمُ الْآيَاتُ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾^(٢).

يعنى أن عيسى رسول من رسل الله تعالى الذين أرسلوا هداية البشرية ودعوتها إلى توحيد الله وعبادته، وأمه صديقة من فضليات النساء، وحققتهم مساوية لحقيقة غيرهما من أفراد نوعهما وجنسهما بدليل أنهما كانا يأكلان الطعام، وكل من يأكل الطعام فهو مفتقر إلى ما يقيم بنيته ويمد حياته، إلى جانب أن أكل الطعام يستلزم الحاجة إلى دفع الفضلات، وعليه فلا يمكن أن يكون ربا خالقا، ولا ينبغي أن يكون ربا معبوداً.

قال الشوكاني في تفسيره للآية: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾، أى: هو مقصور على الرسالة لا يجاوزها كما زعمتم، وجملة ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ صفة لرسول، أى ما هو إلا رسول من جنس الرسل الذين

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ١ / ٤٠ .

(٢) المائدة / آية : ٧٩ .

خلوا من قبله، وما وقع منه من المعجزات لا يوجب كونه إلهًا، فقد كان لمن قبله من الرسل مثلها، فإن الله أحيا العصا في يد موسى، وخلق آدم من غير أب، فكيف جعلتم إحياء عيسى للموتى ووجوده من غير أب يوجبان كونه إلهًا، فإن كان كما تزعمون إلهًا لذلك، فمن قبله من الرسل الذين جاءوا بمثل ما جاء به آلهة، وأنتم لا تقولون بذلك . قوله: ﴿وَأَمَّصِدِّقَةً﴾ عطف على المسيح، أى: وما أمه إلا صديقة.... ، وذلك لا يستلزم الإلهية لها ، بل هى كسائر من يتصف بهذا الوصف من النساء . قوله: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ استئناف يتضمن التقرير لما أشير إليه من أنهما كسائر أفراد البشر: أى من كان يأكل الطعام كسائر المخلوقين فليس برب، بل هو عبد مربوب ولدته النساء، فمضى يصلح لأن يكون ربا (١) .

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدى فى تفسيره: «أى: هذا غايته ومنتهاى أمره، أنه من عباد الله المرسلين، الذين ليس لهم من الأمر، ولا من التشريع إلا ما أرسلهم به الله، وهو من جنس الرسل قبله، لا مزية له عليهم تخرجه عن البشرية إلى مرتبة الربوبية، «وأمه» مريم «صديقة» أى: هذا أيضا غايتها، أن كانت من الصديقين الذين هم أعلى الخلق رتبة بعد الأنبياء....، فإذا كان عيسى —عليه السلام — من جنس الأنبياء والرسل من قبله، وأمّه صديقة، فلاى شئ اتخذهما النصرارى إلهين مع الله؟ ، وقوله: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ دليل ظاهر على أنهما عبدان فقيران محتاجان كما يحتاج بنو آدم إلى الطعام والشراب، فلو كانا إلهين لاستغنيا عن الطعام والشراب ولم يحتاجا إلى شئ، فإن الإله هو الغنى الحميد» (٢) .

(١) فتح القدير جـ ٢ / ٦٤ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن جـ ٢ / ٣٢٦، ٣٢٧ .

وقال تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم﴾^(١) وأن مريم ولدت إلهًا، ولذلك رد الله عليهم هذا البهتان وعليه فكيف يدعون الإلهية لمن يعترف على نفسه بأنه عبد مثلهم كما أن دلائل الحدوث ظاهرة عليه^(٢).

وقال تعالى: ﴿وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلت قد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب. ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد﴾^(٣).

قال القاسمي في تفسيره: «..... ذكر تعالى أنه يعدد نعمه على عيسى بحضرة الرسل واحدة فواحدة إشعاراً بعبوديته، فإن كل واحد من تلك النعم المعدودة عليه، تدل على أنه عبد وليس بإله ثم أتبع ذلك باستفهامه لينطق بإقراره — عليه السلام — على رؤوس الأشهاد بالعبودية، وأمره لهم بعبادة الله عز وجل إكذاباً لهم في افتراءهم عليه، وتثبيتاً للحجة على قومه، فهذا سر سؤاله تعالى له، مع علمه بأنه لم يقل ذلك، وكل ذلك لتنبية النصارى الذين كانوا في وقت نزول الآية ومن تأثر بهم على قبح مقالاتهم وركاكة مذهبهم واعتقادهم»^(٤).

ومثل ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً﴾ إلى قوله: ﴿وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾^(٥).

(١) المائدة / آية: ٧٢.

(٢) انظر الدين الخالص لصديق حسن خان جـ ١ / ٢٥.

(٣) المائدة / آية: ١١٦، ١١٧.

(٤) محاسن التأويل جـ ٦ / ٢٢١٩.

(٥) مريم الآيات من ٣٠ - ٣٦.

قال ابن كثير في تفسيره: «ومما أمر عيسى به قومه وهو في مهده: أن أخبرهم إذ ذاك أن الله ربهم وربهم وأمرهم بعبادته فقال: ﴿فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾ أى: هذا الذى جئكم به عن الله صراط مستقيم، أى: قويم. من اتبعه رشد وهدى، ومن خالفه ضل وغوى»^(١).

وعن عبادة بن الصامت - رضى الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»^(٢).

(١) تفسير ابن كثير جـ ٤ / ٢٢٥.

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب الأنبياء باب ٤٧ جـ ٦ / ٤٧٤، ومسلم كتاب الإيمان جـ ١

/ ٥٨، ٥٩، وأحمد فى مسنده جـ ٥ / ٣١٣، ٣١٤.

٢- الآيات الدالة على عبودية النبي ﷺ

جاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم تدل وترشد إلى حقيقة هامة ألا وهي أن النبي ﷺ بشر كسائر البشر، ولكنه فضل عليهم بالنبوة والرسالة التي توجب محبته وطاعته والانقياد لأمره ﷺ، كما فهمي ﷺ عن الغلو والإطراء في شخصه، وذلك سداً لذريعة اتخاذه شريكاً مع الله، أو صرف أى لون من ألوان العبادة له ﷺ قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبُ لَا سَكَنْتُ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنَى السُّوءِ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(١). ولهذا كانت العبودية هي أشرف مقام للنبي ﷺ وقد خاطبه ربه بها في أشرف المناسبات وأعظم المقامات قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾^(٣). وقال سبحانه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۚ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ۚ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾^(٥).

وإذا كان رسول رب العالمين الذي هو أكمل الخلق وأقربهم إلى الله عز وجل لا يملك ضراً ولا رشداً بنص كتاب الله الكريم فغيره من سائر الخلق ممن هم دونه ﷺ من باب أولى وأحرى، بل إنه ﷺ ما سبق غيره إلا بكمال عبوديته لربه.

قال ابن القيم «..... فأكمل الخلق أكملهم عبودية وأعظمهم شهوداً لفقره وضرورته وحاجته إلى ربه وعدم استغنائه عنه طرفة عين، ولهذا كان من

(١) الأعراف / آية : ١٨٨ .

(٢) الإسراء / آية : ١ .

(٣) الكهف / آية : ١ .

(٤) الفرقان / آية : ١ .

(٥) الجن / الآيات من ١٩ - ٢١ .

دعائه ﷺ «أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين، ولا إلى أحد من خلقك»^(١)، وكان يدعو: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»^(٢)، يعلم ﷺ أن قلبه بيد الرحمن عز وجل لا يملك منه شيئاً، وأن الله سبحانه يصرفه كما يشاء، وهو يتلو قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنَ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾^(٣)، فضرورته ﷺ إلى ربه وفاقته إليه بحسب معرفته به، وحسب قربه منه ومزلته عنده... ولهذا كان أقرب الخلق إلى الله وسيلة وأعظمهم جاها وأرفعهم عنده منزلة لتكميله مقام العبودية والفقر إلى ربه....، وذكره الله سبحانه بسمه العبودية في أشرف مقاماته، مقام الإسرائ، ومقام الدعوة، ومقام التحدى فقال: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً﴾^(٤)، وقال: ﴿وأنه لما قام عبد الله يدعوه﴾^(٥)، وفي حديث الشفاعة: «أن المسيح يقول لهم: اذهبوا إلى محمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»^(٦)، فمال ذلك المقام بكمال عبوديته لله وبكمال مغفرة الله له»^(٧)، وللعلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى - رحمه الله - كلام جميل على هذا الموضوع يحسن إيراد شئ منه هنا لتمام الفائدة. قال وهو يفسر أوائل سورة الحجرات: «مسألان: الأولى: اعلم ان عدم احترام النبي ﷺ المشعر بالفض منه، أو تنقيصه ﷺ والاستخفاف به، أو الاستهزاء به ردة عن الإسلام وكفر بالله، وقد قال تعالى في الذين استهزءوا بالنبي ﷺ وسخروا منه في غزوة

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب باب ١١ جـ ٥ / ٣٢٦، وأحمد في مسنده جـ ٥ / ٤٢.

(٢) أخرجه الترمذى في أبواب الدعوات جـ ٩ / ٥٠٤، ومسنده أحمد جـ ٣ / ٢٥٧، والسنة

لابن أبي عاصم جـ ١ / ١٠١، والآجى في الشريعة / ٣١٧.

(٣) الإسرائ / آية: ٧٤.

(٤) الإسرائ / آية: ١.

(٥) الجن / آية: ١٩.

(٦) أخرجه البخارى في كتاب التوحيد باب ١٩ جـ ١٣ / ٣٩٢، ومسلم كتاب الإيمان باب

٨٤ جـ ١ / ١٨٠، ١٨١.

(٧) طريق المهجرتين وباب السعادتین ص ١٠، ١١.

تسبوك لما ضلت راحلته :»ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم»^(١) .

المسألة الثانية : وهى من أهم المسائل ، اعلم أنه يجب على كل إنسان أن يميز بين حقوق الله تعالى التى هى من خصائص ربوبيته التى لا يجوز صرفها لغيره ، وبين حقوق خلقه كحق النبى ﷺ ليضع كل شئ فى موضعه على ضوء ما جاء به النبى ﷺ فى هذا القرآن العظيم والسنة الصحيحة .

وإذا عرفت ذلك فاعلم : أن من الحقوق الخاصة بالله التى هى من خصائص ربوبيته التجاء عبده إليه إذا دهمته الكروب التى لا يقدر على كشفها إلا الله ، فالتجاء المضطر الذى أحاطت به الكروب ودهمته الدواهى لا يجوز إلا لله وحده ، لأنه من خصائص الربوبية ، فصرف ذلك الحق لله وإخلاصه له هو عين طاعة الله ومرضاته ، وطاعة رسوله ﷺ ومرضاته ، وهو عين التوقير والتعظيم للنبى ﷺ لأن أعظم أنواع توقيره وتعظيمه هو اتباعه والاقتراء به فى إخلاص التوحيد والعبادة له وحده جل وعلا ، وقد بين جل وعلا فى آيات كثيرة من كتابه أن التجاء المضطر من عباده إليه وحده فى أوقات الشدة والكرب من خصائص ربوبيته تعالى ... قال تعالى : ﴿ قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير أما يشركون ﴾^(٢) ، ثم بين من خصائص ربوبيته الدالة على أنه المعبود وحده فقال : ﴿ أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها إلا مع الله بل هم قوم يعدلون ﴾^(٣) ، فهذه المذكورات التى هى خلق السموات والأرض وإنزال الماء من السماء وإنبات الحدائق ذات البهجة التى لا يقدر على إنبات شجرها إلا الله من خصائص ربوبية الله ، ولذا قال تعالى بعدها «أإله مع الله» يقدر على خلق

(١) التوبة / آية : ٦٥ ، ٦٦ .

(٢) النمل / آية : ٥٩ .

(٣) المائدة / آية : ٦٠ .

السموات والأرض وإنزال الماء من السماء وإنبات الحقائق به، والجواب «لا» لأنه لا إله إلا الله وحده»^(١).

٣- الآيات الدالة على أن دعاء غير الله واللجوء إليه شرك.

جاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم تبين أن الدعاء والاستعاذة والاستغاثة لا تكون إلا بالله وحده لا شريك له، وأن الآلهة الباطلة التي عبدت من دونه لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً، فكيف يرجو العبد منها شيئاً لا تملكه، وذلك سداً لذريعة التعلق بها، أو اعتقاد نفع فيها، ويسلك القرآن الكريم في ذلك مسلكاً عظيماً يضيق المقام عن استقصائه، ولكن تكفى الإشارة إلى بعض من ذلك^(٢).

أ- بيان عجز هذه الآلهة المزعومة وإبراز فقرها وضعفها كقوله تعالى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً. أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً﴾^(٣). وكقوله تعالى: ﴿قل أأنتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات ائتنوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين. ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون. وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾^(٤). فقد بينت هذه الآيات بيانا شافيا قاطعا للعدر أن غير الله لا يدعى لأنه إلى جانب أنه لا ينفع ولا يضر لم يخلق شيئاً بالاستقلال، كما لم يخلق شيئاً بالشركة، وليس عند المشركين أى دليل على ما يفعلون، ثم بينت الآيات ضلال من يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة، بل نصت على أن المدعو غافل عن دعاء الداعي، مما يبين عجزه وضعفه وشدة

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن جـ ٧/ ٦١٧ - ٦٢١.

(٢) باختصار وتصرف من كتاب دعوة التوحيد للدكتور /محمد خليل هراس ص ٣٥ - ٤٠.

(٣) الإسراء آية: ٥٦ - ٥٧.

(٤) الأحقاف الآيات من ٤ - ٦.

احتياجه إلى خالقه وربّه، وقد ذكر القاسمی - رحمه الله - في الآيات الأخيرة لطيفة جميلة نقلها عن من يعرف بالناصر وإليك نصها: «لطيفة: قال الناصر: في قوله "إلى يوم القيامة" نكتة حسنة، وذلك أنه جعل يوم القيامة غاية لعدم الاستجابة، ومن شأن الغاية انتهاء المغيّا عندها لكن عدم الاستجابة مستمر بعد هذه الغاية، لأنهم في يوم القيامة أيضا لا يستجيبون لهم، فالوجه - والله أعلم - أنها من الغايات المشعرة بأن ما بعدها، وإن وافق ما قبلها، إلا أنه أزيد منه زيادة بينة تلحقه بالثاني، حتى كأن الحالتين وإن كانتا نوعا واحدا لتفاوت ما بينهما كالشيء وضده، وذلك أن الحالة الأولى التي جعلت غايتها القيامة، لا تزيد على عدم الاستجابة، والحالة الثانية التي في القيامة زادت على عدم الاستجابة بالعداوة والكفر بعبادتهم إياهم، فهو من وادی ما تقدم آنفا في سورة الزخرف في قوله: ﴿بل تمت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين﴾ ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحروانا به كافرون^(١).

ومثل هذه الآيات ما جاء في قوله تعالى: ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير﴾ إن تدعوهم لا سمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير^(٢).

فقد أخبر الله فيها عن حال المدعوين من دونه من الملائكة والأنبياء وغيرهم بما يدل على عجزهم وضعفهم، وأنهم قد انتفت عنهم الأسباب التي تكون في المدعو، وهي الملك، وسماع الدعاء، والقدرة على استجابته، فمقى لم توجد هذه الشروط تامة بطلت دعوته، فكيف إذا عدمت بالكلية؟^(٣).

(١) محاسن التأويل جـ ١٥ / ٥٣٣٨ ، ٥٣٣٩ ، والآيتين من سورة الزخرف ٢٩، ٣٠ .

(٢) فاطر / آية : ١٣ ، ١٤ .

(٣) انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد / ١٨٨ .

ب- التشنيع بحال العابدين لهذه الآلهة الباطلة و رميهم بالضلال والسفه وعدم التعقل والتفكر، حيث رضوا لأنفسهم أن يعبدوا من لا يستحق العبادة من لا يملك لهم ولا لغيرهم نفعا ولا ضرا ولا يسمع ولا يبصر، ولا يملك من أمر نفسه شيئا، وذلك لأن الإله يجب أن يكون متصفا بصفات الجلال والكمال مترها عن صفات العجز والنقص والحدوث والاحتياج، لأن كل ذلك مناف للإلهية . قال تعالى على لسان إبراهيم - عليه السلام - في خطابه لقومه : ﴿أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾^(١) . وقال تعالى : ﴿له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾^(٢) .

ج- تصوير ما سيكون وسيقع يوم القيامة بين العابدين والمعبودين، وبين الأتباع والمتبعين من التبرؤ والمعاداة وتنصل المعبودين من جنابة هؤلاء العابدين، وإنكارهم أن يكون لهم يد في إضلالهم وشركهم، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون . فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين . هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت ورددوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾^(٣) .

يقول ابن كثير في هذه الآيات : «وفي هذا تبكيت عظيم للمشركين الذين عبدوا مع الله غيره، من لا يسمع ولا يبصر، ولا يغنى عنهم شيئا، ولم يأمرهم بذلك ولا رضى به ولا أرادته، بل تبرأ منهم في وقت أحوج ما يكونون إليه،

(١) الأنبياء / آية : ٦٧ .

(٢) الرعد / آية : ١٤ .

(٣) يونس الآيات من ٢٨ - ٣٠ .

وقد تركوا عبادة الحى القيوم السميع البصير، القادر على كل شئ، العليم بكل شئ، وقد أرسل رسله وأنزل كتبه أمرا بعبادته وحده لا شريك له ناهيا عن عبادة ما سواه، كما قال تعالى: ﴿ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾^(٢)، وقال: ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾^(٣) .
والمشركون أنواع وأقسام كثيرون قد ذكرهم الله فى كتابه، وبين أحوالهم وأقوالهم ورد عليهم فيما هم فيه أتم رد^(٤) .

(١) النحل / آية : ٣٦ .

(٢) الأنبياء / آية : ٢٥ .

(٣) الزخرف / آية : ٤٥ .

(٤) تفسير ابن كثير جـ ٣ / ٢٠١ ، ٢٠٢ ، وراجع ما بعدها من صفحات فإنه كلام جيد ونفيس .

المبحث الثالث: بعض أحاديث سد الذرائع المتعلقة بالشرك الأكبر .

بعث رسول الهدى ﷺ رحمة للعالمين وهداية للناس أجمعين، وكان ﷺ حريصاً كل الحرص على رجوع العباد إلى ربهم وعبادتهم له وحده، وكان توحيد العبادة على رأس المهمات التي ركز عليها ﷺ ، بل هو لبُّ دعوته ودعوة إخوانه من الأنبياء والمرسلين، ولذلك لا نجد عجباً حينما نجد كتب السنة قد امتلأت بكثير من الأحاديث التي حذر فيها النبي ﷺ أمته من الشرك، واحتاط ﷺ لهذا الأمر احتياطاً عظيماً بالغاً، فسد الذرائع وأغلق أى باب يؤدي إلى الشرك، وأكد وكرر ونهى وحذر في مواقف مختلفة متعددة، حتى وقع ذلك منه ﷺ وهو على فراش الموت .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد كان النبي ﷺ يحقق هذا التوحيد لأمرته، ويحسم عنهم مواد الشرك، إذ هذا تحقيق قولنا «لا إله إلا الله»، فإن الإله هو الذى تأله القلوب، لكمال المحبة والتعظيم والإجلال والإكرام والرجاء والخوف»^(١).

وهذه نبذة يسيرة مما قاله ﷺ في ذلك .

١- نهى عن الغلو فيه حتى لا يكون ذلك ذريعة إلى عبادته من دون الله، أو مع الله .

فعن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال: سمعت النبي ﷺ يقول «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده فقولوا: عبد الله ورسوله»^(٢) والإطراء هو مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه^(٣)، ولذلك نهى عنه النبي ﷺ حتى لا تقع أمته فيه، وتفعل كما فعلت النصارى بعبسى بن مريم .

(١) مجموع الفتاوى جـ ١ / ١٣٦ .
(٢) أخرجه البخارى في كتاب الأنبياء باب ٤٨ جـ ٦ / ٤٧٨ ، والدرامى في كتاب الرقائق جـ ٣٢٢ / ٠ ، وأحمد في مسنده جـ ٢٣ / ١ ، ٢٤ ، ٤٧ ، ٥٥ .
(٣) التهاية في غريب الحديث والأثر جـ ١٢٣ / ٣ .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ في شرحه للحديث: «أى لا تمدهون فتغلوا في مدحى كما غلت النصارى في عيسى - عليه السلام - فادّعوا فيه الإلهية، وإنما أنا عبدالله ورسوله فصفوني بذلك كما وصفنى ربى فقولوا عبدالله ورسوله...»^(١).

وقد بين النبى ﷺ أن الغلو بصفة عامة أهلك الأمم السابقة، وكان سببا في القضاء عليها، ومن هنا حذر أمته منه حتى لا يهلك كهلاكهم، فعن ابن عباس - رضى الله عنه - «قال: قال لى رسول الله ﷺ غداة جمع^(٢) هلم القط لى، فلقطت له حصيات من حصى الخذف^(٣)، فلما وضعهن فى يده قال: نعم بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلو فى الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو فى الدين»^(٤).

ولمسلم عن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ «هلك المتنطعون» قالها ثلاثا^(٥). والمتنطعون: هم المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود فى أقوالهم وأفعالهم^(٦).

وكرر النبى ﷺ هذه الكلمة ثلاث مرات مبالغة فى التعليم والإبلاغ، وتحذيرا من الوقوع فيه لخطره وضرره على العقيدة وحماية لجناب التوحيد. قال ابن القيم «فدين الله بين الغالى فيه والجافى عنه، وخير الناس النمط الأوسط، وقد جعل الله سبحانه هذه الأمة وسطا، وهى الخيار العدل لتوسطها

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ٢٠٣، ٢٣١.

(٢) يعنى مزدلفة.

(٣) أى حصى صغارا. انظر لسان العرب ج٩ / ٦١.

(٤) أخرجه أحمد فى مسنده ج١/ ٢١٥، ٣٤٧، والنسائى فى كتاب مناسك الحج ج٥ /

٢١٨، وابن ماجه كتاب المناسك باب ٦٣ ج٢/ ١٠٠٨، وابن أبى عاصم فى السنة ج

٤٦/١، والحاكم فى المستدرک، وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى.

(٥) صحيح مسلم كتاب العلم باب ٤ ج٤ / ٢٠٥٥.

(٦) شرح النووى على مسلم ج١٦ / ٢٢٠.

بين الطرفين المذمومين، والعدل : هو بين طرفي الجور والتفريط، والآفات إنما تنطرق إلى الأطراف والأوساط محمية بأطرافها، فخير الأمور أوساطها .
قال الشاعر :

كانت هي الوسط الحمى فاكنتفت .: بها الحوادث حتى أصبحت طرفاً^(١) .
وقد كان الغلو هو سبب عبادة الأصنام وحدوث الشرك في الأرض كما جاء في البخاري عن ابن عباس - رضى الله عنه - في قول الله تعالى : «وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا»^(٢) قال «.....» أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسعوا بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ^(٣) العلم عبت»^(٤) .

فهؤلاء كما جاء في الحديث غلوا في هؤلاء الصالحين لما صوروا صورهم ونصبوها في مجالسهم، وكان الدافع لهم إلى ذلك - في زعمهم - أن ينشطوا ويجهتدوا في الطاعة والعبادة ويسلكوا سبيلهم ولكن آل الأمر بعد طول الأمد وغلبة الجهل ووسوسة الشيطان إلى عبادتهم من دون الله عز وجل، وقد ساق ابن جرير الطبري بإسناده إلى محمد بن قيس أنه قال : «كانوا قوما صالحين من بنى آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم : لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم فصوروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال «إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم»^(٥) .

(١) إغائة اللهفان من مصايد الشيطان جـ ١ / ١٨٢ .

(٢) نوح / آية : ٢٣ .

(٣) يعنى تحول وتغير ونسى بسبب ذهاب العلماء .

(٤) البخاري كتاب التفسير جـ ٨ / ٦٦٧ .

(٥) جامع البيان في تفسير القرآن جـ ٢٩ / ٦٢ .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن: «فصارت هذه الأصنام بهذا التصوير على صور الصالحين سُلماً إلى عبادتها، وكل ما عبد من دون الله من قبر، أو مشهد، أو صنم، أو طاغوت فالأصل في عبادته هو الغلو كما لا يخفى على ذوى البصائر»^(١).

وقال الشيخ حافظ الحكمى بعد ذكره لحديث ابن عباس: «فلو جاءهم اللعين وأمرهم من أول مرة بعبادتهم لم يقبلوا ولم يطيعوه، بل أمر الأولين بنصب الصور لتكون ذريعة للصلاة عندها ممن بعدهم، ثم تكون عبادة الله عندها ذريعة إلى عبادتها ممن يخلفهم»^(٢).

وقال الشيخ صديق حسن خان: «ومن أسباب عبادة الأصنام الغلو في المخلوق وإعطاؤه فوق منزلته»^(٣).

٢- بيان النبى ﷺ أن الاستغاثة بالله وحده.

الاستغاثة: هى طلب الغوث وهو إزالة الشدة. يقال: استغاثنى فلان فأغثته، ولا تجوز بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله. قال تعالى مبينا استغاثة الرسول ﷺ وصحبه الكرام برهم وحده: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنَّى مَدَّكُمْ بِأَفْ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفِينَ﴾^(٤).

وعن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال «لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: (اللهم انجز لى ما وعدتنى، اللهم آت ما وعدتنى، اللهم إن قُتِلت هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد فى الأرض)، فما زال يهتف بربه، ماداً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن

(١) فتح المجيد (الهامش) ص ٢٢٥.

(٢) معارج القبول ج ١ / ٤٢٢.

(٣) الدين الخالص ج ٢ / ٤٤٥.

(٤) الأنفال / آية: ٩.

منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله عز وجل ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفِينَ﴾، فأمدّه الله بالملائكة ﴿١﴾.

وروى الطبراني عن عبادة بن الصامت - رضى الله عنه - قال: قال أبو بكر: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال رسول الله: «إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله عز وجل» ﴿٢﴾.

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن بعد ذكره للحديث: «فيه النص على أنه لا يستغاث بالنبي ﷺ ولا بمن دونه». كره النبي ﷺ أن يستعمل هذا اللفظ في حقه، وإن كان مما يقدر عليه في حياته، حماية لجناح التوحيد وسدا لذرائع الشرك وأدبا وتواضعا لربه وتحذيرا للأمة من وسائل الشرك في الأقوال والأفعال، فإذا كان هذا فيما يقدر عليه ﷺ في حياته، فكيف يجوز أن يستغاث به بعد وفاته؟!.

وقال في قرّة العيون: «.....» وقيل إن النبي ﷺ كان يقدر أن يغيبهم من ذلك المنافق فيكون فيه ﷺ عن الاستغاثة به حماية لجناح التوحيد، وسدا لذرائع الشرك كنظائره مما للمستغاث به قدرة عليه مما كان يستعمل لغة وشرعا مخافة أن يقع من أمته استغاثة بمن لا يضر ولا ينفع» ﴿٣﴾. قلت: ويظهر بذلك أن الاستغاثة نوعان:

-
- (١) مسلم كتاب الجهاد باب ١٨ ج ٣ / ١٣٨٤، وأحمد في مسنده ج ١ / ٣٠، ٣٢.
- (٢) قال المهيتمى في مجمع الزوائد ج ١٠ / ١٥٩: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث. قلت: ابن لهيعة ضعيف مختلط إلا في رواية العبادلة عنه، وهذه ليست منها، وقد ذكر بعض العلماء هذا الحديث في كتبهم كابن تيمية وغيره وسقته هنا كشاهد على موضوع سد الذرائع التي أنا بصدد الحديث عنها.
- (٣) فتح المجيد / ١٨٤، ١٨٥، وبها مشه كلامه في قرّة العيون.

- أ- استغاثة لا يقدر عليها إلا الله ولا تطلب إلا منه وحده، وطلبها من غيره شرك، وهي التي تقدم الحديث عنها .
- ب- استغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه ويتمكن من فعله والقيام به، فهذه ليست شركاً، وذلك كاستغاثة الغريق مثلاً بمن ينقذه ومنه استغاثة الإسرائيلي بموسى - عليه السلام - كما جاء في قوله ﴿فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكره موسى ففضى عليه﴾^(١) .

٣- النهي عن اتخاذ القبور مساجد وعبادة الله عندها .

قبل بيان ما ورد في الشرع من ذلك أرى من الضروري أن أبين أولاً صفة القبور الشرعية، حتى يتبين لنا المخالفات التي وقع فيها من اتخذوا القبور مساجد، ونفهم أيضاً أهمية التحذيرات المتكررة من النبي ﷺ وفيه الشديد عن اتخاذ القبور مساجد .

قال ابن فارس في مادة «قبر»: «القاف والباء والراء أصل صحيح يدل على غموض في شئ وتطامن»^(٢)، ومن ذلك القبر قبر الميت، ويقال في اللغة: أطمأنت الأرض وتطأمت: انخفضت^(٣) .

وهذا يحدد مفهوم كلمة «قبر» في اللغة، وهو ما كان من المواضع منخفضة غير شارع ولا بارز .

(١) القصص / آية : ١٥ .

(٢) أى انخفاض .

(٣) انظر معجم مقاييس اللغة (ج ٥/٤٧) ولسان العرب ج ١٣ / ٢٦٨ .

وقد بين النبي ﷺ في سنته صفة القبور، وما يجب أن تكون عليه، ومن ذلك ما رواه جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - قال « نهي رسول الله ﷺ أن يخصص القبر أو يقعد عليه أو يبنى عليه »^(١).

وعن أبي الهياج الأسدي قال : قال لى على بن أبي طالب : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ : « أن لا تدع تمثلاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته »^(٢).

وقد وردت أحاديث كثيرة بهذا المعنى، وكلها تدل على تحريم البناء على القبور أو الكتابة عليها وتخصيصها، وإيقاد السرج عليها^(٣).

والآن إلى ذكر بعض الأحاديث الواردة في النهى عن اتخاذ القبور مساجد والصلاة عندها، وبيان ما في ذلك من سد لذرائع الشرك.

١- عن عائشة وعبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - قالا : لما نزل^(٤) برسول الله ﷺ طفق^(٥) يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك : « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما صنعوا^(٦).

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز باب ٣٢ جـ ٢ / ٦٦٧ ، وأحمد في مسنده جـ ٣ / ٣٣٩ ، والترمذي في أبواب الجنائز باب ٥٧ جـ ٤ / ١٥٥ ، وأبو داود في كتاب الجنائز باب ٧٦ جـ ٣ / ٥٥٢ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز باب ٣١ جـ ٢ / ٦٦٦ ، والترمذي في أبواب الجنائز باب ٥٥ جـ ٤ / ١٥٠ ، وأبو داود في كتاب الجنائز باب ٧٢ جـ ٣ / ٥٤٨ .
(٣) يراجع في ذلك المبحث الثالث من الفصل الثاني من كتابي "أصول الاعتقاد عند الإمام البغوي".

(٤) نزل و نزل ، والمعنى : لما نزل ملك الموت ، أو حضرت المنية ، والوفاة رسول الله ﷺ

(٥) طفق : بكسر الفاء وفتحها ، أى : جعل ، والكسر أفصح وأشهر .

(٦) الحديث أخرجه البخارى في مواضع منها كتاب الصلاة باب ٥٥ جـ ١ / ٥٣٢ ، وكتاب الجنائز باب ٦١ جـ ٣ / ٢٠٠ ، وباب ٩٦ جـ ٣ / ٢٥٥ ، وكتاب أحاديث الأنبياء باب ٥٠

قال القرطبي في معنى الحديث: «وكل ذلك لقطع الذريعة المؤدية إلى عبادة من فيها، كما كان السبب في عبادة الأصنام»، وقال أيضاً: «ولهذا بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي ﷺ فأعلوا حيطان تربته وسدوا المداخل إليها، وجعلوها محدقة بقبره ﷺ، ثم خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة إذا كان مستقبل المصلين، فتصور الصلاة إليه بصورة العبادة، فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال، حتى لا يمكنوا أحدا من استقبال قبره^(١)».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فحرم ﷺ أن تتخذ قبورهم مساجد بقصد الصلوات فيها، كما تقصد المساجد، وإن كان القاصد لذلك إنما يقصد عبادة الله وحده، لأن ذلك ذريعة إلى أن يقصدوا المسجد لأجل صاحب القبر ودعائه، والدعاء به، والدعاء عنده، فهي رسول الله ﷺ عن اتخاذ هذا المكان لعبادة الله وحده لئلا يتخذ ذريعة إلى الشرك بالله، والفعل إذا كان يفضي إلى مفسدة وليس فيه مصلحة راجحة ينهى عنه، كما هي عن الصلاة في الأوقات الثلاثة لما في ذلك من المفسدة الراجحة، وهو التشبه بالمشركين الذي يفضي إلى الشرك»^(٢).

وقال في موطن آخر: «إنه هي عن بناء المساجد على القبور ولعن من فعل ذلك، ونهى عن تكبير القبور وتشريفها وأمر بتسويتها، ونهى عن الصلاة إليها

جـ ٦/ ٤٩٤، ومسلم في كتاب المساجد باب ٣ جـ ١/ ٣٧٧، والنسائي في كتاب المساجد

باب النهي عن اتخاذ القبور مساجد جـ ٢/ ٣٣ وأحمد في مسنده جـ ٦/ ٢٢٨، ٢٧٥ .

(١) فتح المجيد ٢٣٩ .

(٢) مجموع الفتاوى جـ ٣ / ١٦٣ ، ١٦٤ .

وعندها، وعن إيقاد المصاييح عليها لئلا يكون ذلك ذريعة إلى اتخاذها أوثانا، وحرم ذلك على من قصد هذا ومن لم يقصده بل قصد خلافه سدا للذريعة»^(١) .

٢- وفي الصحيحين وغيرهما^(٢) أن أم حبيبة وأم سلمة - رضي الله عنهما - ذكرت كنيسة رأيتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور، فقال ﷺ: «أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله» .

قال ابن حجر «وإنما فعل ذلك أوائلهم ليتأسوا برؤية تلك الصور ويتذكروا أحوالهم الصالحة فيجتهدوا كاجتهادهم، ثم خلف من بعدهم خلوف جهلوا مرادهم، ووسوس لهم الشيطان أن أسلافكم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها فعبدوها، فحذر النبي ﷺ عن مثل ذلك سدا للذريعة المؤدية إلى ذلك»^(٣) .

وقال ابن القيم بعد ذكره لهذا الحديث وغيره من الأحاديث الناهية عن اتخاذ القبور مساجد: «إن فتنة الشرك بالصلاة في القبور ومشاهدة عباد الأوثان أعظم بكثير من مفسدة الصلاة بعد العصر والفجر، فإذا فهمي عن ذلك، أى عن الصلاة بعد هذين الوقتين سدا للذريعة التشبه التي لا تكاد تخطر ببال المصلي، فكيف بهذه الذريعة القريبة التي كثيرا ما تدعو صاحبها إلى الشرك ودعاء الموتى

(١) مجموعة الفتاوى الكبرى ج ٣ / ١٤١ .

(٢) أخرجه البخارى في كتاب الصلاة باب ٤٨ ج ١ / ٥٢٣ ، وباب ٥٤ ج ١ / ٥٣١ ، وكتاب الجنائز باب ٧٠ ج ٣ / ٢٠٨ ، وكتاب مناقب الأنصار باب ٣٧ ج ٧ / ١٨٨ ، ١٨٧ ، ومسلم في كتاب المساجد باب ٣ ج ١ / ٣٧٥ ، والنسائي في كتاب المساجد ج ٢ / ٣٣ .

(٣) فتح البارى ج ١ / ٥٢٥ .

واستغاثتهم، وطلب الخوائج منهم، واعتقاد أن الصلاة عند قبورهم أفضل منها في المساجد مما هو محادة لله ورسوله ﷺ»^(١).

٣- وعن جندب بن عبد الله البجلي أنه سمع النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً. ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد. ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك»^(٢).

قال النووي «قال العلماء : إنما هي النبي ﷺ عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجداً خوفاً من المبالغة في تعظيمه والافتتان به، فربما أدى ذلك إلى الكفر، كما جرى لكثير من الأمم الخالية»^(٣).

وقال ابن القيم «إن النبي ﷺ هي عن بناء المساجد على القبور، ولعن من فعل ذلك، وهي عن تخصيص القبور وتشریفها واتخاذها مساجد، وعن الصلاة إليها وعندها، وعن إيقاد المصابيح عليها، وأمر بتسويتها وهي عن اتخاذها عيداً، وعن شد الرحال إليها، لئلا يكون ذلك ذريعة إلى اتخاذها أوثاناً والإشراك بها، وحرم ذلك على من قصده ومن لم يقصده، بل قصد خلافه سداً للذريعة»^(٤).

وقد ذكر الصنعاني بعد سياقه لبعض الأحاديث الميينة لصفات القبور الشرعية : «وهذه الأخبار المعبر فيها باللعن والتشبيه بقوله : (لا تجعلوا قبري وثناً يعبد من دون الله)، تفيذ التحريم للعمارة والتزيين والتخصيص، ووضع

(١) إغاثة اللهفان من مصاديد الشيطان ج ١ / ١٨٨ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب المساجد باب ٣ ج ١ / ٣٧٧ ، ٣٧٨ .

(٣) شرح النووي على مسلم ج ٥ / ١٣ .

(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين ج ٣ / ١٥١ .

الصندوق المزخرف، ووضع الستائر على القبر وعلى سمائه، والتمسح بجدار القبر، وأن ذلك قد يفضي مع بعد العهد وفشو الجهل إلى ما كان عليه الأمم السابقة من عبادة الأوثان، فكان في المنع عن ذلك بالكلية قطع لهذه الذريعة المفضية إلى الفساد، وهو المناسب للحكمة المعتبرة في شرع الأحكام من جلب المصالح ودفع المفاسد سواء كانت بأنفسها أو باعتبار ما تفضي إليه»^(١).

٤- وعن ثابت بن الضحاك - رضى الله عنه - قال (نذر رجل على عهد النبي ينحر إبلا ببوانة)^(٢)، فقال النبي ﷺ هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قالوا: لا، قال: هل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالو: لا. قال رسول الله ﷺ «أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم»^(٣).

(١) سبل السلام شرح أدلة الأحكام ج٢/ ٥٧٤.

(٢) بوانة: هضبة وراء ينبع قرية من ساحل البحر. انظر معجم البلدان (ج ١/ ٥٠٥).

(٣) أخرجه أبوداود في سننه كتاب الإيمان والنذور باب ٢٣ ج٩ / ١٤٠. وقال الشيخ

الألباني. صحيح. انظر صحيح سنن أبي داود ج٢/ ٦٣٧.

الفصل الثاني: سد الذرائع المؤدية إلى الشرك الأصغر .

الشرك الأصغر: هو النوع الثاني من أنواع الشرك بعد الأكبر، وهو لا يخرج من الملة، ولكنه قد يحبط العمل الذي يصاحبه أو ينقص ثوابه ^(١)، وقد خاف النبي ﷺ على أمته منه، كما جاء في حديث محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء . يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟» ^(٢)، والمراد بالرياء في هذا الحديث هو يسيره، لا النفاق الاعتقادي الأكبر المخرج من الملة، وذلك أن الرياء قد يطلق ويراد به النفاق الأكبر كما جاء في قوله تعالى: ﴿كَالَّذِي يَنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ^(٣).

قال ابن كثير في تفسيره: «..... أى : لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى، كما تبطل صدقة من رأى بها الناس فأظهر لهم أنه يريد وجه الله، وإنما قصده مدحة الناس له، أو شهرته بالصفات الجميلة ليشكر بين الناس، أو يقال: إنه كريم، ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية، مع قطع نظره عن معاملة الله تعالى وابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه، ولهذا قال: "ولا يؤمن بالله واليوم الآخر"» ^(٤).

(١) انظر معارج القبول جـ ١ / ٤٥٠ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده جـ ٥ / ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، والبغوى في شرح السنة جـ ١٤ / ٣٢٤ .

(٣) البقرة / آية : ٢٦٤ .

(٤) تفسير ابن كثير جـ ١ / ٤٧٠ .

وطريقة التفريق بين الرياء الذى هو النفاق الأكبر، وبين الرياء الذى سماه النبي ﷺ شركاً أصغر حديث: «(إنما الأعمال بالنيات.....)»^(١)، فالنية هي التى تفرق بينهما، وقد وضع ذلك وفصله الشيخ حافظ الحكيمى فقال: «.....فإن كان الباعث على العمل هو إرادة غير الله عز وجل والدار الآخرة فذلك النفاق الأكبر...، وإن كان الباعث على العمل هو إرادة الله عز وجل والدار الآخرة، ولكن دخل عليها الرياء فى تزيينه وتحسينه فذلك هو الذى سماه النبي ﷺ الشرك الأصغر وفسره بالرياء العملى.....»^(٢).

ولخطورة هذا النوع من الشرك أيضاً، ولخفائه أحياناً، وصيانة لجانب التوحيد، فقد سدَّ الشارع كل الوسائل المفضية إلى الوقوع فيه، وسأبين ذلك من خلال المبحثين التاليين:

(١) أخرجه البخارى فى مواطن منها كتاب بدء الوحي باب ١ جـ ١ / ٩، ومسلم فى كتاب

الإمارة باب ٤٥ جـ ٣ / ١٥١٥ .

(٢) معارج القبول جـ ١ / ٤٥٤ .

المبحث الأول: سد الذرائع في الألفاظ

لقد تعاون كثير من الناس في هذه المسألة، وأصبحوا يطلقون كلمات توقعهم في هذا اللون من الشرك، وكثرة وقوعه وانتشاره بدأت الحديث عنه في هذا الفصل، ومن أمثلة سد الذرائع في هذا الباب ما يلي:

أ- **السنهي عن الحلف بغير الله:** لما كان الحلف بالشئ يقتضي تعظيمه، والعظمة في الحقيقة لله وحده، فهي الرسول ﷺ عن الحلف بغير الله كما في حديث عمر - رضى الله عنه - قال : قال لى رسول الله ﷺ: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم»^(١).

وعن ابن عمر - رضى الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»^(٢). قال الترمذى بعد سياقه : «هذا حديث حسن»^(٣)، وتفسير هذا الحديث عند بعض أهل العلم أن قوله : "فقد كفر أو أشرك"، على التغليظ، والحجة في ذلك حديث ابن عمر أن النبي ﷺ سمع عمر يقول : وأبى وأبى، فقال : «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم»، وحديث أبى هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : «من قال في حلفه : و اللات والعزى فليقل : لا إله إلا الله».

وهذا مثل ما روى عن النبي ﷺ أنه قال : «الرياء شرك»، وقد فسر بعض أهل العلم هذه الآية : «فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً» الآية . قال : لا يرانى»^(٤).

(١) أخرجه البخارى في كتاب الأيمان باب ٤ جـ ١١ / ٥٣٠ ، ومسلم كتاب الأيمان باب ١

جـ ٣ / ١٢٦٦ ، ومالك في الموطأ جامع الأيمان جـ ٣ / ٦٧ من شرح الزرقانى .

(٢) أخرجه الترمذى في أبواب النور باب ٨ جـ ٥ / ١٣٥ من تحفة الأحوذى .

(٣) قال الشيخ الألبانى بعد ذكره لكلام الترمذى هذا، بل هو صحيح . انظر السلسلة الصحيحة جـ ٥ / ٧٠ .

(٤) الترمذى مع شرحه تحفة الأحوذى جـ ٥ / ١٣٦ ، ٣١٧ .

قال ابن حجر: «والتعبير بقوله: "فقد كفر أو أشرك للمبالغة في الزجر والتغليظ في ذلك، وقد تمسك به من قال بتحريم ذلك»^(١).

قال أبو جعفر الطحاوي: «لم يرد به الشرك الذي يخرج من الإسلام حتى يكون به صاحبه خارجاً عن الإسلام، ولكنه أراد أنه لا ينبغي أن يحلف بغير الله تعالى، لأن من حلف بغير الله تعالى فقد جعل ما حلف به مخلوفاً به، كما جعل الله تعالى مخلوفاً به، وبذلك جعل من حلف به أو ما حلف به شريكاً فيما يحلف به، وذلك أعظم، فجعله شركاً بذلك شركاً غير الشرك الذي يكون به كافراً بالله تعالى خارجاً عن الإسلام».

قال الشيخ الألباني بعد نقله لهذا الكلام: «يعنى - والله أعلم - أنه شرك لفظي وليس شركاً اعتقادياً، والأول تحريمه من باب سد الذرائع، والآخر محرم لذاته، وهو كلام وجيه متين»^(٢).

ب- النهي عن قول: «ما شاء الله وشئت».

قال البخاري في صحيحة «باب لا يقول ما شاء الله وشئت»^(٣).

وعن حذيفة بن اليمان أن رجلاً من المسلمين رأى في النوم أنه لقي رجلاً من أهل الكتاب فقال: نعم القوم أنتم، لولا أنكم تشركون. تقولون: ما شاء الله وشاء محمد، وذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «أما والله، إن كنت لأعرفها لكم، قولوا: ما شاء الله ثم شاء محمد»^(٤).

قال الربيع بن سليمان: قال الشافعي: «المشيئة إرادة الله قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾»^(٥)، فأعلم الله خلقه أن المشيئة له دون

(١) فتح الباري جـ ١١ / ٥٣١.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة جـ ١ / ٢١٧.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور باب ٨ جـ ١١ / ٥٣٩.

(٤) أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب الكفارات باب ١٣ جـ ١ م ٦٨٥، والدارمي في سننه

كتاب الاستئذان جـ ٢ / ٢٩٥، وأحمد في مسنده جـ ٥ / ٣٩٣، ٣٩٤.

(٥) الإنسان / آية: ٣٠.

خلقه، وأن مشيئتهم لا تكون إلا أن يشاء، فيقال لرسول الله ﷺ: «ما شاء الله ثم شئت»، ولا يقال: «ما شاء الله وشئت»^(١).

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رجلاً قال للنبي ﷺ: «ما شاء الله وشئت»، فقال له النبي ﷺ: «أجعلنى والله عدلاً، بل ما شاء الله وحده»^(٢). قال ابن القيم: «إنه ﷺ قال: "لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد، وذم الخطيب الذى قال: (من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن عصاهما فقد غوى)، سدا لذريعة التشريك فى المعنى بالتشريك فى اللفظ، وحسماً لمادة الشرك فى اللفظ، ولهذا قال للذى قال له: «ما شاء الله وشئت» أ جعلنى لله ندا؟ فحسم مادة الشرك، وسد الذريعة إليه فى اللفظ، كما سدها فى الفعل والقصد، فصلاة الله وسلامه عليه وعلى آله أكمل صلاة وأتمها وأزكاها وأعماها»^(٣).

وقال الشيخ الألبانى بعد ذكره لبعض الأحاديث فى هذا الموضوع: «قلت: وفى هذه الأحاديث أن قول الرجل لغيره: ما شاء الله وشئت يعتبر شركاً فى نظر الشارع، وهو من شرك الألفاظ، لأنه يوهم أن مشيئة العبد فى درجة مشيئة الرب سبحانه وتعالى، وسببه القرن بين المشيئتين، ومثل ذلك قول بعض العامة وأشباههم ممن يدعى العلم مالى غير الله وأنت، وتوكلنا على الله وعليك، ومثله قول بعض المحاضرين: باسم الله والوطن، أو باسم الله والشعب، ونحو ذلك من الألفاظ الشركية التى يجب الانتهاء عنها والتوبة منها، أدباً مع الله تبارك وتعالى»^(٤).

(١) شرح السنة للبعوى جـ ١٢ / ٣٦١ .

(٢) مسند أحمد جـ ١ / ٢١٤، ٢٨٣، ٢٢٤، ٣٤٧ .

(٣) إعلام الموقعين جـ ٣ / ١٥٨، ١٥٩ .

(٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة جـ ١ / ٢١٧ .

ج- النهي عن قول : عبدى وأمتى .

عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة - رضى الله عنه - يحدث عن النبي ﷺ أنه قال : «لا يقل أحدكم : أطعم ربك وضئ ربك، وليقل : سيدى، مولاي، ولا يقل أحدكم : عبدى، أمتى، وليقل : فتاى، وفتاتى وغلामى»^(١).

قال البغوى : «قيل : إنما منع من أن يقول : ربى أو اسق ربك، لأن الإنسان مربوب متعبد بإخلاص التوحيد، فكره له المضاهاة بالاسم، لئلا يدخل فى معنى الشرك، والعبد والخرف، فيه بمثلة واحدة، فأما ما لا تعبد عليه من سائر الحيوان والجماد فلا يمنع منه، كقولك : رب الدار، ورب الدابة والثوب، ولم يمنع العبد أن يقول : سيدى ومولاي، لأن مرجع السيادة إلى معنى الرياسة على من تحت يده، والسياسة له وحسن التدبير لأمره، ولذلك سمي الزوج سيده . قال الله سبحانه وتعالى : ﴿وَأَلْفِيا سِيدها لى الباب﴾^(٢) ، ومنع السيد من أن يقول : عبدى، لأن هذا الاسم من باب المضاف ومقتضاه العبودية له، وصاحبه عَبْدُ اللَّهِ، مُتَعَبِّدٌ بأمره ونهيه، فإدخاله مملوكه تحت هذا الاسم يوهم التشريك ...»^(٣).

وقال النووى فى شرحه للحديث «يكره للسيد أن يقول لمملوكه عبدى وأمتى، بل يقول «غلामى وجاريق وفتاى وفتاتى، لأن حقيقة العبودية إنما يستحقها الله تعالى، ولأن فيها تعظيما بما لا يليق بالمخلوق استعماله لنفسه، وقد

(١) أخرجه البخارى فى كتاب العتق باب ١٧ جـ ٥ / ١٧٧، ومسلم فى كتاب الألفاظ باب ٣ جـ ٤ / ١٧٦٥، وأبوداود فى سننه كتاب الأدب باب ٨٣ جـ ٥ / ٢٥٦، وأحمد فى

مسنده جـ ٢ / ٣١٦، ٤٢٣، ٤٦٣ .

(٢) يوسف / آية : ٢٥ .

(٣) شرح السنة جـ ١٢ / ٣٥٠، ٣٥١ .

بين النبي ﷺ العلة في ذلك فقال: كلكم عبيد الله، فنهى عن التطاول في اللفظ»^(١).

وقال ابن القيم: «إن النبي ﷺ هي الرجل أن يقول لغلامه وجاريتته: عبيدي وأمتي، ولكن يقول: فتاتي وفتاتي، وهي أن يقول لغلامه: وضئ ربك، أطعم ربك سدا لذريعة الشرك في اللفظ والمعنى، وإن كان الرب ههنا هو المالك كرب الدار، ورب الإبل، فعدل عن لفظ العبد والأمة إلى لفظ الفتى والفتاة، ومنع من إطلاق لفظ الرب على السيد حماية لجانب التوحيد وسدا لذريعة الشرك»^(٢).

وقال عبدالرحمن بن حسن: «هذه الألفاظ المنهى عنها، وإن كانت تطلق لغة، فالنبي ﷺ هي عنها تحقيقا للتوحيد، وسدا لذرائع الشرك لما فيها من التشريك في اللفظ، لأن الله تعالى هو رب العباد جميعهم، فإذا أطلق على غيره شاركه في الاسم فينهى عنه لذلك، وإن لم يقصد بذلك التشريك في الربوبية التي هي وصف الله تعالى...، فالنهى عنه حسما لمادة التشريك بين الخالق والمخلوق، وتحقيقا للتوحيد، وبعدا عن الشرك حتى في اللفظ، وهذا من أحسن مقاصد الشريعة لما فيه من تعظيم الرب تعالى، وبعده عن مشابهة المخلوقين، فأرشدهم ﷺ إلى ما يقوم مقام هذه الألفاظ، وهو قوله: (سيدى ومولاى) وكذا قوله: (ولا يقل أحدكم عبيدى وأمتي)، لأن العبيد عبيد الله والإماء إماء الله. قال الله تعالى: ﴿لَنْ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾^(٣)، ففي إطلاق هاتين الكلمتين على غير الله تشريك في اللفظ، فنهاهم عن ذلك تعظيما لله تعالى وأدبا وبعدا عن الشرك وتحقيقا للتوحيد، وأرشدهم إلى أن يقولوا: (فتاتي وفتاتي وغلامى)، وهنا من باب حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد، فقد بلغ ﷺ أمته كل ما فيه نفع لهم، ونهاهم عن كل ما فيه نقص في الدين، فلا خير إلا دهم

(١) شرح النووي على مسلم جـ ٥ / ٧ .

(٢) إعلام الموقعين جـ ٣ / ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٣) مريم / آية : ٩٣ .

عليه، خصوصا في تحقيق التوحيد، ولا شر إلا حذرهم منه خصوصا ما يقرب من
الشرك لفظا وإن لم يقصد . وبالله التوفيق»^(١) .

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد / ٤٦٧ .

المبحث الثاني : سد الذرائع في الأعمال

كما هي الشارع عن الشرك في الألفاظ وسد كل الوسائل المؤدية إليه،
نهى أيضا وحذر من الوسائل المفضية إلى الشرك في الأعمال، ويظهر ذلك في
الصور التالية:

أ- النهي عن التمايم:

التمايم: جمع قيمة، وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقون
بها العين في زعمهم فأبطلها الإسلام^(١).

وعن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ
يقول : «إن الرقى والتمايم والتولة شرك»^(٢).

وقد اختلف العلماء في التمايم إذا كانت من القرآن الكريم، فأباحها
البعض كالرقى الشرعية، ومنعها آخرون سدا لذريعة الوقوع في الشرك، ومن
هؤلاء ابن مسعود وابن عباس وغيرهم.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه التوحيد : «التمايم شئ يعلق
على الأولاد عن العين، لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض
السلف، وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهى عنه منهم ابن مسعود - رضى
الله عنه -».

قال شارحه : «هذا هو الصحيح - أى النهي عن تعليق التمايم من
القرآن - لوجوه ثلاثة تظهر للمتأمل:
الأول : عموم النهي ولا مخصص للعموم.

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ج١/ ١٩٧، وانظر شرح السنة ج١٢/ ١٥٨ .
(٢) أخرجه أبوداود في سننه كتاب الطب باب ١٧ ج١٠/ ٣٦٧، وابن ماجه كتاب
الطب باب ٣٩ ج٢/ ١١٦٧ وأحمد في مسنده ج١/ ٣٨١ .

الثاني : سد الذريعة فإنه يفضى إلى تعليق ما ليس كذلك .
الثالث : «أنه إذا علق فلا بد أن يمتننه المعلق بحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء ونحو ذلك»^(١) .

وقال الشيخ حافظ الحكمي:

وفى التمام المعلقات .: إن تك آيات بينات
فلاختلاف واقع بين السلف .: فبعضهم أجازها والبعض كف

ثم ذكر بعض أسماء المانعين والمبيحين وعقب بقوله : «ولا شك أن منع ذلك سد لذريعة الاعتقاد والخطور، لاسيما في زماننا هذا، فإنه إذا كرهه أكثر الصحابة والتابعين في تلك العصور الشريفة المقدسة، والإيمان في قلوبهم أكبر من الجبال، فلأن يكره في وقتنا هذا - وقت الفتن والحن - أولى وأجدر بذلك»^(٢) .

وقال الشيخ عبدالعزيز بن باز : «واختلف العلماء في التمام إذا كانت من القرآن أو من الدعوات المباحة . هل هي محرمة أم لا؟ والصواب تحريمها لوجهين :

أحدهما : عموم الأحاديث المذكورة، فإنها تعم التمام من القرآن وغير القرآن .

والوجه الثاني : سد ذريعة الشرك، فإنها إذا أبيحت التمام من القرآن اختلطت بالتمائم الأخرى واشتبه الأمر، وانفتح باب الشرك بتعليق التمام كلها، ومعلوم أن سد الذرائع المفضية إلى الشرك والمعاصي من أعظم القواعد الشرعية . والله ولي التوفيق»^(٣) .

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد / ١٣٢ ، ١٣٣ .

(٢) معارج القبول جـ ١ / ٤٦٩ ، ٤٧٠ .

(٣) من مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز جـ ١ / ٢٧٩ .

وعليه فتعليق التمام ينهى عنه بإطلاق سدا للذريعة في ذلك التي منها تعليق ما ليس من القرآن، وتعظيما لكلمات الله وآياته من امتهاها أثناء قضاء الحاجة وغير ذلك، خاصة في هذا الزمان الذي كثرت فيه البدع وانتشر أهل الخرافة والدجل والمشعوذين وغلب الجهل على كثيرين .

قال الشيخ الألباني بعد ذكره لتعريف التميمة : «ولا تزال هذه الضلالة فاشية بين البدو والفلاحين وبعض المدنيين، ومثلها الخرزات التي يضعها بعض السائقين أمامهم في السيارة - يعلقونها على المرأة وبعضهم يعلق نعلًا في مقدمة السيارة أو في مؤخرتها، وغيرهم يعلقون نعل فرس في واجهة الدار أو الدكان كل ذلك لدفع العين زعموا، وغير ذلك مما عم وطم بسبب الجهل بالتوحيد وما ينافيه من الشراكيات والوثنيات التي ما بعثت الرسل وأنزلت الكتب إلا من أجل إبطائها والقضاء عليها»^(١).

ب- النهي عن انحناء الرجل للرجل أو القيام له .

عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال : «قال رجل يا رسول الله : الرجل منا يلقى أخاه، أو صديقه، أينحنى له؟ قال : لا، قال : فيلتزمه ويقبله . قال : لا، قال : فيأخذ بيده ويصافحه، قال : نعم»^(٢).

قال ابن القيم : «إن النبي ﷺ نهى الرجل أن ينحنى للرجل إذا لقيه كما يفعل كثير من المنتسبين إلى العلم ممن لا علم له بالسنة بل يبالغون إلى أقصى حد الانحناء مبالغه في خلاف السنة جهلا، حتى يصير أحدهم بصورة الراكع لأخيه، ثم يرفع رأسه من الركوع كما يفعل إخوانهم من السجود بين يدي شيوخهم الأحياء والأموات، فهؤلاء أخذوا من الصلاة سجودها، وأولئك ركوعها،

(١) السلسلة الصحيحة جـ ١ / ٨١٠ .

(٢) أخرجه الترمذى في أبواب الاستئذان باب ٣١ جـ ٧ / ٥١٤ ، وابن ماجه في كتاب

الأدب باب ١٥ جـ ٢ / ١٢٢٠ ، وأحمد في مسنده جـ ٣ / ١٩٨ .

وطائفة ثالثة قيامها، يقوم عليهم الناس وهم قعود كما يقومون في الصلاة، فتقسمت الفرق الثلاث أجزاء الصلاة، والمقصود أن النبي ﷺ هي عن انحناء الرجل لأخيه سداً لذريعة الشرك، كما هي عن السجود لغير الله ^(١).

تنبيه: جاء في حديث أنس السابق هي عن الالتزام وهو المعانقة، وقد وردت عن أصحاب النبي ﷺ لقول أنس - رضى الله عنه - : ((كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا تلاقوا تصافحوا، وإذا قدموا من سفر تعانقوا)) ^(٢). وعانق عبد الله بن أنيس جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - لما رحل إليه من المدينة إلى الشام ليسأله عن حديث لرسول الله ﷺ ^(٣).

وقد جمع العلماء بين هذه الأحاديث، ودفعوا التعارض الظاهر بينها، ومنهم الإمام بغوى، وفي ذلك يقول: ((قال حميد بن زنجوية: قد جاء عن النبي ﷺ أنه هي عن المعانقة والتقبيل، وجاء أنه عانق جعفر بن أبي طالب وقبله عند قدومه من أرض الحبشة...، ولكل وجه عندنا، فأما المكروه من المعانقة والتقبيل، فما كان على وجه الملق والتعظيم وفي الحضر، فأما المأذون فيه، فعند التوديع وعند القدوم من السفر وطول العهد بالصاحب، وشدة الحب في الله ومن قبل فلا يقبل الفم، ولكن اليد والرأس والجهة)) ^(٤).

وقال الشيخ الألباني عقب ذكره لبعض أحاديث النهي وأحاديث الإباحة: ((فيمكن أن يقال: إن المعانقة في السفر مستثنى من النهي لفعل الصحابة ذلك)) ^(٥).

(١) إعلام الموقعين جـ ٣/ ١٦٦، ١٦٧.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح كما ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد جـ ٨/ ٣٦.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد باب المعانقة جـ ٢/ ٤٥٨، وعلقه في صحيحه في كتاب العلم باب ١٩، وقال الحافظ في الفتح: إسناده حسن، وأحمد في مسنده جـ ٣/ ١٩٨.

(٤) شرح السنة للبغوي جـ ١٢/ ٢٩٢، ٢٩٣.

(٥) سلسلة الأحاديث الصحيحة جـ ١/ ٢٥٢.

وكما فهمي ﷺ عن الانحاء سداً للذريعة، كره أن يقوم الناس له، كما ذكر وعيداً شديداً لمن يحب أن يتمثل الناس له قياماً .

فعن أنس - رضى الله عنه - قال : ((ما كان في الدنيا شخص أحب إليهم رؤية من رسول الله ﷺ ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا إليه، لما يعلمون من كراهيته لذلك))^(١) .

وعن أبي مجلز قال : ((خرج معاوية فقام عبد الله بن الزبير وابن صفوان حين رأوه، فقال : اجلسا، سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((من سره أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار)) قال الترمذی : ((وفي الباب عن أبي أمامه، وهذا حديث حسن))^(٢) .

ولا يتعارض النهي عن القيام هنا مع قول النبي ﷺ لما قدم سعد بن معاذ إلى بني قريظة ليحكم فيهم : ((قوموا إلى سيدكم))^(٣) للفرق بين الحالين، وقد وضع ذلك ابن يثمية - رحمه الله - وفصله تفصيلاً دقيقاً فقال : ((لم تكن عادة السلف على عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين أن يعتادوا القيام كلما يرونه ﷺ كما يفعله كثير من الناس، بل قد قال أنس بن مالك : لم يكن شخص أحب إليهم من النبي ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له، لما يعلمون من كراهيته لذلك، ولكن ربما قاموا للقادم من مغيبه تلقياً له، كما روى عن النبي ﷺ أنه قام لعكرمة وقال للأَنْصار لما قدم سعد بن معاذ : قوموا إلى سيدكم، وكان قد قدم ليحكم في بني قريظة.....، وأما القيام لمن يقدم من سفر ونحو ذلك تلقياً له فحسن، وإذا كان من عادة الناس إكرام الجائي بالقيام ولو ترك لاعتقد أن ذلك

(١) أخرجه البخارى في الأدب المفرد جـ ٢ / ٤١٩ ، والترمذی في أبواب الاستئذان باب ٤٧ جـ ٨ / ٢٩ ، وأحمد في مسنده جـ ٣ / ١٣٢ .

(٢) سنن الترمذی أبواب الاستئذان باب ٤٧ جـ ٨ / ٣٠ ، والبخارى في الأدب المفرد جـ ٢ / ٤٦٦ ، وأبوداود في سننه أبواب السلام باب ٢٤ جـ ١٤ / ١٤٢ وأحمد في مسنده جـ ٤ / ٩٣ ، ١٠٠ .

(٣) أخرجه البخارى في كتاب الاستئذان باب ٢٦ جـ ١١ / ٢٩ .

لترك حقه، أو قصد خفضه، ولم يعلم العادة الموافقة للسنة، فالأصلح أن يقام له، لأن ذلك أصلح لذات البين وإزالة التباغض والشحناء، وأما من عرف عادة القوم الموافقة للسنة، فليس في ترك ذلك إيذاء له، وليس هذا القيام المذكور في قوله ﷺ: ((من سره أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار))، فإن ذلك أن يقوموا له وهو قاعد، ليس هو أن يقوموا لجيئة إذا جاء، ولهذا فرقوا بين أن يقال: قمت إليه وقمت له، والقائم للقادم ساواه في القيام بخلاف القائم للقاعد^(١).

كما جمع بين الأحاديث ابن القيم جمعا حسنا، وذكر أن الأحاديث التي ورد فيها القيام كان لعارض، وأنه كان قياما إلى الرجل للقائه، لا قياما له، ثم قال: ((فالمذموم: القيام للرجل، وأما القيام إليه للتلقى إذا قدم: فلا بأس به، وبهذا تجمع الأحاديث))^(٢) قلت: هذا جمع جيد وحسن بين النصوص الثابتة، وعليه فينهى القيام للشخص للتعظيم مهما كانت منزلته سداً للذريعة الوقوع في الشرك، بعد الغلو فيه، أو مجاوزة الحد في حبه وتعظيمه وما إلى ذلك كما هو واقع من بعض أتباع الطرق لمشايخهم، وأما القيام لعارض كالقيام للقادم من سفر، أو لغائب على سبيل البر والإكرام فلا بأس به.

وقد نقل أبو عبد الله بن الحاج^(٣) عن أبي الوليد بن رشد أن القيام يقع على أربعة أوجه:

الأول: محذور، وهو أن يقع لمن يريد أن يقام إليه تكبرا وتعظما على القائم إليه.

الثاني: مكروه، وهو أن يقع لمن لا يتكبر ولا يتعظم على القائم، ولكن يخشى أن يدخل نفسه بسبب ذلك ما يحذر، ولما فيه من التشبه بالجباورة.

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ١ / ٣٧٤ ، ٣٧٥ .

(٢) شرح ابن القيم لسنن أبي داود من كتاب عون المعبود جـ ١٤ / ١٢٧ .

(٣) انظر المدخل لابن الحاج جزء ١ من ص ١٦٨، وفتح الباري لابن حجر جزء ١١ / ٥١ ، ٥٢ .

الثالث: جائز، وهو أن يقع على سبيل البر والإكرام لمن لا يريد ذلك، ويؤمن معه التشبه بالجابرة .

الرابع: مندوب، وهو أن يقوم لمن قدم من سفر فرحا بقدمه ليسلم عليه، أو إلى من تجددت له نعمة فيهنه بحصولها أو مصيبة فيعزيه بسببها .

وقال التوريشقي في شرح المصاييح: معنى «قوموا إلى سيدكم»، أى إلى إعانته وإنزاله من دابته، ولو كان المراد التعظيم لقال: قوموا لسيدكم»^(١) .

وقال الألباني في حديث أبي مجلز: «دلنا هذا الحديث على أمرين: الأول: تحريم حب الداخل على الناس القيام منهم له، وهو صريح الدلالة، بحيث إنه لا يحتاج إلى بيان .

والآخر: كراهة القيام من الجالسين للداخل، ولو كان لا يحب القيام، وذلك من باب التعاون على الخير، وعدم فتح باب الشر، وهذا معنى دقيق دلنا عليه راوى الحديث معاوية - رضى الله عنه -، وذلك بإنكاره على عبدالله بن عامر قيامه له، واحتج عليه بالحديث، وذلك من فقهه في الدين، وعلمه بقواعد الشريعة التى منها سد الذرائع»^(٢) .

ومن هذا الباب ما جاء في صحيح البخارى عن عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت: «صلى رسول الله ﷺ فى بيته وهو شاك، فصلى جالسا، وصلى وراءه قوم قياما، فأشار أن اجلسوا، فلما انصرف قال: إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا ركع فاركعوا، وإذا رفع فارفعوا»^(٣) .

قال ابن القيم: «إن النبى ﷺ أمر المأمومين أن يصلوا قعودا إذا صلى إمامهم قاعدا، وقد تواتر عنه ذلك، ولم يحج عنه ما ينسخه، وما ذاك إلا سدا لذريعة مشاهدة الكفار، حيث يقومون على ملوكهم وهو قعود»^(٤) .

(١) المرجع السابق جـ ١١ / ٥٢ .

(٢) السلسلة الصحيحة جـ ١ / ٦٢٩ .

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب تقصير الصلاة باب ١٧ جـ ٢ / ٥٨٤ .

(٤) إعلام الموقعين جـ ٣ / ١٥٨ .

قلت: تأمل أيها المسلم حرص الإسلام ورسول رب العالمين وسلف الأمة الصالحين على مخالفة الكفار والمشركين، ونهى الشريعة الغراء عن المباح خوفاً من الوقوع في الحرام، كل ذلك صيانة وحماية للعقيدة، وتحقيقاً للتوحيد •

فما بالنا اليوم نجد جرأة كبيرة، حتى من بعض المنتسبين إلى العلم في التساهل في هذا الباب، وياليت الأمر — مع خطورته — اقتصر على الجائز المؤدى إلى الحرام، بل وقعوا صراحة فيما نهى عنه الشارع الحكيم، وسقطوا في أعمال الجاهلين • فإننا لله وإنا إليه راجعون •

الفصل الثالث : سد الذرائع في توحيد المعرفة والإثبات

توحيد المعرفة والإثبات أحد نوعي التوحيد، وهو التوحيد العلمي الخيري الاعتقادي المتضمن إثبات صفات الجلال والكمال لله عز وجل، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات، فلا رب سوى خالق الأرض والسما، كما أنه لا يشبهه أحد من خلقه، لا في ذاته، ولا في صفاته وأفعاله، تعالى سبحانه وتقدس عن الشبيه والنظير .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : ((.....)) ولهذا لما كان وجوب الوجود من خصائص رب العالمين، والغنى عن الغير من خصائص رب العالمين، كان الاستقلال بالفعل من خصائص رب العالمين، وكان التزه عن شريك في الفعل والمفعول من خصائص رب العالمين...، ولهذا لا يستحق غيره أن يسمى خالقا، ولا ربا مطلقا ونحو ذلك، لأن ذلك يقتضى الاستقلال والانفراد بالمفعول المصنوع، وليس ذلك إلا لله وحده))^(١) .

وقد سدّ الشارع الذرائع التي يمكن أن تؤدي إلى وقوع محذور في هذا النوع من التوحيد، وبيان ذلك في مبحثين كما يلي :

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٢ / ٣٤ ، ٣٥ .

المبحث الأول: سد الذرائع في مضاهاة أفعال الله تعالى :

أفعال الله كثيرة، وهى مبينة أن الله رب كل شئ ومليكه وخالقه ورازقه، وهو الذى يحييه ويميت ويدير أمره، وهو أمر تشهد له الفطرة، ويدعن له العقل، وقد ذكر ربنا ذلك فى آيات كثيرة من كتابه، كما نفى أن يكون لأحد معه شريك فى الخلق والتكوين فقال سبحانه : «ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون»^(١).

ويظهر احتياط الشرع لهذا النوع من التوحيد بذكر الأمثلة الآتية:

١- النهى عن تصوير ذوات الأرواح:

هى الإسلام عن تصوير ذوات الأرواح سداً لذريعة المضاهاة فى أفعال الله تعالى، وهى هنا الخلق، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله عز وجل : «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة»^(٢).

قال السنوى بعد ذكره لبعض الأحاديث الناهية عن التصوير : «وهذه الأحاديث صريحة فى تحريم تصوير الحيوان وأنه غليظ التحريم، وأما الشجر ونحوه مما لا روح فيه، فلا تحرم صناعته ولا التكسب به وسواء الشجر المثمر وغيره، وهذا مذهب العلماء كافة إلا مجاهدا فإنه جعل الشجر المثمر من المكروه، وقال القاضى : لم يقله أحد غير مجاهد، واحتج مجاهد بقوله تعالى : «ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقى»، واحتج الجمهور بقوله ﷺ : «ويقال لهم أحيوا ما خلقتم»، أى اجعلوه حيوانا ذا روح كما ضاهيتهم»^(٣).

(١) المؤمنون / آية : ٩١ .

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب اللباس باب ٩٠ جـ ١٠ / ٣٨٥ ، وكتاب التوحيد باب ٥٦

جـ ١٣ / ٥٢٨ ، ومسلم فى كتاب اللباس باب ٢٦ جـ ٣ / ١٦٧١ .

(٣) شرح النووى على مسلم جـ ١٤ / ٩٠ ، ٩١ .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن بعد ذكره للحديث السابق : ((وقد ذكر النبي ﷺ العلة وهى المضاهاة بخلق الله، لأن الله تعالى له الخلق والأمر، فهو رب كل شئ ومليكه، وهو خالق كل شئ، وهو الذى صور جميع المخلوقات، وجعل فيها الأرواح التى تحصل بها الحياة))^(١) .

وقال الشيخ صديق حسن خان : ((قال بعض أهل العلم فى معنى هذا الحديث : يعنى أن المصورين يدعون الإلهية فى هذه السترة^(٢)، لكونهم يريدون أن يصنعوا أشياء مثل ما صنعه الخالق القدير، فهم مسيئو الأدب بالله عز وجل، ودعواهم هذه كذب صريح وحجة داحضة))^(٣) .

٢ - النهى عن قول : ((مطرنا بنوء كذا)) :

عن زيد بن خالد الجهنى أنه قال : ((صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : ((هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا : الله ورسوله أعلم، قال : أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى وكافر بالكواكب، وأما من قال : بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى ومؤمن بالكواكب))^(٤) .

قال الشافعى : ((من قال مطرنا بنوء كذا وكذا على ما كان بعض أهل الشرك يعنون من إضافة المطر إلى أنه أمطره نوء كذا ، فذلك كفر، كما قال رسول الله ﷺ ، لأن النوء وقت، والوقت مخلوق لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئا، ولا يُمْطر ولا يصنع شيئا، وأما من قال مطرنا بنوء كذا، على معنى : مطرنا

(١) فتح المجيد / ٤٩٢ .

(٢) هكذا فى المصدر ولعلها (الصورة) والله تعالى أعلم.

(٣) الدين الخالص جـ ٢ / ٢٢٨ .

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب الآذان باب ١٥٦ جـ ٢ / ٣٣٣ ، وكتاب الاستسقاء باب

٢٨ جـ ٢ / ٥٢٢ ، ومسلم فى كتاب الإيمان باب ٣٢ جـ ١ / ٨٣ . وغيرهما .

بوقت كذا، فإنما ذلك كقوله : مطرنا في شهر كذا، ولا يكون هذا كفرا، وغيره من الكلام أحب إلى منه»^(١) .

قال ابن حجر عقب نقله لكلام الشافعي السابق : «يعنى حسما للمادة وعلى ذلك يحمل إطلاق الحديث»^(٢) .

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله معلقا على كلام الشافعي : «إن كلام الشافعي لا يدل على جواز ذلك، وإنما يدل على أنه لا يكون كفر شرك، وغيره من الكلام أحسن منه، أما كونه يجوز إطلاق ذلك أولا يجوز، فالصحيح أنه لا يجوز.....، وإن كان القائل لذلك يعتقد أن الله هو المتزل للمطر، فهذا من باب الشرك الخفى في الألفاظ، كقوله : لولا فلان لم يكن كذا...»^(٣) .

وقال النووي : «وأما معنى الحديث، فاختلف العلماء في كفر من قال : مطرنا بنوء كذا على قولين : أحدهما : هو كفر بالله سبحانه وتعالى سالب لأصل الإيمان مخرج عن ملة الإسلام، قالوا : وهذا فيمن قال ذلك معتقدا أن الكواكب فاعل مدبر منشى للمطر، كما كان بعض أهل الجاهلية يزعم، ومن اعتقد هذا فلاشك في كفره، وهذا القول هو الذى ذهب إليه جماهير العلماء والشافعي منهم، وهو ظاهر الحديث، قال : وعلى هذا لو قال : مطرنا بنوء كذا معتقدا أنه من الله تعالى وبرحمته، وأن النوء ميقات له وعلامة اعتبارا بالعبادة، فكأنه قال : مطرنا في وقت كذا، فهذا لا يكفر، والأظهر كراهيته، لكنها كراهة تنزيه لا إثم فيها، وسبب الكراهة أنها كلمة مترددة بين الكفر وغيره فيساء الظن بصاحبها»^(٤) .

قلت : الأولى النهي مطلقا عن قول هذه الكلمة سدا للذريعة، وقد بين ذلك ووضحه الشيخ سليمان فقال : «الاستسقاء بالنجوم نوعان : أحدهما أن

(١) الأم للشافعي ج ١ / ٢٨٨ .

(٢) فتح الباري ج ٢ / ٥٢٣ .

(٣) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد / ٤٠٣ .

(٤) شرح النووي على مسلم ج ٢ / ٦٠ ، ٦١ .

يعتقد أن المزل للمطر هو النجم، فهذا كفر ظاهر، إذ لا خالق إلا الله، وما كان المشركون هكذا، بل كانوا يعلمون أن الله هو المزل للمطر، كما قال تعالى : ﴿ وَلئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله ﴾^(١) ، وليس هذا معنى الحديث، فالنبي ﷺ أخبر أن هذا لا يزال في أمته، ومن اعتقد أن النجم يزل المطر فهو كافر .

الثاني : أن ينسب إنزال المطر إلى النجم، مع اعتقاده أن الله تعالى هو الفاعل لذلك المزل له، لكن معنى أن الله تعالى أجرى العادة بوجود المطر عند ظهور ذلك النجم، فحكى ابن مفلح خلافا في مذهب أحمد في تحريمه وكراهته، وصرح أصحاب الشافعي بجوازه والصحيح أنه محرم، لأنه من الشرك الخفي، وهو الذي أراده النبي ﷺ وأخبر أنه من أمر الجاهلية، ونفاه وأبطله، وهو الذي كان يزعم المشركون، ولم يزل موجودا في هذه الأمة إلى اليوم، وأيضا فإن هذا من النبي ﷺ حماية لجناب التوحيد، وسدا لذريعة الشرك ولو بالعبارات الموهمة التي لا يقصدها صاحبها^(٢) .

(١) العنكبوت / آية : ٦٥ .

(٢) تيسير العزيز الحميد / ٣٩٩ .

المبحث الثاني : سد الذرائع في توحيد الأسماء والصفات:

من المعلوم المقرر عند أهل السنة والجماعة أن الله سبحانه وتعالى له وحده الأسماء الحسنى والصفات العلى التى لا يشاركه فيها غيره، وهم يشبتون كل ما جاء فى كتاب الله، وما صح به الخبر من سنة رسول الله ﷺ من غير تشبيه وتمثيل، أو تعطيل وتأويل.

ولأهمية السلامة فى جانب الاعتقاد -ومنه الأسماء الحسنى- وبما أن أسماء الله وصفاته تحمل معنى العظمة والجلال التى لا يشارك فيها الخالق المخلوق، فقد احتاط الشارع لهذا الجانب، وسد كل طريق يؤدى إلى الخلط فيه، وهذه بعض الأمثلة :

١- إثبات علم الغيب لله وحده ونفيه عن الأنبياء والمرسلين فضلا عن غيرهم.

من الصفات الثابتة الدالة على كمال العلم وسعة القدرة والعظمة انفراد الله عز وجل بعلم الغيب، فلا يشاركه فيه نبي مرسل ولا ملك مقرب. قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾^(١). ولما كان الأنبياء والمرسلون يخبرون عن الله أمره، ويعلمون الناس شرعه بإعلام الله لهم، ومن ذلك أمور تتصل بعالم الغيب كما قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يَظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾^(٢)، فقد نفى الله عنهم علم الغيب ونص على بشريتهم وبين منزلتهم، وقرر ذلك فى كتابه أكثر من موطن سدا لذريعة نسبة علم الغيب إليهم، ويظهر ذلك واضحا فى سياق الآية السابقة، ويظهر أيضا فى قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا

(١) النحل / آية : ٦٥ .

(٢) الجن / الآيات من ٢٦ - ٢٨ .

ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون»^(١) .

قال ابن كثير : ((أمره الله تعالى أن يفوض الأمور إليه، وأن يخبر عن نفسه أنه لا يعلم الغيب المستقبل، ولا اطلاع به على شيء من ذلك إلا بما أطلعه الله عليه، كما قال تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا﴾ الآية، وقوله: «لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير»، قال عبدالرزاق عن الثوري عن منصور عن مجاهد : لو كنت أعلم متى أموت لعملت صالحا، وكذا روى ابن أبي نجيح عن مجاهد، وقال مثله ابن جريج وفيه نظر، لأن عمل رسول الله ﷺ كان ديمة، وفي رواية كان إذا عمل عملا أثبتته، فجميع عمله كان على منوال واحد، كأنه ينظر إلى الله عز وجل في جميع أحواله، اللهم إلا أن يكون المراد أن يرشد غيره إلى الاستعداد لذلك والله أعلم، والأحسن في هذا ما رواه الضحاك عن ابن عباس : ((لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير)) أى من المال وقال عبدالرحمن بن زين بن أسلم : ((وما مسنى السوء)) قال : لاجتنب ما يكون من الشر قبل أن يكون واتقيه، ثم أخبر أنه إنما هو نذير وبشير أى نذير من العذاب وبشير للمؤمنين بالجنات، كما قال تعالى : ﴿فإنما يسرناه بلسانك لبشر به المتقين وتذربه قوما لذا﴾^(٢) .

وللشيخ محمد رشيد رضا كلام جميل في هذه الآية بين فيه أن الناس قد افتتنوا بمن اصطفاهم الله من الأنبياء والمرسلين وغلوا فيهم، فكان هذا السياق الكريم بهذه الصورة ردا عليهم، كما بينت حقيقة أمر النبي ﷺ ، وأنه بشر لا يرفع إلى مرتبة الألوهية كما تجب طاعته، لأنه رسول رب العالمين، وفي ذلك يقول : ((أى قل أيها الرسول للناس فيما تبلغه من أمر دينهم إننى لا أملك لنفسى — أى ولا لغيرى بالأولى — جلب نفع ما في وقت ما، ولا دفع ضرر ما

(١) الأعراف / آية : ١٨٨ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ٢ / ٥٢٦ ، ٥٢٧ .

في وقت ما... كما أنه لا يملك شيئا من علم الغيب الذي هو شأن الخالق دون المخلوق كما يأتي بيانه في تفسير الجملة التالية، والاستثناء على هذا منفصل عما قبله مؤكداً لعمومه، أى لكن ما شاء الله تعالى من ذلك كان، فهو كقوله تعالى: "سنقرنك فلا تنسى إلا ما شاء الله"....، وهذا الوجه المختار عندنا، لأن الناس قد فتنوا منذ قوم نوح بمن اصطفاهم الله ووقفهم لطاعته وولايته من الأنبياء ومن دون الأنبياء من الصالحين....، «ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء»، والجملة استدلال على نفى علم النبي ﷺ الغيب كأنه يقول: لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا ولا أعلم الغيب، ولو كنت أعلم الغيب - وأقربه ما يقع في مستقبل أيامى في الدنيا - لاستكثرت من الخير كالمال وأعمال البر....، وفيه وجه آخر: أنه مستأنف غير معطوف على ما قبله، ومعناه: وما مسنى الجنون كما زعم الجاهلون، فيكون حاصل معنى الآية: نفى رفعه إلى رتبة الألوهية الذى افتتن بمثله الغلاة، أو نفى وضعه في أدنى مرتبة البشرية الذى زعمته الغواة العتاة وبيان حقيقة أمره...»^(١).

وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في الآية: «هذا ارتقاء في التبرؤ من معرفة الغيب ومن التصرف في العالم، وزيادة من التعليم للأمة بشئ من حقيقة الرسالة والنبوة، وتمييز ما هو من خصائصها عما ليس منها، والجملة مستأنفة ابتدائية قصد من استيفائها الاهتمام بمضمونها، كى تتوجه الأسماع إليها، ولذلك أعيد الأمر بالقول مع تقدمه مرتين في قوله: (قل إنما علمها عند ربى)، (قل إنما علمها عند الله)، للاهتمام باستقلال المقول، وأن لا يندرج في جملة المقول الخكى قبله، وخص هذا المقول بالإخبار عن حال الرسول ﷺ نحو معرفة الغيب ليقنع من عقول المشركين توهم ملازمة معرفة الغيب لصفة النبوة، إعلانا

(١) تفسير المنار جـ ٩ / ٥٠٨ - ٥١٢ .

للمشركين بالتزام أنه لا يعلم الغيب، وأن ذلك ليس بطاعن في نبوته حتى يستياسوا من تحديه بذلك...))^(١) .

٢- إثبات صفة العلم ومعية الله خلقه مع استوائه على عرشه .

ذكر ربنا سبحانه وتعالى في كتابه استواءه على عرشه في أكثر من موضع، وهو استواء يليق بجلال الله وكماله، ومعناه عند السلف علو الله خلقه^(٢)، وذكر البخاري عن أبي العالیه : استوى إلى السماء : ارتفع، وقال مجاهد : استوى : علا على العرش^(٣) .

ودفعاً لما يمكن فهمه من علو الله على خلقه أن الله بعيد من عباده، فلا يعلم ما هم عليه نصّ سبحانه في كثير من آيات الاستواء على علمه بخلقهم، وبتدبير أمر مملكته، وإحاطته بما هم عليه، كما ذكر معيته لهم مع استوائه على عرشه، حتى لا يفهم أحد أن الله حال في مخلوقاته .

وأكتفى هنا بذكر آخر آية في القرآن الكريم أثبتت علو الله على خلقه واستوائه على عرشه، مع إثبات صفى العلم والمعية معا، ثم أتبعها بأقوال بعض أهل العلم في معناها .

قال تعالى : ﴿هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير﴾^(٤) .

قال الطبرى فى معنى الآية : «يقول تعالى ذكره مخبراً عن صفته، وأنه لا يخفى عليه خافية من خلقه . يعلم ما يلج فى الأرض من خلقه، يعنى بقوله يلج : يدخل ، وما يخرج منها منهم، وما يزل من السماء إلى الأرض من شئ قط، وما

(١) تفسير التحرير والتنوير جـ ٩ / ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

(٢) انظر مثلاً كتاب أصول اعتقاد أهل السنة لللكائى جـ ٣ / ٣٨٧ .

(٣) فتح البارى شرح صحيح البخارى جـ ١٣ / ٤٠٣ .

(٤) الحديد / آية : ٤ .

يعرج فيها فيصعد إليها من الأرض، وهو معكم أينما كنتم، يقول : وهو شاهد لكم أيها الناس . أينما كنتم يعلمكم ويعلم أعمالكم، ومتقلبكم ومثواكم، وهو على عرشه فوق سمواته السبع، والله بما تعملون بصير...»^(١) .

وقال ابن تيمية عن فهم السلف وتفسيرهم لمعنى المعية والقرب : «..... وأما القسم الرابع، فهم سلف الأمة وأئمتها، أئمة العلم والدين من شيوخ العلم والعبادة، فإنهم أثبتوا وآمنوا بجميع ما جاء به الكتاب والسنة كله من غير تحريف للكلم، أثبتوا أن الله تعالى فوق سمواته، وأنه على عرشه بائن من خلقه، وهم منه بائون، وهو أيضا مع العباد عموما بعلمه، ومع أنبيائه وأوليائه بالنصر والتأييد والكفاية، وهو أيضا قريب مجيب ففى آية النجوى دلالة على أنه عالم بهم^(٢)، وكان النبي ﷺ يقول : «اللهم أنت صاحب فى السفر والخليفة فى الأهل»^(٣) . فهو سبحانه مع المسافر فى سفره ومع أهله فى وطنه، ولا يلزم من هذا أن تكون ذاته مختلطة بذواتهم...»^(٤) .

ومعية الله لخلقه تنقسم إلى قسمين : معية خاصة، وهى الواردة فى مثل قول الله تعالى: ﴿لَا تَخَافُ إِنِّى مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾^(٥)، وفى قوله: ﴿لَا تَحْزَنُ إِنِّى اللَّهُ مَعَنَا﴾^(٦)، وهذه المعية تقتضى النصر والتأييد والحفظ والإعانة، وهى للمؤمنين، ومعية عامة تتعلق بالناس جميعا، وهى الواردة فى مثل قول الله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا

(١) تفسير الطبرى جـ ٢٧ / ١٢٥ .

(٢) يعنى الآية رقم ٧ من سورة المجادلة .

(٣) أخرجه مسلم فى كتاب الحج باب ٧٥ جـ ٢ / ٩٧٨، وأبوداود فى سننه كتاب الجهاد باب ٧٩ جـ ٣ / ٧٤ وغيرهما .

(٤) مجموع الفتاوى جـ ٥ / ٢٣١ ، ولزبد من التفصيل يراجع ص ٤٩٤ - ٥١٣ من الجزء المذكور .

(٥) سورة طه / آية : ٤٦ .

(٦) التوبة / آية : ٤٠ .

هورابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا»^(١)، وهذه المعية تقتضى علمه وإطلاعه ومراقبته لأعمالهم^(٢).

وقد ذكر القاسمى عن ابن قدامة المقدسى أنه قال: ((إن ابن عباس والضحاك ومالك وسفيان وكثيراً من العلماء قالوا فى قوله: (وهو معكم) أى علمه، ثم قد ثبت بكتاب الله والمتواتر عن رسول الله ﷺ وإجماع السلف أن الله تعالى فى السماء على عرشه، وجاءت هذه اللفظة محفوفة بها دلالة على إرادة العلم منها، وهو قوله: ((ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض))، ثم قال فى آخرها: ((إن الله بكل شئ عليم))^(٣)، فبدأها بالعلم وختمها به، ثم سياقها لتخريفهم بعلم الله تعالى بحالهم، وأنه ينبئهم بما علموا يوم القيامة ويجازيهم عليه، وهذه قرائن كلها دلالة على إرادة العلم....))^(٤).

وقال عبدالرحمن السعدى: ((وهو معكم أينما كنتم))، كقوله: ((ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا))، وهذه المعية، معية العلم والإطلاع، ولهذا تواعد ووعد بالجأزة بالأعمال بقوله: ((والله بما تعملون بصير))، أى: هو تعالى بصير بما يصدر منكم من الأعمال، وما صدرت عنه تلك الأعمال))^(٥).

وقال الشيخ محمد بن عثيمين بعد كلام له عن آية سورة الحديد: ((فيكون ظاهر الآية أن مقتضى هذه المعية علمه بعباده وبصره بأعمالهم مع علوه عليهم، واستوائه على عرشه، لا أنه سبحانه مختلط بهم، ولا أنه معهم فى الأرض، وإلا لكان آخر الآية مناقضا لأولها الدال على علوه واستوائه على عرشه))^(٦).

(١) المجادلة / آية: ٧ .

(٢) جامع العلوم والحكم / ٢٧٧ .

(٣) المجادلة / آية ٧ .

(٤) محاسن التأويل جـ ١٦ / ٥٦٧٥ .

(٥) تيسير الكريم الرحمن جـ ٧ / ٢٨٤ .

(٦) القواعد المثلى فى صفات الله وأسمائه الحسنى / ٥٦ .

الفصل الرابع : سد الذرائع المتعلق بالنبوة والرسالة • المبحث الأول: تأييد الأنبياء بمعجزات لا تحصل لغيرهم •

اختص الله سبحانه وتعالى أنبياءه ورسله بآيات^(١)، بينات وبراهين ساطعات تدل على صدقهم وتوجب اتباعهم ويطلق عليها المعجزات، وإن كان الدليل على صدق الأنبياء لا ينحصر في المعجزات، إلا أنها من الأدلة الصحيحة على ثبوت النبوة، وما أجرى على يد الأنبياء من المعجزات لا يقع لغيرهم بحال وذلك سداً لذريعة تكذيبهم، والاختلاف عليهم والكفر بما أرسلوه به، وحتى يتميزوا عن الكاذبين •

يقول ابن تيمية : «ولهذا يجب في آيات الأنبياء أن لا يعارضها من ليس بنبي، فكل ما عارضها صادراً ممن ليس من جنس الأنبياء فليس من آياتهم، ولهذا طلب فرعون أن يعارض ما جاء به موسى لما ادّعى أنه ساحر، فجمع السحرة ليفعلوا مثل ما يفعل موسى، فلا تبقى حجته مختصة بالنبوة، وأمرهم موسى أن يأتوا أولاً بخوارقهم، فلما أتت وابتلعها العصا التي صارت حية، علم السحرة أن هذا ليس من جنس مقدورهم فأمنوا إيماناً جازماً»^(٢) •

ويقول أيضاً : «وخوارق الأنبياء لا يمكن غيرهم أن يعارضها ولا يمكن أحداً إبطالها، لا من جنسهم ولا من غير جنسهم، فإن الأنبياء يصدق بعضهم بعضاً، فلا يتصور أن نبياً يبطل معجزة آخر وإن أتى بنظيرها فإنه يصدقه، ومعجزة كل منهما آية له وللآخر أيضاً، كما أن معجزات أتباعهم آيات لهم بخلاف خوارق السحرة، فإنها تدل على أن صاحبها ساحر، يؤثر آثاراً غريبة مما هو فساد في العالم، ويسر بما يفعله من الشرك والكذب والظلم، ويستعين على ذلك بالشياطين، فمقصوده الظلم والفساد، والنبي مقصوده العدل والصلح،

(١) الآية : هي العلامة الدالة على الشيء، والمراد بها هنا: ما يجريه الله على أيدي أنبيائه ورسله من أمور خارقة للعادة، يعنى مخالفة للسنن الكونية المعتادة عند الناس ولا قدرة لهم عليها •

(٢) النبوات / ١٢ ، ١٣ •

وهذا يستعين بالشياطين، وهذا بالملائكة وهذا يأمر بالتوحيد لله وعبادته وحده لا شريك له، وهذا إنما يستعين بالشرك وعبادة غير الله، وهذا يعظم إبليس وجنوده وهذا يذم إبليس وجنوده»^(١).

والقرآن الكريم هو أعظم معجزات النبي ﷺ إلى يوم الدين، وأهم دليل على ثبوت نبوته ﷺ، وقد تحدى الله به الإنس والجن مجتمعين على أن يأتوا بمثله، فما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

يقول البهقي: "فأما العلم" الذي اقترن بدعوته ولم يزل يتزايد أيام حياته، ودام في أمته بعد وفاته، فهو القرآن العظيم، المعجز المبين، وحبل الله المتين، الذي هو كما وصفه به من أنزله فقال: ﴿وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾^(٢).

ومع تأييد الله لنبيه بالآيات المختلفة إلا أنه لم يجب المشركين إلى ما طلبوه من آيات لم يرد الله أن تكون لهم، وذلك سدا للريعة التكذيب بها، فيهلكم الله، كما هي سنته في ذلك قال تعالى: ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخوفاً﴾^(٣).

قال ابن جرير في تفسيره: «يقول تعالى ذكره: وما منعنا يا محمد أن نرسل بالآيات التي سألتها قومك إلا أن من كان قبلهم من الأمم المكذبة سألوا ذلك مثل سؤالهم، فلما أتاهم ما سألوا كذبوا رسلهم فلم يصدقوا مع مجي الآيات فعوجلوا، فلم نرسل إلى قومك بالآيات، لأننا لو أرسلنا بها إليهم فكذبوا بها سلكتنا في تعجيل العذاب لهم مسلك الأمم قبلها»، ثم ساق روايات كثيرة في سبب نزول هذه الآية منها ما ذكره ابن عباس - رضى الله عنه - قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهاباً، وأن ينحى عنهم الجبال فيزرعوا، ف قيل له: إن شئت أن نستأني بهم، وإن شئت أن نؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلك من قبلهم، قال: بل نستأني بهم، فأنزل الله الآية...»^(٤).

(١) المرجع السابق ص ٢١.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ج ١ / ١٠، والآيات من سورة فصلت ٤١، ٤٢.

(٣) الإسراء / آية: ٥٩.

(٤) جامع البيان في تفسير القرآن ج ١٥ / ٧٤.

المبحث الثاني: النهى عن المفاضلة بين الأنبياء سدا لذريعة الانتقاص من أحدهم.

دل القرآن الكريم على أن الله فضل بعض النبيين على بعض كما قال تعالى: ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾^(١)، ومع هذا وردت أحاديث صحيحة تنهى عن تفضيل بعض النبيين على بعض كما جاء في حديث أبي هريرة - رضى الله عنه - قال: «بينما يهودى يعرض سلعته أعطى بها شيئا كرهه، فقال: لا والذي اصطفى موسى على البشر، فسمعه رجل من الأنصار فقام فطم وجهه، وقال: تقول والذي اصطفى موسى على البشر والنبي ﷺ بين أظهرنا؟ فذهب إليه فقال: أبا القاسم، إن لى ذمة وعهدا، فما بال فلان لطم وجهي؟ فقال: لم لطمت وجهه؟ فذكره، فغضب النبي ﷺ حتى روى في وجهه، ثم قال: لا تفضلوا بين أنبياء الله، فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء، ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث، فإذا موسى آخذ بالعرش، فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور، أم بعث قبلى»

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: «ما ينبغي لعبد أن يقول: (إني خير من يونس بن متى • ونسبه إلى أبيه)»^(٢).

وهذه الأحاديث لا تعارض آية التفضيل المذكورة آنفا، وينبغي أن يحمل النهى الوارد فيها عن التفضيل إذا كان على وجه الحمية والعصبية، سدا لذريعة الانتقاص من المفضل.

قال النووي: قال العلماء: هذه الأحاديث تحتل وجهين: أحدهما: أنه ﷺ قال هذا قبل أن يعلم أنه أفضل من يونس،

(١) البقرة / آية: ٢٥٣ •

(٢) أخرجهما البخارى في كتاب أحاديث الأنبياء باب ٣٥ ج ٦ / ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ومسلم

في كتاب الفضائل باب ٤٢ ج ٤ / ١٨٤٣ ، ١٨٤٤ •

فلما علم ذلك قال : «أنا سيد ولد آدم...»^(١) .

والثاني : أنه ﷺ قال هذا زجراً عن أن يتخيل أحد من الجاهلين شيئاً من حط مرتبة يونس ﷺ^(٢) .

وقد ذكر القرطبي أقوالاً كثيرة لأهل العلم في هذه المسألة منها : «إنما نهي عن الخوض في ذلك، لأن الخوض في ذلك ذريعة إلى الجدل، وذلك يؤدي إلى أن يذكر منهم ما لا ينبغي أن يذكر ويقل احترامهم عند الممارسة»^(٣) . وقال ابن حجر : قال العلماء : «إنما قال ﷺ ذلك تواضعاً . إن كان قاله بعد أن أعلم أنه أفضل الخلق، وإن كان قاله قبل علمه بذلك فلا إشكال، وقيل : خص يونس بالذكر لما يخشى على من سمع قصته أن يقع في نفسه تنقيص له، فبالغ في ذكر فضله لسد هذه الذريعة»^(٤) .

وقال شارح الطحاوية بعد أن ذكر حديث أبي هريرة السابق : «فكيف يجمع بين هذا وبين قوله ﷺ : (أنا سيد ولد آدم ولا فخر)^(٥)، فالجواب : أن هذا كان له سبب ...، لأن التفضيل إذا كان على وجه الحمية والعصبية وهوى النفس كان مذموماً، بل نفس الجهاد إذا قاتل الرجل حمية وعصبية كان مذموماً، فإن الله حرم الفخر، وقد قال تعالى : ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾^(٦)، وقال تعالى : ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات﴾^(٧)، فعلم أن المذموم إنما هو التفضيل على وجه الفخر، أو على الانتقاص بالمفضول»^(٨) .

(١) أخرجه أبوداود في كتاب السنة باب ١٤ ج ٥ / ٢٥٤ وابن ماجه في كتاب الزهد باب ٣٧ ج ٢ / ١٤٤٠ .

(٢) شرح النووي على مسلم ج ١٥ / ١٣٢ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج ٢ / ١٠٧٠ .

(٤) فتح الباري ج ٦ / ٤٥٢ .

(٥) سبق تخريجه ص ٥٣ .

(٦) الإسراء / آية : ٥٥ .

(٧) البقرة / آية : ٢٥٣ .

(٨) شرح العقيدة الطحاوية / ١٧٠ ، ١٧١ .

وقد جاء في أبحاث اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ما يلي :
 ((..... ومن هذا القبيل تفضيل بعض الأنبياء على بعض، هو نفسه جائز، فقد فضل الله بعضهم على بعض ورفع بعضهم درجات، ولكنه يمنع حينما يجر إلى الفتنة والعصية....، وقد تخاصم مسلم ويهودى في العهد النبوى، ولطم المسلم وجه اليهودى، لأنه أقسم بالذى اصطفى موسى على العالمين وأقسم المسلم بالذى اصطفى محمدا على العالمين...، فلما بلغت الخصومة خاتم النبيين ﷺ غضب حتى عرف الغضب في وجهه، وقال: (لا تخيرونى على موسى)^(١)، ثم أثنى عليه بما هو أهله، ونهاهم أن يفضلوا بين أنبياء الله سدا لذريعة الفتنة، وحرصا على وقارهم - صلوات الله وسلامه عليهم -...، وإذا كانت الدول تشدد في سد الذرائع، وترى ذلك ركنا من أركان السياسة والأمن والنظام والمعاملات الدنيوية، فإنه في العقائد أخلق وفي مقام النبوة أوجب وأحق^(٢))).

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل باب ٤٢ ج ٤ / ١٨٤٤ .

(٢) حكم تمثيل الصحابة ص ٤١ لهيئة كبار العلماء .

المبحث الثالث: إرسال المرسلين بلسان أقوامهم ليعقلوا خطاهم .

أرسل الله أنبياءه ورسله باللسان الذي يتكلم به المرسل إليهم، حتى يعرفوا خطابه ومراده منه، ولئلا يتعللوا بعدم الفهم له، فكان الإرسال بهذه الطريقة سدا لذريعة تكذيبهم بحجة عدم الفهم عنهم . قال تعالى : ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم﴾^(١) .

واختص الله نبينا محمدا ﷺ بإرساله إلى الناس كافة من العرب والعجم، كما هو مرسل إلى الجن أيضا، ولا حجة لغير العرب في ذلك، لأن الله قيض لدينه من ينشره إلى غير العرب بلسانهم وأقيمت الحجة عليهم بذلك .

قال القرطبي : ﴿وما أرسلنا من رسول﴾ أى قبلك يا محمد ﴿إلا بلسان قومه﴾، أى بلغتهم، ليبينوا لهم أمر دينهم...، ولا حجة للعجم وغيرهم في هذه الآية، لأن كل من ترجم له ما جاء به النبي ﷺ ترجمة يفهمها لزمته الحجة، وقد قال الله تعالى : ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾^(٢) .

وقال ابن تيمية : ﴿وأما كون القرآن أنزل باللسان العربى وحده فعنه أجوبة : أحدهما : أن يقال : والتوراه إنما أنزلت باللسان العبرى وحده...، وكذلك سائر الكتب لا يترها الله إلا بلسان واحد، بلسان الذى أنزلت عليه، ولسان قومه الذين يخاطبهم أولا، وسائر الأنبياء إنما يخاطبون الناس بلسان قومهم الذى يعرفونه أولا، ثم بعد ذلك تبلغ الكتب وكلام الأنبياء لسائر الأمم، إما أن يترجم لمن لا يعرف لسان ذلك الكتاب، وإما بأن يتعلم الناس لسان ذلك الكتاب فيعرفون معانيه﴾^(٣) .

(١) إبراهيم / آية : ٤ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن جـ ٥ / ٣٥٦٩ .

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ ١ / ١٨٩ .

وقال ابن كثير: «هذا من لطفه تعالى بخلقه : أنه يرسل إليهم رسلا منهم بلغاقتهم ليفهموا عنهم ما يريدون وما أرسلوا به إليهم، كما قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع، عن عمر بن ذر قال : قال مجاهد : عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ (لم يبعث الله نبيا إلا بلغة قومه)...، وقد كانت هذه سنة الله في خلقه : أنه ما بعث نبيا في أمة إلا أن يكون بلغتهم، فاخص كل نبي بإبلاغ رسالته إلى أمته دون غيرهم، واختص محمد بن عبد الله رسول الله بعموم الرسالة إلى سائر الناس...»^(١)

وقال القاسمي في تفسيره: «فإن قلت : لم يبعث رسول الله ﷺ إلى العرب وحدهم، وإنما بعث إلى الناس جميعا، ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا﴾^(٢)، بل إلى الثقلين وهم على ألسنة مختلفة... قلت : لا يخلو إما أن يترل بجميع الألسنة أو بواحد منها، فلا حاجة إلى نزوله بجميع الألسنة، لأن الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل، فبقى أن يترل بلسان واحد، فكان أولى الألسنة لسان قوم الرسول لأنهم أقرب إليه، فإذا فهموا عنه وتبينوه وتنوّل عنهم وانتشر، قامت التراجم ببيانه وتفهمه، كما ترى الحال وتشاهد من نيابة التراجم في كل أمة من أمم العجم»^(٣)

وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله الأنصاري - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى...» وذكر منها: «وبعثت إلى كل أمة وأمر وأسود...»^(٤)

قال النووى في شرحه: «قيل المراد بالأمر البيض من العجم وغيرهم، وقيل المراد بالأسود السودان، وبالأمر من عداهم من العرب وغيرهم، قيل الأمر الإنس، والأسود الجن، والجميع صحيح فقد بعث إلى جميعهم»^(٥)

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ / ٢٩٧

(٢) الأعراف / آية : ١٥٨

(٣) محاسن التأويل ج ١٠ / ٣٧٠٦ ، ٣٧٠٧

(٤) شرح النووى على مسلم ج ٥ / ٥ ، وانظر أيضا فتح البارى ج ١ / ٤٣٩

المبحث الرابع: هـی المؤمنین عن مخاطبة النبی ﷺ بلفظ «راعنا» .

كان المؤمنون يقولون كلمة «راعنا» للنبي ﷺ ويقصدون بها معنى صحيحا وهو: راعنا سمعك، أى اسمع لنا ما نريد أن نسأل عنه، ونراجعك فيه القول لفهمه عنك، ولكن اليهود كانوا يقولونها ويقصدون بها الخط من مقام النبي ﷺ فكانوا يقولون: «راعنا»، من المراجعة، وهى تقتضى المشاركة فى الرعاية، أى: راعنا نرعك، وفى خطاب النبي ﷺ بذلك من سوء الأدب ما هو ظاهر، أو أنهم كانوا يميلون ألسنتهم فى نطق هذه الكلمة لتؤدى معنى آخر مشتقا من الرعونة فنهاهم الله عز وجل أن يقولوا لنبيه ﷺ هذه الكلمة سداً للذريعة الانتقاص من قدره ﷺ وأمرهم أن يتخيروا من الألفاظ أحسنها ومن المعاني أفضلها .

قال ابن تيمية: «إنه سبحانه منع المسلمين من أن يقولوا للنبي ﷺ (راعنا) مع قصدهم الصالح لئلا يتخذهم اليهود ذريعة إلى سبه ﷺ، ولئلا يتشبه بهم، ولئلا يخاطب بلفظ يحتمل معنى فاسدا»^(١) .

وقال ابن كثير: «هى الله تعالى المؤمنین أن يتشبهوا بالكافرين فى مقالتهن وفعالهن، وذلك أن اليهود كانوا يُعانون من الكلام ما فيه تورية لما يقصدونه من التنقص — عليهم لعائن الله —، فإذا أرادوا أن يقولوا: اسمع لنا . يقولون: راعنا، يورون بالرعونة، كما قال تعالى: ﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه، ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا فى الدين﴾^(٢)، وكذلك جاءت الأحاديث بالأخبار عنهم بأنهم كانوا إذا سلموا إنما يقولون: (السام عليكم) والسام هو: الموت، ولهذا أمرنا أن نرد عليهم بـ (وعليكم) وأنه يستجاب لنا فيهم ولا يستجاب لهم فينا»^(٣) .

(١) مجموعة الفتاوى الكبرى جـ ٣ / ١٤٤ .

(٢) النساء / آية : ٤٦ .

(٣) تفسير ابن كثير جـ ١ / ٢١٣ .

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدى : «كان المسلمون يقولون حين خطابهم للنبي ﷺ عند تعلمهم أمر الدين : (راعنا)، أى : اراع أحوالنا، فيقصدون بها معنى صحيحا، وكان اليهود يريدون بها معنى فاسد، فانتهزوا الفرصة فصاروا يخاطبون الرسول بذلك، ويقصدون المعنى الفاسد، فنهى الله المؤمنين عن هذه الكلمة، سدا لهذا الباب، ففيه النهى عن الجائز إذا كان وسيلة إلى محرم»^(١).

(١) تيسير الكريم الرحمن جـ ١ / ١٢٠ .

الفصل الخامس : سد الذرائع المتعلق بالإمامة والخروج على الحاكم

المبحث الأول : وجوب تنصيب إمام واحد والاجتماع عليه .
من المعلوم أن الإمامة^(١) شرعت لحفظ الدين وسياسة الدنيا به ومن هنا دعا الإسلام إلى وجود إمام واحد تجتمع عليه القلوب، وتكون به الجماعة، وتعدد الأئمة مدعاة للتفرق والاختلاف، لما يمكن أن يقع بينهم من تناحر وشقاق، لذا كان من شريعة الإسلام الدعوة إلى إمام واحد سداً لذريعة التفرق والاختلاف، وما هي بعض الأدلة على ذلك من القرآن والسنة:
أولاً : أدلة القرآن الكريم .

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢)
وقال تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٣) .

في هاتين الآيتين الكريميتين يأمر الله جماعة المؤمنين بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ والاجتماع على كلمته وعدم مخالفته، حتى لا يحدث نزاع بينهم فيقع ما حذرت منه الآيتان .

يقول الشيخ رشيد رضا في شرحه للآية الثانية : ((أطيعوا الله في هذه الأوامر المرشدة إلى أسباب الفلاح في القتال وفي غيرها، وأطيعوا رسوله فيما يأمر به وينهى عنه من شؤون القتال وغيرها من حيث إنه المبين لكلام الله الذي أنزل إليه على ما يريدته تعالى منه، والمنفذ له بالقول والعمل والحكم، ومنه ولاية

(١) الإمامة رئاسة عامة في الدين والدنيا خلافة عن النبي صلى الله عليه وسلم انظر الموسوعة

الفقهية جـ ٢١٦/٦

(٢) النساء / آية : ٥٩ .

(٣) الأنفال / آية : ٤٦ .

القيادة العامة في القتال، فطاعة القائد العام هي جماع النظام الذي هو ركن من أركان الظفر...»^(١) .

وقال القاسمي في تفسيره بعد شرحه للآية : ((تنبيه : قال بعض المفسرين في قوله تعالى : ﴿ولا تنازعوا﴾ أى : لا تختلفوا فيما أمركم به من الجهاد، بل ليتفق رأيكم، قال : ولقائل أن يقول : استثمر من هذا وجوب نصب أمير على الجيش ليدبر أمرهم ويقطع اختلافهم، فإنه بلزوم طاعته ينقطع الاختلاف وقد فعله ﷺ في السرايا، وقال : اسمعوا واطيعوا وإن أمر عليكم عبد حبشي))^(٢) .

ثانياً : أدلة السنة النبوية :

- ١- عن أبي هريرة - رضى الله عنه - عن النبي ﷺ قال : ((كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدى، وستكون خلفاء فيكثرون ، قالوا فما تأمرنا . قال : فوا بيعة الأول فالأول . أعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم))^(٣) .
- ٢- عن أبي سعيد الخدري - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ ((إذا بويع خليفتين فاقتلوا الآخر منهما))^(٤) .

قال النووي في شرح الحديث الأول : ((ومعنى هذا الحديث : إذا بويع خليفة بعد خليفة فبيعة الأول صحيحة يجب الوفاء بها، وبيعة الثانية باطلة يحرم الوفاء بها، ويحرم عليه طلبها....، واتفق العلماء على أنه لا يجوز أن يعقد خليفتين في عصر واحد، سواء اتسعت دار الإسلام أم لا، وقال إمام الحرمين في كتابه الإرشاد : قال أصحابنا لا يجوز عقدها لشخصين، قال : وعندى أنه لا

(١) تفسير المنار جـ ١٠ / ٢٤

(٢) محاسن التأويل جـ ٨ / ٣٠١٢، والحديث المذكور أخرجه البخارى في كتاب الأحكام

باب ٤ جـ ١٣ / ١٢١ .

(٣) أخرجه البخارى في كتاب الأنبياء باب ٥٠ جـ ٦ / ٤٩٥، ومسلم في كتاب الإمارة

باب ١٠ جـ ٣ / ١٤٧١ .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة باب ١٥ جـ ٣ / ١٤٨٠ .

يجوز عقدها لاثنتين في صقع واحد، وهذا مجمع عليه، قال : فإن بعد ما بين الإمامين وتخللت بينهما شسوع فلاحتمال فيه مجال . قال : وهو خارج من القواطع وحكى المازرى هذا القول عن بعض المتأخرين من أهل الأصول وأراد به إمام الحرمين وهو قول فاسد مخالف لما عليه السلف والخلف ولظواهر إطلاق الأحاديث . والله أعلم^(١) .

وقال ابن حجر : «(فوا) فعل أمر من الوفاء، والمعنى : «أنه إذا بويع خليفة بعد خليفة، فبيعة الأول صحيحة يجب الوفاء بها، وبيعة الثاني باطلة»^(٢) .

وقال ابن تيمية : «(إنه ﷺ سن الاجتماع على إمام واحد في الإمامة الكبرى وفي الجمعة والعيدين والاستسقاء وفي صلاة الخوف وغير ذلك مع كون إمامين في صلاة الخوف أقرب إلى حصول الصلاة الأصلية، لما في التفريق من خوف تفريق القلوب وتشتت الهمم، ثم إن محافظة الشارع على قاعدة الاعتصام بالجماعة وصلاح ذات البين وزجره عما قد يفضى إلى ضد ذلك في جميع التصرفات لا يكاد ينضبط، وكل ذلك يشرع لوسائل الألفة وهي من الأفعال، وزجر عن ذرائع الفرقة وهي من الأفعال أيضاً»^(٣) .

وقال ابن القيم : «(إن الشارع أمر بالاجتماع على إمام واحد في الإمامة الكبرى، وفي الجمعة والعيدين والاستسقاء وصلاة الخوف، مع كون صلاة الخوف بإمامين أقرب إلى حصول صلاة الأمن، وذلك سدا لذريعة التفريق والاختلاف والتنازع، وطلباً لاجتماع القلوب وتألف الكلمة، وهذا من أعظم مقاصد الشرع، وقد سد الذريعة إلى ما يناقضه بكل طريق، حتى في تسوية الصف في الصلاة، لئلا تختلف القلوب، وشواهد ذلك أكثر من أن تذكر»^(٤) .

(١) شرح النووي على مسلم جـ ١٢ / ٢٣١، ٢٣٢ .

(٢) فتح الباري جـ ٦ / ٤٩٧ .

(٣) مجموعة الفتاوى الكبرى جـ ٣ / ١٤٤ .

(٤) إعلام الموقعين جـ ٣ / ١١٨ .

المبحث الثاني: ترك الخروج على الحاكم وطاعته في غير معصية الله .

يرى أهل السنة والجماعة عدم الخروج على الحاكم المسلم الظالم الجائر، ما لم يصل ظلمه وجوره إلى الكفر البواح، وذلك سدا لمفسدة الخروج عليه، وما يترتب عليه من إراقة للدماء، وانتشار الفوضى في البلاد وبين العباد والأدلة على ذلك من السنة ما يلي :

١- حديث عبادة بن الصامت - رضى الله عنه - قال :
«بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان»^(١) .

٢- عن عوف بن مالك الأشجعي - رضى الله عنه - قال :
«سمعت رسول الله ﷺ يقول : خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم، قالوا : قلنا : يارسول الله : أفلا ننايذهم عند ذلك، قال : لا ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولى عليه وال فرآه يأتى شيئا من معصية الله فليكره ما يأتى من معصية الله ولا يترعن يدا من طاعة»^(٢) .

وقد وردت أحاديث كثيرة حول هذا المعنى وهى تفيد: ترك الخروج على الأئمة، ووجوب الطاعة في المعروف، وعدم طاعته في المعصية مع كراهة ما يأتى منها . وقد ذهب إلى القول والعمل بهذه الأحاديث أهل السنة والجماعة^(٣) .

(١) أخرجه البخارى في كتاب الفتن باب ٢ جـ ١٣ / ٥، ومسلم في كتاب الإمارة باب ٨ جـ ٣ / ١٤٧٠ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة باب ١٧ جـ ٣ / ١٤٨١ .

(٣) انظر مثلاً اعتقاد احمد بن حنبل وعلى بن المدينى في كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائى جـ ١ / ١٧٥ ١٩٣ .

قال النووي في شرحه لحديث عبادة السابق ذكره: ((ومعنى الحديث لا تنازعوا ولاية الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكرا محققا تعلمونه من قواعد الإسلام، فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم، وقلوا بالحق حيث ما كنتم، وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته.. قال العلماء: وسبب عدم انزاله وتحريم الخروج عليه ما يترتب على ذلك من الفتن وإراقة الدماء وفساد ذات البين فتكون المفسدة في عزله أكثر منها في بقاءه))^(١).

وقال ابن تيمية: ((وقد استفاض وتقرر في غير هذا الموضع — ما قد أمر به ﷺ — من طاعة الأمراء في غير معصية الله ومناصحتهم والصبر عليهم في حكمهم وقسمهم، والغزو معهم والصلاة خلفهم ونحو ذلك من متابعتهم في الحسنات التي لا يقوم بها إلا هم، فإنه من باب التعاون على البر والتقوى، وما نهى عنه من تصديقهم بكذبهم وإعانتهم على ظلمهم وطاعتهم في معصية الله ونحو ذلك مما هو من باب التعاون على الإثم والعدوان... ولا يزال المنكر بما هو أنكر منه، بحيث يخرج عليهم بالسلاح، وتقام الفتن كما هو معروف من أصول أهل السنة والجماعة، وكما دلت عليه النصوص النبوية في ذلك من الفساد الذي يربى على فساد ما يكون من ظلمهم، بل يطاع الله فيهم وفي غيرهم، ويفعل ما أمر به ويترك ما نهى عنه))^(٢).

وقال الحافظ ابن حجر: ((وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه، لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء))^(٣).

وقال ابن القيم: ((نهى النبي ﷺ عن قتال الأمراء والخروج على الأئمة — وإن ظلموا أو جاروا — ما أقاموا الصلاة، سدا لذريعة الفساد العظيم والشر

(١) شرح النووي على مسلم جـ ١٢ / ٢٢٩ .

(٢) مجموع الفتاوى جـ ٣٥ / ٢٠ ، ٢١ .

(٣) فتح الباري جـ ١٣ / ٧ .

الكثير بقتالهم كما هو الواقع، فإنه حصل بسبب قتالهم والخروج عليهم أضعاف ما هم عليه، والأمة في بقايا تلك الشرور إلى الآن»^(١).

وقال عبدالرحمن بن يحيى المعلمي: «وقد جرب المسلمون الخروج فلم يروا منه إلا الشر، خرج الناس على عثمان يرون أنهم يريدون الحق، ثم خرج أهل الجمل يرى رؤسهم ومعظمهم أنهم إنما يطلبون الحق فكانت ثمرة ذلك بعد اللتيا واللتى أن انقطعت خلافة النبوة، وتأسست دولة بنى أمية، ثم اضطر الحسين بن علي إلى ما اضطر إليه فكانت تلك المأساة، ثم خرج أهل المدينة فكانت وقعة الحرة...»^(٢).

وهكذا سرد المعلمي مفاصل الخروج الكبيرة في فترة من فترات الإسلام العظيمة، مبينا ثمرات هذا الخروج وآثاره على الأمة الإسلامية لهذا جاء الشرع الحكيم بسد الباب، ووضع أئمة أهل السنة ضوابط جليلة لمنع إراقة الدماء وحفاظا على المسلمين من التمزق والضياع^(٣).

(١) إعلام الموقعين جـ ٣ / ١٣٠ .

(٢) التنكيل لما ورد في تأنيب الكوثرى من الأباطيل جـ ١ / ٩٩ .

(٣) يراجع للفائدة كتاب الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة للدكتور عبدالله بن عمر

الدميحي ص ٤٩٠ - ٥٤٨ .

الخاتمة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين.

وبعد....،

فلقد انتهت بذلك صفحات هذا البحث بفصوله الخمسة التى بينت فيها ومن خلالها بعد المقدمة والتمهيد احتياط الشرع الحكيم للدين الحق القويم الذى جاء من عند الله عز وجل.

وقد ظهر من خلال هذه الدراسة أهمية علم التوحيد، وأهمية الحفاظ عليه، وسد كل منفذ يؤدي إلى خدشه، أو التهاون فى أمره، لكونه أساس الدين وقاعدته التى يقوم عليها.

وعلى هذا أقول : يجب على دعاة التوحيد والسنة الاهتمام الكبير بالتوحيد، ودراسته دراسة علمية قوية لتقديمه صافيا نقيا إلى البشرية، وذلك لترتفع راية التوحيد عالية خفاقة فوق كل مظاهر الشرك والوثنية، وتطهر البلاد ويخضع العباد لله الحى القيوم سبحانه وتعالى، وحتى ينتشر الأمن والسلام والرخاء، فبالتوحيد يتحقق للعبد ما يريد بمشيئة من له الخلق والأمر وحده.

وعلى المسلمين جميعا الاعتصام بحبل الله، والسير على منهاج النبوة، ولا نخشى قلة السالكين، لأن العاقبة للمتقين.

والحمد لله رب العالمين

فهرس المصادر والمراجع

- ١) أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة لللالكائي تحقيق الدكتور أحمد سعد حمدان ط / ١ الناشر دار طيبة بالرياض.
- ٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن للشيخ محمد الأمين الشنقيطي عالم الكتب / دار طيبة بالرياض بيروت.
- ٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين. لابن قيم الجوزية بتحقيق د / محمد محيي الدين عبد الحميد . ط / ١ / ١٣٧٤ هـ مطبعة السعادة بمصر.
- ٤) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان. للإمام ابن قيم الجوزية. بتحقيق الشيخ محمد حامد الفقي . الناشر مكتبة عاطف بجوار إدارة الأزهر.
- ٥) الأم. للإمام محمد بن إدريس الشافعي مع مختصر المزني ط / ٢ ١٤٠٣ هـ دار الفكر بيروت لبنان.
- ٦) تفسير القرآن الكريم الشهير بتفسير المنار. ل محمد رشيد رضا ط ٣ / ١٣٦٧ هـ دار المنار بمصر.
- ٧) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن. لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي طبعة دار الشعب بالقاهرة .
- ٨) تفسير القرآن العظيم. للحافظ ابن كثير بتحقيق عبد العزيز غنيم وجماعة طبعة الشعب القاهرة بدون تاريخ .
- ٩) تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل. للإمام محمد جمال الدين القاسمي بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي مطبعة عيسى الحلبي .
- ١٠) تفسير التحرير والتنوير. للشيخ محمد الطاهر بن عاشور .

١١) التکلیل لما فی تأنیب الکوثری من الأباطیل. للشیخ عبد الرحمن بن یحیی المعلمی بتحقیق محمد ناصر الدین الألبانی ومحمد عبد الرزاق حمزة — الناشر / دار الکتب السلفية بالقاهرة .

١٢) تیسیر العزیز الحمید فی شرح کتاب التوحید. للشیخ سلیمان بن عبد الله بن عبد الوهاب ط/٣ — المكتب الإسلامي .

١٣) تیسیر الکریم الرحمن فی تفسیر کلام المنان. للشیخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي بتحقیق محمد زهدي النجار مطابع الدجوي بالقاهرة .

١٤) جامع العلوم والحکم فی شرح خمسين حديثاً من جوامع الکلم. لابن رجب بتحقیق محمد عبد الرزاق الرعود ط/١ / ١٤١١ هـ — دار الفرقان للطبع والنشر بالأردن .

١٥) جامع البیان فی تفسیر القرآن. للإمام أبي جعفر محمد بن جریر الطبري — مصور عن الطبعة الأولى بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق عام ١٣٢٩ هـ — القاهرة .

١٦) الجواب الصحیح لمن بدل دین المسيح. لابن تیمیة مطابع المجد التجارية بدون تاریخ .

١٧) حکم تمثيل الصحابة. هيئة كبار العلماء باللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء طبعة دار أم القرى بالقاهرة بإشراف إدارة الدعوة والإعلام بالمركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة .

١٨) دعوة التوحید. للدكتور محمد خليل هراس ط/٢ / ١٤٠٧ هـ — مكتبة ابن تیمیة بالقاهرة .

١٩) الدین الخالص. للسید محمد صديق حسن بتحقیق محمد زهدي النجار مكتبة دار التراث بالقاهرة .

٢٠) دلائل النبوة. للبيهقي تحقيق د. عبد المعطي قلنجي ط/١ / ١٤٠٨ هـ — الناشر دار الريان للتراث .

- (٢١) سبل السلام شرح بلوغ المرام. محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني بتحقيق إبراهيم عصر — الناشر دار الحديث بالقاهرة بدون تاريخ .
- (٢٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة. محمد ناصر الدين الألباني المجلد الخامس ط — ١/ ١٤١٢ هـ مكتبة المعارف — الرياض .
- (٢٣) سلسلة الأحاديث الضعيفة. للألباني المجلد الأول — ط / ٤ / ١٤٠٥ هـ المكتب الإسلامي .
- (٢٤) سنن النسائي. المجتبى للحافظ أبي عبد الرحمن بن شعيب النسائي ومعه زهر الربى على المجتبى — ط / ١ — ١٣٨٣ هـ مطبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة .
- (٢٥) سنن الترمذي مع شرحه تحفة الأحوزي. بتصحيح عبد الرحمن عثمان. ط / ٣ / ١٤٠٧ هـ مكتبة ابن تيمية بالقاهرة .
- (٢٦) سنن ابن ماجه. للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي — الناشر المكتبة العلمية بدون تاريخ .
- (٢٧) سنن الدارمي. للإمام أبي محمد بن عبد الرحمن الدارمي — طبع بعناية محمد أحمد دهمان ونشرته دار إحياء السنة النبوية بدون تاريخ .
- (٢٨) سنن أبي داود. للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ومعه معالم السنن للخطابي بتعليق عزت الدعاس وعادل السيد. ط / ١ / ١٣٩٤ هـ دار الحديث بسوريا .
- (٢٩) الشريعة. للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري بتحقيق محمد حامد الفقي — الناشر أنصار السنة بـلاهـور — باكـستان .
- (٣٠) شرح النووي على صحيح مسلم — المطبعة المصرية ومكتبتها — بدون تاريخ .
- (٣١) شرح السنة. للبغوي بتحقيق شعيب الأرناؤوط — ط / ١ / ١٤٠٠ هـ المكتب الإسلامي .

- (٣٢) شرح العقيدة الطحاوية. بتحقيق محمد ناصر الدين الألباني — ط / ٤ / ١٣٩١ هـ — المكتب الإسلامي .
- (٣٣) صحيح البخاري. لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري مع شرحه فتح الباري — الناشر مكتبة الرياض الحديثة — بدون تاريخ .
- (٣٤) صحيح مسلم. للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي — الناشر رئاسة البحوث العلمية والإفتاء بالرياض .
- (٣٥) صحيح سنن الترمذي. للألباني — ط / ١ / ١٤٠٨ هـ — المكتب الإسلامي بيروت — الناشر مكتب التربية العربي لدول الخليج .
- (٣٦) صحيح سنن أبي داود. للألباني — ط / ١ / ١٤٠٩ هـ — الناشر مكتب التربية العربي لدول الخليج .
- (٣٧) طريق المهجرتين وباب السعادتين. لابن قيم الجوزية المطبعة السلفية بالقاهرة عام ١٣٧٦ هـ .
- (٣٨) عون المعبود شرح سنن أبي داود. لمحمد شمس الحق العظيم آبادي — ط / ٣ / ١٤٠٧ هـ — مكتبة ابن تيمية بالقاهرة .
- (٣٩) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. لمحمد ابن علي الشوكاني ط / ٢ / ١٣٨٣ هـ — مطبعة الحلبي بالقاهرة .
- (٤٠) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد. للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ بتحقيق الشيخ محمد حامد الفقي ومراجعة سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز .
- (٤١) فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد. لأبي عبد الله البخاري — تأليف فضل الله الجيلاي — مطبعة المدني بالقاهرة عام ١٤٠٢ هـ .
- (٤٢) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى. للشيخ محمد الصالح العثيمين — ط / ٣ / ١٤٠٩ هـ — مركز شؤون الدعوة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

- ٤٣) كتاب السنة. للحافظ أبي بكر عمر بن أبي عاصم الضحاك ومعه ظلال الجنة للألباني — ط/١/١٤٠٠هـ — المكتب الإسلامي .
- ٤٤) لسان العرب. للإمام أبي الفضل جمال الدين ابن منظور — الناشر دار صادر بيروت .
- ٤٥) المستدرک على الصحيحین. للإمام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري بإشراف د. يوسف المرعشلي — الناشر دار المعرفة بيروت .
- ٤٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل — الناشر المكتب الإسلامي .
- ٤٧) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيتمي — الناشر مكتبة القدسي بالقاهرة — بدون تاريخ .
- ٤٨) مجموع فتاوى ابن تيمية — جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد وابنه — مطابع دار العربية بيروت .
- ٤٩) مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز — إعداد وتقديم أ.د. عبد الله بن محمد الطيار والشيخ أحمد بن عبد العزيز — ط/١/١٤١٦هـ — دار الوطن بالرياض .
- ٥٠) مجموعة فتاوى ابن تيمية الكبرى — طبعة المطبعة الفنية — بدون تاريخ — الناشر دار المنار بالقاهرة .
- ٥١) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول. للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي — من مطبوعات الرئاسة العامة للإفتاء بالرياض .
- ٥٢) معجم البلدان. لأبي عبد الله ياقوت الحموي طبعة دار صادر بيروت عام ١٤٠٤هـ .
- ٥٣) معجم مقاييس اللغة. لأبي الحسين أحمد بن فارس بتحقيق عبد السلام هارون . طبعة دار الجليل بيروت — بدون تاريخ .
- ٥٤) المغني. لابن قدامة بتحقيق الشيخ محمد رشيد رضا — الناشر مطبعة الرياض الحديثة — بدون تاريخ .

٥٥) الموافقات في أصول الشريعة. لأبي إسحاق الشاطبي بتحقيق الشيخ عبد الله دراز — طبع المطبعة الرحمانية بمصر — بدون تاريخ .

٥٦) الموسوعة الفقهية. اصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت / ط / ٤ / ١٤١٤ هـ —

٥٧) النبوات. لابن تيمية — الناشر دارالفتح بالقاهرة — بدون تاريخ .
٥٨) النهاية في غريب الحديث والأثر. لابن الأثير بتحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي — المكتبة العلمية ببيروت — بدون تاريخ .

المداراة وأثرها في العلاقات العامة بين الناس دراسة شرعية اجتماعية

إعداد

د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود

الأستاذ المساعد في كلية الدعوة في جامعة أمّ لهرى

المقدمة

الحمد لله القائل: ﴿ قُلْ أَغْبِرَ اللَّهُ أَبْنِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [١٦٤ / الأنعام] .

وأصلي وأسلم على من اصطفاه ربّه وأرضاه ، القائل : « كلام ابن آدم كله عليه لا له ؛ إلا ذكر الله عزّ وجلّ ، أو أمر بمعروفٍ أو نهي عن منكر » ^(١) ، وعلى آله وصحبه ، وأمتّه الذين اتّبعوا هداه .

أما بعد :

فللمسلم الفرد دور خاص في حياة المسلمين جماعة ، ولهم فيه تأثير فيما يأتي أو يدع . ودوره يبرز أو يخفي حسب قدراته ، واستعداداته للمشاركة ، من خلال فرص الحياة الكثيرة ، ومعرفة استغلالها من قبله .

وأردت — والله المستعان — من خلال بحث موضوع (المداواة وأثرها في العلاقة بين الناس) أن أشرك غيري دراسة أُنْجَع السبل لإيجاد علاقات اجتماعية ناجحة وفق المعنى الشرعي في مجتمع يدين في شق نواحي الحياة لتعاليم الدين الإسلامي الحنيف .

وأبيّن بعض ما ورد عن هذا السلوك الأساسي — الذي يربط جميع أفراد المجتمع ببعضه بعض — في القرآن والسنة ، وما انعكس بعد ذلك من تأثير عنهما

(١) أخرجه الترمذي في الزهد ، باب ما جاء في حفظ اللسان ، وقال : ((هذا حديث حسن غريب)) ، وابن ماجه في كتاب الفتن ، باب كفّ اللسان في الفتنة .

على حياة الصحابة ، والتابعين ، ومن بعدهم .

ثم ما طرأ بعد ذلك على هذا السلوك من توسع في المفهوم لدى المتأخرين الذين بدأت تميل كفة ميزان حياتهم إلى الأمور المادية ، بعالمها ، ومعالمها ، مما دفع بعضهم إلى التخلي — متعمداً ، أو مضطراً — عن بعض الأخلاق الحميدة التي تميز الفرد المسلم عن غيره ، كالصدق ، والوفاء ، والمروءة ، ليصبح قاب قوسين أو أدنى من السيء من القول أو الفعل الذي من أخطره ، وأشنعه خصلتا : النفاق ، والكذب . اللتان توديان بصاحبيهما يوم القيامة إلى الدرك الأسفل من النار .

وقد قسّمت بحثي هذا إلى أربعة مباحث بعد المقدمة والتمهيد .

في الأوّل تعريف عام (للمدارة) في معناها اللغوي ، والاصطلاحي .

وفي الثاني استعرضت بشيء من الإيجاز ما ورد في كتاب الله العزيز عن (المدارة) ومدلولاتها وفق ما اخترت من آيات كريمات . وحاولت أن أبرز دور (المدارة) في دعوة الرسل بوصفها منهجاً قائماً بذاته يحتاجه الدعاة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

وفي الثالث أوردت نماذج مختلفة لما ورد في السنة المطهرة من أحاديث تدعّم ما أردت بيانه من تأثير (المدارة) على سلوك الداعية ، وإيجابية ذلك في نتائج دعوته .

وذكرت من مواقف بعض الصحابة ، والتابعين ﷺ ما يندرج في المفهوم العام (المدارة).

وأما المبحث الرابع فأردت أن استبين واقع المجتمع المعاصر الذي اعتبرته امتداداً طبعياً للمجتمعات السابقة فيها يخصّ معاملة الأفراد بعضهم بعضاً ، وما استجدّ فيه من مفاهيم واسعة (للمدارة) فرضتها عوامل معيشية مختلفة على

كثير من أفرادهِ ، يَجْنَحُ معَظَمُها إلى الخُروجِ عنِ المفهُومِ الإسلامي الصَّحيحِ . وما انعكسَ بعدَ ذلكِ منِ نتائجٍ سَلِبيَّةٍ على المَجتَمعِ المُسلمِ المُعاصِرِ .

وفي الخاتمة حاولت أن استعرض أهم نقاط البحث الإيجابية مثل أسلوب الصالحين في الدعوة إلى الله ، والسلبية كخفة الوزاع الديني عند البعض ، وتفشي الرشوة ، وتعميم الوساطة ، واعتبار المحسوية ، وتقرير الحلول المناسبة التي من أهمها تحقيق معنى الإحسان : « أَنْ تُعْبَدَ اللَّهُ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » ^(١) .

فإنَّ ذلكَ صِمامَ أمانٍ للإنسانِ منِ الوقوعِ في كثيرٍ منِ المُعاصي والآثامِ . ومنِ الله استمدَّ العونَ والتوفيقَ .

وفي التمهيد قبل ذلك ذكرت نقاطاً من أهمها حاجة الإنسان للإنسان لقضاء حاجاته ، وتحقيق أهدافه ، وما يجب أن يكون بينهما من صدق ووفاء واحترام لتسلك العلاقة بينهما مسلماً صحيحاً وفق ما نصَّ عليه الشارع الحكيم عند تبادل المصالح .

ومنها تقوى الله في السرِّ والعلن حتَّى لا يطفئ الشَّرُّ على الخير ، والرضا بما قسمه الله دون التطلع إلى ما بأيدي الناس .

ومنها العمل التطبيقي لما جاء في القرآن من آيات باهرات تدلُّ المسلم إلى أنجع الطرق ، وأقربها تحقيقاً من نفسه للخروج من اليأس إلى الأمل ، فإنَّ القلوب كلما كانت مطمئنة بالإيمان استطاع أصحابها العيش بسلام وأمان .

ومنها أن التفاوت في السلوك والأخلاق بين المسلمين سببه اختلاف

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النَّبي ﷺ .

درجات فهمهم لقواعد دينهم . وقبل ذلك صلاح النية ، أو فسادها في القول أو العمل .

ومنها أن العلم الشرعي السليم من آفة البدع والضلال يُكسِّي صاحبه كلما ازداد منه ، درعاً واقياً يرد عنه كيد الشيطان . ويبصره الصراط المستقيم .

ومنها أن القدوة الحسنة ، والنشأة القويمة ، والتربية السليمة للإنسان تجعل منه عنصراً صالحاً طيباً ينتفع منه الجميع .

ومنها ارتباط مصالح الناس بعضها ببعض ، فلا يستطيع إنسان الاكتفاء ذاتياً في متطلبات معيشته دون الاستعانة بغيره . والناس على درجات متفاوتة من الذكاء ، مما يجعلهم يتفاوتون في الجمع والتحصيل ، ولا يتفوقون في القدر والنوع . وغير ذلك من النقاط التي احتواها هذا البحث الذي يصبُّ في قالب العلاقات العامة ، والقدرات الإنسانية الاجتماعية وفق توجيه إسلامي حكيم ، والله أعلم وهو المستعان .



التمهيد

الحمد لله الذي هدى الإنسان التَّجدين : إِمَّا شَاكِرًا ، وإِمَّا كَفُورًا . وَرَكَّبَ فِيهِ مِنَ الْخَوَاسِ مَا مَكَنَهُ مِنَ الْإِتِّصَالِ بغيرِهِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ ، وَالتَّفْرِيقِ بَيْنَهَا فِي الْمَعَامِلَةِ .

وَرَبَطَهُ بَيْنِي جَنَسُهُ بِمَجْمُوعَةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ ، وَالسُّلُوكِ ، وَالْمَبَادِئِ الَّتِي تَنْظُمُ نَوْعَ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ . وَتَجْعَلُ كُلَّ طَرَفٍ يَتَوَقَّفُ عِنْدَ حُدُودٍ مُحَدَّدَةٍ ، تَحْفَظُ عَلَيْهِمْ كِرَامَتَهُمْ ، وَتَصُونُ إِنْسَانِيَّتَهُمْ ، وَتَحْفَظُ لَهُمْ حَقُوقَهُمْ ، وَمُكْتَسَبَاتَهُمْ .

وَلِلْمَعَامِلَةِ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَالْإِنْسَانِ قَوَاعِدَ ثَابِتَةٌ مِنَ التَّقْدِيرِ ، وَالِاحْتِرَامِ الْمُتَبَادِلِ ، وَالْخَوْفِ الْمَشْتَرَكِ عَلَى الذَّاتِ . فَكَمَا تَدِينُ تَدَانُ .

وَاللَّهُ جَعَلَ النَّاسَ سَوَاسِيَةً ، أَكْرَمَهُمْ عِنْدَهُ أَتْقَاهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَفِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا يَتَمَيَّزُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ بِمَا تُسْتَجْمَعُ بِهِ التَّقْوَى ، مِنْ يَقِينٍ بِالْمَعْبُودِ ، وَإِخْلَاصٍ فِي الْعِبَادَةِ ، وَأَدَاءٍ لِلْحَقُوقِ ، مَا كَانَ مِنْهَا لِلَّهِ ، وَمَا كَانَ مِنْهَا لِلْعِبَادِ .

وَالْعَمَلُ بِأَشْكَالِهِ الْمُتَعَدِّدَةِ ، الْمَخْتَلِفَةِ نَوْعٍ مِنَ الْمَعَامِلَةِ بَيْنَ النَّاسِ ، تَحْسُنُ ، أَوْ تَسُوءُ تَبَعًا لِأَخْلَاقِهِمْ .

فَيُتْرَعُ الْإِحْسَانُ إِلَى الْإِحْسَانِ ، وَيُتْرَعُ الْمُسِيءُ إِلَى الْإِسَاءَةِ . وَكُلَا الطَّرَفَيْنِ يَظُنُّ جَلْبَ الْأَفْضَلِ لِنَفْسِهِ .

وَفِي الْعَيْشِ فِي مَجْتَمَعٍ وَاحِدٍ يَحْتَاجُ الْإِنْسَانُ لَتَحْقِيقِ أَهْدَافِهِ إِلَى وَسَائِلٍ ، وَوَسَائِلَ مُخْتَلِفَةٍ ، فَيَبْذُلُ مِنْ فِكْرِهِ ، وَجَهْدِهِ الْكَثِيرِ ، الْكَثِيرِ .

فَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَتَوَرَّعُ عَنِ اتِّخَاذِ الْوَسَائِلِ أَيًّا كَانَ نَوْعُهَا ، وَنَتَائِجُهَا لِتَحْقِيقِ غَايَاتِهِ ، حَتَّى وَلَوْ أَضُرَّ بِغَيْرِهِ مِنْ أَفْرَادِ مَجْتَمَعِهِ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَقِفُ عِنْدَ حُدُودِ اللَّهِ ،

حتى ولو خسر تحقيق غايته . وحاجة الإنسان لغيره لا ينفك يطلبها ما دبَّ على الأرض . ويطلبها غيره منه ، في أكثر أحواله ، وحينه .

ولما كان الإنسان منّا يعتريه الضّعف ، ويظهر منه التقصير ، فإنه يلجأ — حينئذ — إلى الاحتيال على واقعه ، محاولاً الخروج بما يظنه خيراً بأساليب ، وأفاعيل شتى .

وإذا ضعف أمام حاجة نفسه ، وشهواتها ، ورغباتها ، استهوته الشياطين حيران بين مُضي وإحجام .

ولا تنفك النفس — الأتامة بالسوء — تلح في الطلب حتّى يستحوذ على الإنسان شعور بالعجز عن مقاومتها ، والحدُّ من تفلّتها ، وغلوّاتها ، فيقع في الحذور ، ويتزعزع حينئذ كيانه الأخلاقي ، ويساق إلى أغوار ساحقة ، بغیضة من الدونية في تفكيره ، وتحليله للأمور .

ومتى استطاع الإنسان سبيلاً إلى خلق التوازن بين متطلبات نفسه ، وما يحكم الخلق من ضوابط ، ونواميس كونية ، وشرائع سماوية ، استطاع أن يحدّ كثيراً من سرعة انزلاقه فيما يخالف أمور الدين ، والأخلاق . وقد أنزل الله إلى أمة محمد ﷺ شريعة سمحة ، توافق طبائعهم الفطرية والمكتسبة في مجتمع إسلامي قائم على الحقّ المبين . فإن أخذ بها المسلم ، وجعلها طوقاً في عنقه ، كسب ، وأكسب غيره الخير منه .

فعندما تضيق عليه السبل يعمل بقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح / ٥ - ٦] .

وعندما يستبطيء النتائج يعمل بقوله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ صَبْرُكُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ [النحل / ١٢٦] .

وإذا خاف على نفسه من ظالم، أو حاقِد، أو حَسود عمل بقوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة / ١٣٧] .

وإن خاف فقراً على نفسه أو عياله ، ذكر قوله تعالى : ﴿وَأِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [التوبة / ٢٨] .

وقوله تعالى : ﴿... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا . وَنَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق / ٢ - ٣] .

وإن شعر من الشيطان عليه هيمنة ، وزين له سوء عمله ، عمل بقوله تعالى : ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت / ٣٦] . لأنه كما قال تعالى : ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . إِنَّمَا سُلْطَانُ عَلَى الَّذِينَ يَكْفُرُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل / ٩٩ - ١٠٠] .

وإن رأى الإنسان من نفسه عجباً ، وتعالى على الناس ، واستخفافاً بحقوقهم ، واحتقاراً لشئونهم تذكر قول الله تعالى : ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا . كُلِّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء / ٣٨] .

وقوله تعالى : ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص / ٨٣] .

وإن هم بفعل معصية ، وسعى لتحقيقها تذكر قول الرسول ﷺ في الإحسان : « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » ^(١) .

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإسلام

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء / ١٠٨] .

هذه البصائر العظيمة ، ومثلها كثير في القرآن والسنة أعلام خير مضيئة ، لا يضل من استار بنورها ، وعمل بمقتضاها .

والسؤال : كيف يتفاوت المسلمون في سلوكهم ، وأخلاقهم وهم أمة رسول واحد ، وينهلون من معين كتاب واحد !!؟ .

والجواب :

(١) أن التفاوت بينهم مرده إلى فقهم في الدين ومعرفة الدليل ، وإخلاص النية في القول والعمل لله وحده . قال ابن القيم : « يتفاوتون في معرفة النصوص ، والاطلاع عليها ، كما يتفاوتون أيضاً في فهمها ، فمنهم من يفهم من الآية حكماً أو حكمين ، ومنهم من يفهم منها عشرة أحكام أو أكثر ، ومنهم من يقتصر في الفهم على مجرد اللفظ دون سياقه ، ودون إيمانه ، وإشارته ، وتنبيهه . ومنهم من يضم إلى النص نصاً آخر متعلقاً به فيفهم من اقتراحه به قدرًا زائداً على ذلك النص بمفرده .

والإحسان . ومسلم في كتاب الإيمان ، باب الإسلام والإيمان والإحسان ، كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وهذا مشروط بفهم يؤتيه الله عبده « (١) » .

(٢) وما يزال الإنسان يتعلم ، ويرقى في العلم حتى يصبح علمه خيراً له ، إن جاء وفق ما شرع الله على لسان نبيه ﷺ أو وبالأعلى عليه إن كان اتباعاً لهوى ، أو اقتداءً بمبتدع .

(٣) ووعي الإنسان ، وإدراكه ، وحسن تقبله للعلم مما يعطي الله عباده ، أو يمنعه ، بين ذلك رسول الله ﷺ في حديث معاوية بن أبي سفيان يرفعه : « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي » (٢) .

فالأمانة التي تحملها الرسول ﷺ البلاغ للجميع بما أوحى الله إليه ، بلا تمييز بينهم ، ولا تقصير في حق أحدهم ، ولا تخصيص لأحد دون آخر . فقسّمته في البشارة ، والنذارة ، بين الناس ، قسمة عدل ، وإنصاف ، وفيها تجرّد مطلق عن هوى ، أو عصبية ، ثم الله يعطي فهم هذه الشريعة ، بمفرداتها ، ومجموعها ، لمن يشاء من عباده ، وأراد له الخير ، ويمنعه عمّن يشاء بعدله ، وحكمته .

(٤) ويتأثر الإنسان بما حوله ، وبمن حوله في سلوكه ، وأخلاقه منذ مراحل تكوين شخصيته المبكرة ، مما يشكّل في مجموعه — غالباً — محور شخصية هذا المخلوق في مستقبل أيام حياته . ومصادق ذلك قوله ﷺ : « مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ » (٣) .

(١) أعلام الموقعين (١/٢٦٨) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم ، باب من يرد الله به خيراً ، ومسلم في الزكاة ، باب النهي عن المسألة ، كلاهما عن معاوية بن أبي سفيان .

(٣) رواه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلى عليه ، ومسلم في كتاب القدر (٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤) ، باب معنى كل مولد يولد على الفطرة . . كلاهما عن أبي هريرة ؓ .

قال الخطابي : إنّ كلّ مولود من البشر إنما يولد في أوّل مبدأ الخلق ، وأصل الجبلة على الفطرة السليمة ، والطبع المتهيء لقبول الدين . فلو ترك عليها ، وخُلّي وسومها لاستمر على لزومها ، ولم ينتقل عنها إلى غيرها .
وذلك أنّ هذا الدين بادٍ حسنه في العقول ، ويُسرّه في النفوس .
وإنما يعدل عنه من يعدل إلى غيره ، ويؤثره عليه لآفة من آفات النشوء ، والتقليد .

ولما سلم المولود من تلك الآفات لم يعتقد غيره ، ولم يختار عليه سواه .
ثمّ تمثل بأولاد اليهود ، والنصارى في أتباعهم لآبائهم ، والميل إلى أديانهم ، فيزولون بذلك عن الفطرة السليمة ، وعن الحجّة المستقيمة ^(١) .

(٥) غير أن للعقل في الإنسان دورًا بالغ الأهمية في هدايته ، عند اكتمال نضجه ، وتحرّره من القيود غير الشرعية ، والأوهام في العادات والتقاليد الموروثة ، ويبقى على أصل خلقته من السلامة من الآفات .

فمن الناس من ينشأ كافرًا ثمّ يهتدي بعقله — بعد إرادة الله — إلى الإيمان الحق ، متدبرًا لآيات الله في الكون ، وفي نفسه .

فيتحوّل من حال إلى حال ، ومن صفة إلى صفة .

والأمر نفسه يظهر في الأخلاق ، والسلوك ، فينشأ الإنسان على نمط منهما سيئًا ثمّ يهتدي بعد أن تزول عن عينيه غشاوة الضلال .

(٦) وإذا تكلف إنسان سلوكًا معينًا لتحقيق غايته ، تكلف غمطًا غريبًا ،

(١) انظر كتابه أعلام الحديث (١ / ٧١٦) .

وشاقاً من التعقل، والتفكير، لا يلبث أن يتلثم صاحبه عند المواجهة، ويجنح إلى الإفصاح عن حقيقة نواياه فتظهر للعيان ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِمَاهُمْ وَلَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [عمد / ٣٠] .

فالذين تخلفوا عن الجهاد مع رسول الله ﷺ تذرّعوا بعورة بيوتهم ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا . وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلْبَثُوا بِهَا إِلَّا سِيرًا﴾ [الأحزاب / ١٢ - ١٤] .

والذين تخلفوا عن غزوة تبوك مدّعين الخوف على أنفسهم من الإفتان بينات الروم، كشف الله زيف دعواهم بقوله تعالى : ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَئِذْ لِي وَلَا تَنْتَبِهِي الْآفِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنْ جَهَنَّمُ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة / ٤٩] .

فالنفاق سلوك شاذ عن قاعدة البراءة للإنسان السوي . وإنما يكتسبه — بعضهم — لمرض في قلبه ، وضعف في إرادته ، وتخلخل في إيمانه .

ويعتبر أن ذلك السلوك منه نوع من حسن التصرف ، والتعمية على الآخرين لتحقيق الغاية . فيصبح له أسلوب حياة .

وصدق الله القائل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْلَمُونَ . كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الصف / ٢ - ٣] .

فمخالفة القول العمل ، خلق مذموم ، يفقد صاحبه احترام الآخرين . . .

والمعاملات ، والمبادلات بين إنسان ، وإنسان تقوم على حاجتهما الفطرية إلى إشباع رغباتهما ، وتحقيق تعاونهما معاً في قضائهما .

وهوى النفس ، والشعور بالتميز عن الآخرين ، والأثرة تظهر في سلوك بعض الناس عند تعاملهم . وهي أمور قد تجرُّ إلى صراع بين الطرفين ، وانتحال الأسباب باللجوء إلى أنواع من الحيل ، والالتواء في الأساليب .

ومن حكمة البارئ ﷻ أن جعل كثيراً من المصالح الدنيوية مرتبطاً ببعضها ببعض ، ومكملاً بعضها بعضاً ، فلا يمكن لإنسان تحقيق مصلحة ذاتية من كثير من الأشياء إلا بمساعدة غيره . ولا يستطيع إنسان الاكتفاء ذاتياً في جميع حاجاته في الحياة دون الاستعانة بغيره ، سواء كان بطريق مباشر ، أو غير مباشر .

وجعل الله الناس على درجات متفاوتة ، ومختلفة من الذكاء ، والفطنة ، فهم يتفاوتون أيضاً في الجمع والتحصيل ، ولا يتفوقون في القدر والنوع .
 قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأنعام / ١٦٥] .
 والضعيف يتودد إلى القوي لتحقيق منافعه الذاتية ، والقوي يبذل من ماله ، وسطوته ما يؤمن حصوله على حاجته ، فينشأ من هذا الصراع في هذا المجال وغيره من مجالات الحياة المعيشية المختلفة ، تَفَقُّقُ الأذهان عن البحث في شتى الطرق ، والوسائل المؤدية إلى تأمين ما يحتاجه الناس من تحقيق مصالحهم فيما بينهم . وهم في ذلك — يختلفون في الأسلوب ، والنهج ، ونوع الإرادة ، ودرجة الصبر ، وقوة اليقين ، وقدرة التحمل . وعلى سبيل المثال :

أ — الإنسان كلما قَصَرَ حاجات نفسه المعيشية على الضروري منها ، عاش بعيداً عن المهارات التي تزرى به ، وحفظ لَقَدْرَهُ ، ولكرامته علو المكانة ، ووفر على نفسه الجهد والمشقة في اللجوء إلى أكثر أساليب (المدارة) ، وقلل من فتن الدنيا عليه ، وزخرفها ، وزينتها .

قال الرسول ﷺ لأبي هريرة : « اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ إِلَهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ ، وَأَحْسَنُ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِناً ، وَأَحَبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِماً ، وَلَا تُكْثِرِ الصَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الصَّحِكِ تُمِيتُ الْقُلُوبَ » (١) .

(١) أخرجه الترمذي في الزهد ، باب الزهد عن رسول الله ﷺ .

قال الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٦/٢) : حسن .

ب — وأما الذي لا يتورّع عن اتخاذ أي وسيلة لتحقيق غاياته فإنه يُكَيّف أفعاله وفق مصالحه الذاتية ، وتكون علاقاته مع الآخرين محكومة بالمصالح الخاصة به ، فهو في سعي دائم ، وشغف وتعلّق بظاهر الحياة وزخرفها ، ولسان حاله يقول : إذا مت ظمآن فلا نزل القطر .

وأما الذي يُداري ، ويُتدارى منه ، يأخذ بحق ، ويعطي بعدل ، يرغب في الزيادة ، ويخاف من المشتبهات فيها ، يملك من الإرادة ما يجعله يسيطر على رغبات نفسه — غالبًا عند تجاوزها حدود الله .

فهو يحرص على المباحات عند التفتيش عن الوسائل ، ويتبع الرخص عند الدفاع عن نفسه ، وإقناعه لها .

فشهوة حبّ التملك تغلبه عند استرساله في تصور الأمور ، وتحليلها .
فالأوّل يغلب عليه الزهد ، والقناعة ، اللذان ملأاً جوانح نفسه بالرضا بما قسم الله له .

والثاني غلبه هواه ، وطوّعته نفسه ، وسيّره الشيطان .

فألهوى أعمى بصيرته ، والنفس أطفته ، والشيطان زيّن له عمله فرآه حسنًا . فنفسه سوّلت له فعل تحقيق شهواتها ، ففعل ، حتّى إذا ذُكّر ، أو تذكّر سوء العاقبة ، علم أنّ الله غفور رحيم . وأطنب في التسويف ، وتشدّق بقوله : ليس إنسانًا معصومًا ، ثمّ تغلبه نفسه على ما تعود منها .

ثمّ هو ينقم على كلّ من يفضل به ، أو جاه ، أو عيال ، فلا ينسب التقصير إلى نفسه ، بل إلى سوء طالع ، وشحّ الفرص في الحياة .

وما أن تلوح له فرصة منها حتّى يبادر إلى اقتناصها غير مبال بالنتائج ، فالحلال ما وقع في يده ، والحرام ما استعصى عليه .

وأما الثالث فهو النموذج الأقرب للإصلاح ، والصالح ، خيره قريب ، وخوفه شديد من سوء العاقبة ، وتردده بين الصحيح والأصح جعله يميّز بين ما هو حرام وما هو حلال وما بينهما من مشبهات الأمور .

وإذا ما غلبته نفسه — أحياناً — على فعل المتشابه من الأقوال ، والأفعال ، يسترجع ، ويندم .

وفي مجتمع يعجّ بالمفارقات الطبقية ، والاعتبارات الذاتية للألقاب ، والسمات الشخصية ، والمكانة الاجتماعية ، والأصول العرقية ، يكون مجتمعاً قابلاً لشقّ الأفكار ، والمناحي ، والاتجاهات .

فمن كل نوع تجد أنموذجاً ، وأفراداً ، ولكل شرب تجد صادراً ووارداً ، وخاصة ما يتعلّق بجانب (المداراة) سلوكاً يتوصّل به إلى تحقيق الغاية .

وفي هذا البحث أحاول الوصول — إن شاء الله — إلى شيء من معرفة بعض ما يتعلّق (بالمداراة) بالاستعانة بما ورد في القرآن من آيات ، وفي السنّة من أحاديث ، وآثار الصحابة ، والتابعين . ففي مجموع ذلك ما ينير الطريق للباحث ، ويكشف زيوف ما جدّ على مسألة (المداراة) عند المتأخرين الذين ﴿ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة / ١٠٢] .

و (المداراة) سلوك لا يمكن أن يسلم منه إنسان سوي ، فربما كان أمراً يجري منه مجرى الغرائز فيه التي لا تنتهي عن الطلب حتّى تنال إرواءها .

هذا على اعتبار أن حاجات الإنسان ومتطلباته في الحياة الدنيا لا تنتهي ، وإن كانت تقلّ وتكثر بين إنسان وآخر وفقاً لدرجة التحمّل ، والصبر لديه ، وتقييمه لفرص الحياة .

فالوقوف على سلبات ، وإيجابيات (المداراة) يُسهّل الانتفاع بما هو صالح ، وطرح ما هو فاسد منها ، أو الحدّ من الفاسد بترويض النفس على

القناعة بالقليل الصالح عن الكثير الفاسد الذي يضر بالدين ، والأخلاق
والمروءة .

وقد قيل : من ابتغى الخير اتقى الشر .

وقال الباري جلّ وعلا : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ
كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء / ٣٦] .

وَأَسْأَلُ اللَّهَ السَّدَادَ .



المبحث الأول المعنى اللغوي والاصطلاحي للمداراة وبعض مرادفاتها

أولاً : المعنى اللغوي :

قال الأزهري : قال أبو زيد في كتاب « الهمز » :

(درأت) الرجل (مداراة) إذا اتقىته .

وقال أبو عبيد : (المداراة) هاهنا مهموزة ، من (درأت) وهي : المشاغبة ، والمخالفة على صاحبك . ومنه قول الله ﷻ : ﴿ فَادَارَأْتُمْ فِيهَا ﴾ ، يعني اختلافهم في القتل .

ومن ذلك قول الشعبي في المختلة : « إذا كان (الدُرءُ) من قبلها فلا بأس أن يأخذ منها » .

يعني (بالدرء) : النشوز ، والاعوجاج ، والاختلاف . وكل من دفعته عنك فقد (درأته) .

وقال ابن السكيت : (درأته) عني (أذرؤه) (درأ) : إذا دفعته . ومنه قوله ﷻ : « ادرؤوا الحدود بالشبهات » ^(١) .

يقال : (درأت) فلاناً أي : دفعته . و (داريته) أي : لايتته .

(١) رواه أبو حنيفة عن ابن عباس في (مسنده) مرفوعاً ، ص ١٨٦ . وضعفه الألباني . انظر : (إرواء الغليل) ، حديث رقم (٢٣١٦) ، تلخيص الحبير (٥٦/٤) .

و (درأته) : (داريته) ودافعته ، ولايته ^(١) . ا . هـ .

قال في اللسان :

و (المداراة) في حسن الخلق ، والمعاشرة مع الناس يكون مهموزاً (مدارأة) ، وغير مهموز (مداراة) .

فمن هَمَزَه كان معناه : الاتقاء لشره .

ومن لم يهمزه جعله من (دريت) الظي أي : احتلت له ، وختلته حتى أُصيده .

و (داريته) من (دريت) أي : ختلت .

قال الجوهري : و (مداراة) الناس : المداجاة ، والملاينة .

ومنه الحديث : « رأس العقل — بعد الإيمان بالله — مداراة الناس » ^(٢) .

أي : ملايتهم ، وحسن صحبتهم ، واحتمالهم لئلا ينفروا عنك .

و (داريت) الرجل : لايته ، ورفقتُ به ^(٣) .

(١) تهذيب اللغة : (١٥٦/١٤) .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه ، كتاب الأدب ، باب ما جاء في اصطناع المعروف عن هشيم عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب . قال يحيى بن معين : لم يسمع هشيم من علي بن زيد حديث (رأس العقل) . انظر تاريخه (٦٢٢/٢) ، قال البيهقي في شعب الإيمان (٣٤٣/٦) رقم (٨٤٤٦) : وصله مُنْكَرٌ ، وإنما يُروى منقطعاً .

(٣) اللسان ، مادة : درأ .

ثانياً : المعنى الاصطلاحي :

قال ابن حجر : قال ابن بطال :

المدارة من أخلاق المؤمنين ، وهي : خفض الجناح للناس ولين الكلمة ، وترك الإغلاظ لهم في القول ، وذلك من أقوى أسباب الألفة .

وظن بعضهم أن المدارة هي : المداينة ، فغلط .

لأن المدارة مندوب إليها ، والمداينة محرمة .

والفرق أن المداينة من الدهان ، وهو الذي يظهر على الشيء ، ويستتر باطنه .

وفسرها العلماء بأنها معاشرة الفاسق ، وإظهار الرضى بما هو فيه من غير إنكار عليه .

والمدارة هي : الرفق بالجاهل في التعليم ، وبالفاسق في النهي عن فعله ، وترك الإغلاظ عليه ، حيث لا يُظهر ما هو فيه ، والإنكار عليه بلطف القول ، والفعل ولاسيما إذا احتيج إلى تألفه ، ونحو ذلك ^(١) .

وقال الجرجاني :

المداينة هي أن ترى منكراً وتقدر على دفعه ولم تدفعه حفظاً لجانب مرتكبه ، أو جانب غيره ، أو لقلّة مبالاة في الدين ^(٢) .

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري : (٥٢٨/١٠) .

(٢) التعريفات : (ص ٢٣٥) .

قال ابن حبان تعليقاً على حديث « مداراة الناس صدقة » ^(١) : (المداراة)
الَّتِي تكون صدقة للمداري هي تخلُّق الإنسان الأشياء المستحسنة مع من يُدفع
إلى عشرته مالم يَشُبَّها بمعصية الله .

والمداهنة هي : استعمال المرء الخصال الَّتِي تُستحسن منه في العِشرة ، وقد
يشوبها ما يكره الله جلّ وعلا .

وقال ابن القيم : « الفرق بين المداراة والمداهنة : أن المداراة التَّلَطُّف
بالإنسان لتستخرج منه الحقّ أو تردّه عن الباطل ، والمداهنة : التَّلَطُّف به لتقرّه
على باطله وتتركه على هواه ، فالمداراة لأهل الإيمان ، والمداهنة لأهل
النفاق » ^(٢) .

وقال أبو هلال العسكري :

الفرق بين (اللطف) و (المداراة) أن (المداراة) ضرب من الاحتيال ،
والختل ، من قولك : (دريت) الصيد إذا ختلته .

وإنما يقال : (داريت) الرجل إذا توصّلت إلى المطلوب من جهته بالحيلة ،
والختل .

(١) رواه ابن حبان في صحيحه : ٢/٢١٦ ، حديث رقم (٤٧١) ، والطبراني (في
الأوسط) برقم (٤٦٦) ، وأبو نُعيم في (الحلية) : ٨/٢٤٦ ، وابن السني (في
عمل اليوم والليلة) برقم (٣٢٥) . قال الشَّيْخ شعيب الأرناؤوط في تعليقه على
الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان : إسناده ضعيف . المسيب بن واضح : صدوق
يخطيء كثيراً ، فإذا قيل له لم يقبل ، قاله أبو حاتم . وانظر الكامل لابن عدي (٦/
٢٣٨٣ — ٢٣٨٥) ، كشف الخفاء (٢/٢٠٠) .

(٢) انظر كتاب « الروح » ص (٢٨١) .

قال : وفلان لطيف الحيلة إذا كان يتوصَّل إلى بغيته بالرفق ، والسهولة .
ويكون اللطف حُسن العشرة ، والمداخلة في الأمور بسهولة ^(١) .



(١) الفروق ، لأبي هلال العسكري ص (٢٤١) .

المبحث الثاني ما ورد في القرآن الكريم عن المداراة ومدلولاتها

القرآن الكريم كتاب هداية ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة / ١٦] .

وهو كلام الله ووحيه إلى نبيه المصطفى — محمد بن عبد الله — ﷺ ، الذي ختم به النبوة ، وقفى به الرسل ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى / ٥٢] .

وجاء القرآن الكريم في مضمونه شاملاً لما أراد الله بيانه لخلقه من أوامر ونواه ، وواجبات وحقوق ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام / ٣٨] . وهو ﴿كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود / ١] .

فهاتان الصفتان العظيمتان : الشمول ، والتفصيل أكسبتا معجزة محمد بن عبد الله ﷺ الخالدة قوة الحجّة ، وسلامة المنطق ، ورسوخ القاعدة ، وإيجابية المفهوم ، واستمرارية التطبيق ، وصلاح النظام ، وعدم الخشية من التبديل أو التحريف ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر / ٩] .

فلا يجحد العاقل السوي عند سماعه أو تلاوته إلا أن يُدعن ويستجيب .

ومن أعرض ، وناوأ ، فلمرض في قلبه ، أو لجهله فحوى الخطاب ، أو فيه شيء من المكابرة قد تَسَوَّرَ بصره فأعمى بصيرته .

وقصّ فيه من القصص أحسنه عن الأمم السابقة في العصور الغابرة ، ليتفكّر ، ويتذكّر ، ويعتبر إنسان العصر بمن مضى ، وبأد ، وانقرض ، من

الأُمم ، والدول ، أكابر ، وأصاغر ، حتَّى لا يَغترَّ أحدُ بقوَّته ، أو جبروته ، أو سلطانه .

وللقُرآن أساليب مختلفة باختلاف المناسبات ، والوقائع ، فهناك ما يتطلَّب الجدل بالتي هي أحسن لتأليف القلوب ، وما يصاحب ذلك من آيات باهرات ، تُبْهتُ الفاسق ، وتكسر طوق المعاند ، والمكابر ، وتزيد المؤمن إيمانًا راسخًا .

كقوله تعالى في وصف موقف إبراهيم الخليل عليه السلام مع النمرود : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة / ٢٥٨] .

فالقوة بالمنطق غلبت القوة بالجدل المنفرع عن الباطل .

ويظهر ضعف موقف الماديين عند الجدال بالحجة على شكل زجاجة ، وزعيق ، ووعد ، ووعيد .

وللباطل جولات يظهر الحق بعدها سيفًا يترع علائقه . وعند مجادلة الجبابرة من أهل الظلم ، والبغي في ظلمهم ، وبغيهم ، وجبروتهم ، تظهر الحكمة ، والموعظة الحسنة ، والجدال بالتي هي أحسن عند المؤمنين بوحداية الله ، وتظهر سِمة التعالي ، والتطاول ، والمكابرة عند الكافرين . ذلك لأنَّ كلَّ فريق ينطلق من قاعدته التي بنى عليها معتقده . فالؤمن الراسخ الإيمان ذو قناعة تامة ، واطمئنان قلبي لما سيؤول إليه أمره . والكافر فقد الحجة السليمة فلجأ إلى القوة ، والأساس السليم يقوى على حمل صرْحِ سليم . وما كان على جرفٍ هارٍ فإنَّه ينهار .

والأنبياء والرسل من أكثر عباد الله المؤمنين حرصًا على هداية الناس ، ودعوتهم جميعًا إلى توحيد الله في العبادة . وتحذيرهم من كيد عدوهم الأول

إبليس اللعين وزمرته .

وقد غلب على أسلوب دعوتهم طابع الصبر ، واللين . فهذا نوح عليه السلام يمكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى إخلاص العبادة لله وحده ، ويحذّرهم سوء العاقبة إن هم أعرضوا ، ويعدّهم بالثواب الجزيل إن هم أقبلوا .
فالتحذير ، والتذكير ، والإغراء ، من أساليب الإمالة للقلوب السليمة إلى الأخذ بأسباب النجاة . من غير عنف ، أو إكراه .

وإبراهيم عليه السلام كان من أكثر المناوئين له أبوه وقومه عند دعوته لهم إلى عبادة الله وحده لا يشركون به شيئاً ، وقد لاقى في ذلك عنثاً شديداً ، وحرّجاً بليغاً لوقوف أبيه مع المشركين ضدّ دعوته ، حتّى قال له أبوه يوماً : ﴿ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنْ إِلَهِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَنْ لَمْ تَنْتَ لِأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً ﴾ [مریم / ٤٦] .

فاستوحش إبراهيم عليه السلام من موقف أبيه آزر ، ولكنه أبقى على شيء من البرّ له عندما ﴿ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً ﴾ [مریم / ٧] .
غير أن هذا الموقف اللين لم يغيّر شيئاً من موقف أبيه واستمر في عدائه لدعوته .

عندها خشي عليه السلام أن ينقلب موقفه من أبيه وقومه من مفهوم المدارة إلى مفهوم المداينة .

قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة / ١١٤] .

تبَيَّنَ له من جهة الوحي أن أباه لن يؤمن ، وآتاه يموت كافراً .

فانقطع رجاءه عنه ، فقطع استغفاره له .

وهكذا يجب أن يكون موقف الداعية المؤمن من المناوئين لدعوته ، صبراً

على الأذى ، وليتأ في الخطاب ، ووضوحاً في البيان ، والتذكير ، والوعد ، والوعيد . حتّى إذا سُدَّت المنافذ في وجهه ، واستحكم الهوى على عقل عدوه ، وأظهر مقاومة شرسة ، تركه وما أراد ، فقد أعذر إلى الله ، وبرئت ذمته ، وأقام الحجّة على عدوه .

ولإبراهيم الخليل عليه السلام في دعوته إلى الله موقف آخر مع عدو من أعداء دعوته الذي سنّ لنفسه قانوناً يقضي بوجوب إحاطته بكل امرأة توصف بالحسن والجمال تدخل أرض مملكته ليستأثر بها لنفسه .

وجاءه خبر (سارة) زوج إبراهيم عليه السلام ، وكانت أجمل نساء الأرض . قيل له : لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي أن تكون إلّا لك . فأدرك الخليل عليه السلام أن الجبار سيسئدعها إليه بالقهر ، والجبروت ، ولا طاقة له برده ، ومنعه عما أراد ، فاتفق مع زوجه أن تقول إذا سألوها عن صلة القرابة بينهما أنّها أخته — وأراد بذلك أخوة الإيمان — وفي ذلك تمويه على الكافر حتّى لا يقدم على قتله إذا علم أنّه زوجها ، ليتخلص منه ، ويأمن شرّ غيره ، ولكن ربّما حرص — الجبار — على استرضائه بوصفه أخاً لسارة طمعاً في زواجه منها عن طريق طلبها منه ، ثمّ يرجو مدافعتة عنها .

وقيل : إنّ إبراهيم عليه السلام أراد دفع أعظم الضررين بارتكاب أخفّهما ، وذلك أن اغتصاب الملك إياها واقع لا محالة ، لكن إن علم أنّ لها زوجاً في الحياة حملته الغيرة على قتله وإعدامه ، أو حبسه وإضراره ، بخلاف ما إذا علم أنّ لها أخاً فإن الغيرة حينئذ تكون من قبل الأخ خاصة لا من قبل الملك فلا يبالى به ^(١) .

(١) انظر فتح الباري لابن حجر (٦ / ٣٩٣) .

وصلة إبراهيم عليه السلام بربه وثيقة ، ومثينة ، فأدرك عليه السلام أن لله في ذلك الأمر حكمة ، وأن الله لن يمكن عدوه من وليه ، وأن العاقبة للمتقين ، وهو الحفيظ العليم .

وكان من قصتهما أن الله أخزى الكافر ، وأبطل كيده ، وكبته ، وحى عرض نبيه ، وأخدمها الكافر (هاجر) أم إسماعيل عليه السلام ^(١) .

فطريق إبراهيم عليه السلام في التعامل مع الكافر الجبار أخذ جانب المسيرة ، والملاينة طريقاً لمدارة الجاهل ، السفیه ، الأحمق .

وإبراهيم عليه السلام كان غيوراً ، حتى قيل : بأنه صنع تابوتاً لزوجته سارة يضعها فيه كلما تنقل بها ليخفيها عن أعين الناس !! .

فلو أبدى أدنى مقاومة لتصدى له الجبار بجبروته ، وجبابرته وقضى عليه ، وعلى دعوته ، ولكن الله سلم .

وما فعله إبراهيم عليه السلام حيال فعل الجبار الغاشم جاء معناه في قول الله تعالى : ﴿ لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران / ٢٨] .
فقله تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ معناه : إلا أن تخافوا من جهتهم أمراً يجب اتقاؤه ، أو تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم ^(٢) .

(١) انظر صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى : (وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا) .

وصحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب من فضائل إبراهيم الخليل .

(٢) انظر في هذا المعنى تفسير الطبري للآية (٢٨) من سورة آل عمران .

وموقف يوسف عليه السلام مع إخوته الذين اتهموه بالسرقة واتهموا شقيقه في قولهم : ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف / ٧٧] . كان موقفًا حكيماً ، يتسم صاحبه ببعد النظر وقوة الإرادة من التحكم في النفس ورغباتها ، عند أصعب ساعات الإثارة والطغيان .

فهو أمام قمة خطيرة ، محلة بالشرف ، ومخالفة للمروءة ، ومن أقرب الناس إليه ، وكان يستطيع أن ينتقم لنفسه منهم ، وأن يوقع بهم أشد العقوبة لمكانته الاجتماعية المتميزة عند ملك مصر .

وقبل ذلك ما فعلوا به من إلقائه في الحب ، وحرمانه من أبويه ، وتصويره رقيقاً .

فقد سنحت الفرصة ، وقد أصبح وزيراً للملك ، ويده خزائن الأرض ، وجاءه إخوته مع من جاء من الفقراء المعوزين يطلبونه رزقاً بعد أن مسهم وأهلهم الضر . ولكنه كان نبياً كريماً ، حكيماً ﴿فَأَسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَكَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف / ٧٧] .

فقد كان عليه السلام واثقاً من ربه ، ومتحصناً بإيمانه ، فلو أخذته العزة بالإثم لأمر من يفتك بهم ، أو أن يطردهم شر طردة ، وكان محقاً .

ولكنه أدرك عليه السلام بأن فقدهم سيزيد من ألم أبيه وحزنه ، وأساه .

وأدرك أيضاً أن للشيطان دوراً فيما وقع بينه وبين إخوته ، فلا ينبغي أن يكون عوناً له على ما أراد .

فكظم غيظه ، وعفا عنهم ، بعد أن عرفهم بخطئهم ، وأبرّ بوالديه ، وجمع شمل أسرته .

وما كان ذلك ليتحقق لولا مشيئة الله ، ثم الصبر والملاينة ، وشيء من

الحيلة ، والحنكة ، والختل .

فقد كان ﷺ لطيف الحيلة فتوصل إلى بغيته بالرفق ، والسهولة .

وموسى بنى إسرائيل ﷺ في دعوته فرعون وقومه إلى الإيمان بالله وحده ، لاقى تعنتاً شديداً من كافر عنيد ، حكمه نافذ في قومه ، بل نصب نفسه رباً عليهم ، وفرض عليهم عبادته ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأَمَّا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِّي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص / ٣٨] . وكفر بمعجزات موسى إليه ، لم يعتبر بواحدة منها ، بل زادته إصراراً ، وتعنتاً ، وطغياناً .

شأنه خطير ، وشره مستطير ، فهذا النوع من البشر عنيد ، مكابر ، ذو نفوذ ، وسلطان واسعين ، لا يتردد ، ولا يتورع عن فعل كل ما يمكنه من عدوه بكل الوسائل ، والطرق .

وقد واجهه من يدعوه إلى دعوة تناقض كل مبادئه ، وتُسفه كل أمانيه ، وأحلامه ، فأخذ يتخبط في أقواله ، وأفعاله ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ . أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يُكَادُّبِينَ . فَلَوْلَا أَلْقَىٰ عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقَرَّرِينَ . فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [الزخرف / ٥١ - ٥٤] .

إن طاغية هذا شأنه لن يكون سبيل دعوته إلى ما يخالف معتقده أمراً سهلاً لبشر لولا عناية ، ومشية الله . فانتدب الله إليه موسى وأخاه هارون — عليهما السلام — ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي . اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ . فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه / ٤٢ - ٤٤] .

وخطط لهما أسلوب دعوته ، قال تعالى : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى . إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى . اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ . فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَٰهٌ إِلَّا أَنَا تَزَكَّىٰ .

وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَقَشِي ﴿ [النازعات / ١٥ - ١٩] .
قال النسفي :

بدأ مخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض .

كما يقول الرجل لضيفه : هل لك أن تنزل بنا ؟

وأردفه الكلام الرقيق ليستدعيه باللطف في القول ويستترله بالمداراة من
عتوه ^(١) .

ولقد بذل موسى وأخوه هارون — عليهما السلام — وسعيهما في دعوة
فرعون وقومه المشركين إلى الإيمان بالله وحده ، ولكن ذلك الجهد المضني ،
وعدم التواني في الدعوة منهما لم يجديا نفعا مع طاغية أعمى الهوى ، والشیطان ،
وشهوة النفس بصره ، وبصيرته .

فتدخلت القدرة الإلهية في التخلص منه بإغراقه في اليم ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي
إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجَنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَذْرَكَ الْفَرْقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا
إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَآئِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ . الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ
الْمُفْسِدِينَ . فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بَبَدِّكَ لَنَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَاتِنَا
لَغَافِلُونَ ﴾ [يونس / ٩٠ - ٩٢] .

فالمداراة بالملاينة من موسى وأخيه هارون — عليهما السلام — لفرعون
وقومه المشركين هي من باب إقامة الحجة عليهم ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ
لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُتَّبِعِ ءَايَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنُحْزَى ﴾ [طه / ١٣٤] .

(١) انظر تفسير النسفي : ٣٣٠/٤ .

وقال تعالى : ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء / ١٦٥] .

فكان فرعون مدارئاً ، وموسى عليه السلام مدارئاً . وكان موسى عليه السلام والمؤمنون معه محكومين ، وفرعون كان حاكماً ، فاقترضت الحكمة أن يراعي المحكوم الحاكم المستبد اتقاء سطوته ، وجبروته للإبقاء على الداعي ، ودعوته لاستمرارهما مع الآخرين ، بلا إفراط ولا تفريط ، وإنما مداراة ، وحكمة حتى إذا أقام عليهم الحجة تركهم ، وشأنهم يواجهون مصيرهم المحتوم ، وقد برأت ذمة الداعية إن شاء الله .

ومحمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم بذل في دعوته إلى توحيد الله جهده ، وطاقته بأساليب ، وطرق مختلفة يظهر عليها طابع الحكمة ، والروية ، والشفقة ، والإحسان ، والصبر الجميل ، والموعظة بالتي هي أحسن .

فهو رسول الله إلى الثقلين ، بخلاف من سبقه من الرسل والأنبياء ، فقد كان كل نبي يبعث في قومه خاصة .

مما جعل مهمته صلى الله عليه وسلم من أشق المهام ، وأصعبها . إلا أن الله تعالى أمدّه بعونه ، وتوفيقه ، وعصمه من الخطأ ، أو الزلل ، ورسم له طريق الدعوة فيما أنزل عليه من قرآن ، تكفل بحفظه صلى الله عليه وسلم عن الزيادة ، والنقصان ، فكان معجزته الخالدة ، فيه البيان ، والإرشاد لطريق الدعوة والهداية .

قال تعالى : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران / ١٥٩] .

ففي هذه الآية الكريمة أبرز صفات الداعية وأهمها : أن يكون الداعية لئّن الجانب مع القساة ، والمتعتين ، ممن تسوقهم قلة درايتهم إلى استخدام ألفاظ

نابية في مخاطبتهم إياه .

أو ممن تدفعهم العصبية إلى طلب أمر من الأمور من باب التعتت .

وأن يكون الداعية رقيق القلب يحسن معرفة الجوانب الإنسانية عند مخاطبيه ، فيراعي الفروق الفردية بينهم في الوعي والإدراك ، ومعرفة عواقب الأمور . فلو كان ممن يأخذ هذا بجريرة هذا ، ويحكم على هذا في صورة هذا لوقع في قلوبهم شيء من الكراهية له ، ولربما تردد الضعيف في إيصال مظلمته إليه خشية إغضابه ، وحققه عليه ، فتضيع بذلك حقوق مستحقيها ، وتفتح دروباً من الشر لمنتحليها .

وأن يعفو عن أساء ، ويستغفر له إن كان ما وقع منه جهلاً ، أو قصوراً في التفكير .

فإن مثل هذه الأفعال الحسنة وغيرها مما يقرب المدعو إلى الداعية . ثم يصل أمر الداعية إلى ذروته في الفاعلية عندما يشعر المدعويين بقدرهم ، وقيمتهم الفكرية حين يشاورهم في الأمور التي لها مساس بدينهم ، ودنياهم .

حينئذ يترسخ الولاء من التابع للمتبوع ، ويستشعر الجميع أهمية الرأي ، والمشورة ، فيتوحد بذلك المصير ، ويصبح مشتركاً .

وفي توجيه آخر ينهى الله نبيه محمدًا ﷺ من التعرضي لآلهة المناوئين لدعوته ، والمجاهرين بتكذيبه ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهم ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهم مَرْجِعُهم فَيُنَبِّئُهم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام / ١٠٨] .

فطالما أنهم لا يميزون بين الحق والباطل فيما يقولون ويفعلون ، ويخضعون لأهوائهم ، وشهواتهم في تحديد رغباتهم ، فعليكم أن تمسكوا عن ذكر آلهتهم بما يكرهون ، حتى لا يدفعهم ذلك عصبية وجهلاً إلى سب الله جلّ وعلا عدواناً وظلماً .

قال ابن العربي :

هذا يدل على أن للمحقق أن يكفّ عن حقّ جائز يكون له إذا أدى ذلك إلى ضرر يكون في الدين ^(١) .

ويشبه ذلك حضور مجالس السفهاء ، والتعقيب على تصرفاتهم ، والتشجيع عليهم ، ووعدهم ، ووعيدهم بما جاء في الشريعة من أحكام على مثل أفعالهم .

فإن أحد السفهاء قد يفلت لسانه بكلمات تنال من المشرّع ، أو تنقص من قدر الإسلام أو المسلمين ، وربما تعرّض الداعية نفسه إلى السخرية ، والأذى المادي ، والمعنوي . فالكف عن التنديد بصنيعهم مباشرة بالقول أو الفعل نوع من المداراة والمسايرة اللتين تمتصان الكثير من غلوائهم ، حتّى إذا عادت إليهم عقولهم بالتفكير المجرد في عواقب الأمور ، استطاع حينئذٍ الموجهون توجيههم الوجهة الصحيحة .

ومحاولة توجيه النصيحة للفرد بعيداً عن سماع الآخرين ومعرفتهم . فالنصيحة في الجماعة نوع من التوبيخ يأبى كثير من الناس سماعه .

وقال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل / ١٢٥] .

فقوله تعالى : ﴿ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ قال الزمخشري : بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق ، واللين من غير فظاظة ، ولا تعنيف ^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ

(١) أحكام القرآن (٧٤٤/٢) .

(٢) الكشف (٣٤٩/٢) .

الْمُسْلِمِينَ . وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ . وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿ [فصلت / ٣٣ - ٣٥] .

في هذه الآيات توجيه حميد ، ومنهج دعوة قويم .

فإن الداعي لا يخلو من مناوئين لدعوته . وأولئك المناوئون يكون لهم أنصار مؤيدون لهم قد غفلوا عن معرفة حقائق الأمور ، وملابساقها . فهم يأترون بأوامر زعمائهم ، ويقضون بقضائهم . فإن أخذ الداعية بكل سيئة تصدر عنهم ، وأراد مقابلة السيئة بالسيئة أكفهر وجه دعوته ، وزين الشيطان حينئذ للطرفين وسائل الانتقام ، والفتك بالآخر .

فيتضخم بذلك مجال الشر ، ويتسع ، ويضيق بالمقابل مجال الخير حتى الاختناق .

ومحصل هذا : خوف ، وتشرد ، وقتل ، وفرقة .

ومنهج الإسلام ، ومبادئه السامية : الإصلاح ، والوفاء ، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور . وتحقيق ذلك يتطلب الصبر والأناة ، والموعظة الحسنة ، والصفح عن المسيء بجهالة . ومقابلتها بما أمكن من الإحسان ، حتى إذا اجتمع الصبح والإحسان ، وبذل الاستطاعة فيه ، كانت حسنة مضاعفة بإزاء سيئة ، وهذه قضية قوله تعالى : ﴿ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ والمدارة محثوث عليها ما لم تؤد إلى ثلم دين وإزراء بمروءة .

والحسنة والسيئة متفاوتتان في أنفسهما ، فخذ بالحسنة التي هي أحسن من أختها إذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض أعدائك . ومثال ذلك :

رجل أساء إليك إساءة ، فالحسنة أن تغفو عنه . والتي هي أحسن أن تحسن

إليه مكان إساءته إليك .

مثل : أن يذمك فتمدحه ، ويقتل ولدك فتفتدي ولده من يد عدوه . فإنك إذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولي الحميم مضافة لك .

وعن ابن عباس ﴿بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ الصبر عند الغضب ، والحلم عند الجهل ، والعفو عند الإساءة^(١) .

وقوله تعالى : ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل / ٩] . خطاب لنبينا ﷺ أن يجانب الذين ناوؤوا دعوته من مشركي مكة وغيرها بقلبه ، وهواه ، ويخالفهم مع حسن المخالقة ، والمدارة ، والإغضاء ، وترك المكافأة^(٢) .

وفي توجيه عام للناس يقول الله تعالى في حق الوالدين : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِنَّمَا يُبَلِّغَنَّ عَنْكَ الْكِبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَوْ لَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا . وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء / ٢٣ - ٢٤] .

(١) ذكره البخاري في صحيحه معلقاً بصيغة الجزم ، في كتاب التفسير ، ن سورة حم السجدة ، وأخرجه الطبري في تفسيره (١١٩/٢٤ - ١٢٠) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس .

قال الإمام النحاس : ((وهو صحيح عن ابن عباس ، والذي يطعن في إسناده يقول : ابن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس ، وإنما أخذ التفسير عن مجاهد وعكرمة . وهذا القول لا يوجب طعناً ، لأنه أخذه عن رجلين ثقتين ، وهو في نفسه ثقة صدوق)) . انظر : (الناسخ والمنسوخ) للنحاس : (٤٦١/١) .

(٢) الكشف (٦٤٠/٤) بتصرف .

فالإنسان في غمّه يمرّ خلال حياته بمراحل مختلفة ، تبدأ بالضعف ، وتنتهي بالضعف . ففي المرحلة الأولى يتولى رعايته أبواه أو أحدهما . وفي المرحلة الأخيرة يتولى رعايته أبنائه .

غير أن مرحلة الضعف الأولى يعقبها قوة وعنفوان .

ومرحلة الضعف الثانية تتطور إلى ضعف ، وضعف شديد يفقد معه الإنسان الكثير من نشاطه ، وحيويته فيكون فيها محتاجاً لمن يساعده على قضاء كثير من شئونه في الحياة ، فيبرز حينئذ دور الأبناء فيكون منهم البرّ بالديهما الذي يتمثل في طاعتهما في غير معصية الله ، ورعايتهما ، والصبر على ذلك . هنا يمكن للمدارة أن يكون لها دورٌ محوريٌّ في تلك العلاقة الظاهر في الجمالة ، والأثرة ، والتنازل ، والملاينة ، والرفق ، والملاطفة ، وحسن العشرة ، والمداخلة في الأمور بسهولة ، وبالرضى ، والقبول من الفاعل .

ومن لم يوفق إلى فعل ذلك مع أبويه أو أحدهما فهو من المحرومين الأشقياء . كما بين ذلك النبي ﷺ في قوله : « رَغِمَ أَنْفُهُ ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ ، قِيلَ : مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ ، أَحَدَهُمَا ، أَوْ كِلَيْهِمَا ، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ » (١) .

وهكذا يمضي الشارع الحكيم في بيانه الرائع ، المحكم آخذاً بأيدي المؤمنين إلى ما فيه صلاحهم في الدارين .



(١) صحيح مسلم ، كتاب البرّ ، باب رَغِمَ أَنْفٌ مِنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا عِنْدَ الْكِبَرِ فلم يَدْخُلِ الْجَنَّةَ ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ح / ٢٥٥١) .

المبحث الثالث

ما ورد في السنة ، وآثار الصحابة والتابعين عن المداراة وكيف فهموها ؟!

(١) فيما يتعلّق بالاستقرار العائلي الذي ينشده كلّ عاقل وسويّ تبرز جوانب كثيرة من (المداراة) في حياة الرعيل الأوّل من سلفنا الصالح ، تشكل في مجموعها منهجاً قوياً للمهتدين . قالت عائشة أم المؤمنين — رضي الله عنها — : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَشْرَبُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ ، وَيَمْكُثُ عِنْدَهَا ، فَوَاطِئْتُ أَنَا وَحَفْصَةَ عَلَى آيَتِنَا دَخَلَ عَلَيْهَا فَلْتَقَلَ لَهُ : أَكَلْتُ مَغَافِيرَ ^(١) ؟ ، إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ .

قَالَ : « لا ، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَشْرَبُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ ، فَلَنْ أَعُودَ لَهُ ، وَقَدْ حَلَفْتُ لَا تُخْبِرِي بِذَلِكَ أَحَدًا » ^(٢) .

وهناك رواية أخرى للحديث تقول بأنه ﷺ حرّم على نفسه جاريته مارية إرضاءً لحفصة عندما اختلى بها في ليلتها وفي غرفتها ^(٣) .

(١) قال الكسائي وأبو عمرو : (المغافير) شيء شبيه بالصمغ يكون في الرمث ، وقيل : (المغافير) صمغ يسيل من شجر العُرْفُط حلو غير أن رائحته ليست بطيبة . غريب الحديث لأبي عبيد (٢٥٦/٢) ، واللسان (ع/ر/ف/ط) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الطلاق ، باب لم تُحرم ما أحلّ الله لك ؟

وصحيح مسلم ، كتاب الطلاق ، (٢٠) .

(٣) أخرجهما النسائي في كتاب عشرة النساء ، باب الغيرة عن أنس . قال الألباني في صحيح سنن النسائي : (٨٣١/٣) ، رقم (٣٦٩٥) : صحيح الإسناد ، وانظر تفسير البغوي (١٦٢/٨) .

هذا الفعل من النبي ﷺ كان اجتهداً منه ، حَتَّى أَنْ رَبَّهُ جَلَّ وَعَلَا عَاتِبَهُ فِي ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التحریم / ١] .

والرسول ﷺ من منطلق بشريته ، وإنسانيته السوية يقع له مع أهل بيته من الخلافات ، والمنازعات ما يمكن أن يقع بين أي رب أسرة مع أسرته .

وربما نقص عليه ذلك النزاع ، وأغضبه ، ودفعه إلى اعتزال نسائه كلهن مدة شهر من الزمان ^(١) .

ولكنه في كل الأحوال يبقى ذلك الإنسان الكريم ، ذا الخلق العظيم . فلا يظلم ، ولا يجور ، ولا يقول إلا الحق .

وكان ﷺ يحرص على إرضاء أزواجه وفق مفهوم ما شرع لهن على أزواجهن من حقوق ، يأتي في مقدمتها حسن المعاشرة . بالتلطف إليهن ، والعدل والمساواة بينهن ، وتجنب ما يكدر عليهن صفو حياتهن .

وذلك ليشرع للناس ما يتبعونه من آداب ، وأخلاق فيما بينهم . فتحريمه العسل كان لإرضاء من أثار في نفسها تأخره عند جارحها وقتاً أطول مما يمكنه عند الأخريات . وحلفه عليها ألا تخبر أحداً كان مراعاة لشعور زوجاته الأخريات اللاتي لم يطلعن على الخبر أساساً .

فإذا نظرنا إلى نوع الفعل الذي وقع منه ﷺ وجدناه فعلاً لا تدخله شبهة

(١) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، سورة (٦٦) . . وكتاب النكاح ، باب رقم (٨٣) .

وصحيح مسلم ، كتاب الصيام ، رقم : (٢٣ ، ٢٤) .

التحريم ، ولا حتّى الكراهة ، فدلّ على أنه كان تنازلاً منه عن شهوة نفس في لذة طعام يفضّله ، وآثر عليه مرضاة أزواجه ، ووثام أسرته .

ثمّ إن قول الرجل : هذا حرامّ عليّ . لا يُحرم شيئاً ، ويكون يميناً توجب الكفّارة عند بعضهم . وهذا يؤيده قول الله تعالى بعد ذلك : ﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [التحريم / ٢] .

وهذا النوع من المداراة يقع من الحكيم من الناس ، عند معاملته من هم دونه في المسؤولية والقدرة على تحمّل أعباء الحياة ، كالزوجات ، والأبناء .

(٢) وعن العلاقة بين الرّجل والمرأة وخاصة الزوجان ، نجد من السنة النبوية ما يرشد ، ويُعين على تفهم طبيعتها ، ويحقّق لها قدرًا كبيرًا من الوثام . ذلك أنّ نوعاً من المداراة يجب أن يتسلّح به أحد الطرفين مع الآخر .

قال الرسول ﷺ : « الْمَرْأَةُ كَالضِّلَعِ إِنْ أَقْمَتَهَا كَسَرَتْهَا ، وَإِنْ اسْتَمْتَعَتْ بِهَا اسْتَمْتَعَتْ بِهَا وَفِيهَا عَوَجٌ » ^(١) .

قال ابن حجر :

وفي الحديث السندب إلى المداراة لاستمالة النفوس وتألف القلوب . وفيه سياسة النساء بأخذ العفو منهن ، والصبر على عوجهن ، وإن من رام تقويمهن فاته الانتفاع بهن . . . مع أنه لا غنى للإنسان عن امرأة يسكن إليها ، ويستعين

(١) رواه البخاري في كتاب النكاح ، باب المداراة مع النساء .

ومسلم ، في الرضاع ، رقم (٦٣ ، ٦٥) .

بها على معاشه . فكأنه قال : الاستمتاع بها لا يتم إلا بالصبر عليها ^(١) .

(٣) وفي بعض المواطن قد يضطر المسلم فيها إلى إخفاء الحقيقة من باب (المدارة) ، بمجاوزة الصدق طلباً للسلامة ، ودفعاً للضرر عن نفسه ، أو أمته ، أو الأبقاء على ونام أسرته .

وقد يُعدُّ ذلك كذباً ، ولكن الشارع رخص فيه على سبيل التورية والتعريض في ثلاثة مواطن :

الحرب ، وحديث الرجل لامراته ، والإصلاح بين الناس ^(٢) ، وبيان ذلك كما يلي :

أ — القائد في الحرب يوهم سامعه أنه ينوي التوجه إلى الشمال بينما يتجه إلى الجنوب ، حتّى يربك عدوه ، ويضيع عليه فرصة الاستعداد للمواجهة ، فيفاجأ بالهجوم ، فتضعف عنده الروح المعنوية ، فيمنى بالهزيمة ، وقد سمى النبي ﷺ الحرب خدعة ^(٣) . قيل : معناها : الأمر باستعمال الحيلة مهما أمكن ولو مرة ، وإلا فقاتل .

وقيل : معناها : الحرب الجيدة لصاحبها الكاملة في مقصودها إنما هي المخادعة لا المواجهة ، وذلك لخطر المواجهة وحصول الظفر مع المخادعة بغير خطر ^(٤) .

(١) فتح الباري (٢٥٤/٩) .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب البر ، باب تحريم الكذب وبيان المباح منه ، حديث (١٠١) ، وصحيح البخاري ، كتاب الصلح ، باب ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد ، باب الحرب خدعة .

(٤) فتح الباري لابن حجر (١٥٨/٦) .

قال ابن العربي : الكذب في الحرب من المستثنى الجائز بالنص رفقا بالمسلمين لحاجتهم إليه ، وليس للعقل فيه مجال ، ولو كان تحريم الكذب بالعقل ما انقلب حلالاً^(١) .

ب — والأسير من المسلمين عند الأعداء سيستنطقونه بطرق شتى : أخبار قومه ، وعددهم ، وعدتهم ، وخططهم ، وتوجهاتهم . فإن ذهب يخبرهم بالحقيقة هلك ، وأهلك قومه ، بل عليه مداراتهم بالختل ، والحيلة ، وقلب الحقائق ، وإن تعرض للأذى تحمّل ذلك .

ج — والمرأة التي لا ترضى إلا بالزيادة ، ولا تقنع بما عندها والتي يتقنعها الشك في تصرفات زوجها وتعصف بها الغيرة ينعكس ذلك على تصرفاتها في بيتها مع زوجها ، وعيائها : ضجر ، وانفعال يؤديان في الغالب إلى تقصير في الواجبات الزوجية ، فتنشأ بسبب ذلك الخلافات ، وتتكدّر النفوس . مما يهدد دعائم الأسرة بالانهيار ، والفرقة .

فدور الرجل في مثل هذه الحالة وغيرها يتمثل في مداراتها ، واستمالتها بالحديث اللين ، والوعود الواسعة ، واللفظ معها ، والإحسان إليها ، حتّى إذا سكنت نفسها ، واطمأنت عادت إلى إحسانها له ، مبهجة ، راضية ، ووجد هو في قربها السكينة ، والمودة

(١) شرحه لسنن الترمذي ، كتاب البر (٢٦) .

وجاء في الحديث : « أَلَا إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ ، وَإِنَّكَ إِنْ أَرَدْتَ إِقَامَةَ الضِّلْعِ كَسَرْتَهَا . فَدَارَهَا تَعِشُ بِهَا » ^(١) . وكسرها طلاقها .

فوصف المرأة بالضلع بجامع الاعوجاج فيهما . ففي الضلع حقيقة ، وفي المرأة مجاز . ووصف للضلع في خِلْقَتِهِ ، ووصف للمرأة في خُلُقِهَا .

قال ابن العربي : والغالب من النساء قلّة الرضى ، والصبر ، فهن يَنْشُرْنَ على الرجال كثيراً ، ويكفرون العشير ، فلذلك سُمي رسول الله ﷺ المنتزعات أنفسهن من النكاح منافقات ^(٢) .

د — الإصلاح بين الناس نوع من التعاون على البر والتقوى بين المسلمين ، فإذا نزغ الشيطان بين مسلمين ، وأدى ذلك إلى نزاع بينهما ، وخصومة تجر إلى

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ، كتاب الطلاق ، باب في مدارة النساء (٢٧٥/٥) ، والترمذي في الطلاق ، باب ما جاء في مدارة النساء ، والحاكم في المستدرک (٤/١٧٤) ، وقال : صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . كلهم عن سمرة بن جندب .

وفي المعنى انظر : صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب المدارة مع النساء .

ومسلم ، كتاب الرضاع ، باب الوصية بالنساء .

(٢) عارضة الأحوزي (١٣٥/٣) ، طبعة ١٤١٥ هـ .

والحديث أخرجه النسائي في كتاب الطلاق ، باب ما جاء في الخلع عن أبي هريرة يرفعه : « المنتزعات ، والمختلعات هن المنافقات » ، قال الألباني في صحيح سنن النسائي (٧٣٠/٢ — ٧٣١) : صحيح .

وانظر مسند الإمام أحمد (٤١٤/٢) .

هجر ، وقطيعة ، ثم سعى طرف ثالث بينهما بالصلح ، واختلق لذلك كلاماً حسناً على لسان أحدهما يقوله في الآخر ، يثنى عليه ، ويتمنى زوال أسباب الخلاف بينهما .

فإن من شأن ذلك أن يزيل ما علق في نفس كل منهما نحو الآخر من كراهية ، ويجعله يعيد النظر في موقفه من الآخر ، فإذا التقيا تعابا ، وإذا تعابا تصافيا . وقد صحَّ عن النبي ﷺ قوله : « لَيْسَ الْكَاذِبُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ ، وَيَقُولُ خَيْرًا ، وَيَنْمِي خَيْرًا » (١) .

(٤) وفي مشهد آخر يستحوذ على اهتمام المسلم في علاقته مع الآخرين ، وما يجب عليه من حقّ الضيافة والتكريم ، وفق شريعته السمحة ، تبرز بعض صور (المداراة) من مجاملة ، ولين جانب ، واستمالة للقلوب لكسب ودّها .

قالت عائشة — رضي الله عنها — إِنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ : « بَنَسْ أَخُو الْعَشِيرَةِ وَبَنَسْ ابْنُ الْعَشِيرَةِ » .

فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَجْهِهِ وَابْسَطَ إِلَيْهِ .

فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ :

يَا رَسُولَ اللَّهِ حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا ، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ ، وَابْسَطْتَ لَهُ !!؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا عَائِشَةُ مَتَى عَهْدَتَنِي فَاحِشًا ؟ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ

(١) رواه البخاري في الصلح ، باب ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس ، ومسلم في البر والصلة ، باب تحريم الكذب وبيان ما يباح منه ، كلاهما عن أمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط أخت عثمان بن عفان لأمه .

اللَّهُ مَنَزَلَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتَّقَاءَ فَحْشِهِ» (١) ،

قال ابن حجر : وهو عند الحارث بن أبي أسامة من حديث صفوان بن عَسَّال نحو حديث عائشة ، وفيه : فقال النبي ﷺ : « إله منافق أداريه عن نفاقه ، وأخشى أن يُفسد عليَّ غيره » (٢) .

أوضحت رواية ابن عَسَّال المعنى الذي من أجله قال الرسول ﷺ ما قال للرجل ، ثم الذي فعله معه بعد رؤيته من تطلق وجهه ، وانبساط له . فقد عَلم عن طريق الوحي حقيقته ، وكان يعلم ﷺ أن له أتباعاً يطيعونه ويُصَنِّفون حديثه .

فلو أغلظ له النبي ﷺ ، أو صدَّه عن لقائه ، لأوغر صدور أتباعه عليه ، وحلهم على العصيان والكفر . ودور الرسول ﷺ يتركز على دعوة الناس بالتقوى أحسن . وقد قال الله في حقِّه : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَكِدْتَ فَعَلًا غُلِيظًا الْقَلْبُ لَا نَقْضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران / ١٥٩] .

فالحديث — كما قال ابن حجر — أصل في المدارة (٣) .

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً . ومسلم في البر ، باب مداراة من يتقى فحشه .

(٢) فتح الباري : (١٠ / ٥٢٩) .

وانظر : بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث للهيثمي . كتاب الأدب ، باب في مداراة الناس ، حديث (٨٠٠) (٢ / ٧٩٢) .

(٣) فتح الباري : (١٠ / ٤٥٤) .

وهو كذلك ، فالداعية عليه أن يتحلى بأنواع الصبر ، ويداري في دعوته أصناف الناس ، بلطف الكلام ، وحسن التصرف .

قال الخطابي : يجمع هذا الحديث علماً ، وأدباً ، وليس قول رسول الله ﷺ في أمته بالأمور التي يسمُّهم بها ، ويضيفها إليهم من المكروه غيبةً وإثماً ، كما يكون ذلك من بعضهم في بعض . بل الواجب عليه أن يبين ذلك ، ويفصح به ، ويعرّف الناس أمره ، فإن ذلك من باب النصيحة ، والشفقة على الأمة . ولكنه لما جُبلَ عليه من الكرم ، وأُعطيَ من حسن الخلق ، أظهر له من البشاشة ولم يَجْبِهْهُ بالمكروه ، لتقتدي به أمته في اتقاء شر من هذا سبيله ، وفي مداراته ليسلموا من شرّه ، وغائلته ^(١) .

وقال القاضي عياض :

وأما إلانة القول له بعد أن دخل فعلى سبيل التألف له ولأمثاله على الإسلام ^(٢) .

(٥) وفي إطار المصلحة العامة يستشعر المخلصون شعوراً قوياً بالمسئولية تجاه أمّتهم ، وما يعنيه من الإخلاص والأمانة . يدفعهم إلى ذلك إيمان بالله واليوم الآخر . فيسائر أحدهم عدوّه — وهو منه على حذر — ليحقق لأمرته ما يحفظ عليها أمنها ، وسلامتها ، وكرامتها ، دون المساس بأصل المعتقد وجوهره . ظهر شيء من هذا في وثيقة صلح الحديبية التي كتبت بين رسول الله ﷺ وبين مشركي مكّة ، حين رفض مندوبهم سهيل بن عمرو أن

(١) أعلام الحديث (٣ / ٢١٧٩ — ٢١٨٠) .

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٠ / ٤٥٤) .

يُكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، وطلب أن يكتب بدوها باسمك اللهم ، ووافقه الرسول ﷺ على ما طلب .

واعترض سهيل على الكاتب قوله : « هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله قائلًا : والله لو كنّا نعلم أنّك رسول الله ما صددناك عن البيت . ولكن اكتب : محمد بن عبدالله . فوافقه الرسول ﷺ على طلبه .

وطلب سهيل أن يُنصَّ في الوثيقة على ما يلي :

لا يأتيك منّا رجل — وإن كان على دينك — إلاّ رددته إلينا . فوافقه الرسول ﷺ على طلبه ^(١) .

قال الخطابي :

في ذلك باب من العلم فيما يجب من استعمال الرفق في الأمور ، ومداراة الناس فيما لا يلحق دين المسلم به ضرر ، ولا يطل معه الله سبحانه حقّ .

وذلك أن معنى : باسمك اللهم ، هو معنى : باسم الله الرحمن الرحيم ، وإن كان فيها زيادة ثناء .

وكذلك المعنى في تركه أن يكتب : محمد رسول الله واقتصاره على أن يكتب : محمد بن عبدالله .

لأنّ انتسابه إلى أبيه عبدالله لا ينفي نبوته ، ولا يسقط رسالته .

وفي إجابته ﷺ إياهم إلى أن يرد إلى الكفار من جاءه منهم مسلمًا ، دليل

(١) صحيح البخاري ، كتاب الصلح ، باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان فلان بن فلان . وصحيح مسلم ، كتاب الجهاد ، رقم (٩٣) .

على جواز أن يقرَّ الإمام — فيما يصالح عليه العدو — ببعض ما فيه الضَّيم على أهل الدين ، إذا كان يرجو لذلك فيما يستقبله عاقبة حميدة ، سيما إذا وافق ذلك زمان ضعف المسلمين عن مقاومة الكفار ، وخوفهم الغلبة منهم^(١) .

(٦) وإذا تعرَّض المؤمن إلى ما يهدد وجوده على الأرض بسبب معتقده ، ووقع في قبضة عدوِّه الَّذي ساومه بين الكفر أو الاستئصال — وهو قادر — فإنَّ (المداراة) من المؤمن لمثل هذا الطاغية ، في مثل هذا الموقف لا تطعن في صحَّة إيمانه . . . ذكر أبو عبيدة بن محمد بن عمَّار بن ياسر قال :

أخذ المشركون عمَّار بن ياسر ، فلم يدعوه حتَّى سبَّ رسول الله ﷺ ، وذكر آهتهم بخير ، ثم تركوه .

فلما أتى النبي ﷺ قال : « ما وراءك ؟ » قال : شرُّ يا رسول الله ، والله ما تُرِكتُ حتَّى نلتُ منك ، وذكرت آهتهم بخير .

قال : « فكيف تجد قلبك ؟ » .

قال : أجده مطمئنًا بالإيمان .

قال : « فإن عادوا فعدَّ »^(٢) .

وشروط الإكراه أربعة :

(١) معالم السنن (٢٠٣/٣) ، وأعلام الحديث (١٣٣٦/٢ — ١٣٤١) .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (٣٥٧/٢) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . وانظر تفسير الطبري (١٢٢/١٤) ، وتفسير القرطبي (١٨٠/١٠) .

١ — أن يكون فاعله قادراً على إيقاع ما يهدد به ، والمأمور عاجزاً عن الدفع ولو بالفرار .

٢ — أن يغلب على ظنه أنه إذا امتنع أوقع به ذلك .

٣ — أن يكون ما هدد به فورياً .

٤ — أن لا يظهر من المأمور ما يدل على اختياره ، كمن أكره على الزنا فأولج ، وأمكنه أن يترع ويقول : أنزلت ، فيتمادى حتى يترل .

ولا فرق بين الإكراه على القول والفعل عند الجمهور ويُستثنى من الفعل ما هو محرم على التأييد كقتل النفس بغير حق^(١) .

ولعل ذلك بندرج تحت قوله تعالى : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران / ٢٨] .

قال النسفي :

لا يوالي المسلم الكافر . والحب في الله والبغض في الله باب عظيم في الإيمان .
﴿ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ إلا أن تخافوا من جهتهم أمراً يجب اتقاؤه ، أي : إلا أن يكون للكافر عليك سلطان فتخافه على نفسك ، ومالك فحينئذ يجوز لك إظهار الموالاتة ، وإبطان المعادة^(٢) .

(١) فتح الباري لابن حجر (٣١١/١٢) .

(٢) انظر تفسيره (١٥٢/١ — ١٥٣) فقد رواه من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس .

وروى الطبري عن ابن عباس قوله :

نهى الله سبحانه المؤمنين أن يلاطفوا الكفار أو يتخذوهم وليجة من دون المؤمنين ، إلا أن يكون الكفار عليهم ظاهرين ، فيظهرون لهم اللطف ، ويخالفونهم في الدين ^(١) .

(٧) وفيما يتعلق ببعض أمور العبادة التي دارى الشارع فيها أحوال أصحابها لتأليف قلوبهم ، ما رواه أبو سعيد الخدري قال :

جَاءَت امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ عِنْدَهُ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ زَوْجِي صَفْوَانُ بْنُ الْمُعْطَلِ يَضْرِبُنِي إِذَا صَلَّيْتُ ، وَيَفْطِرُنِي إِذَا صُمْتُ ، وَلَا يُصَلِّي صَلَاةَ الْفَجْرِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ .

وَصَفْوَانُ عِنْدَهُ . فَسَأَلَهُ عَمَّا قَالَتْ . فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَا قَوْلُهَا يَضْرِبُنِي إِذَا صَلَّيْتُ ، فَإِنَّهَا تَقْرَأُ بِسُورَتَيْنِ ، وَقَدْ نَهَيْتُهَا .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَوْ كَانَتْ سُورَةٌ وَاحِدَةً لَكَفَتِ النَّاسُ » .

وَأَمَّا قَوْلُهَا يُفْطِرُنِي ، فَإِنَّهَا تَنْطَلِقُ فَتَصُومُ ، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ فَلَا أَصْبِرُ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ : « لَا تَصُومُ امْرَأَةٌ إِلَّا بِإِذْنِ زَوْجِهَا » .

وَأَمَّا قَوْلُهَا إِنِّي لَا أَصَلِّي حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ، فَإِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ قَدْ عُرِفَ لَنَا ذَاكَ ، لَا نَكَاذُ نَسْتَقِظُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ .

قَالَ ﷺ : « فَإِذَا اسْتَقِظْتَ فَصَلِّ » ^(٢) .

(١) انظر تفسيره (بتحقيق محمود وأحمد شاكر) ، ج ٦ ، ص ٣١٣ .

(٢) رواه أبو داود في سننه ، كتاب الصيام ، باب المرأة تصوم بغير إذن زوجها .

معروف أن لكل صلاة وقتين : وقتاً تبدأ فيه لا تصح قبله . ووقتاً تنتهي فيه لا تجوز بعده إلا بعذر ، وتكون قضاءً .

فالذي ينام عن صلاة الفجر حتى تطلع الشمس قد فاتته وقتها الأصلي ، فإن كان فعله هذا بدون تفريط منه ، وأمرًا طارئًا ، وله عذر ، كفر عن فعلته بأدائها حين يستيقظ مباشرة . لقوله ﷺ : « إِذَا رَقَدَ أَحَدُكُمْ عَنِ الصَّلَاةِ أَوْ غَفَلَ عَنْهَا فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدِكْرِي » ^(١) .

وحجة صفوان في تأخيره لصلاة الفجر حتى تطلع الشمس أنها عادة اعتادها هو وقومه ، مما يدل على أن أمر تأخير صلاة الفجر قد تكرر منه وربما ظنّ وأهل بيته أنهم مرغمون بحكم العادة على فعل ذلك .

يقول الخطابي :

وقوله ﷺ : « فَإِذَا اسْتَيْقَظَ فَصَلَّ » ثم تركه التعنيف له في ذلك ، أمر عجيب من لطف الله سبحانه بعبادِهِ ، ومن لطف نبيه ، ورفقه بأمتِهِ .

ويشبه أن يكون ذلك منه على معنى مَلَكَ الطبع ، واستيلاء العادة ، فصار كالشيء المعجوز عنه . وكان صاحبه في ذلك بمتلة من يُغْمَى عليه ، فعُذِر فيه ، ولم يُؤَنَّب عليه .

ويحتمل أن يكون ذلك إنما كان يصيبه في بعض الأوقات دون بعض ، وذلك إذا لم يكن بحضرته من يوقظه ، ويبعثه من المنام ، فيتمادى به النوم حتى

صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٦٦/٢) ، رقم (٢١٤٧) .

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد — باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل

قضائها عن أنس بن مالك ، حديث رقم (٣١٦) .

تطلع الشمس دون أن يكون ذلك منه في عامة الأوقات . فإنه قد يعد أن يبقى الإنسان على هذا في دائم الأوقات وليس بحضرتة أحد يصلح هذا القدر من شأنه ، ولا يراعي مثل هذا من حاله .

ولا يجوز أن يُظن به الامتناع من الصلاة في وقتها . ذلك مع زوال العذر بوقوع التنبيه ، والإيقاظ ممن يحضره ، ويشاهده ^(١) .

وإذا نظرنا إلى المسألة من منظور المداراة فإننا نصنفها في دائرة الملاينة ، والرفق ، والمسايرة من العالم للمتعلم . لإعادة النظر فيما يأتي به المتعلم من أمور في العبادة تخالف قواعدها ، جهلاً من الفاعل أو تقصيراً . وحرصاً من العالم على تعليمه إياها ونصحه بالتي هي أحسن ، متدرجاً معه من صغار المسائل إلى كبارها حتى لا ينفر .

وهذا الموقف يشبه — مع الفارق — الذي اعتاد على فعل محرّم كشرب الخمر مثلاً . فليس من حسن التوجيه الطلب منه الكفّ عن ذلك في التورّ واللحظة ، ولكن بالتدرج ، والمتابعة ، والنصيحة ، والتذكير بعواقب الأمور .

ونجد بحمد الله في كتاب الله العزيز ما يؤكد صحّة هذا النهج في الإصلاح والتربية .

قال عمر : اللَّهُمَّ بَيْنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيِّنًا شَافِيًا ، فَنَزَلَتْ آيَةُ الْبَقَرَةِ : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ آية / ٢١٩ فدُعِيَ عُمَرُ فَقَرَأَتْ عَلَيْهِ . فَقَالَ : اللَّهُمَّ بَيْنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيِّنًا شَافِيًا . فَنَزَلَتْ آيَةُ الْتِي فِي النَّسَاءِ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ آية / ٤٣ .

(١) معالم السنن (٢ / ٨٢٨) .

فَكَانَ مُنَادِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَقَامَ الصَّلَاةَ ينادي : لَا يَقْرَبَنَّ الصَّلَاةَ سَكْرَانُ . فَدُعِيَ عُمَرُ فَقَرِئَتْ عَلَيْهِ . فَقَالَ : اللَّهُمَّ بَيْنَ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيِّنَاتٌ شَافِيَةٌ ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ . . . ﴾ [المائدة / ٩٠] ، فَدُعِيَ عُمَرُ فَقَرِئَتْ عَلَيْهِ فَلَمَّا بَلَغَ ﴿ فَهَلْ أَنتُمْ مُنْهَوْنَ ﴾ قَالَ عمر : التَّهْنِئَةُ التَّهْنِئَةُ ^(١) .

فعادة شرب الخمر كانت متأصلة في مجتمع مكة وغيره بين العرب حينذاك ، وعنوان كرم ، ودليل إكرام بينهم .

وللخمر تأثير على عقل الإنسان ، يفقده التمييز بين الأمور ، ويدفعه للخلط فيما يأتي من أفعال ، وأقوال لها مساس بالمروءة .

وأمر العبادات التي نادى بها الإسلام بعد ذلك لا تصح من أحد إلا وفق قواعد محددة ، بأركان ، وشروط ، وواجبات ، تنضبط بانضباط فاعلها ، إذا كان سوياً ، عاقلاً ، مدركاً .

والعقل في ذلك كله هو المحور الأساسي الذي تدور عليه قابلية التكليف الشرعية ، وهو مناطها .

فإذا كان متوقفاً ، يقظاً استطاع التفريق بين الحلال والحرام ، أو انقاد — برضى وقبول — لمن يرشده إلى ذلك ، ومن الآفات التي لها تأثير سلبي مباشر على العقل البشري : الخمر . أو كل ما خامر العقل ، وسـمـه .

(١) أخرجه الترمذي في تفسير سورة المائدة . وأبو داود في الأشربة ، باب في تحريم الخمر . والنسائي في الأشربة ، باب في تحريم الخمر .

قال الألباني في صحيح سنن أبي داود : صحيح (٦٩٩/٢) ، وانظر أسباب نزول القرآن ، للواحدي (ص ٢٠١) .

كيف عالج الشارع الحكيم أمر استئصال عادة شرب الخمر بين المسلمين؟
لقد اتّبع أسلوب التدرج في ذلك ، فبدأ بتذكيرهم بأن إثمها أكبر من
نفعها .

ثم وصفها بأنها رجس من عمل الشيطان .

وأخيراً قال : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ
وَالْمَيْسِرِ وَيُصَدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُمْ مُنْهَوْنَ ﴾ [المائدة / ٩١] .

قال الفاروق بعد سماعها : انتهينا ، انتهينا . وقد قال قبل : « اللهم بين لنا
في الخمر بياناً شافياً » ^(١) .

وفي موقف آخر من مواقف الشارع الحكيم ما يوافق أسلوب الدعوة بالتي
هي أحسن ، بالرفق ، واللين ، مع المؤلفة قلوبهم ، مارواه النسائي وغيره عن
حكيم بن حزام قال : « بايعت رسول الله ﷺ على أن لا أخمر إلا قائماً » ^(٢) .

قيل : معناه : أن لا يكون سجوده في الصلاة إلا خروراً من قيامه . أي : لا

(١) انظر سنن الترمذي ، كتاب التفسير . وسنن أبي داود ، كتاب الأشربة ، باب
تحريم الخمر . والنسائي في كتاب الأشربة ، باب تحريم الخمر . صحيحه الألباني في
صحيح سنن النسائي (١١٢٦ / ٣) ، حديث رقم (٥١١٣) . والحاكم في
المستدرك (٢٧٨ / ٢) وصححه .

(٢) أخرجه النسائي في كتاب التطبيق ، باب كيف يخر للسجود ، صحيح إسناده
الألباني . (صحيح سنن النسائي (٢٣٤ / ١) .

وأحمد في مسنده (٤٠٢ / ٣) ، وأبو داود الطيالسي في مسنده
رقم (١٣٦٠) .

يركع !!؟ .

والركوع في الصلاة من أركانها ؟! .

وسقوط شيء من الأركان في الصلاة يبطلها ؟! .

والصلاة الباطلة لا تجزيء صاحبها ؟!! .

إنّ معالجة الداعية الحكيم أمر المؤلفة قلوبهم تغلب عليه الدراية ، وبعد النظر ، والصبر ، والروية .

فإنّ الإيمان بعد الكفر مباشرة لا يسلم صاحبه من التردد بين الماضي والإحجام ، والشك واليقين .

والكافر مادي الأفكار ، يأخذ بحساب الريح والخسارة عند كل ما يخصه من أمور الحياة ، فيقدم هذا ، ويؤخر هذا ، فإذا ما وعد بما لم يره من ثواب أو عقاب في عالم الغيب — إن هو أحسن أو أساء — أخذ الأمر مأخذ الاحتمال ، فهو بين المتطلع إلى الفوز والنجاح ، والنادم على ضياع فرصة اللذات ، والشهوات .

ولكن يبقى عامل الخوف في نفسه من الجهول . ويرى ما يتقلب فيه الإنسان من صحّة وعافية ، ثمّ ما يعقب ذلك من موت ، وفناء ، حقيقة لا مرأى فيها .

فالخوف غريزة في المخلوق تدفعه أو تمنعه من فعل ما يريد أو التصرف حيال ما يشعر خطره على نفسه أو ماله أو أهله .

فمن استطاع من الدعاة أن يستغل آثار هذه الغريزة عند المسيء أو المنحرف ، أو الضّال . ويوقظ في أنفسهم الشعور بخطورة أفعالهم ، ومغبّة أعمالهم ، ثمّ يبيّن لهم محاسن الدين ، وما وعد به أتباعه المهتدين . فإنّ النجاح حليفه إن شاء الله .

فالذي اشترط عند بيعته ألاَّ يخرَّ إلاَّ قائماً ، علم الرسول ﷺ من لسان حاله أنه بعد أن يدخل في الإسلام ، ويتعلَّم من أمور الدين ما يفتح الله به عليه فسيعلم أن الركوع ركن في الصلاة ، وأن تركه متعمداً أو ناسياً يبطلها ، وأن الصلاة الباطلة لا تفيد صاحبها ، وهي عمود الدين .

وهذا الموقف يشبه موقف وفد ثقيف عندما اشترطوا على رسول الله ﷺ أن لا صدقة عليهم ولا جهاد ، وأن رسول الله ﷺ قال : « سيصدّقون ، ويجاهدون إذا أسلموا » ^(١) .

وقد يجد الداعية نفسه أمام موقف يرتكب فيه أحدهم معصية ، لا يقدر على دفعها في حينها لتعطل لغة الحوار بين الطرفين ، فالآثم في حالة من اللاوعي لا تجعله يدرك حقيقة ما يقول ، ولا يقدر أن يميّز بين إنسان وآخر في المعاملة . لتأثر عقله بما تعاطاه من مسكر أو مخدر .

والداعية في حالة أدرك معها حقيقة صاحبه ، فتراجع في نفسه عن صياغة ألفاظ النصيحة ، أو التنديد بما يراه ، فترك المكان ، تجنباً لأي نوع من المهاترات أو المناوشات ليحفظ قدره ، وهيبته ، ويتجنب الحماقة في الفعل أو القول .

قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام :

(١) أخرجه أحمد في مسنده عن جابر (٣/ ٣٤١) ، وفي مسنده ابن لهيعة ، اختلط بعد احتراق كتبه . وللحديث شاهد أخرجه أبو داود في كتاب الخراج ، باب ما جاء في خبر الطائف . قال : حدّثنا الحسن بن الصباح ، حدّثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، حدّثني إبراهيم بن عقيل عن أبيه عن وهب قال : سألت جابراً . . .

قال الألباني : إسناده صحيح ، رجاله كلّهم ثقات (السلسلة الصحيحة) :

(١٨٨٨) .

كَأَنَّتْ لِي شَارِفٌ ^(١) مِنْ نَصِيبي مِنَ الْمَعْنَمِ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ
أَعْطَانِي شَارِفًا مِنَ الْخُمْسِ . فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَبْتَنِي بِفَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
وَأَعَدْتُ رَجُلًا صَوَاغًا مِنْ بَنِي قَيْنَقَاعَ أَنْ يَرْتَحِلَ مَعِيَ فَتَأْتِي يَذْخِرُ أَرَدْتُ أَنْ أَبِيعَهُ
الصَّوَاغِينَ ، وَأَسْتَعِينَ بِهِ فِي وَلِيمَةِ عُرْسِي .

فَبَيْنَا أَنَا أَجْمَعُ لِشَارِفِي مَتَاعًا مِنَ الْأَقْتَابِ ^(٢) ، وَالْفَرَائِرِ ^(٣) ، وَالْحَبَالِ ،
وَشَارِفِي مُنَاحَتَانِ إِلَى جَنْبِ حُجْرَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ . أَقْبَلْتُ فَإِذَا أَنَا بِشَارِفِي
قَدْ أُجِبْتُ أَسْمَتُهُمَا ، وَبُقِرَتْ خَوَاصِرُهُمَا ، وَأُخِذَ مِنْ أَكْبَادِهِمَا . فَلَمْ أَمْلِكْ
عَيْنِي حِينَ رَأَيْتُ ذَلِكَ الْمَنْظَرَ ، وَقُلْتُ : مَنْ فَعَلَ هَذَا ؟

فَقَالُوا : فَعَلَهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ . وَهُوَ فِي الْبَيْتِ فِي شَرْبِ ^(٤) مِنَ
الْأَنْصَارِ . غَنَّتْ قِينَةُ فَقَالَتْ فِي غَنَائِهَا :

أَلَا يَا حَمْزُ لِلشُّرْفِ النَّوَاءُ ^(٥)

وَهُنَّ مُعَقَّلَاتٌ بِالْفِئَاءِ

صَعَّ السَّكَّيْنِ فِي اللَّبَاتِ مِنْهَا

فَضَرَّجَهُنَّ حَمْزَةُ بِالْذِّمَاءِ

(١) الناقة المسنة .

(٢) جمع قَتَب ، وهو رحل صغير على قدر السَّنام .

(٣) الغرائر واحدها غرارة : التي للثَّين .

(٤) (الشَّرْب) بالفتح جمع (شارب) [الصحاح] .

(٥) (النواء) السمان .

وَأَطْعِمِ مِنْ شَرَائِحِهَا كِبَابًا

مُلَهَّوْجَةً عَلَى وَهَجِ الصَّلَاةِ

فَأَنْتَ أَبَا عُمَارَةَ الْمَرْجِيُّ

لَكَشَفِ الضُّرَّ عَنَّا وَالْبَلَاءَ ^(١)

فوثب إلى السيف فاجتَبَّ أسنمتها ، وبقر خواصرهما ، وأخذ من أكبادهما .

قال عليّ : فَأُطْلِقْتُ حَتَّى أَدْخُلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَعِنْدَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ .

قال : فَعَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ الَّذِي أُتِيَ لَهُ ، فقال : « مَا لَكَ يَا ؟ » .

فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ . عَدَا حَمْزَةٌ عَلَى نَاقَتِي فَأَجْتَبْتُ أُسْنِمَتَهُمَا ، وَبَقَرَ خَوَاصِرَهُمَا ، وَهَذَا هُوَ ذَا فِي بَيْتٍ مَعَهُ شَرِبْتُ .

فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِرِدَائِهِ ، ثُمَّ انْطَلَقَ يَمْشِي ، فَاتَّبَعْتُ أثره أَنَا وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، حَتَّى جَاءَ الْبَيْتَ الَّذِي هُوَ فِيهِ ، فَاسْتَأْذَنَ ، فَأُذِنَ لَهُ ، فَإِذَا هُمُ شَرِبُوا .

فَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَلُومُ حَمْزَةَ فِيمَا فَعَلَ . فَإِذَا حَمْزَةُ ثَمِلٌ مُحَمَّرَةٌ عَيْنَاهُ .

فَنَظَرَ حَمْزَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ صَعَّدَ النَّظَرَ ، فَنَظَرَ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، ثُمَّ صَعَّدَ النَّظَرَ فَنَظَرَ إِلَى وَجْهِهِ ، ثُمَّ قَالَ : وَهَلْ أَنْتُمْ إِلَّا عَبِيدُ أَبِي !!؟

فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَدْ ثَمِلَ ، فَكَصَّ عَلَى عَقَبَيْهِ الْقَهْقَرَى ، فخرج ،

(١) الشعر لعبد الله بن السائب المخزومي . [انظر فتح الباري لابن حجر (٢٠٠/٦) .

وَوَخَّرَجْنَا . وذلك قبل تحريم الخمر ^(١) .

(القهقري) المشي إلى الخلف .

قال ابن حجر :

وكأنه فعل ذلك خشية أن يزداد عبث حمزة في حال سكره ، فينتقل من القول إلى الفعل ، فأراد أن يكون ما يقع من حمزة بمرأى منه ليدفعه إن وقع منه شيء ^(٢) .

وقال الخطابي :

إن هذا إنما كان من حمزة قبل تحريم الخمر .

لأن حمزة قُتل يوم أُحُد ، وكان تحريم الخمر بعد غزوة أُحُد ، فكان معذورًا في قوله ، غير مؤاخذ به . وكان الحرج عنه زائلاً إذ كان سببه الذي دعاه إليه مباحًا ، كالسائم ، والمغمى عليه ، يجري على لسانه الطلاق ، والقذف ، فلا يُؤاخذ بهما ^(٣) .

وهكذا فإن العاقل لا ينبغي له أن يخاطب السكران في حال سكره ، ولا أن يقيم عليه الحد — إن كان ممن يملك ذلك — إلا بعد أن يفيق من سكره ، حتى يكون وقع الجلد عليه محسوسًا عنده ، ورادعًا له بعد ذلك .

(١) أخرجه البخاري في فرض الخمس ، باب فرض الخمس . ومسلم في الأشربة ، باب تحريم الخمر .

(٢) فتح الباري (٢٠١/٦) .

(٣) معالم السنن (٣٩٠/٣) .

وفي حياة المسلم من المواقف ما يستدعي المسaire ، والمجاملة وإن كان فيه ما ينغص عليه ، ويظنه ظاهرياً خسارة لا ربناً ، ولكن الإيمان القوي بحكمة المشرع وسلامة التشريع ، يدفع صاحبه إلى الامتثال ، ويسوغ له أمر الطاعة .

قال جابر بن عتيك : إن رسول الله ﷺ قال : « سَيَأْتِيَكُم رُكَيْبٌ مُبْغَضُونَ ، فَإِنْ جَاءُوكُمْ فَرَحَّبُوا بِهِمْ ، وَخَلُّوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَتَّبِعُونَ ، فَإِنْ عَدَلُوا فَلَا تُنْفِسْهُمْ ، وَإِنْ ظَلَمُوا فَعَلَيْهَا . وَأَرْضُوهُمْ ، فَإِنْ تَمَامَ زَكَاتِكُمْ رِضَاهُمْ ، وَلْيَدْعُوا لَكُمْ » ^(١) .

قال الخطابي :

(رُكَيْب) تصغير (ركب) وهو جمع (راكب) .

وإنما عني به السعاة إذا أقبلوا يطلبون صدقات الأموال .

فجعلهم مبغضين لأن الغالب في نفوس أرباب الأموال بغضهم ، والتكره لهم ، لما جُبلت عليه القلوب من حب المال ، وشدة حلاوته في الصدر ، إلا من عصمه الله ممن أخلص النية ، واحتسب فيها الأجر ، والثوبة ^(٢) . فقد وجه إلى مدارأهم ، والتلطف إليهم لقيامهم بما أوجب الله من حق للفقير على الغني .

ويشبه هذا قول أحد الصحابة وهو أبو الدرداء : إِنَّا لَنَكْشِرُ فِي وُجُوهِ أَقْوَامٍ وَإِنْ قُلُوبَنَا لَتَلْعَنَهُمْ ^(٣) .

(١) أخرجه أبو داود في سننه من كتاب الزكاة ، باب رضا المصدق . قال الألباني في ضعيف سنن أبي داود (حديث رقم ٣٤٥) : ضعيف .

(٢) معالم السنن (٢ / ٢٤٥) .

(٣) رواه البخاري في كتاب الأدب ، باب مداراة الناس (تعليقاً) . والبيهقي في

و (التكشير) ظهور الأسنان عند الضحك .

فهل يُعدّ هذا نفاقاً ؟

فقد ترد الشبهة فيه ، ولكنه لا يصدق على من مثل أبي الدرداء رضي الله عنه ، ومن يشبهه من المؤمنين .

فهو إذاً من المداراة وهي خفض الجناح ، ولين الكلمة ، وترك الإغلاظ في القول والرفق بالجاهل في التعليم ، وبالفاسق في النهي عن فعله ، والإنكار عليه بلطيف القول ، والفعل ، ولا سيما إذا أُحتيج إلى تألفه .

روت عائشة — رضي الله عنها — عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِنَّ اللَّهَ أَمْرِي بِمداراة الناس كما أمرني بإقامة الفرائض » ^(١) .

وقد قيل : إِنَّ من ابتغاء الخير اتقاء الشر ^(٢) .

فإذا أراد الخير لنفسه جانب فعل الشرور ، واتقى الأشرار .



شعب الإيمان (٢٦٦/٦) . وابن أبي الدنيا في مداراة الناس (ص ٣٦) .

(١) أخرجه الديلمي في مسنده بسند ضعيف عن عائشة ، (انظر فردوس الأخبار :

(٢١٢/١) . قال الألباني في السلسلة الضعيفة ، حديث رقم (٨١٠) : ضعيف جداً .

(٢) انظر : كتاب مداراة الناس ، لابن أبي الدنيا ، ص ٣٦ [تحقيق محمد خير رمضان

يوسف] .

المبحث الرابع المدارة وأثرها في المجتمع

إن من أهم ما يميّز المجتمعات بعضها عن بعض هو الوجود الحقيقي لروح التعاون بين أفرادها ، بحيث يكون عمل الفرد لصالح المجموع ، كما أنّه على الجماعة أن تحتضن الفرد . والعمل معاً في إطار المصلحة العامة ، واحترام الأنظمة التي توجّه دفة الأمور فيها الوجهة السليمة الصحيحة ، ويزداد احترام الفرد للأنظمة كلما كان مصدرها موثقاً محترماً ، وليس من بين بنودها ما يخالف أو يعارض ، أو ينفي أموراً فطرية .

وقد أنار الله للمجتمعات المسلمة سبل هدايتها ، وشرع لها من النظام ما يوافق الفطرة ، فالأخذ به هو أخذ لما يوافق تكوين الإنسان حقيقة ، وأي انتقاص في هذا الميزان التعادلي ينتهي بالفرد إلى أن يكون متمرّداً ضد أنظمته مجتمعه ، أو في صراع معه .

ولا يوجد في المجتمعات مجتمع صغير أو كبير لا يمارس أفراداه بشكل أو بآخر أسلوب (المدارة) فيما بينهم بنسب متفاوتة . ذلك لأن العلاقات الاجتماعية ، والعلاقات العامة بصورها المختلفة ، والمتباينة ذات طابع أخلاقي يمارسه الإنسان مع أخيه على أساس من التعاون ، وبفيض من المشاعر ، والأحاسيس ، والعواطف التي يحمل منها الشيء الكثير ، مما يترك أثراً محسوساً على نتائج أفعالهما قوة وضعفاً ، شدة وليناً .

وما أودع الله في البشر من اختلاف ، وتفاوت ، وتباين في الفهم ، والوعي ، والإدراك سهّل على التمييز منهم مدارة من هو دونه ، وعلى الأذن مدارة من هو فوقه ، لتسهيل سبل العيش بينهما ، كما قال تعالى : ﴿ أَهْمُ يَقْسُمُونَ رَحْمَةً رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ

دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةً رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ [الزخرف / ٣٢] .
وهذا يظهر جلياً في مجال الرحمة ، والشفقة ، والتقدير ، والاحترام ، وتبادل
المصالح .

وَالنَّاسُ لِلنَّاسِ مِنْ بَدْوٍ وَحَاضِرَةٍ

بَعْضٌ لِبَعْضٍ وَإِنْ لَمْ يَشْعُرُوا خَدَمٌ ^(١)

فالبدل بين المسلمين له سمة التسامح بينهم ، لأن البازل بمحبة ، وطواعية
يرجو الجزاء من خالقه ، وقد اجتث الإيمان من نفسه طابع الأنانية ، وشهوة
الاستئثار . يقول تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ
وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ
يُوقِ شَحْنَنَفسِهِ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر / ٩] .

فبذلها جاء على قدر ما أفرغ الإيمان في قلوبهما من محبة ، والتكر للذات
منهما ارتكز على إقرارهما بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . قال تعالى
في الحديث القدسي : « وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ
وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ » ^(٢) .

(١) للشاعر أبي العلاء المعري . انظر كتابه : لزوم ما لا يلزم (ص ٢٨٩ / ٢) .

(٢) أخرجه مالك في الموطأ بسنده عن معاذ بن جبل . كتاب الشعر . باب ما جاء
في المتحابين في الله .

وأخرجه الحاكم في المستدرک (١٦٩ / ٤) ، وقال : هذا حديث صحيح على
شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وقال الحاكم : وقد جمع أبو إدريس
بإسناد صحيح بين معاذ وعبادة بن الصامت في هذا المتن .

وكلما توسع الإنسان في رغباته ، وشهواته احتاج إلى مزيد من السبل والوسائل لتحقيقها .

وتلك السبل والوسائل لا تنأى إلا بقدر كبير من الجهد ، والمشقة ، والبذل ، مادياً ، ومعنوياً .

وهنا يختلف الناس في سعيهم إليها بين مُنتَقِ مُتَأَنٍ ، وبين حاطب لئيل شره . فمن كان هدفه تحقيق ما أراد دون النظر إلى عواقب الأمور — وكان ذلك منه قُصُوراً في التفكير ، وتقليلاً من شأن المروءات — سلّم لنفسه الأخذ بالأسباب من مختلف مصادرها . وأوجد لها نظرياً من المسوغات ما يزيد في تطاولها عليه ، مما يُشجعها على سَوْقه نحو عاقبة وخيمة .

هذا النوع من الناس يَتَفَتَّق ذهنه — في الغالب — على نوع من الحيل الكثيرة ، المشتملة في جُمْلَتِها على أساليب مُختلفة من الخداع ، والغش ، والكذب . فهو لا يتورّع بل يتسرع الأمور ، ويستثقل الانتظار حين الوقوف في صفوف المنتظرين . ويتطلع بفضول شديد إلى الكسب السريع في وقت سريع ، لا يهتم أن يتخطى من سبقه من ذوي الحاجات ، ولا يروغه أن يرى مظلوماً ، حافياً ، كادحاً ، قد سبقه في طلب إنجاز حاجته واقفاً في الصف أمام مسئول قليل المروءة ، والشهامة ، والخشية ، قدّم عليه هذا المتسرع الذي جاء من الصفوف الخلفية ، أو ربما لم يقف في الصف أصلاً ، بل جاء حاملاً توصية من وجهه ، أو صاحب نفوذ وهو ما تعارف الناس بتسميته : الواسطة أو الوسيط .

فما هي حدود ذلك ؟ وما هي ضوابطه ؟

وهل تندرج الوساطة في مفهوم الشفاعة العام ؟ وهل هي من المداواة في

شيء ؟

يَقُولُ اللَّغَوِيُّونَ ^(١) :

تَوَسَّطَ فُلَانٌ : أَخَذَ الْوَسْطَ بَيْنَ الْجَيِّدِ ، وَالرَّدِيِّ .

وَالْوَاسِطَةُ : مَا يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى الشَّيْءِ .

وَالْوَسْطُ : الْمُعْتَدِلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .

وَالْوَسِيطُ : الْمُتَوَسِّطُ بَيْنَ الْمُتَخَاصِمِينَ .

وَشَفَعَ لِفُلَانٍ : كَانَ شَفِيعًا لَهُ .

وَشَفَعَ إِلَى فُلَانٍ : تَوَسَّلَ إِلَيْهِ بِوَسِيلَةٍ .

وَشَفَعَ فِي الْأَمْرِ : كَانَ شَفِيعًا فِيهِ .

وَشَفَعَ فُلَانًا فِي كَذَا : قَبَلَ شَفَاعَتَهُ فِيهِ .

وَيُقَالُ : هُوَ مُشَفَّعٌ : يَقْبَلُ الشَّفَاعَةَ .

وَهُوَ مُشَفَّعٌ : مَقْبُولُ الشَّفَاعَةِ .

يُقَالُ : تَشَفَّعَ لِفُلَانٍ وَإِلَى فُلَانٍ فِي الْأَمْرِ .

وَتَشَفَّعَ بِهِ إِلَيْهِ : تَوَسَّلَ بِهِ إِلَيْهِ .

فعندما يكون لإنسان حاجة ، إثمَامَ قَضَائِهَا يَتَطَلَّبُ الْمُرُورَ بِمَرَاكِلِ تَنْظِيمِيَّةٍ ، مُتَرَابِطٍ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ . وَتَحْتَاجُ كُلُّ مَرَحَلَةٍ إِلَى نَوْعٍ مِنَ الْاِخْتِصَاصِ يَقُومُ بِهِ مَسْتَوَّلٌ مُسْتَقِلٌّ فِي دَائِرَةِ ذَاتِ أَقْسَامٍ ، وَشُعَبٍ . يُدِيرُهَا مَجْتَمَعَةٌ مُدِيرٌ وَاحِدٌ .

يَتَقَدَّمُ صَاحِبُ الْحَاجَةِ بِطَلْبِهِ إِلَى الْإِدَارَةِ الْمُغْنِيَةِ بِاسْمِ مُدِيرِهَا ، الَّذِي يُحِيلُهَا

(١) المعجم الوسيط وغيره . مادتي : وسط . وشفع .

بدوره إلى القسم المختص ليراجع مسئوله صيغة الطلب .

فإذا وجدته مستوفياً لشروط وأنظمة إدارته صدّق عليه وأعادّه إلى مصدره ليأخذ بعد ذلك دورة أخرى مع مختص آخر ، في قسم آخر .

أما إذا كان شيء من الشروط غير تام ، أو غير مطابق للأنظمة المرعية ، طُوبى صاحبه باستكمالها ، أو تعديله .

هذه الإجراءات وغيرها — مما يُسمى (بالروتين) — مُجتمعة أو مُتفرقة تُستغرق وقتاً ، وتتطلب جهداً . فمن كان على بينة من أمره ثابر ، وانتظر ، وصبر ، لعلمه أن تجاوزه لغيره في تحقيق غايته نوع من التعدي .

فلكي يضمن صيانة حقوقه عند الآخرين ، فعليه أن يصون حقوق الآخرين عنده .

وأما معظم ما يجري في وقتنا الحاضر فيدخل في مفهوم الغاية تسوّغ الوسيلة ، وهو ليس من المداواة في شيء . بل هو مفهوم خطير ، ومرتع خصب للأثانية الدائرية التي تُحيط بأهلها .

فمن كان كذلك فهو لا يتحمل الانتظار .

فجده كالذي يتخبطه الشيطان من المس ، لا يهدأ ولا يستقر . همه أن يحصل على بُغيته بما يحقق مصلحته الذاتية ، ويرضى غروره . وذلك في الغالب يكون على حساب المصلحة العامة .

فالذي يوافق أن يكون وسيطاً ، أو شافعاً لمثل هذا الإنسان إنما يقبل في الحقيقة أن يكون شريكاً له ومساعداً في إضاعة كثير من الحقوق

المُسْتَحَقَّة لِلآخَرِينَ .

« وَكُلُّ أَمْرٍ لَا يَكُونُ مُوَافِقًا لِلْحَقِّ فَهُوَ فَاحِشَةٌ » ^(١) .

وَالْفَاحِشَةُ : الْقَبِيحُ الشَّيْءُ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ .

قَالَ تَعَالَى : ﴿ مَنِ يَشْفَعْ شِفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شِفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيمًا ﴾ [النساء / ٨٥] .

قَالَ صَاحِبُ الْمَنَارِ :

إِنَّ الْعُلَمَاءَ مُتَّفَقُونَ عَلَى أَنَّ شِفَاعَةَ النَّاسِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ تَدْخُلُ فِي عُمُومِ الْآيَةِ . وَأَنَّهَا قِسْمَانِ : حَسَنَةٌ ، وَسَيِّئَةٌ .

فَالْحَسَنَةُ أَنْ يَشْفَعَ الشَّافِعُ لِإِزَالَةِ ضَرَرٍ ، وَرَفْعِ مَظْلَمَةٍ مِنْ مَظْلُومٍ ، أَوْ جَرِّ مَنْفَعَةٍ إِلَى مُسْتَحِقٍّ لَيْسَ فِي جَرِّهَا إِلَيْهِ ضَرَرٌ وَلَا ضَرَارٌ .

وَالسَّيِّئَةُ أَنْ يَشْفَعَ فِي إِسْقَاطِ حَقٍّ ، أَوْ هَضْمِ حَقٍّ ، أَوْ إِعْطَانِهِ لغيرِ مُسْتَحِقٍّ ، أَوْ مُحَابَاةٍ فِي عَمَلٍ .

وَالضَّابِطُ الْعَامُّ أَنَّ الشَّفَاعَةَ الْحَسَنَةَ هِيَ مَا كَانَتْ فِيهَا اسْتِحْسَنَةُ الشَّرْعِ ، وَالسَّيِّئَةُ فِيهَا كَرَاهَةٌ أَوْ حَرَمَةٌ .

وَالْحَاكِمُ الْعَادِلُ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِغْلَامِهِ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مِنْ مَظْلَمَةِ الْمَشْفُوعِ لَهُ ، أَوْ اسْتِحْقَاقِهِ لِمَا يُطْلَبُ لَهُ .

وَلَا يَقْبَلُ الشَّفَاعَةَ لِأَجْلِ إِرْضَاءِ الشَّافِعِ فِيهَا يُخَالِفُ الْحَقَّ وَالْعَدْلَ ، وَيُنَافِي الْمَصْلَحَةَ الْعَامَّةَ . وَمَا الذَّنَابُ الضَّارَّةُ بِأَقْتِكَ فِي الْغَنَمِ مِنْ فَتْكِ الشَّفَاعَاتِ فِي

(١) فقه اللغة للثعالبي : (٣١) .

إفساد الحكومات ، والدُّول .

فإنَّ الحكومةَ الَّتِي تُرَوِّجُ فِيهَا الشَّفَاعَاتِ يَعْتَمِدُ التَّابِعُونَ لَهَا عَلَى الشَّفَاعَةِ فِي كُلِّ مَا يَطْلُبُونَ مِنْهَا — لَا عَلَى الْحَقِّ وَالْعَدْلِ — فَتَضِيعُ فِيهَا الْحُقُوقُ ، وَيَحِلُّ الظُّلْمُ مَحَلَّ الْعَدْلِ . وَيَسْرِي ذَلِكَ مِنَ الدَّوْلَةِ إِلَى الْأُمَّةِ فَيَكُونُ الْفَسَادُ عَامًّا ، وَيَعْتَقِدُ الْجُمَاهِيرُ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى قَضَاءِ مَصْلَحَةٍ فِي الْحُكُومَةِ إِلَّا بِالشَّفَاعَةِ أَوْ الرِّشْوَةِ ^(١) . ١ . هـ .

وقال الزَّمَخْشَرِيُّ : الشَّفَاعَةُ الْحَسَنَةُ هِيَ الَّتِي رُوِيَ بِهَا حَقُّ مُسْلِمٍ وَدُفِعَ بِهَا عَنْهُ شَرٌّ ، أَوْ جُلِبَ إِلَيْهِ خَيْرٌ .

وَابْتَغَى بِهَا وَجْهَ اللَّهِ ، وَلَمْ تُؤْخَذْ عَلَيْهَا رِشْوَةٌ . وَكَانَتْ فِي أَمْرِ جَائِزٍ ، لَا فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ وَلَا فِي حَقٍّ مِنَ الْحُقُوقِ .

والسيئة بخلاف ذلك ^(٢) .

وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ قَوْلُهُ ﷺ : « مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ فَقَدْ ضَادَّ اللَّهَ . وَمَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُهُ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَنْزَعَ عَنْهُ .

وَمَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ اللَّهُ رَذَّةَ الْخَبَالِ ^(٣) حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا

(١) تفسير المنار (٣٠٩/٥) .

(٢) الكشف (٥٤٣/١) .

(٣) عصارة أهل النار . والرذَّة : بسكون الدال وفتحها : طين ووَحَل كثير)

(النهاية : ٢١٥/٢) .

قَالَ « (١) » .

وروى أبو موسى الأشعري أن النبي ﷺ إذا أتاه طالبُ حاجة أقبلَ على جُلُوسائه فقالَ : « اشْفَعُوا فَلْتُوْجَرُوا ، وَلْيَقْضِ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا أَحَبَّ » (٢) .
قال ابن حجر : في الحديثِ الحَضُّ على الخيرِ بالفعلِ وبالتسببِ إليه بكلِّ وجهٍ .

والشَّفَاعَةُ إلى الكبيرِ في كَشْفِ كُرْبَةٍ ، ومَعُونَةٍ ضَعِيفٍ إِذْ لَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يَقْدِرُ عَلَى الْوُصُولِ إِلَى الرَّئِيسِ وَلَا التَّمَكُّنُ مِنْهُ لِيَلْجِ عَلَيْهِ ، أَوْ يُوضَّحَ لَهُ مُرَادُهُ لِيَعْرِفَ حَالَهُ عَلَى وَجْهِهِ (٣) .

وَالْمُتَشَفِّعُ يَكُونُ لَهُ — غَالِبًا — عِنْدَ الْمُشَفَّعِ مِنَ الْاعتِبَارَاتِ مَا يُسَهِّلُ عَلَيْهِ وَسَاطَتَهُ . مِنْهَا مَا يَكُونُ أَدَبِيًّا ، كَالْاحْتِرَامِ ، وَالتَّقْدِيرِ فَيَسْتَحِي أَنْ لَا يُحَقِّقَ لَهُ رَغْبَةً لِكِبَرِ سِنِّ ، أَوْ مَكَانَةِ اجْتِمَاعِيَّةٍ ، أَوْ قَرَابَةٍ .

وَمِنْهَا مَا يَكُونُ مُقَايَصَةً ، إِنْجَازَ عَمَلٍ بِإِنْجَازِ عَمَلٍ .

وَمِنْهَا مَا يَكُونُ وَقَايَةً مِنْ أَدَى يُمَكِّنُ أَنْ يُلْحِقَهُ الْمُتَشَفِّعُ بِالْمُشَفَّعِ .

وَمِنْهَا مَا يَكُونُ تَزَلُّفًا مِنَ الْمُشَفَّعِ لِيَتَقَرَّبَ إِلَى الْمُتَشَفِّعِ .

(١) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الأقضية ، باب فيمن يُعين على خصومة عن عبدالله بن عمر . صحَّحه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٦٨٦/٢) .

(٢) أخرجه البخاري في الأدب ، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضًا ، ومسلم في البر والصلة رقم (١٤٥) .

(٣) انظر فتح الباري : (٤٥١/١٠) .

وأحسنه ما كان لوجه الله لعاجز ، مُستَحَقِّ ، مُنْقَطِع ، يَسْتَحِي .

وأسوؤها ما يلحق الضرر بالآخرين ، ويُميت في نفس الضعيف كل أمل في الحصول على حقه ، فيصبح المجتمع بذلك مجتمعاً طبقيّاً تنخره الخسوبة ، ويرتع الظالم فيه مُنتصراً ، مُفاخرّاً ، رافعاً عقيرته ، ويُصبح اليأس ، والخوف من الجهول وعدم الثقة عند المستضعفين عوامل قوّة تدفع بهم إلى (المداورة) في طريق خاطيء من النفاق ، والكذب ، والازدراء . فيفقد الفرد منهم حسّه المعنوي ، وشعوره بالكرامة . فيخسر نفسه ، ويخسر المجتمع .

وما المقايضة ، والمساومة بين صاحب الحاجة ، وبين من يقضيها له إلا نوع من الأذى ، وأكل أموال الناس بغير وجه حق ، وقد نصّ الله تعالى على تحريم ذلك بقوله : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَدُلُّوْا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِأَكُمْ فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة / ١٨٨] .

أي : لا تُعطوها الحكماء على سبيل الرشوة ليغيروا الحكم لكم ^(١) .

ولعن رسول الله ﷺ الراشي ، والمرتشي ^(٢) ، والرائش بينهما .

فالراشي : المعطي . والمرتشي : الآخذ . والرائش : الواسطة بينهما .

قال الخطابي : إنما تلحقهما العقوبة معاً إذا استويا في القصد والإرادة ، فرشاً المعطي لينال به باطلاً ، ويتوصل به إلى ظلم .

قال : والآخذ إنما يستحق الوعيد إذا كان ما يأخذه إما على حق يلزمه

(١) شرح السنّة للبخاري : (٣٣٠/٥) .

(٢) أخرجه الترمذي في الأحكام ، باب ما جاء في الراشي والمرتشي في الحكم عن عبدالله بن عمرو . وقال : حديث حسن صحيح .

أداؤه فلا يفعل ذلك حتى يُرشي . أو عملٌ باطلٌ يجب عليه تركه فلا يتركه حتى يُصانع ويُرشي ^(١) .

ويُنسب إلى الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن — يرثه الله — قوله : لم يفسد الملك إلا الملوك وأحفادهم ، وخدائهم ، والعلماء المحابون ، وأعوافهم .

ومتى اتفق الأمراء ، والعلماء على المداينة ، فالأمير يمنح المنح ، والعلماء يدلّسون ، ضاعت حقوق الناس . وفقدنا العياد بالله الآخرة والأولى ^(٢) .

ونوع آخر من المعاملة بين الناس يلتبس على الكثير الوقوف على حقيقته ، ومعرفة نوعه إن كان من (المدارة) ؟

ذلك هو (التقيّة) . قال في الوسيط :

(التقيّة) : الخشيّة ، والخوف .

و (التقيّة) عند بعض الفرق الإسلامية : إخفاء الحق ، ومصانعة الناس في غير دولتهم . ١ . هـ — فهما قد يجتمعان عند الخشيّة والخوف على النفس من الهلاك على قاعدة : ﴿ إِمَّا مَن أَكْرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ [النحل / ١٠٦] . ولكنهما حتماً يفترقان عند مصانعة الناس بإخفاء الحق ، فهذا بمعنى النفاق ، والتزلف للوصول إلى تحقيق غاية مادية تلحق في الغالب ضرراً بدينه ، ومعتقده .

جاء في الحديث الصحيح : « إِنَّ مِنْ شَرِّارِ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي

(١) انظر معالم السنن ، كتاب الأقضية ، باب في كراهية الرشوة (٩/٤) .

(٢) انظر كتاب صور من حياة عبدالعزيز ، ص ١٣٣ ، لابنه الأمير طلال .

هَؤُلَاءِ بِوَجْهِهِ وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهِهِ « (١) .

فَهُوَ مَعَ الْجَمِيعِ بِمَا يُرْضِي الْجَمِيعَ . تُسَيِّرُهُ رَغْبَاتُهُ ، وَشَهَوَاتُهُ . لَا يَكْتَرِثُ كَثِيرًا لَمَّا يَفْقِدُ مِنْ مَاءٍ وَجْهَهُ مِنَ الْحَيَاءِ . وَغَايَتُهُ الْحَصُولُ عَلَى مَا يُرِيدُ حَتَّى وَلَوْ أَخْزَاهُ مَا أَرَادَ .

وَهَذَا لَيْسَ مِنَ (الْمَدَارَاةِ) الْمَرْضِيَّةِ فِي شَيْءٍ . إِنَّمَا هُوَ خَلِيطٌ مِنَ الْكَذِبِ ، وَالتَّفَاقُ ، وَالتَّزْلُفِ وَالرِّيَاءِ ، يَا بَاهُ كُلِّ ذِي مُرُوءَةٍ .

وَهُوَ دَعَامَةٌ قَوِيَّةٌ لِعُنَاصِرِ الشَّرِّ فِي الْجَمْتَمَعِ ، يَرْكُزُ عَلَيْهَا الْفَسَادُ النَّاشِي عَنْ تَقْسِيمِ الْجَمْتَمَعِ إِلَى طَبَقَاتٍ مُتَفَاوِتَةٍ ، يَسُودُهَا مَنطِقُ :

الْبَقَاءُ لِلْأَقْوَى ، وَالْحَسْرَةُ لِلضَّعِيفِ . !!

وَالْمُحْسُوبِيَّةُ أَنْ تَحْسِبَ لغيرِكَ حِسَابًا فِيمَا تَأْتِي بِهِ مِنْ عَمَلٍ يَنْتُجُ عَنْهُ الْخَشْيَةُ عِنْدَكَ عَلَى مَصَالِحِكَ الْخَاصَّةِ عِنْدَهُ أَوْ عِنْدَ غَيْرِهِ مِنْ أَنْ تَتَعَطَّلَ ، مِمَّا يَدْفَعُكَ إِلَى مُدَارَاتِهِ .

أَوْ أَنْ تَتَطَّلَعَ إِلَى تَبَاذُلِ الْمَنَافِعِ بَيْنَكُمَا فِيمَا يَخْدُمُ مَصْلَحَتَيْكُمَا . مِمَّا يَدْفَعُكَ إِلَى التَّنَازُلِ عَنْ بَعْضِ مَقُومَاتِ السُّلُوكِ الْقَوْمِ .

وَهَذَا يَكُونُ — فِي الْغَالِبِ — مِنَ الَّذِينَ يَقْفُزُونَ عَلَى الْأَنْظُمَةِ ، وَالشَّرَائِعِ . وَيَتَّخِذُونَ سَبِيلَ الْحِيلَةِ ، وَالْمَرَاوَعَةِ وَالْخَدِيعَةِ ، وَالْكَذِبِ سَبِيلًا

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ ، بَابُ مَا قِيلَ فِي ذِي الْوَجْهَيْنِ ، وَمُسْلِمٌ فِي الْبِرِّ وَالصَّلَةِ ، بَابُ ذِمِّ ذِي الْوَجْهَيْنِ . كِلَاهُمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ .

لتحقيق مآربهم ، ومكاسبهم غير المشروعة ^(١) .

ومن هنا يبرز دور الوسيط ، ويصبح للوساطة سوق رائجة تعمل على بسط النفوذ من قبل فئة من الناس على الفئات الأخرى . وترسخ في أذهان العامة أهمية الوساطة باعتبارها المحرك الأقوى ، وربما الأساسي لكل مسألة يراود إنجازها .

والذين أوكل إليهم ولي الأمر تسهيل أمور الناس ، وقضاء حوائجهم في إطار المصلحة العامة ، وخصص لهم من الرزق ما يكفي حاجتهم ، وحاجة من يعملون ، يجب عليهم الإخلاص في العمل .

جاء في الحديث : « من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً فما أخذ بعد ذلك فهو غلول » ^(٢) .

والغلول : الحيانة .

(١) جاء في « معجم العلوم الاجتماعية » عن المحسوبة أنها : محابة الأقارب باعطائهم مناصب غير معدّين لها ، أو بمنحهم ميزات مادية ومعنوية لا يستحقونها ، وذلك لزيادة دخولهم أو هيبتهم أو سلطانهم داخل أجهزة الدولة المختلفة ، وكل هذا على حساب الصالح العام . .

وفي المحسوبة ، بوجه عام ، قضاء على مبدأ تكافؤ الفرص ، ومبدأ المساواة بين الأفراد في الحقوق والواجبات ، ولها نتائج اجتماعية خطيرة ، فهي تدفع الأفراد إلى أن يفقدوا الثقة في الجد والكفاية واتقان العمل ، ما دام في وسع المرء أن يصل عن طريق آخر من قرابة أو مصاهرة . هـ . ص (٥٢٣) .

(٢) أخرجه أبو داود في الإمارة ، باب في أرزاق العمال عن بريدة ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٥٦٨/٢) .

وقد قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال / ٢٧] .

فمن ضَيَّعَ شيئاً مما أمر الله ، أو رَكِبَ شيئاً مما نهاه الله عنه فَلَيْسَ بِعَدْلٍ لَّأَنَّهُ لَزِمَهُ اسْمُ الْحَيَاةِ .

وفي مثل هذه الحالات يبرز دور المسئول الأول في حُسْنِ الاختيار للعاملين معه . ومن ثمَّ متابعة أعمالهم ومُحَاسَبَتِهِمْ عَلَيْهَا .

وعليه أن يطبَّقَ مفهوم ، ومدلول القول المشهور : الرجل المناسب في المكان المناسب .

قال ﷺ لأعرابي سألَه عن مَوْعد قيام الساعة : « إِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ » . قَالَ : كَيْفَ إِضَاعَتُهَا ؟ قَالَ ﷺ : « إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ » (١) .

وإذا ما اجتهد وليُّ الأمر عند اختيار عُمَّالِهِ بانتقاء الصَّالِحِ مِنْهُمْ ثُمَّ تَبَيَّنَ أَنَّ مِنْ بَيْنِهِمْ مَنْ لَا يَصْلُحُ لِلْعَمَلِ — بَأَن ظَهَرَتْ مِنْهُ خِيَاةٌ — فَلَا يَتَرَدَّدُ فِي عَزْلِهِ وَمُعَاقِبَتِهِ وَحِسَابِهِ لِيَكُونَ عِبْرَةً لِّغَيْرِهِ . وما تركُّ المَذْنِبِ بِلا عِقَابٍ وَلَا حِسَابٍ إِلَّا نَوْعٌ مِنَ الاسْتِفْزَازِ لِلْمُخْلِصِينَ ، وَتَنْبِيْطٍ لِّهَمَمِهِمْ .

وعليه تَفَقَّدَ أحوالهم ، ومُراقِبَهُ أَعْمَالَهُمْ ، لَا يَسْقُطُ ذَلِكَ عَنْهُ بِدَعْوَى الثِّقَةِ فِيهِمْ ، وَلَا بِالْإِنْشِغَالِ عَنْهُمْ .

فإن هُوَ عَلمَ بِالتَّقْصِيرِ فَجَامِلٌ أَوْ تَجَمَّلَ ، أَوْ تَغَابَا ، فَتِلْكَ مُصِيبَةٌ . وإن كان

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم ، باب من سئل علماً وهو مشغول في حديثه ، عن أبي هريرة .

جاهلاً به فالمصيبة أعظم . لأنه المسئول الأول عن كل مظلمة أو خطأ يقع منهم على الرعية .

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتفقد بعض أحياء المدينة إذ مرَّ بعجوزٍ وحولها صبيةً يكون وهي تقول : الله بيننا وبين عمر .

فاستوقفه ذلك وسألها : وما يُذري عمرَ بكم ؟! ردَّت عليه — وهي لا تعرفه — : يتولَّى أمرنا ثمَّ يغفل عَنَّا . !؟

فأمدها بزازٍ وقام عليه حتَّى نَضَجَ ، فأكل الصبية وناموا . فالتفتت إليه العجوز وقالت : إنك أولى بالأمر من عمر ^(١) .

الشاهد في ذلك قولها : يتولَّى أمرنا ثمَّ يغفل عَنَّا ! .

وإقرار عمر لها بعدمِ تغنيها ، تصويبٌ لرأيها . ممَّا يؤكد مسؤولية الوالي على كلِّ ما يجري في ولايته .

وفي بعض الأقطار — غير المسلمة — إذا جرَّم موظف في وزارة فإنَّ الوزير يفقد منصبه . وإذا كان وزيراً استقالت الحكومة برؤيتها !! .

فكيف بنا ونحن مسلمون نغفل عن مثل هذا ، وإذا سرق فينا الضعيفُ أقمنا عليه الحدَّ ، وإذا سرق فينا الشريفُ تركناه . ورسلُنا وقُدوتنا أقسم بأيم الله لو أنَّ فاطمة بنتَ مُحَمَّد سَرقت لَقَطَعْتُ يدها ^(٢) .

(١) انظر مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن الجوزي ، ص ٦٩ . وانظر تاريخ الطبري (٢٠/٥ — ٢١) .

(٢) أخرجه البخاري في الحدود ، باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع . ومسلم

فهل مثل هذا التصرف من بعضنا دافعه الجمالة أم التَّجَمُّلِ ؟ وهل هما من أنواع المداراة في شيء ؟

قالوا : الجمالة هي المعاملة بالجميل ، قولاً ، وفِعْلاً ، ومن المعاملة بالجميل إعطاء كل ذي حقَّ حَقَّهُ ، والأخذ بالأسباب المشروعة عند كلِّ إئْجَازٍ لَهُ . والعمل بقول الرسول ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَّقَنَهُ » (١) .

وأما التَّجَمُّلُ فهو أن يكونَ عَمَلُ الجَمِيلِ مِنْهُ تَكْلُفاً . فيَقْضِي حَوَائِجَ النَّاسِ حَسَبَ مَقَامَاتِهِمْ ، وَدَرَجَاتِ نَفُوذِهِمْ فِي المَجْتَمَعِ ، وَبِقَدْرِ مَا يَأْمَلُ مِنْ كَسْبِ مَادِي مِنْهُمْ فَيُخَلِّ بِحَقِّ الْآخَرِينَ مِنْ عَامَةِ النَّاسِ ، وَيُضَيِّعُ عَلَيْهِمْ أَوْقَاتَهُمْ ، وَيُلَوِّحُ لَهُمْ بِقَبُولِ الرِّشْوَةِ .

والإنسان المضطر لقضاء حوائجه تلمس عنده الاستعداد للبدل ، والتخلُّق باللين ، والمداراة .

فَخَوْفُهُ مِنَ المَجهُولِ ، وَعَدَمُ ثِقَتِهِ بِالمُسْتَقْبَلِ يُوصِلَانِهِ إِلَى الشُّعُورِ بِاليأس ، فَيَحَاوِلُ التَّقْلِيلَ مِنْ هَذَا الشُّعُورِ بِالصُّغْطِ عَلَى نَفْسِهِ وَالتَّحْلِي بِالصَّبْرِ ، وَالتَّسْلُحِ بِأَنْوَاعٍ مِنَ المَدَارَاةِ ، كَالْمُسَايَرَةِ ، وَالمَلَايِنَةِ ، وَالمَدَاجَاةِ ، وَالمَصَانَعَةِ . فَيَسْتَغْلِ مِثْلَ هَذِهِ

في الحدود ، باب قطع السارق الشريف وغيره .

(١) قال في مجمع الزوائد (٩٨/٤) : رواه أبو يعلى عن عائشة ، وفيه مصعب بن ثابت وثقه ابن حبان ، وضعفه جماعة . قال في التقریب : لئن الحديث . اهـ . وللحديث شاهد أخرجه البيهقي في شعب الإيمان لفظه : « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مِنَ الْعَامِلِ إِذَا عَمِلَ أَنْ يُحْسِنَ » من حديث قطبة بن العلاء بن المنهال . قال الألباني : مرسل . انظر السلسلة الصحيحة ، رقم (١١١٣) .

الحَالَة مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ ، فَيَسْطُ نُفُودَهُ ، وَيُمْلِي شُرُوطَهُ ، وَيُسَاوِمُ ، فَإِنْ أُعْطِيَ رَضِي ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ يَتَعَنَّتْ ، وَيُمَاطِلُ صَاحِبَ الْحَاجَةِ فِي إِنْجَازِهَا . وَلِسَانُ حَالِهِ يَقُولُ :

لَقَدْ قَرَّرْتُ فَلَا تُحَاوِلْ تَضْلِيلِي بِالْحَقَائِقِ !! .

ولعلّ من أبرز المجالات الإنسانية في الحياة الدنيا استعمالاً لأكثر أنواع المدارة هو مجال السياسة .

لأن السياسة يكون لهم أهداف لتحقيق مصالحهم . وتكون تلك المصالح في الغالب مع الأجنبي الذي يختلف في أحكامه ، وأعرافه ، وشرائعه عن بلد السياسي . فتحده يذلل جهداً موصولاً بعيداً عن العنف . يلقفه الحذر الشديد لئلا يسمع منه الآخر ما يثير ضغينته ، فتراه يستخدم من الألفاظ ، ويأتي من الأفعال ما يداري به صاحبه ، وبما يعجبه ليصل بذلك إلى ما يريد منه .

ولعل من أسوأ ما يمكن أن يقع فيه السياسي من خُلُقٍ هو لجوؤه إلى الكذب المبطن ، أو الخداع المدسوس ، في القول أو الفعل .

فهو يحرص ألا يكشف أوراقه لمنازعه ، في الوقت الذي يُبقي فيه على شعرة معاوية ^(١) بينهما .

ولكن هل من سبيل إلى تجنب قول الحقيقة دون الوقوع في الكذب ؟

يبدو أن المسألة تجمع بينَ ضِدَّيْنِ ، الأمر الذي يصعب على العقل إدراكه ، ولكن لعلّ في المعارض مندوحة عن الكذب .

(١) قال معاوية بن أبي سفيان : لو أن بيني وبين الناس شعرة لما انقطعت . قيل له : كيف ؟ قال : إذا أرخوها شددتها ، وإذا شدوها أرخيتها .

والوطن يدافع عنه رجلاً : أحدهما بالسَّنان ، والآخر بالبيان ، فهما في حرب مع العدو ، وقد أباح الشارع اللجوء إلى الكذب في الحرب ، ومن أجل الصلح بَيْنَ اثْنين أو أكثر ^(١) .

فهذه أمور قد يضطر الإنسان فيها إلى زيادة القول ، ومجاوزة الصدق طلباً للسلامة ، ودفعاً للضرر عن نفسه .

وقد رُخِّص في بعض الأحوال في اليسير من الفساد لما يُؤمَّل بعده من الصلاح .



(١) انظر كتاب الصلح من صحيح البخاري ، باب ليس الكاذب الذي يصلح بَيْنَ النَّاسِ . وصحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب في إصلاح ذات البين .

الخاتمة ، والتوصيات

(المدارة) خُلِقَ في الإنسان ، مكتسب ليُصبح له بعد ذلك سلوكًا ، يُقَوِّم من خلاله معظم علاقاته الاجتماعية مع الآخرين .

وكُلِّمًا كان الإنسان ذا علاقة واسعة مع غيره ، وتعددت مسؤولياته احتاج إلى نوع من (المدارة) التي من أبرزها : اللين .

فمهمّة الأنبياء والرسل في نشر الدعوة إلى توحيد الله ، وهداية الأمم يغلب عليها طابع (المدارة) فيما لا يخالف منهج الدعوة ، وأهداف الداعية . فكانوا يتعاملون مع أذى المناوئين لدعوتهم بالصبر ، والأناة ، والحكمة ، والموعظة الحسنة . مُوجَّهين من الله تعالى بذلك .

والعامة من المسلمين في تعاملهم المعيشي مع بعضهم يُفترض أن الشريعة الإسلامية التي تحثّ على الصدق ، والوفاء ، والتعاون على البرِّ والتقوى وإصلاح ذات البين ، وإغاثة المحتاج ، والإيثار هي مرشدهم في تعاملهم . أولئك كانوا أقرب إلى الهدى من الضلال ، وإلى الخير من الشرّ ، حتّى إذا ابتعد أكثر النَّاس عن صميم تعاليم دينهم ، وخفّ لديهم الوازع الديني ، وشغِلوا بالماديات في شتى أمور حياتهم ، وتعلّقوا بالحياة الدنيا وزخرفها ، ابتدعوا من قبل أنفسهم حيلًا ، وأساليب مختلفة للوصول إلى غاياتهم ، لا يضرهم من تضرر إذا حققوا ما يُريدون !!

فَبَرَزَ في المجتمع المسلم فئة من المسؤولين استغلت ضعف الضعيف ، وطمع القوي ، يعاملون الفئتين بالابتزاز ، واصطياد القرص ، فأفشّت بينهم الرِّشوة ، ورسّخت في المفهوم العام فكرة الوساطة ، والوسيط لانجاز مصلحة وإن لم تَسْتَوْف الشروط اللازمة الصحيحة لإنجازها . وهذا ليس من (المدارة) في شيء .

ويكون من واجب ولاية الأمر حينئذٍ التقصي والاجتهاد في اختيار معاونيهم في شتى الأعمال ، ومتابعتهم بعد ذلك ، وتقويم اعوجاج سلوكهم ، أو حماية المجتمع من شرورهم بإقصائهم بعد معاقبتهم ، ليتحقق المفهوم العام القائل : الرجل المناسب في المكان المناسب .

وما يسببه البعض من إحراج للمسئول عند مراجعته لإنجاز معاملته — وتكون ناقصة المعلومات ، أو مخالفة لمقتضيات النظام — فيذكره بقرابته ، ويستفزه بعبارات المديح ، وبما له عليه من حقوق ، مما يضطره إلى مجاملته ، وتقديم طلبه على المستحقين قبله ، أو أن يعامله بخلاف نصوص التنظيم ، فيضطرب أمر الدائرة ، ويتسلل الخطأ ، وربما يعالج بخطأ آخر .

فعلاج ذلك — في مفهومي — دراسة الأنظمة — قبل وضعها موضع التنفيذ — دراسة دقيقة وافية من قبل مختصين ، أهل دراية ، وخبرة شرعية وقانونية ، ثم تُطرح للتجربة ، ويتابعون تنفيذها ، والعمل بها مدة تتناسب وأهمية النظام من حيث مساسه بالجمهور ، وباعتباره قاعدة تقوم عليها أسس أخرى . وألاً يستنكف واضعو النظام من الأخذ بكل ملاحظة مهما كان حجمها ، أو قدرها ، ويستفيدون منها في التجربة ، فيضيفون أو يحذفون ، ثم بعد التأكد من صلاح النظام بنسبة معقولة ، يعاقب كل من يخالفه أو يتجاوز به زيادة أو نقص عقاباً صارماً يصل في المرحلة الثالثة إلى فصل المتسبب من عمله ، والغرامة المالية لغير العاملين في السلك الوظيفي ، وأن يُجعل شعار كل دائرة لها اتصال بالمواطنين : (المصلحة العامة فوق كل شيء) ، وفي هذا قضاء على (المحسوبية) ، وإعطاء الموظف القدر الكافي من الجرأة لرفض كل ما يخالف الأنظمة .

و (الإدارة) لا تكون أبداً على حساب العقيدة الصحيحة ، ولا تنافي المروءات ، ولا تكون عوناً للظالم على ظلمه .

بل هي أسلوب حياة كريمة ، ووسيلة للتوصل إلى الحق ، وتحصيل الحقوق ،

والمحافظة على الصّلات الإنسانية بين أفراد المجتمع ، والرفق بالجاهل ، والسفيه في الدعوة والإرشاد ، فذلك كلّ مع صلاح النية ، ومراقبة الله تعالى في السرّ والعلن في كلّ ما يأتي أو يدع وذلك معنى الإحسان : « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » . وابتغاء وجه الله ومرضاته كفيل — إن شاء الله — بالسداد ، والقبول .

والله تعالى أعلم ، وهو المستعان .



المراجع

١. الإتيقان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٥ م .
٢. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، سنة ١٤٠٨ هـ .
٣. أحكام القرآن ، لابن العربي ، تحقيق البجاوي ، طبعة عيسى الحلبي .
٤. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، للألباني ، المكتب الإسلامي ، ١٣٩٩ هـ .
٥. أسباب نزول القرآن ، لأبي الحسن عليّ بن الواحدي ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، جدة ، ط ٢ ، سنة ١٤٠٤ هـ .
٦. أعلام الحديث ، للخطابي ، طبعة جامعة أم القرى بمكة ، سنة ١٤٠٩ .
٧. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ، لعلي بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي ، تحقيق الدكتور : حسين أحمد صالح الباكري ، الناشر : مركز خدمة السنّة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، سنة ١٤١٣ هـ .
٨. تاريخ الطبري ، دار المعارف بمصر ، ط ٢ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .
٩. التعريفات ، للجرجاني ، مكتبة لبنان ، سنة ١٩٦٩ م .
١٠. تفسير البغوي ، تحقيق محمد النمر وآخرين ، دار طيبة بالرياض .
١١. تفسير الطبري ، بتحقيق محمود شاكر ، دار المعارف بمصر .
١٢. تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي ، الناشر : دار الأندلس ، بيروت ، سنة ١٣٨٥ هـ .
١٣. تفسير الكشاف ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
١٤. تفسير المنار ، لمحمد رشيد رضا ، مكتبة القاهرة .

١٥. تفسير النسفي ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي .
١٦. تقريب التقريب ، لابن حجر ، دار المعارف للطباعة ، بيروت .
١٧. تهذيب التهذيب ، لأبي الفضل أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند ، سنة ١٣٢٥ هـ .
١٨. تهذيب اللغة ، للأزهري ، الهيئة المصرية العامة .
١٩. الروح ، لابن قيم الجوزية ، دار الندوة الجديدة ، بيروت .
٢٠. سلسلة الأحاديث الصحيحة ، للألباني ، طبعة المكتب الإسلامي .
٢١. سنن الترمذي ، نشر عبدالحسن الكتي ، المدينة المنورة ، سنة ١٣٨٤ هـ .
٢٢. سنن أبي داود ، تعليق : عزت الدعاس ، الناشر : محمد عليّ السيد ، حمص ، سنة ١٣٨٨ هـ .
٢٣. سنن ابن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي ، سنة ١٣٧٢ هـ .
٢٤. سنن النسائي ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، سنة ١٣٤٨ هـ .
٢٥. شرح السنة للبغوي ، تحقيق : زهير الشاويش وشعيب الأرنؤوط ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٢ ، سنة ١٤٠٣ هـ .
٢٦. شعب الإيمان ، للبيهقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
٢٧. الصحاح ، للجوهري ، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار .
٢٨. صحيح البخاري ، مطبوع مع فتح الباري .
٢٩. صحيح سنن أبي داود ، للألباني . محمد ناصر الدين ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
٣٠. صحيح مسلم ، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي .
٣١. صور من حياة عبدالعزيز ، لابنه الأمير طلال ، مطابع حيفة للأؤفست ، الرياض ، ١٤٠٢ .

٣٢. ضعيف سنن أبي داود ، للألباني . محمد ناصر الدين ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، سنة ١٤١٢ هـ .
٣٣. ضعيف سنن ابن ماجه ، للألباني . محمد ناصر الدين ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، سنة ١٤٠٨ هـ .
٣٤. عارضة الأحوذى ، لابن العربي ، طبعة سنة ١٤١٥ .
٣٥. غريب الحديث ، لأبي عبيد ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
٣٦. فتح الباري ، لابن حجر ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، سنة ١٣٨٠ . هـ .
٣٧. فردوس الأخبار ، للدليمي ، طبعة بيروت .
٣٨. الفروق ، لأبي هلال العسكري ، الناشر : جروس برس ، طرابلس ، لبنان ، سنة ١٤١٥ هـ .
٣٩. فقه اللغة ، للثعالبي ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة .
٤٠. الكامل في ضعفاء الرجال ، لأبي أحمد عبدالله بن عدي الجرجاني ، الناشر : دار الفكر ، بيروت ، سنة ١٤٠٤ هـ .
٤١. كشف الخفاء للعجلوني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٣ ، سنة ١٤٠٣ هـ .
٤٢. الكشف عن حقائق غوامض التزويل ، لجار الله محمود بن عمر الزمخشري ، الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت .
٤٣. اللسان ، لابن منظور ، دار صادر .
٤٤. لزوم ما لا يلزم ، لأبي العلاء المعري ، عناية : كمال اليازجي ، دار الجليل ، بيروت ، سنة ١٤١٢ هـ .
٤٥. مجمع الزوائد ، للهيثمي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٢ ، سنة ١٩٦٧ م .
٤٦. مداراة الناس ، لابن أبي الدنيا ، تحقيق محمد خير رمضان يوسف ، دار ابن حزم ، بيروت ، سنة ١٤١٨ هـ .
٤٧. المستدرک ، للحاكم ، دار الفكر ، بيروت ، سنة ١٣٩٨ هـ .

٤٨. مسند الإمام أحمد ، المكتب الإسلامي ، دار صادر ، بيروت .
٤٩. مسند أبي حنيفة ، بشرح ملا علي القاري ، بتحقيق خليل الميس ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
٥٠. مسند أبي داود الطيالسي ، مطبعة مجلس دائرة المعارف ، الهند ، سنة ١٣٢١ هـ .
٥١. مصنف ابن أبي شيبة ، الدار السلفية ، بومباي ، الهند .
٥٢. معالم السنن ، شرح سنن أبي داود ، للخطابي ، إعداد عزّت عبيد الدعاس ، نشر : محمد عليّ السيد ، حمص ، سنة ١٣٨٨ هـ .
٥٣. معجم العلوم الاجتماعية ، إعداد نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين ، تصدر الدكتور إبراهيم مذكور ، إشراف اليونسكو ، الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٥ م .
٥٤. المعجم الوسيط ، إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة .
٥٥. مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، لابن الجوزي ، تحقيق د . زينب إبراهيم القاروط ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
٥٦. موطأ الإمام مالك ، صححه محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة عيسى الحلبي بمصر .
٥٧. الناسخ والمنسوخ في كتاب الله ﷻ ، واختلاف العلماء في ذلك ، لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس ، تحقيق : الدكتور سليمان بن إبراهيم اللّاحم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، سنة ١٤١٢ هـ .
٥٨. النهاية في غريب الحديث والأثر ، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير ، تحقيق : محمود محمد الطناحي و طاهر أحمد الزاوي ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي ، سنة ١٣٨٣ هـ .



فهرس الموضوعات

٢٦٣	المقدمة
٢٦٧	التمهيد
٢٧٨	المبحث الأول : المعنى اللغوي والاصطلاحي للمداراة وبعض مرادفاتها _
٢٧٨	أولاً : المعنى اللغوي :
٢٨٠	ثانياً : المعنى الاصطلاحي :
٢٨٣	المبحث الثاني : ما ورد في القرآن الكريم عن المداراة ومدلولاتها _____
	المبحث الثالث : ما ورد في السنة ، وآثار الصحابة والتابعين عن المداراة
٢٩٧	وكيف فهموها ؟! _____
٣٢١	المبحث الرابع : المداراة وأثرها في المجتمع _____
٣٣٨	الخاتمة ، والتوصيات _____
٣٤١	المراجع _____
٣٤٦	فهرس الموضوعات _____

أَبُو تُرَابٍ اللَّغَوِيُّ وَكِتَابُهُ الْأَعْتِقَابُ الْقِسْمُ الْأَوَّلُ

إِعْدَادُ

د. عَبْدِ الرَّزَّاقِ بْنِ فَرَاجِ الصَّاعِدِيِّ
الْمُتَسَاوِي الْمَسَارِكِ فِي طَلَبَةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْجَامِعَةِ

المقدمة

الحمد لله حقَّ حمده، والصلاة والسلام على خير خلقه، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فإنَّ كثيراً من المتخصِّصين في علوم العربية لا يعرفون عن أبي تراب اللّغويّ أو عن كتابه «الاعتقاب» إلا الشيء اليسير، وقد لا يعرفون عنه شيئاً؛ فهو من علماء اللّغة المغمورين على الرّغم من تقدّمه وعنايته الفائقة باللّغة، وإعجاب معاصريه به، وتوثيقهم إيّاه، وتلقّيهم كتابه الاعتقاب بالقبول والرّضا، وهو ككثير من علماء اللّغة المغمورين الذين لم يواظبوا على الحظ، فقصر في ترجمته المترجمون، وأهمله أكثرهم، ولم يكن كتابه أوفر حظاً منه فقد أتت عليه عوادي الزمان، فضااع فيما ضاع من تراث العربيّة.

ولقد قيض الله لأبي تراب من أبقي ذكره؛ بترجمة مختصرة نافعة، وحفظَ جُلّ كتابه «الاعتقاب» بنقله نصوصاً كثيرة منه تُربي^(١) على ثلثمائة نص، وهو الأزهريّ (٣٧٠هـ) القائل في مقدمة معجمه الكبير «تهذيب اللّغة» بعد أن ذكر أبا تراب وكتابته «الاعتقاب»: «وقد قرأت كتابه فاستحسنته، ولم أره مجازفاً فيما أودعه، ولا مصحفاً في الذي ألفه، وما وقع في كتابي لأبي تراب فهو من هذا الكتاب»^(٢).

وقد عرّضتُ لي فكرة هذا البحث منذ سنوات مضت وهي جمع نصوص كتاب «الاعتقاب» من كتاب التهذيب وغيره، ودراسته من خلالها، والترجمة لمؤلّفه أبي تراب ترجمة ضافية، فعرضت الفكرة على أستاذي الدّكتور محمّد يعقوب تركستاني فاستحسنها، وحثني على المضيّ في إتمامها، ثمّ حالت

(١) من الفعل أرّبي.

(٢) التهذيب ٢٦/١.

دون البدء فيه حوائل؛ منها ما وجدته في ترجمة أبي تراب من اضطراب في اسمه وغموض في حياته العلميّة؛ فأرجأت الشروع في الكتابة إلى حين التمكن من جلاء ذلك الغموض، فبقيت فكرة البحث كامنة في نفسي، تبرز كلما قرأت كتاباً في التّراجم أو التّاريخ أو التّراث اللّغويّ القديم، حتّى تمكّنت بحول الله وقوته في هذا العام ١٤٢١هـ — من كشف ذلك الغموض، وتصحيح الاضطراب، وجمع مادة الاعتقاب من مظانها الأصلية كـ « التهذيب » للأزهريّ وباقي معاجم اللّغة كـ « الصحاح » للجوهريّ، و « التكملة » و « العباب » للصّغاني و « اللّسان » لابن منظور ، فبلغت التّصوص الّتي جمعتها خمسة وسبعين وثلاثمائة نصّ لغويّ من نصوص كتاب الاعتقاب، بعد أن قرأت التّهذيب مرّتين ، وهي — في الحقّ — أضعاف ما كنت أطمح إليه، وأكثر النصوص هي من الاعتقاب بمعناه الاصطلاحيّ؛ أي: الإبدال، وبعضها ليس من الإبدال، ولكنها من كتاب الاعتقاب لأبي تراب، فليس بالإمكان حذفها أو تجاهلها، ولا يضير ذلك أبا تراب، ولا يعيب كتابه، فهو كغيره من علمائنا القدماى — رضي الله عنهم — الذين يحرصون على الأشباه والنظائر، وقد يخلطون شيئاً بشيء؛ لغزارة حفظهم، ونزوعهم إلى الاستفاضة في جمع المادة، واتساعهم في مفهوم التّأليف، فإن لم يكن ذلك من الإبدال فهو من اللغات، والحدّ بين الإبدال واللغات دقيق، وبعضهم يتسع في هذا الأمر فيجعل كل كلمتين متفقتين في الحروف إلا حرفاً واحداً — من الإبدال، مثل نَبَأٌ ونَتَأٌ، ولاِبِثٌ ولاِبِنٌ وثاقِبٌ وناقِبٌ.^(١)

وقد جعلت البحث في قسمين رئيسين:

(١) ينظر: وفاق المفهرم ٤٩، ٦٨.

القسم الأول: أبو تراب وكتاب الاعتقاب
وفيه بابان وفصول؛ وهما كما يلي:

الباب الأول: أبو تراب اللّغويّ

الفصل الأول: سيرته الشخصية

الفصل الثاني: حياته العلمية

الباب الثاني: كتاب الاعتقاب

الفصل الأول: مادّة الكتاب ومنهجه

الفصل الثاني: مصادره

الفصل الثالث: شواهد

الفصل الرابع: قيمته العلميّة وأثره

القسم الثاني: نصوص من كتاب الاعتقاب (جمع وترتيب)

وفيه أبواب كثيرة بحسب مواد الاعتقاب، وهي:

أبواب اعتقاب الهمزة

أبواب اعتقاب الباء

أبواب اعتقاب التاء

أبواب اعتقاب النّاء

أبواب اعتقاب الجيم

أبواب اعتقاب الحاء

أبواب اعتقاب الخاء

أبواب اعتقاب الدّال

أبواب اعتقاب الذّال

أبواب اعتقاب الرّاء

أبواب اعتقاب الزّاي

أبواب اعتقاب السّين

أبواب اعتقاب الشّين

أبواب اعتقاب الصّاد

أبواب اعتقاب الضّاد

أبواب اعتقاب الطّاء

أبواب اعتقاب الظّاء

أبواب اعتقاب العين

أبواب اعتقاب الغين

أبواب اعتقاب الفاء

أبواب اعتقاب القاف

أبواب اعتقاب الكاف

أبواب اعتقاب اللام

أبواب اعتقاب الميم

أبواب اعتقاب النّون

أبواب اعتقاب الواو

أبواب اعتقاب الياء

باب الاعتقاب في حروف مختلفة

باب الفوائد والنّوادر

وقد التزمت - في هذا القسم المهمّ من البحث - نقل التّصوص اللّغويّة كما هي في مظانّها الأصليّة، ووضع كلّ نصّ بين علامتي تنصيص، لتسهيل مراجعته، وأضفت إلى ذلك ترتيب أبواب الاعتقاب على حروف المعجم، وتركت تخريج الشّواهد الشّعريّة؛ اكتفاء بورودها في مظانّها اللّغويّة القديمة، وعلى رأسها « التهذيب » ولأنّ ذلك ليس من هدي في هذا البحث القائم على الجمع والترتيب والدراسة. ولأني لا أحقق كتاباً مخطوطاً، فنصوص الاعتقاب متداولة في كتب مطبوعة.

فأرجو أن يكون التوفيق حليفي في هذا الجهد المتواضع؛ لإخراج شيء من كتاب لغوي مفقود، يعدّ من مصادر اللّغة، التي استقت منها معاجم العربية مادّها اللّغوية، وبخاصّة فيما يتصل بالإبدال اللّغوي، وأرجو - أيضاً - أن أقدم ترجمة علميّة مفيدة لأبي تراب مؤلّف هذا الكتاب النفيس.

والله حسبي وهو نعم الوكيل.

القسم الأوّل أبو تُراب وكتابه

الباب الأوّل أبو تراب اللّغويّ الفصل الأوّل: سيرته الشخصيّة

اسمه:

ثمة غموض واضطراب في اسم أبي تراب اللّغويّ^(١)، فهو:

إسحاق بن الفرّج

أو محمد بن الفرّج بن الوليد الشّعرايّ

أمّا كنيته فـ: «أبو تراب» ولا خلاف في هذا.

ويعدّ الأزهرّيّ (ت ٣٧٠هـ) من أقدم المصادر التي ترجمت لأبي تراب في مقدّمة كتابه «تهذيب اللّغة» التي ترجم فيها لبعض العلماء، وقد أسهمت نسخ هذا الكتاب المتناثرة في العراق وخراسان في ذلك الغموض والاضطراب، فهو «محمد بن الفرّج» في المقدّمة في بعض النسخ القديمة التي أطلع عليها ياقوت الحمويّ فيما نقل عنه الصّفديّ^(٢).

وهو في بعضها: «أبو تراب الذي ألف كتاب الاعتقاب» وهذا هو الذي في الكتاب المطبوع المتداول^(٣).

ويشير إليه الأزهرّيّ فيما ينقله عنه من نصوص بثلاثة طرق:

(١) من مصادر ترجمته: تهذيب اللغة ٢٦/١، والفهرست ٩٢، ومعجم الأدباء ٤٦٢/١، وإنباه

الرواة ١٠٢/٤، ١٠٣، والوافي بالوفيات ٣١٩/٤، ٣٢٠، وبغية الوعاة ٢٠٩/١.

(٢) ينظر: الوافي ٣١٩/٤.

(٣) التّهذيب ٢٦/١.

(١) بكنيته، فيقول: «أبو تراب»

(١) ينظر: التَّهْدِيبُ ١/١٢٨، ١٢٩، ١٣٣، ١٤١، ١٧٠، ١٨٣، ١٩٦، ٢١٣، ٢١٥، ٢٩٤، ٣١٥، ٣١٧، ٣٢٠، ٣٢٦، ٣٧٥، ٣٨٢، ٣٨٨، ٤٣٤، ٤٥٠، ٤٩٢، ٥٠٥، ٣٧/٢، ١٠١، ١١٥، ١٢٢، ١٣١، ١٨٤، ١٩٣، ٢١٧، ٢٥٦، ٢٦٢، ٢٨٧، ٢٢٣، ٣٣١، ٣٥٦، ٣٨٨، ٤٢٦، ٢٠/٣، ٢٦٢، ٣٢٦، ٢٦٣، ٣٧٢، ٤٣٩، ٤/٤، ٢٧، ٦٥، ٩٣، ٣١١، ٣٩٤، ٤٤٤، ٤٥٢، ٤٦١، ٧٧/٥، ٢٠٥، ٢٥٧، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٨٦، ٦/٦، ٩٨، ١١٥، ١٠٤، ١٢٢، ١٥٩، ١٦٤، ١٨١، ١٨٨، ٢٢٤، ٢٣٧، ٤١٠، ٥٣٥، ٥٣٧، ٤٣/٧، ٤٦٩، ٧٤، ٨٠، ٨٤، ٨٦، ٩٦، ١٠٥، ١١٩، ٢٠٣، ٢٤٥، ٣٨٣، ٣٩٣، ٤٦٠، ٤٨٧، ٥٠٦، = = ٥١٥، ٥٣٨، ٦٤٩، ٦٧٦، ٢٧/٨، ٤٤، ٨٨، ٢١٧، ٢٣٣، ٦٧٩، ٣٢/٩، ٥٩، ١٠٢، ٢٠٧، ٢١٥، ٢٤١، ٢٥٩، ٣١١، ٣١٧، ٣٥٤، ٣٧٨، ٣٩٢، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤١١، ٤١٣، ٤١٩، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٥، ٤٦٧، ٨/١٠، ٤٥، ٦٢، ١٠٥، ١٠٨، ١٢٢، ١٣٧، ١٣٨، ١٧٨، ٢٠٧، ٢١٠، ٢٧٩، ٢٨٠، ٣٠١، ٣٠٧، ٣٢٣، ٣٣٢، ٣٥٤، ٥٠٥، ٥٥٢، ٥٤٨، ٥٩٠، ٦٢٤، ٦٢٨، ٦٧٣، ٨/١١، ٢٩، ٤٢، ٥٤، ٨٢، ٩٨، ١٣٨، ١٧٠، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٧١، ٢٩٧، ٣٠٠، ٣١٦، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٢، ٣٣١، ٣٦٢، ٣٦٩، ٣٧٣، ٣٧٧، ٣٨٣، ٣٩١، ٣٩٢، ٤٠٣، ٤٥٦، ٤٨٣، ٧٠/١٢، ٨٢، ٨٣، ٩٦، ١١٧، ١٤٤، ١٦٦، ١٩٤، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٢٧، ٢٤٠، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣٥٥، ٣٧٩، ٣٨٤، ٢٥/١٣، ٢٦، ١١٣، ١٤٤، ١٤٨، ١٦٩، ٢١٣، ٢٢١، ٢٢٧، ٢٧١، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٥٠، ١٤/١٤، ٥٩، ٦٤، ٧٠، ٨٢، ١١٩، ١٤١، ٢٥٢، ٢٥٤، ٣٢٢، ٣٥٥، ٧٢/١٥، ٩١، ٢١٨، ٣٤٣، ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٧٣، ٣٨٢، ٣٨٠، ٥٧١، ١٦، ٥٩، ١٦٢، ٢١٠.

أو يقول: « ابن الفرج »^(١)

أو باسمه، فيقول: « إسحاق بن الفرج »^(٢).

ويلاحظ أن نسخ التهذيب لا تتفق في اسمه دائماً، فقد يكون في نصّ في بعض النسخ: « أبو تراب »^(٣)، فيكون في النصّ نفسه في نسخة أخرى: « ابن الفرج » أو « إسحاق بن الفرج » وقد يكون عكس ذلك، أي: إذا قالت نسخة: « ابن الفرج » قالت نسخة أخرى: « أبو تراب »^(٤).

وسرى ذلك الاضطراب إلى « لسان العرب » لابن منظور، فقد يكون النصّ في « التهذيب » منقولاً عن « أبي تراب »، فنجدّه بنصّه في « اللسان »

(١) ينظر: التهذيب ١/٧١، ١١٦، ١٢٩، ٢١٥، ١٦٨، ٣٠٥، ٣٣٤، ٣٦٨، ٣٩٥، ٥٩/٢، ١٧٩، ٢٦٤، ٣٣٦، ٢٤٢/٣، ٣٠٠، ٣١٠، ٣٩٥، ٣٩٨، ٤٠٢، ٢٣/٤، ٣٠، ٣٦، ٩٤، ١١٨، ١٢٦، ١٧١، ٢١٢، ٢١٤، ٢٢٢، ٢٤٠، ٢٨٥، ٣٣٧، ٣٤٦، ٤٤١، ٦٩/٥، ١٢٧، ٣٠٦، ٣٢٩، ٣٤٦، ٩٩/٦، ١٠٢، ١٦٤، ٣٦٩، ٣٩٧، ٤٩٦، ٥١٣، ٥٣٧، ١٨٢/٧، ٤٢٩، ٦٦١، ٣٨/٨، ١٣٨، ١٨٦، ٢٢٩، ٢٤٣، ٣٠٧، ٣١١، ٣٢٥، ٣٣٧، ٣٧٦، ٣٨٣، ٣٩٣، ٤٢٥، ٣٠/٩، ٢٤١، ١١٢/١٠، ٤٧٠، ٥٣٧، ١٢٦/١١، ٢٤٤، ٣٠/١٢، ٣٤، ٤٣، ٥٧/١٤، ١٣٣، ٥٠٩/١٥، ٥٧٣، ٣٨/١٦، ٦١، ٩٩، ١٧١، ٢٣٨.

(٢) ينظر: التهذيب ١/٦٩، ٧٨، ١٥٦، ١٨٦، ٣٠٣، ٣١٩، ٣٣٠، ٣٨٧، ٣٢٠/٢، ٣٦٦، ٣٣٧/٤، ٢٩٤/٥، ٣٣٧، ٢١٤/٦، ٢٠٦/٨، ٨٥/١٠، ٣٦٠/١٣، ٢٠٥/١٦.

(٣) خير كان، ورفع على الحكاية.

(٤) وهذا ما تثبته فروق النسخ الخطية المثبتة في الهوامش. ينظر على سبيل المثال من التهذيب: ٤٤٤/٤، ٢١٤/٦، ٢٢٤، ١٦٢/٧، ٣٨٣، ٣٩٣، ٤٦٠، ٤٨٧، ٥١٥، ٣١١/٨، ٨٥/١٠، ٣٢٣، ١٣٨/١١، ٨٣/١٢، ٥٩/١٦، ١٧١، ١٨٨، ٢٠٥، ٢١٠، ٢٣٨.

ولكن عن « ابن الفرّج » ونجد العكس — أيضاً — أي أن ابن منظور قد يقول: « أبو تراب » في الموضع الذي يقول فيه الأزهري: « ابن الفرّج » أو « إسحاق ابن الفرّج ».

ويمكن بيان ذلك من خلال المقابلة بين بعض التّصوص في « التّهذيب » و « اللّسان »

التّصّ في التّهذيب	التّصّ نفسه في اللّسان
١٨٦/١ « إسحاق بن الفرّج »	٢٧١/٨ « أبو تراب »
٢٠٥/٥ « أبو تراب »	١٧٢/١٤ « ابن الفرّج »
٣٩٧/٦ « ابن الفرّج »	١٩/٩ « أبو تراب »
٢٤٣/٨ « ابن الفرّج »	١٤٠/١٥ « أبو تراب »
٣٢٥/٨ « ابن الفرّج »	٣٥٨/٦ « أبو تراب »
٣٣٧/٨ « ابن الفرّج »	٤٨٤/١ « أبو تراب »
٣٧٣/٨ « ابن الفرّج »	٣٨١/١١ « أبو تراب »
٣٧٦/٨ « ابن الفرّج »	٢٠٤/١٠ « أبو تراب »
٣٩٣/٨ « ابن الفرّج »	٣٢٠/٧ « أبو تراب »
٣٠/٩ « ابن الفرّج »	٩٦/٩ « أبو تراب »
٥٥٢/١٠ « أبو تراب »	٢٦٦/٣ « ابن الفرّج »
٢٥/١٣ « أبو تراب »	٩٥/١ « ابن الفرّج »
٧٠/١٤ « أبو تراب »	١٦٠/١٣ « ابن الفرّج »
١٨٨/١٦ « ابن الفرّج »	٤٥٠/٨ « أبو تراب »

وجاء اسمه في « الوافي » للصّفيّ على التّحو التّالي:

محمّد بن الفرج بن الوليد الشّعرايّ أبو تراب اللّغويّ.

وذكر الصّفيّ أنّ ياقوتاً نقل هذا الاسم من نسخة من كتاب الاعتقاب ، بعد أن تنبّه لهذا الاضطراب؛ قال الصّفيّ في الترجمة: « محمّد بن الفرج بن الوليد الشّعرايّ أبو تراب اللّغويّ. ذكره أبو منصور الأزهريّ في مقدّمة كتابه، فقال: أبو تراب محمّد بن الفرج صاحب كتاب الاعتقاب... »

قال ياقوت في « معجم الأدباء » كنت رأيت نسخة بكتاب^(١) الأزهريّ ببغداد، وقد ذكر الأزهريّ أبا تراب فيها، وسماه محمّد بن الفرج، فلمّا وردت إلى مسرو وقفت على النسخة التي بخطّ الأزهريّ، ولم أجد ذكر اسم أبي تراب في المقدّمة، إنّما ذكر كنيته فقال: أبو تراب صاحب كتاب الاعتقاب، ورأيت يقول في ضمن كتابه: قال إسحاق بن الفرج، وكان هناك نسخة أخرى بكتاب^(٢) الأزهريّ لا توافق التي بخطّه ، وفيها زيادات ونقصان، وكنت أتأمّل ذلك القول الذي عزاه في كتابه الذي بخطّه إلى إسحاق بن الفرج، وهو مذكور في النسخة الأخرى لأبي تراب، وكذا إذا وجدت في خطّه شيئاً قد عزاه إلى أبي تراب أراه في تلك النسخة قد عزاه إلى إسحاق بن الفرج، وطلبت نسخة بكتاب الاعتقاب لأصحّ اسمه منها فوجدتها مترجمة لمحمّد بن الفرج بن الوليد الشّعرايّ، وأنا في حيرة من هذا إلى أن يصحّ إن شاء الله تعالى، انتهى كلام ياقوت»^(٣).

(١) هكذا، ولعلّ الصّواب: « من كتاب ... » أو « لكتاب ... »

(٢) هكذا، ولعلّ الصّواب : « من كتاب ... » أو « لكتاب ... »

(٣) الوافي ٤/٣١٩، ٣٢٠.

ونُخرج من هذا النّصّ التّفيس الذي أورده الصّفديّ بجملة من الملحوظات ، منها:

أ- قدّم الغموض والاضطراب في اسم أبي تراب، ووقوع ذلك في نسخ التّهذيب القديمة.

ب- أنّ اسمه في المقدّمة من نسخة التّهذيب التي بخطّ الأزهريّ: أبو تراب، وفي نسخة بغداد: محمّد بن الفرّج، وفي الكتاب المطبوع الذي بأيدينا: أبو تراب ، فحسب.

ج- أنّ اسمه في كتاب « الاعتقاب » : محمّد بن الفرّج بن الوليد الشّعرايّ ، وهذه أهمّ الملحوظات.

د- حيرة ياقوت في ذلك الاضطراب، وهو من علماء التّراجم المُدقّقين.

هـ- أنّ هذا النّصّ التّفيس ليس في « معجم الأدباء » في طبعته؛ القديمة بعناية مرجليوث، والحديثة بتحقيق الدّكتور إحسان عبّاس.

ولهذا تعيّن أن أحرّر هذا الاضطراب قدر الاستطاعة باستقراء كامل التّصوص المعزوة لأبي تراب ، أو ابن الفرّج، أو إسحاق بن الفرّج في « تهذيب اللّغة » ودراسة محتواها ومقابلة بعضها بما في « اللّسان » لابن منظور، أو « التّكملة » للصّغانيّ؛ لأتبيّن في التّهاية حقيقة هذه الأسماء؛ هل هي لرجل واحد، أو لرجال مختلفين؟ وقد فعلت ذلك؛ فثبت عندي أنّ من يسميه الأزهريّ ابن الفرّج هو من يسميه إسحاق بن الفرّج؛ وهو من يسميه أبا تراب صاحب كتاب الاعتقاب ، فهو شخص واحد، وأوجز خلاصة ذلك فيما يلي:

١- نقل الأزهرى عن « أبي تراب » في نحو أربعين ومائتي نص^(١) ونقل عن « ابن الفرج » في نحو خمسة وثمانين نصاً^(٢)، ونقل عن إسحاق بن الفرج في نحو عشرين نصاً^(٣).

وهذه النصوص تتطابق في محتواها، فهي من نصوص التعاقب (الإبدال) وهي توافق عنوان الكتاب : « الاعتقاب »^(٤).

٢- قد يقرن الأزهرى بين اسمين من هذه الأسماء الثلاثة بما يدل على أنهما لشخص واحد، كقوله: « روى ابن الفرج أبو تراب عن خليفة الحصيني... »^(٥).

وقوله في أول أحد النصوص: « قال ابن الفرج... » وقوله في آخره: « جاء به أبو تراب في باب الشين والسين وتعاقبهما »^(٦).

أو يقرن بين أحد هذه الأسماء واسم الكتاب، كقوله: « رواه أبو تراب له في كتاب الاعتقاب »^(٧) وفي نسخة أخرى - كما في الهامش: « حكاه ابن الفرج له في كتاب الاعتقاب »^(٨).

٣- الإشارة إلى عناوين بعض الأبواب في كتاب « الاعتقاب » وورود ذلك مع الأسماء الثلاثة، كقول الأزهرى فيما يلي:

(١) ينظر ما تقدم في ص (٣٥٤) في الهامش رقم (١) .

(٢) ينظر ما تقدم - أيضاً .

(٣) ينظر ما تقدم - أيضاً .

(٤) ينظر النصوص في القسم الثاني من هذا البحث، ويستثنى ما جاء في الباب الأخير .

(٥) التهذيب ١/٣٧٥ .

(٦) التهذيب ٣/٣٩٥ .

(٧) التهذيب ٧/٥٣٨ .

(٨) التهذيب ٧/٥٣٨ هامش (١٠) .

« روى أبو تراب في باب الكاف والفاء »^(١)

« قال ابن الفرّج في باب الميم والباء »^(٢)

« قال إسحاق بن الفرّج... جاء بهما في باب الكاف والجيم »^(٣)

« وقد طلبته في باب العين والحاء لأبي تراب فلم أجده »^(٤)

« ونظرت في باب ما يعاقب من حرفي الصاد والطاء لابن الفرّج، فلم أجده »^(٥)

« روى ابن الفرّج لابن الأعرابي في باب الصّاد والفاء »^(٦)

٤- اتفاق الرّواة الوارد ذكرهم مع الأسماء الثلاثة، وهو ما يظهر جلياً في التّصوص المثبتة في القسم الثّاني من هذا البحث، وأمثلة ذلك ثمة نقله الأزهريّ:

أ- « قال أبو تراب: سمعت شجاعاً السّلميّ يقول »^(٧)

« قال ابن الفرّج: سمعت شجاعاً السّلميّ يقول »^(٨)

(١) التّهذيب ٩/٢٥٠.

(٢) التّهذيب ١١/٢٤٤.

(٣) التّهذيب ١/٣٨٧.

(٤) التّهذيب ٤/١١٠.

(٥) التّهذيب ١١/٢٩٥ الحاشية رقم (٣) وفيها: « لأبي الفرّج » وهو سهو ، والنص في

اللسان - أيضاً - ٤/٤٠٦ (شعر)

(٦) التّهذيب ١٥/٥٧٣.

(٧) التّهذيب ١/٣١٥.

(٨) التّهذيب ٤/٢١٤.

« قال إسحاق بن الفرج: سمعت شجاعاً السلمي يقول... »^(١)

ب- « قال أبو تراب: سمعت أبا السميدع يقول... »^(٢)

« روى ابن الفرج عن أبي السميدع... »^(٣)

« قال إسحاق بن الفرج: سمعت أبا السميدع يقول... »^(٤)

ج- « روى أبو تراب عن مُدْرِك الجعفري... »^(٥)

« قال ابن الفرج: سمعت مُدْرِكاً الجعفري يقول... »^(٦)

« قال إسحاق بن الفرج ... وقال مُدْرِك الجعفري... »^(٧)

٥- يمكن أن يستدل - أيضاً - بتعاقب الأسماء الثلاثة في نسخ

التهذيب الذي أشرت إليه فيما تقدم، فقد يكون دليلاً على وحدة المسمى، أي أنها لشخص واحد، هو أبو تراب.

٦- اجتماع هذا الاسم في نصّ فريد في « معجم البلدان » لياقوت

الحموي؛ منقول - فيما يظهر لي - عن الأزهرى في التهذيب؛ قال ياقوت في

رسم (عربة): « قال أبو تراب إسحاق بن الفرج: عربة: باحة العرب، وباحة

دار أبي الفصاحة إسماعيل بن إبراهيم ... »^(٨) وهذا يوافق ما في التهذيب،

(١) التهذيب ٣٨٧/١

(٢) التهذيب ١٤٤/١٣

(٣) التهذيب ٣٣٠/١

(٤) التهذيب ٣٣٠/١

(٥) التهذيب ٣٤٥/١٣

(٦) التهذيب ٤٢٨/٤

(٧) التهذيب ٣٨٧/١

(٨) معجم البلدان ٩٧/٤

ولكن الأزهرى اختصر الاسم فقال: « قال إسحاق بن الفرج ... »^(١) وقد يكون هذا الاختصار امتداداً للاضطراب في اسم أبي تراب في التهذيب.

ويبقى تعليل ذلك التعاقب أو الاضطراب ، وهو عندي من اجتهد التّساخ، لاختلاف شهرة أبي تراب من بلد إلى بلد، فبعضهم يعرفه بأبي تراب، ويعرفه بعضهم بإسحاق بن الفرج أو ابن الفرج، فأباح بعض التّساخ لنفسه التّغيير وفق ما يراه هو، فاختلّفت نسخ « التهذيب »، وسرى الاختلاف من خلال هذه النسخ المتباينة إلى معاجم أخرى كـ « التّكملة » و « العباب » للصّغانيّ و « لسان العرب » لابن منظور.

ويدلّ على هذا التفسير ما وقع في « التهذيب » من تغيير في أسماء بعض العلماء غير أبي تراب ، فقد يذكره الأزهرى باسم فيغیره التّاسخ باسم آخر من أسمائه، ومن ذلك ما وقع في اسم « ثعلب » فهو يذكر تارة باسم « أحمد بن يحيى » فيغيّر في نسخة أخرى في النّصّ نفسه ويجعل: « أبو العباس »^(٢) ويذكر تارة بقوله « روى ثعلب » فيغير ويقال: « روى أبو العباس »^(٣).

ووقع التّغيير في اسم « الزّجاج » فهو يرد في بعض النسخ بقوله: « قال الزّجاج » ويُرَدُّ في بعضها في الموضع نفسه بقوله: « قال أبو إسحاق » وهو واحد، وقد وقع مثل هذا كثيراً في الجزئين السّابع والعاشر من « التهذيب » تشبه فروقات النسخ المثبتة في الهوامش^(٤).

(١) التهذيب ٣٦٦/٢.

(٢) الكلمة بالرفع على الحكاية وهي في محل نصب، وينظر: التهذيب ٦٦/١٠.

(٣) التهذيب ١٨٩/١٠.

(٤) ينظر: التهذيب ٤٩٩/٧، ٥٠٢، ٢٤٦، ٤٧/١٠، ٥٣، ١١٧، ٢٠٢.

ووقع التغير في اسم الأزهري نفسه، فإذا قال في بعض النسخ: « قلت »
غَيْرُهُ نَاسِخٌ في أخرى بقوله: « قال الأزهري »^(١) أو « قال أبو منصور »^(٢) وقد
نجد العكس — أيضاً^(٣).

وهذا يتبين أن تلك الأسماء الثلاثة « أبا تراب » و « ابن الفرج » و
« إسحاق بن الفرج » التي نقل عنها الأزهري في « التهذيب » هي لشخص
واحد، هو مؤلف كتاب « الاعتقاب »: أبو تراب إسحاق بن الفرج.

وثمة اسم آخر لهذا الرجل غير هذه الثلاثة، وهو « محمد بن الفرج بن الوليد
الشعراني » وهذا ما انفرد به ياقوت ونقله عنه الصفدي في « الوافي »^(٤) ونقله عن
أحدهما أو عن غيرهما السيوطي في « بغية الوعاة »^(٥).

قال ياقوت فيما يرويه عنه الصفدي: « وطلبت نسخة بكتاب
الاعتقاب لأصح اسمه منها فوجدتها مترجمة لمحمد بن الفرج بن الوليد
الشعراني، وأنا في حيرة من هذا »^(٦).

وإن صح ما نقله الصفدي فهو حجة قوية لأن الاسم مأخوذ من كتاب
مؤلفه، وهو « الاعتقاب » ولكن يصعب الجزم بشيء؛ لأن هذا النص ليس في
« معجم الأدباء » لياقوت في طبعته، وفيهما عناية فائقة بإخراج النص

(١) ينظر: التهذيب ١٠/٥٤، ٥٥، ٦٤، ٦٨، ٧٢، ٧٩، ٨٩، ٩٢، ٩٦، ١١٤، ١١٥،

١١٧، ١٢٢، ١٢٧، ١٤٧، ١٩٨، ٢٠٠.

(٢) ينظر: التهذيب ١٠/١٩١، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٧، ٢٢٢، ٢٣٥، ٢٤٢، ٢٧٧.

(٣) ينظر: التهذيب ١٠/٢١٥.

(٤) ٣٢٠، ٣١٩/٤.

(٥) ٢٠٩/١.

(٦) الوافي ٤/٣٢٠.

وتصحيحه ومقابلته على أصوله، وقد ورد اسمه فيهما بما يوافق ما في طبعة التهذيب؛ أي بقوله: « أبو تراب صاحب كتاب الاعتقَاب »^(١).

ولعلّ ذلك النصّ لما ضاع من كتاب « معجم الأدباء » وهو غير قليل. ومهما يكن من أمر فلا تنافي بين الاسمين إلا في الأوّل منهما؛ أي « محمّد » و « إسحاق » وقد يكون ذلك من تحريف التّساخ أو من تغييراها الّتي أشرتُ إلى بعضها، وقد يكون لهذا الرّجل اسمان: محمّد وإسحاق، وليس لدينا ما يُقَطَّعُ به، وإنّما هي احتمالات.

أما اسم جدّه وهو « الوليد » فتركّ ذكره في الاسم الأوّل لا ينفيه في الاسم الثّاني لاقتصار الأوّل على الأب.

أمّا اللّقب وهو « الشّعرايّ » فهو نسبة إلى « الشّعْر » المرسل على الرّأس، وقد اشتهر به جماعة من العلماء ذكر السّمعاني^(٢) بعضهم، ولا يمتنع أن يكون أبو تراب منهم.

ويبدو أنّ أبا تراب لم يكن مشهوراً في العراق، وربّما في خراسان — أيضاً — فلم يعرفه كثير من معاصريه في القرن الثّالث ومن جاء بعدهم في القرن الرّابع. ويدلّ على هذا قول ابن فارس (٣٩٥هـ) وهو ينقل عنه في نصّ لغويّ من نصوص التعاقب: « وذكّر عن رجل يُقال له أبو تراب، ولا نعرفه نحن: بَجَسْتُ الجرح مثل بططته »^(٣).

(١) التهذيب ٤٦٢/١.

(٢) ينظر: الأنساب ٣٤٣/٧.

(٣) المقاييس ١٩٩/١.

ولهذا - أيضاً - ذكره صاحب « الفهرست » ^(١) فيمن لا تُعرف
أسماءهم وأخبارهم ولعلّ خمول ذكره مما يفسّر الغموض والاضطراب الذي تقدّم
في اسمه.

و في الختام يمكن أن نقول: إن اسمه يحتمل الوجهين معاً، أو أحدهما،
وهما:

أبو تراب محمد بن الفرّج بن الوليد الشعرائي، كما في « الوافي ».
أو أبو تراب إسحاق بن الفرّج ، كما يفهم مما جاء في « التهذيب ».
وبهذا الأخير جزم محقق المستدرك على التهذيب، وهو الدكتور رشيد
العبيديّ، وقال: « ابن الفرّج هو إسحاق بن الفرّج، وهو أبو تراب نفسه
صاحب الاعتقاب في اللغة، ولم يتبّه محققو التهذيب إلى هذا » ^(٢).
ورجّحه الدكتور فؤاد سزكين في « تاريخ التراث العربي » ^(٣).
مولده ووفاته:

سكت المصادر القليلة التي ترجمت لأبي تراب اللّغويّ عن ذكر تاريخ
مولده أو وفاته. والحقّ أننا لا نطمح في معرفة ذلك مع هذا الغموض الذي يلفّ
اسمه وتاريخ حياته بعامة، فليس لنا إلا التقدير بالاستعانة ببعض القرائن، كتاريخ
وفيات بعض شيوخه وتلامذته، فقد روى أبو تراب عن جماعة من العلماء وسمع
منهم ، وكلّهم من علماء القرن الثالث، أو من أدرك القرن الثالث.
ومن آخر من روى عنهم أبو تراب وفاة:

محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي (ت ٢٣١هـ)

(١) ص ٩٢.

(٢) التهذيب ٥٩/١٦ (الحاشية رقم : ٤).

(٣) المجلد الثامن ٣٤٢/١.

وأبو العميشل الأعرابيّ (ت ٢٤٠هـ)

وأبو محمّد بن سعيد البغداديّ (ت ٢٤٨هـ) .

وشمر بن حمدويه (ت ٢٥٥)

بالإضافة إلى روايته عن بعض الأعراب الذين استقدمهم ابن طاهر في
الثلث الأوّل من القرن الثالث.

وهذا يمكن أن نستنتج أنّ النشاط اللّغويّ لأبي تراب تركّز في النصف
الأوّل من القرن الثالث، ويمكن القول: إنّهُ عاش بين سنتي ٢٠٠هـ و ٢٨٠
تقريباً، أو نقدر أنّ مولده كان بين سنتي ١٩٠ و ٢٠٠هـ وأنّ وفاته كانت
بين سنتي ٢٧٠ و ٢٨٠هـ .

وقد قدّر الدكتور فؤاد سزكين وفاة أبي تراب بسنة ٢٧٥هـ^(١).

وذكر محقق المستدرك على التهذيب (الجزء السادس عشر) أنّ أبا
تراب توفيّ مطلع القرن الرابع^(٢)، وليس لهذا الذي ذكره ما يؤيّده لمّا تقدّم
ذكره، ولقول الأزهريّ بعد أن ذكر طبقة العلماء الذين فيهم أبو تراب:
«ويتلو هذه الطبقة طبقة أخرى أدركناهم في عصرنا»^(٣).

وهذا يعني أنّه لم يدرك طبقة أبي تراب، ومولد الأزهريّ كان في سنة : (

٢٨٢هـ).

موطنه ورحلاته:

يعدّ أبو تراب من أهل خراسان، ولكن لا يُعرف على وجه الدقّة مكان
مولده، فقد يكون في إحدى تلك البلاد، وقد يكون في غيرها، وإن كنت أرى

(١) ينظر: تاريخ التراث العربي : المجلد الثامن ١/٣٤١.

(٢) ينظر: التهذيب ١٦/٥٠.

(٣) التهذيب ١/٢٧.

أن مولده كان في نيسابور وهي المدينة التي نشأ بها وأخذ عن علمائها كأبي سعيد الصّرير الذي استقدمه إليها ابن طاهر^(١)، وأخذ فيها عن الأعراب الرواة الذين استقدمهم ابن طاهر — أيضاً.

ثم توجه أبو تراب إلى هراة وهي من المدن الكبيرة الزاخرة بالعلماء^(٢) في خراسان قال الأزهرى: «ثم رحل إلى هراة فسمع من شمر بعض كتبه». وقال في موضع آخر: إنه «كتب عنه شيئاً كثيراً»^(٣).

وقد كانت هذه الرحلة قبل منتصف القرن الثالث، إذ توفي شمر سنة (٢٥٥) وقد لازمه أبو تراب سنين قبل وفاته وكتب عنه شيئاً كثيراً — كما قال الأزهرى.

ويبدو أن أبا تراب استطاب المقام في هراة فبقي فيها زمناً أملى فيه أجزاء من كتابه «الاعتقاب» قبل أن يعود إلى نيسابور، فيكمل إملاء الكتاب هناك. وفي هذا يقول الأزهرى: «وأملى بهراة من كتاب الاعتقاب أجزاء، ثم عاد إلى نيسابور، وأملى باقي الكتاب»^(٤).

وتفيد عبارة: «ثم عاد إلى نيسابور» أن أبا تراب كان فيها قبل قدومه إلى هراة.

ولعله أمضى ما تبقى من حياته هناك في تلك المدينة العامرة.

(١) التهذيب ٢٤/١، وإنباه الرواة ٧٦/١.

(٢) ينظر: معجم الأدباء ٣٩٦/٥.

(٣) التهذيب ٢٦/١.

(٤) التهذيب ٢٦/١.

الفصل الثاني حياته العلميّة

يعيننا في حياة أبي تراب العلمية ثلاثة عناصر: شيوخه ، وتلامذته ، مؤلفاته ، وفيما يلي تفصيل الحديث عن كل منها:
أولاً: شيوخه:

شجّت المصادر التي ترجمت لأبي تراب فلم تزودنا بكثير من التفاصيل المهمة في حياته العامّة كما تقدّم، ولم تزودنا — أيضاً — بمعلومات تساعد على التعرف على أكثر شيوخه الذين أخذ عنهم علومه ، ولا سيّما في اللّغة ، ومع ذلك أمكن التعرف على ثلاثة منهم، وهم:
١- أبو سعيد الضّرير اللّغوي:

وهو أحمد بن خالد المعروف بأبي سعيد الضّرير البغداديّ اللّغوي^(١)، من علماء اللّغة المعروفين في القرن الثالث، وكان من أهل بغداد، وأخذ فيها عن محمّد بن زياد الأعرابيّ وأبي عمرو الشيبانيّ، ثم استقدمه ابن طاهر إلى نيسابور^(٢) ليستفاد من علمه هناك، فلقي الأعراب الفصحاء الذين استوردتهم ابن طاهر نيسابور^(٣) ، فشافهم وحفظ عنهم فوائد كثيرة أودعها كتبه.
قال ياقوت: «لما قدم عبد الله بن طاهر نيسابور وأقدم معه جماعة من فرسان طرسوس وملطية، وجماعة من أدباء الأعراب منهم: عرام وأبو العميثل

(١) ينظر ترجمته في: التهذيب ٢٤/١، ومعجم الأدباء ٢٥٣/١، وإنباه الرواة ٧٦/١، وتلخيص

ابن مکتوم ١١، ونكت الهميان ٩٦.

(٢) ينظر: التهذيب ٢٤/١، وإنباه الرواة ٧٦/١.

(٣) ينظر: معجم الأدباء ٢٥٣/١.

وأبو العيسجور وأبو العجنس وعوسجة وأبو العذافر، وغيرهم فتفرس أولاد قواده وغيرهم بأولئك الفرسان، وتأدّبوا بأولئك الأعراب، وبهم تخرّج أبو سعيد الصّير... فصار إماماً»^(١).

وكان شمر بن حمّدويه وأبو الهيثم الرازي يوثقان أبا سعيد الصّير ويشيان عليه.

وله من التصانيف في اللغة والأدب:

١- كتاب التّوادر.

٢- كتاب معاني الشّعر.

٣- كتاب الرّدّ على أبي عبيد في غريب الحديث.

وقد لازم أبو تراب أبا سعيد سنين طويلة في نيسابور وأخذ عنه كتباً جمّة، وفي ذلك يقول الأزهري: «فأما أبو تراب فإنه شاهد أبا سعيد الصّير سنين كثيرة، وسمع منه كتباً جمّة»^(٢).

وكان ينقل عنه، ويقول: «سمعت أبا سعيد...»^(٣)

ويبدو أنّ أبا تراب تأثر بشيخه أبي سعيد في ملازمته الأعراب، فأكثر في كتابه «الاعتقاب» من الرواية عنهم، كما سيأتي في الحديث عن مصادره. وتوفّي أبو سعيد الصّير بعد منتصف القرن الثالث تقريباً، وليس في

المصادر التي بين أيدينا ما يُعيّن تاريخ وفاته.

٢- شمر بن حمّدويه الهروي:

(١) معجم الأدباء ١/٢٥٤.

(٢) ينظر: التّهذيب ١/٣٤، وإنباه الرواة ١/١٤٥.

(٣) التّهذيب ٤/٢٧.

وهو أبو عمرو شمر بن حَمْدَوَيْهِ الهروي^(١)، كانت له عناية صادقة باللّغة في هراة؛ فاشتهر فيها بعد رحلته إلى العراق في شبابه ولقائه ابن الأعرابي وغيره من اللّغويين من أصحاب أبي عمرو الشّيبانيّ وأبي زيد الأنصاريّ، وأبي عبيدة والفراء وغيرهم، ثمّ عودته إلى نيسابور، ولقائه أصحاب النّضر بن شميل والليث بن المظفر^(٢).

ولما ألقى شمر عصاه بهراة ألف كتاباً كبيراً في اللّغة جعله على حروف المعجم، وابتدأ بحرف الجيم، فجوّده وأشبعه بالشواهد والروايات الجمّة عن أئمّة اللّغة والأعراب، فكتبه ضناً به في حياته، ولم ينسخه طلّابه، فلم يبارك له فيما فعله — كما يقول أصحاب التراجم^(٣) — حتى مضى لسبيله وضاع، ولم يصل منه إلا تفاريق في كتب اللّغة نقلها عنه تلامذته.

وكان من هؤلاء التّلامذة أبو تراب اللّغويّ أخذ عنه عند قدومه هراة. قال الأزهريّ: «وكان أبو تراب الذي ألف كتاب الاعتقاب قدم هراة مستفيداً من شمر، وكتب عنه شيئاً كثيراً»^(٤).

وقد ذكر أبو تراب سماعه عن شمر^(٥)، وكان يذكره ويراجعه ويأنس برأيه كقوله مثلاً: «فذكرته لشمر بن حمدويه، وتبرأت إليه من معرفته...»^(٦)

(١) من مصادر ترجمته: التّهذيب ٢٥/١، ونزهة الألباء ١٥١، ومعجم الأدباء ١٤٢٠/٣،

وإنباه الرواة ٧٧/٢، وإشارة التعيين ١٤١، وبغية الرّعاة ٤/٢.

(٢) ينظر: التّهذيب ٢٥/١، وإنباه الرواة ٧٧/٢.

(٣) ينظر: التّهذيب ٢٥/١، ونزهة الألباء ١٥١، ومعجم الأدباء ١٤٢١/٣.

(٤) التّهذيب ٢٦/١، وإنباه الرواة ١٠٣/٤.

(٥) ينظر: التّهذيب ٢٧/٤.

(٦) ينظر: التّهذيب ٢٦٢/٣، ٢٦٣.

وكانت وفاة شمر بن حمدويه في سنة ٢٥٥هـ.

٣- أبو الوَازع الخراساني:

وهو محمد بن عبد الخالق أبو الوازع الخراساني اللغويّ التحوي^(١)، من

علماء القرن الثالث.

قال القفطي: « كان عالماً بالتحو والغريب ، صادقاً فيما يروي، روى

عنه أبو تراب وغيره، وروى أبو^(٢) الوازع نوادير الأعراب الذين كانوا مع ابن

طاهر بنيسابور، وجمعها ورويت عنه^(٣) »

وروى عنه أبو تراب في كتابه « الاعتقاب » فيما نقله الأزهرى^(٤)،

وابن منظور^(٥)

ولأبي السوازع كتاب « نواذر الأعراب » ولعلّ أبا تراب اطلع عليه،

وأفاد منه، وقد نقل الأزهرى عن هذا الكتاب نقولاً كثيرة^(٦).

ثانياً: تلامذته:

لم أعرف من تلامذة أبي تراب سوى اثنين ، وهما:

١- الخارزنجي البُشَني:

(١) من مصادر ترجمته: إنباه الرواة ١٦٨/٣، وتلخيص ابن مكنوم ٢١٩.

(٢) في إنباه الرواة ١٦٨/٣: ابن ، ولعله سهو أو تحريف .

(٣) إنباه الرواة ١٦٨/٣.

(٤) ينظر: التهذيب

(٥) ينظر: اللسان (ندش) ٣٥٢/٦.

(٦) ينظر: التهذيب ١/٢٦، ٩٨، ٢٠٧، ٢١٣، ٢٨٧، ٣٥٩، ١١/٢/٢، ٦٣، ١٧٥، ٣/

وهو أبو حامد أحمد بن محمّد الحارزنجي البُشتي^(١)، من علماء اللّغة والأدب المشهورين في أواخر القرن الثالث ومطلع القرن الرابع في مدينة نيسابور موطن أبي تراب، وله من المصنّفات : « تكملة كتاب العين » وهو أشهر كتبه و « كتاب التفصلة » وكتاب « تفسير أبيات أدب الكاتب » أخذ الحارزنجي العربيّة عن جماعة من علماء زمانه في نيسابور، ومنهم أبو تراب اللّغوي، وعنه نقل الحارزنجي في كتابه « التكملة » وذكره في مقدّمته التي اقتبس منها الأزهري^(٢).

وأشار إلى ذلك الصّاحب بن عبّاد في « احيط في اللّغة »^(٣).

وتوفي أبو حامد الحارزنجي في رجب سنة ٣٤٨هـ.

٢- ابن حمّويه:

وهو أحمد بن عليّ بن حمّويه النيسابوريّ النحويّ، ذكره الحافظ ابن السّبع في تاريخه ، وسمّاه التحويّ، وأوجز القول في ترجمته^(٤)، ولم أعرف تاريخ وفاته.

سمع من أبي تراب ألفاظاً في غريب اللّغة، و أخذ عنه. قال الأزهري : «أخبرني المنذري عن ابن حمّويه قال: سمعت أبا تراب يقول: كتب أبو محمّد إلى رجل:

(١) من مصادر ترجمته: التّهذيب ٣٢/١، والأنساب ١٢/٥، ومعجم الأدباء ٤٦١/١، وطبقات ابن قاضي شهبة ٢٤٧/١، وبغية الوعاة ٣٨٨/١.

(٢) ينظر: التّهذيب ٣٣/١، ٣٤، ٣٥، وإنباه الرواة ١٤٢/١ - ١٤٥، واللسان (ثعنع) ١٢/٤٠.

(٣) ٦٤/٣.

(٤) ينظر: إنباه الرواة ١٢٥/١، وتلخيص ابن مكنوم ١٥، وبغية الوعاة ٣٤٠/١.

اشتر لنا جرة ولتكن غير قعراء ولا دتاء ولا مطربة ...»^(١).
ثالثاً: مؤلفاته:

تفيد المصادر بأن لأبي تراب كتابين في اللغة ، وهما:

١- الاعتقاب:

وهو هذا الكتاب الذي نعى به في هذه الدراسة، وسيأتي الحديث عنه مفصلاً في الباب الثاني من هذا القسم من الدراسة.

٢- الاستدراك على الخليل في المهمل والمستعمل:

استدرك فيه أبو تراب على الخليل بن أحمد في معجم العين، وخطأه في أماكن، وزاد ما رأى أن الخليل نقصه من اللغة في أبوابه، ونقص ما رأى أن الخليل زاده في غير باب، وهذب ذلك تهديباً «زعم أنه الصواب»^(٢).
والكتاب مفقود، فلا يمكن الحكم عليه ، ولكن يبدو أن أبا تراب ألفه في شبابه، فاندفع في الاستدراك والتخطئة، فأثار معاصريه من اللغويين ومن جاء بعدهم، فردّ عليه جماعة منهم^(٣)، ونقضوا عليه ما استدركه^(٤)، وانتصروا للخليل.

(١) ينظر: التّهذيب ٥٧/١٤.

(٢) إنباه الرواة ١٠٢/٤، ١٠٣، وينظر: المعجم العربي ٢٩٨.

(٣) ينظر: إنباه الرواة ١٠٢/٤.

(٤) ينظر: الفهرست ١٢٤.

الباب الثاني كتاب الاعتقاب

تمهيد: التعاقب وما أُلّف فيه

التعاقب في اللغة بمعنى التتابع، وهو مصدر قولك تعاقب الليل والنهار؛ أي: أتى أحدهما عقب الآخر^(١).

ويراد به في الاصطلاح: اللفظان المتفقان في المعنى المرويّان بوجهين بينهما اختلاف في حرف واحد، كقضم وخضم، وجاس وحاس، ونَبأ ونَتأ، ويُسمّى أيضاً «الاعتقاب»^(٢).

وهو الذي اشتهر عند علماء اللغة بمصطلح «الإبدال اللغوي» وهو يختلف عن «الإبدال الصرفي» فهو — أي: الإبدال اللغوي — شائع وغير لازم ويقع في أكثر الحروف، وجمعها بعضهم في قوله: لَجْدٌ صَرَفٌ شَكْسٌ آمِنٌ طِيٌّ ثُوبٌ عَزْتُهُ^(٣). وقيل إنه يقع في حروف الهجاء جميعاً^(٤)، بخلاف الإبدال الصرفي، فهو شائع لازم، ويقع فيه التبادل بين حروف مخصوصة لعلّة تصريفية، وحروفه مجموعة في قولك: طويت دائماً^(٥)، ويزيدها بعضهم ويجمعها في قوله: أَجَدْتُ طَوَيْتُ مِنْهَلًا^(٦)، أو أنجدته يوم طال^(٧).

(١) ينظر: شرح الشافية للرضي ١٩٩/٣.

(٢) ينظر: المفصل ٣٦٠، وشرح المفصل ٧/١٠.

(٣) ينظر: التسهيل ٣٠٠.

(٤) ينظر: الأمالي للقالبي ١٨٦/٢، والمزهر ٤٧٤/١، وظاهرة الإبدال اللغوي ٦٠.

(٥) ينظر: التسهيل ٣٠٠.

(٦) ينظر: الممتع ٣١٩/١.

(٧) ينظر: التتمة في التصريف ٩٩.

وهذا - أي الإبدال الصرّفيّ - نوعان أحدهما إبدال من أجل الإدغام، كإبدال لام التعريف وإدغامها في بعض الحروف كالتون والراء والدال والتاء مثلاً، وكالإدغام في اسْمَع، وأصلها: استمع.

والآخر: الإبدال لغير الإدغام، وهو المراد عند إطلاق المصطلح عند الصّرفيّين، كإبدال تاء الافتعال طاء إذا وقعت بعد الصّاد في قولك اصطفى واصطبر واصطحب.

أما الإبدال اللّغويّ فهو أعم، إذ يشمل الإبدال الصرّفي وغيره من اللغات، مما لا يلزم فيه الإبدال كما تقدم، وقد أَلَفَ فيه جماعة من علماء العربيّة محاولين حصر ألفاظه على الطّريقة المعجميّة الّتي تقوم أساساً على جمع الألفاظ وتبويبها وشرحها، وأكثرهم لا يشترط في الإبدال أو التعاقب تقارب المخارج بين الحروف المبدلة، كما يفهم من صنيع ابن مالك في كتابه « وفاق المفهوم » وأبي تراب في « الاعتقاب ». ومؤلفاهم الّتي وصلت إلينا أو بلغنا ذكرها في هذا الفنّ هي على التّحو التّالي:

١- الإبدال:

لأبي عبيدة معمر بن المثنّى ^(١) (٢٠٩هـ) وهو مفقود.

٢- القلب والإبدال:

للأصمعيّ ^(٢) (٢١٤هـ) وهو مفقود، نقل عنه القالي كثيراً ^(٣).

٣- القلب والإبدال:

(١) ينظر: معجم الأدباء ٦/٢٧٠٨.

(٢) ينظر: الفهرست ٦١، وبغية الوعاة ٢/١١٣.

(٣) ينظر: الأمالي ٢/٢٣، ٣٤، ٤١، ٧٨، ٩٧.

لابن السكّيت (٢٤٤هـ) وقد طبع مرتين إحداهما سنة (١٩٠٣م) بعناية أوغست هفner والأخرى سنة (١٣٩٨هـ) بتحقيق الدكتور حسين محمّد شرف، وسمّاه «الإبدال».

٤- الاعتقاب:

لأبي تراب (ت ٢٧٠ - ٢٨٠هـ تقريباً) وسيأتي الحديث عنه.

٥- الإبدال والمعاقبة والنظائر:

للزّجاجي (٣٤٠هـ) نشر سنة (١٣٨١هـ) بتحقيق الأستاذ عزّ الدين التنوخي.

٦- الإبدال:

لأبي الطيّب اللّغوي (٣٥١هـ) نشر سنة (١٣٧٩هـ) بتحقيق عزّ الدين التنوخي.

٧- وفاق المفهوم في اختلاف المقول والمرسوم:

لابن مالك (٦٧٢هـ) وموضوعه الاعتقاب أو الإبدال اللّغوي، وحقّق الكتاب في الجامعة الإسلاميّة سنة ١٤٠٥هـ ونشر في المدينة سنة ١٤٠٩هـ بتحقيق بدر الزّمان محمّد شفيع التّيبالي.

٨- وفاق الاستعمال في الإعجام والإهمال:

لابن مالك (٦٧٢هـ) وهو رسالة صغيرة في الاعتقاب، ولعلّه مختصر من كتاب «وفاق المفهوم» المتقدّم ذكره، وله نسخة خطيّة في مكتبة شهيد علي باشا ٢/٢٦٧٧.



ويلحق بهذه المؤلفات ما كتب من أبواب الإبدال في بعض المصنّفات اللّغويّة أو الأدبيّة مثل أمالي القالي والمخصّص لابن سيده والمزهر للسيوطي.
 أما كتاب ابن جنّي «التعاقب» الذي أشار إليه في بعض كتبه^(١) فليس من هذا الباب الذي نحن فيه، بل هو في البديل والعوض. قال السيوطي :
 «وقد ألف ابن جنّي كتاب التعاقب في أقسام البديل والمبدل منه، والعِوض والمعوّض منه وقال في أوّله: اعلم أنّ كلّ واحد من ضرتبي التعاقب - وهما البديل والعِوض - قد يقع في الاستعمال موضع صاحبه، وربّما امتاز أحدهما بالموضع دون رَسِيلِهِ، إلا أنّ البديل أعمّ استعمالاً من العِوض»^(٢).

(١) ينظر : الخصائص ١/٢٦٤ ، والخاطريات ٦٤ .

(٢) الأشباه والنظائر ١/٢٦٨ .

الفصل الأوّل

مادّة الكتاب ومنهجه

جمعت في هذه الدّراسة مادّة وافرة من نصوص كتاب « الاعتقاب » لأبي تراب تمثّل جزءاً كبيراً من الكتاب، وقد بلغت خمسة وسبعين وثلاثمائة نصّ، هي في الجملة من نصوص الإبدال اللّغويّ بمفهومه العامّ، وقليل منها من النصوص اللّغويّة كالتوارد والفوائد واللّغات، وذلك على الوجه التّالي:

أ- خمسة وأربعون وثلاثمائة نص من نصوص الاعتقاب (الإبدال)

ب- ثلاثون نصاً من النصوص اللّغويّة الأخرى.

وهذه النصوص جميعها مفرّقة بين أكثر حروف الهجاء، ولا ندري كيف رتبها أبو تراب، لأنّ النصوص المجموعة من التهذيب وغيره لا تعطي صورة كاملة ودقيقة لمنهج الكتاب إلا أنّ المؤكّد أنّه رتبه على أبواب الاعتقاب في الحروف، وقد عرفنا من هذه الأبواب بما أشار إليه الأزهرّي الأبواب التّالية:

١- باب اعتقاب الباء والدّال^(١).

٢- باب ما تعاقب من حرفي الصّاد والطّاء^(٢).

٣- باب ما تعاقب فيه الدال والباء^(٣).

٤- باب التّاء والميم^(٤).

(١) التهذيب ٢١٠/١٦.

(٢) التهذيب ٢٩٥/١١.

(٣) التهذيب ٧٠/١٤.

(٤) التهذيب ٢٥٩/٩.

- ٥- باب الحاء والكاف^(١).
- ٦- باب الميم والباء^(٢).
- ٧- باب الكاف والجيم^(٣).
- ٨- باب الجيم والحاء^(٤).
- ٩- باب الجيم والحاء^(٥).
- ١٠- باب الشّين والسين^(٦).
- ١١- باب الطّاء والزّاي^(٧).
- ١٢- باب الكاف والتّاء^(٨).
- ١٣- باب الصّاد والفاء^(٩).
- ١٤- باب العين والحاء^(١٠).

-
- (١) التهذيب ٣١١/٤.
 - (٢) التهذيب ٢٤٤/١١.
 - (٣) التهذيب ٣٨٧/١.
 - (٤) التهذيب ٨/١١.
 - (٥) التهذيب ٨/١١.
 - (٦) التهذيب ٣٩٥/٣.
 - (٧) التهذيب ١٤٠/١٢.
 - (٨) التهذيب ٤٢٥/٩.
 - (٩) التهذيب ٥٧٣/١٥.
 - (١٠) التهذيب ١١٠/٤.

وهذه الأبواب لا تدلّ على طريقة ثابتة له في الترتيب، فهو قد يقدّم الحرف السابق في الهجاء من الحرفين في تسمية بعض الأبواب نحو: باب الباء والذال مثلاً، وقد يقدّم المتأخر نحو: باب الميم والباء.

ولما خفي ذلك رأيت أن ألزم طريقة واحدة فيما جمعته من نصوص الكتاب لأسباب ذكرتها بين يدي القسم الثاني، ولأنها توافق طريقة أبي الطيّب اللغويّ في كتاب « الإبدال » ولا يستبعد أن يكون أبو الطيّب متأثراً في كتابه بطريقة أبي تراب في كتاب « الاعتقاب ».

وفيما يلي أبواب الاعتقاب بحسب الترتيب، الذي آمل أن يوافق ترتيب أبي تراب، أو أن يكون قريباً منه، وما في هذه الأبواب من نصوص لغوية مجموعة.

١ - أبواب اعتقاب الهمزة

اسم الباب	عدد النصوص الواردة فيه
الهمزة والتاء	١
الهمزة والعين	٣
الهمزة والغين	١
الهمزة والميم	١
الهمزة والواو	١
الهمزة والألف	١
الهمزة والياء	١

٢ - أبواب اعتقاب الباء:

اسم الباب	عدد النصوص الواردة فيه
الباء والتاء	٢
الباء والياء	١
الباء والحاء	٢

١	الباء والحاء والتون
٣	الباء والذال
١	الباء والذال
١	الباء والسين
١	الباء والسين واللام
١	الباء والشتين
١	الباء والصّاد
٢	الباء والطّاء
١	الباء والعين
٤	الباء والفاء
١	الباء والقاف
٤	الباء واللام
٥	الباء والميم
١	الباء والتون
١	الباء والياء

٣- أبواب اعتقاب التّاء:

اسم الباب	عدد التّصوص الواردة فيه
التّاء والطّاء	١
التّاء والفاء	١
التّاء والكاف	٢

التاء والميم	١
--------------	---

٤- أبواب اعتقاب الثّاء:

اسم الباب	عدد النّصوص الواردة فيه
الثّاء والدّال	٣
الثّاء والسين	١
الثّاء والشين	١
الثّاء والفاء	٦
الثّاء والهاء	١

٥- أبواب اعتقاب الجيم:

اسم الباب	عدد النّصوص الواردة فيه
الجيم والحاء	٢
الجيم والحاء	٤
الجيم والدّال والشين	١
الجيم والزاي	١
الجيم والعين واللام	١
الجيم والكاف	٢

٦- أبواب اعتقاب الحاء:

اسم الباب	عدد النّصوص الواردة فيه
-----------	-------------------------

٥	الحاء والحاء
١	الحاء والراء
١	الحاء والسين
٢	الحاء والسين واللام
٣	الحاء والعين
١	الحاء والكاف

٧- أبواب اعتقاب الحاء:

عدد النصوص الواردة فيه	اسم الباب
٢	الحاء والهاء

٨- أبواب اعتقاب الدال:

عدد النصوص الواردة فيه	اسم الباب
٢	الدال والدال

٩- أبواب اعتقاب الذال:

عدد النصوص الواردة فيه	اسم الباب
١	الذال والزاي
١	الذال والصاد

١٠- أبواب اعتقاب الراء:

عدد النصوص الواردة فيه	اسم الباب
١١	الراء واللام

٥	الرّاء والميم
٧	الرّاء والتّون
٣	الرّاء والهاء
١	الرّاء والواو
١	الرّاء والألف اللّينة

١١ — أبواب اعتقاب الزاي:

اسم الباب	عدد النّصوص الواردة فيه
الزّاي والسّين	٢
الزّاي والسّين والصّاد	١
الزّاي والشّين	١
الزّاي والضّاد	٤
الزّاي والظّاء	١
الزّاي والفّاء	١
الزّاي والقاف	١
الزّاي واللام	٢

١٢ — أبواب اعتقاب السّين:

اسم الباب	عدد النّصوص الواردة فيه
السّين والشّين	١٥

١	السّين والشّين والباء
٦	السّين والصّاد
١	السّين والطّاء
٢	السّين والعين
١	السّين والفاء
٤	السّين والقاف
٢	السّين والكاف
٢	السّين واللام
٢	السّين والميم
١	السّين والهاء

١٣ - أبواب اعتقاب الشّين:

اسم الباب	عدد النّصوص الواردة فيه
الشّين والصّاد	١
الشّين والغين	٢
الشّين والفاء	٣
الشّين واللام	١
الشّين والتّون	١

١٤ - أبواب اعتقاب الصّاد:

اسم الباب	عدد النّصوص الواردة فيه
-----------	-------------------------

٣	الصّاد والضّاد
٤	الصّاد والطّاء
٢	الصّاد والفاء
١	الصّاد والقاف
١	الصّاد والكاف
١	الصّاد واللام
١	الصّاد والهاء

١٥ — أبواب اعتقاب الضّاد:

عدد التّصوص الواردة فيه	اسم الباب
٣	الضّاد والطّاء
٢	الضّاد والظّاء
٢	الضّاد والعين
١	الضّاد والغين
١	الضّاد والفاء
١	الضّاد والكاف
٣	الضّاد واللام

١٦ — أبواب اعتقاب الطّاء:

عدد التّصوص الواردة فيه	اسم الباب
٣	الطّاء والظّاء

١	الطاء والعين
١	الطاء والغين
٥	الطاء والقاف
٣	الطاء واللام
١	الطاء والتون

١٧- أبواب اعتقاب الظاء:

اسم الباب	عدد النصوص الواردة فيه
الطاء والعين	١
الطاء واللام	١

١٨- أبواب اعتقاب العين:

اسم الباب	عدد النصوص الواردة فيه
العين والغين	١٤
العين والفاء	٤
العين والقاف	٦
العين والكاف	١
العين واللام	٥
العين والتون	٢

العين والهاء	٤
--------------	---

١٩ - أبواب اعتقاب الغين:

اسم الباب	عدد النصوص الواردة فيه
الغين والقاف	٢
الغين والكاف	٣
الغين والهاء	٢

٢٠ - أبواب اعتقاب الفاء:

اسم الباب	عدد النصوص الواردة فيه
الفاء والقاف	١
الفاء والكاف	٥
الفاء واللام	٢
الفاء والميم	٤
الفاء والهاء	٢

٢١- أبواب اعتقاب القاف:

اسم الباب	عدد النصوص الواردة فيه
القاف والكاف	١١
القاف واللام	٢
القاف والميم	٢
القاف والتون	١
القاف والهاء	٢

٢٢- أبواب اعتقاب الكاف:

اسم الباب	عدد النصوص الواردة فيه
الكاف واللام	١
الكاف والميم	١
الكاف والتون	١
الكاف والهاء	١

٢٣- أبواب اعتقاب اللام:

اسم الباب	عدد النصوص الواردة فيه
اللام والميم	٢
اللام والتون	١٠
اللام والواو	٢
اللام والياء	٢

٢٤- أبواب اعتقاب الميم:

اسم الباب	عدد النصوص الواردة فيه
الميم والتون	١١
الميم والهاء	٣
الميم والواو	٢

٢٥- أبواب اعتقاب التون:

اسم الباب	عدد النصوص الواردة فيه
التون والهاء	١
التون والواو	٢
التون والياء	٢

٢٦- أبواب اعتقاب الواو:

اسم الباب	عدد التصوص الواردة فيه
الواو والياء	٤

٢٧- أبواب اعتقاب الياء:

اسم الباب	عدد التصوص الواردة فيه
الياء والألف اللّينة	١

٢٨- أبواب أخرى:

اسم الباب	عدد التصوص الواردة فيه
الاعتقاب في حروف مختلفة	٧
الفوائد والتّوادر	٣٠

تحليل النصوص:

نستنتج من هذه الأبواب ما يلي

أ- أن الاعتقاب (الإبدال) في كتاب أبي تراب يقع بين الحروف متقاربة المخارج كالباء والفاء مثلاً، ويقع بين الحروف متباعدة المخارج كالباء والقاف مثلاً، وهذا يوافق ما جاء في كتاب « الإبدال » لأبي الطيّب ويوافق مذهب من لا يشترط تقارب الحرفين في الإبدال.

ب- أكثر أبواب الاعتقاب نصوصاً هي: باب السين والشين ويليهِ باب العين والغين ثم باب الرّاء واللام وباب القاف والكاف وباب الميم والتون، وهذه الثلاثة الأخيرة متساوية النصوص . أما باب « الفوائد والتّوادر » وهو الباب الأخير في القسم الثاني فليس من أبواب الاعتقاب وفيهِ ثلاثون نصاً.

ج- كثير من الأبواب ليس فيه سوى نصّ واحد.

د- أكثر الأبواب ثنائية التعاقب؛ أي أنّ التعاقب فيها بين حرفين في كلمتين ، وقليل منها ثلاثي، أي أنّ التعاقب بين ثلاثة أحرف في ثلاث كلمات، نحو « باب اعتقاب الحاء والجيم والدّال » مثلاً.

ويتبيّن من دراسة النصوص أنّ التعاقب (الإبدال) يقع بكثرة بين حرفين أصليّين في الكلمتين المتعاقبتين، ويقع نادراً في الحروف الزائدة في الكلمتين.

ويكثر التعاقب في الأصول الثلاثيّة ويقلّ في الأصول الرباعيّة.

ويتبيّن أيضاً أنّ وقوع التعاقب يكثر في الثلاثيّ بين اللام واللام في جذر الكلمة، ويليهِ الفاء والفاء ثمّ العين والعين، ويتّضح ذلك بالأرقام على النحو التالي:

أ- بلغت نصوص التعاقب بين الحروف الأصول أحد وأربعين وثلاثمائة نصّ. أمّا التعاقب في الزوائد فجاء في أربعة نصوص فحسب. أمّا باقي النصوص - وهي ثلاثون نصاً جاءت في باب الفوائد والتّوادر - فليست من أبواب الاعتقاب.

ب- بلغت نصوص التعاقب في الأصول الثلاثيّة أربعة وثلاثمائة نصّ وأما الأصول الرباعيّة فهي سبعة وثلاثون نصّاً.

ج- جاء التعاقب في جذور الكلمات الثلاثيّة على النحو التالي:

تعاقب الفاء والفاء: عشرة ومائة نص (١١٠)

تعاقب العين والعين: أربعة وسبعون نصّاً (٧٤)

تعاقب اللام واللام: عشرون ومائة نص (١٢٠)

د- جاء التعاقب في جذور الكلمات الرباعيّة على النحو التالي:

تعاقب الفاء والفاء: تسعة نصوص (٩)

تعاقب العين و العين: عشرة نصوص (١٠)

تعاقب اللام الأولى واللام الأولى: ثمانية نصوص (٨)

تعاقب اللام الثانية واللام الثانية: تسعة نصوص (٩)

نقد النصوص:

وبالتدقيق في هذه النصوص التي بين أيدينا من «كتاب الاعتقاب» نخرج بالملاحظات الآتية:

أولاً: إنَّ عدداً من هذه النصوص ليس من «الاعتقاب» بمفهومه الاصطلاحي؛ كالفوائد، والنوادر، واللغات، وأقوال العلماء والرواة، وأشعار العرب، ولهذا وضعها في باب مستقل في ذيل القسم الثاني، من هذا البحث، ولا سبيل إلى حذف هذه النصوص؛ لأنها من كتاب «الاعتقاب».

ثانياً: إذا كان التعاقب هو ورود لفظين مُتفقين في المعنى، مرويين بوجهين بينهما اختلاف في حرف واحد، كما تقدم ^(١)؛ فإن ثمة نصوصاً أدرجها أبو تراب في كتابه «الاعتقاب» روي فيها اللفظان بوجهين بينهما اختلاف في أكثر من حرفين في الكلمتين، ومن ذلك:

أ- قال في اعتقاب الدال والذال: «جَدَفَتِ السَّمَاءُ بِالْثَلَجِ، وَخَذَفَتْ تَجْدِفُ وَتَخْذِفُ، إِذَا رَمَتْ بِهِ» ^(٢).

والاختلاف بين اللفظين في أكثر من حرف ولعل فيه تصحيحاً لم أثبته.

ب- قال في باب الاعتقاب في حروف مختلفة: «مَرَطَ فُلَانٌ فُلَاناً، وَهَرَدَهُ إِذَا آذَاهُ» ^(٣).

ج- وقال: «بَجَسْتُ الْجَرْحَ مِثْلَ بَطْطُنُهُ» ^(٤).

(١) ينظر ص ٣٨٢ من هذا البحث .

(٢) ينظر الفقرة (٦٢) من هذا البحث.

(٣) ينظر الفقرة (٣٤٤).

(٤) ينظر الفقرة (٣٤٥).

ثالثاً: قد يذكر أبو تراب نصوصاً في الاعتقاب لا يتفق المعنى فيها بين اللفظين، ومن ذلك:

أ- قال في اعتقاب الفاء والميم: «غلام أُمْلُوذٌ وأُفْلُوذٌ ، إذا كان تامّاً محتملاً شَطْباً»^(١).

والاختلاف بين اللفظين -هنا- في أكثر من حرف، وقد يكون فيهما تصحيف.

ب- ذكر أبو تراب أنّ اللبّأ : جلود صغار المعزى، وأنّ اللبّأ : نبات من اليمن^(٢) ، ووضح أنه لاتعاقب بين اللفظين ، فكلّ منهما معنى ليس في الآخر.

ج- ذكر أن القندأو : القصير من الرجال، والسندأو : الفسيح من الإبل^(٣) ، والمعنيان مختلفان.

د- ذكر وصفاً للجُعَل في أبيات ، جمع فيها صاحبها بين الرء واللام في القافية ، كالطير والليل^(٤) ؛ وليس فيهما تعاقب، إلا إذا تُوسّع في مفهوم الاعتقاب.

رابعاً: ثَمّة نصوص أدرجها أبو تراب في كتابه «الاعتقاب» دون أن يتضح فيها اتحاد الدلالة بين الصيغتين، وقد يكون ما قدّر أنه من التعاقب هو من الإتباع ، ومن ذلك:

(١) ينظر الفقرة (٢٧٢).

(٢) ينظر الفقرة (٤٢).

(٣) ينظر الفقرة (١٥٩).

(٤) ينظر الفقرة (١٠٠)

أ- ذكر في باب الجيم والحاء: المَرِيخ والمَرِيح^(١)، ولم يَتَّضِح اتحاد الدلالة بينهما، وقد يكون من قبيل الإِتباع.

ب- ذكر في باب الجيم واللام ثلاث صيغ، وهي: جَبَسٌ وعَبَسٌ وَلَبَسٌ^(٢)، وهذا من باب الإِتباع، كما نصَّ على ذلك أبو تراب نفسه بلفظ صريح، والإِتباع غير الاعتقاب، إلا أنه من نظائر الاعتقاب أو الإبدال، ولذا ذكره أبو تراب في كتابه.

ج- ذكر في باب الراء واللام غُلْجُومًا وعُرْجُومًا^(٣)، ولم يَتَّضِح اتِّحاد الدلالة فيهما، وقد يكون ذلك إِتباعاً.

خامساً: هناك نصوص لا يتقارب فيها مخرجا الحرفين المتعاقبين، وتقارب المخرجين شرط في التعاقب أو الإبدال عند بعض العلماء، وليس شرطاً عند بعضهم، كما تقدم، ولعلَّ منهم أبا تراب، ومن ذلك:

أ- زَمَجَ بَيْنَ القوم، وزَأَج؛ إذا حَرَّشَ بينهم^(٤). ومخرجا الميم والهمزة متباعداً، فأحدهما شفوي والآخر حلقي.

ب- كان حَصِيصَ القوم وبصيصهم كذا، أي: عددهم^(٥). والتباعد بين مخرجي الحاء والباء واضح.

(١) ينظر الفقرة (٦٥).

(٢) ينظر الفقرة (٦٨).

(٣) ينظر الفقرة (٩٥).

(٤) ينظر الفقرة (٦).

(٥) ينظر الفقرة (١٣).

ج- تَسَقَطْتُ الحَبْرَ وَتَبَقَّطْتُه؛ إذا أخذته شيئاً بعد شيء قليلاً قليلاً^(١).

د- يقال: القَطَشُ والقَبَشُ واحد^(٢).

هـ — يقال: كَمَعَ الفرسُ والرَّجُلُ والبَعِيرُ في الماء، وكَرَعَ، ومعناها شرع^(٣).

و- المَهْزَامُ عصا قصيرة، وهي المَرْزَامُ^(٤).

ز- زَأَبْتُ وَقَأْتُ؛ أي: شَرَبْتُ^(٥).

ح- تَنْطَعَ في الكلام وتَنْطَسُ؛ إذا تَأَنَّقَ فيه^(٦).

سادساً: قد يذكر أبو تراب مادة الاعتقاب، ثمّ يستطرد مورداً ما ليس من الاعتقاب، ومن ذلك :

أ- قال بعد أن ذكر الاعتقاب بين مادّتي رَجَعَ وَنَجَعَ : « والتّرجيع في الأذان أن يكرّر قوله : أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله . وَرَجَعَ الوَشْمَ والنُّقُوشَ وترجيعة : أن يُعاد عليه السّواد مرة بعد أخرى^(٧) ».

ب- ذكر الاعتقاب بين صيغتي لَفَأَهُ وَلَكَّأَهُ، ثمّ استطرد مورداً شيئاً من الأضداد.

(١) ينظر الفقرة (٢٠).

(٢) ينظر الفقرة (٢٥).

(٣) ينظر الفقرة (١٠٤).

(٤) ينظر الفقرة (١١٤).

(٥) ينظر الفقرة (١٢٨).

(٦) ينظر الفقرة (١٥٥).

(٧) ينظر الفقرة (١٠٦).

ج- ذكر التعاقب بين قولهم: سبحتُ في الأرض، وسبختُ فيها، إذا تباعدت فيها.^(١) ثم استطرد مورداً بعضاً من معاني سَبَحَ.

ولو أردنا أن نتبع أمثال هذه الهنات لوجدنا الكثير، وحسبنا ما أشرنا إليه، وللناظر في هذه النصوص أن يحسن الظنَّ بأبي تراب، فلا يتهمه بأن مفهوم الاعتقاب (الإبدال) لم يكن ناضجاً عنده، وله أن يقول: إن أبا تراب توسع فيه، شأنه في ذلك شأن كثير من العلماء في تلك المرحلة المبكرة من تاريخ العربية، الذين لم يلتزموا بعناوين مصنفاتهم التزاماً دقيقاً، بل توسعوا في المضامين؛ لتزوعهم إلى الاستفاضة في جمع المادة اللغوية. ومرحلة جمع اللغة من أفواه الرواة، وتدوينها في المصادر قد تغفر لهم كثيراً مما قد يُعدُّ خللاً علمياً أو منهجياً بمفهومنا اليوم.

ولنا في كثير من المصنفات اللغوية شواهد على هذا التوجيه، وحسبنا أن نطالع كتاب «الإبدال»^(٢) لابن السكّيت، ففيه مواد ليست من الإبدال؛ ومن أبرزها ما جاء في بابي: «ما تزداد فيه الميم»^(٣) و «ما تزداد فيه النون»^(٤) وليس فيهما شيء من الإبدال.

(١) ينظر الفقرة (٦٢).

(٢) طبع هذا الكتاب مرتين، أولاهما تحت عنوان «القلب والإبدال» بعناية أوقست هفتر، والثانية تحت عنوان «(الإبدال)» بتحقيق الدكتور حسين محمد محمد شرف.

(٣) ينظر الإبدال ١٤٧.

(٤) ينظر الإبدال ١٤٩.

ودَعَكُمّ مما في كتب الأصمعي وأبي عُبيدة مَعَمَر بن المثنّى وأبي زيد
الأنصاري، وأمّا ما في كتاب « الجمهرة » لابن دريد مما لاسبيل إليه في معجم
من معاجم الألفاظ فشيء كثير^(١).

وقد جاؤونا — من حيث نحسب أنهم أسأؤوا — بفوائد وطرائف
ولطائف نفيسة كانت عرضة للضياع؛ فرحمهم الله جميعاً، ورضي عنهم، وغفر
لهم زلاتهم.

(١) ينظر ما جاء في أبواب النوادر في كتاب الجمهرة ٣/١٢٧٤-١٣٣٩.

الفصل الثاني: مصادره

تنوّعت مصادر أبي تراب في كتابه « الاعتقاب » وفق النصوص المتاحة لنا من هذا الكتاب، وقد تردّد في النصوص التي جمعتها من هذا الكتاب عدد وافر من أسماء العلماء والرواة من الأعراب الفصحاء.

ويمكن تصنيف مصادر أبي تراب في النصوص المتاحة لنا من كتاب الاعتقاب

على صنفين رئيسين:

أ- علماء اللغة.

ب- الأعراب الرواة.

أولاً: علماء اللغة:

وهم من الذين عاشوا في القرنين الثاني والثالث، وهم فريقان:

أ- فريق لم يدركهم أبو تراب، أو أدركهم ولم يلتقِ منهم أحداً، وهؤلاء روى عنهم أبو تراب بالواسطة أو بالتّقل من كتبهم.

ب- فريق أدركهم أبو تراب، والتّقامهم^(١) وسمع منهم.

وفيما يلي تفصيل ذلك.

أولاً: من روى عنهم أبو تراب بالواسطة، أو بالتّقل من كتبهم :

١- أبو عمرو بن العلاء (١٥٤هـ) روى عنه أبو تراب في ثمانية عشر

موضعاً^(٢).

(١) الفعل « التقى » يتعدى بنفسه، وشاع عند بعض المتأخرين تعديته بحرف الجر، فيقولون:

التقى به.

(٢) ينظر: التهذيب ١/١٤١، ٣١٧، ٣٨٢، ٣/٣١٠، ٤/٢٤٠، ٢٢٢، ٣١١، ٥/٣٣٧، ٨/

٤٢٥، ٣١١، ٣٠٧، ١٠، ١٠، ١٢٢، ٣٣١، ١٢/٤٢٢، ١٤/٨٢، ١٦/٥٩، ١٧١،

- ٢- الخليل بن أحمد الفراهيديّ (١٧٥هـ) نقل عنه في سبعة مواضع^(١)، ولا أدري هل أخذ أبو تراب من كتاب العين مباشرة، أو أنّه نقل عنه بالواسطة.
- ٣- الْمُفَضَّل بن مُحَمَّد الصَّبِّي الكوفيّ (١٧٨هـ) نقل عنه في موضع واحد^(٢).
- ٤- أبو الحسن عليّ بن حمزة الكسائيّ (١٨٩هـ) نقل عنه أبو تراب في خمسة مواضع^(٣).
- ٥- أبو فيد مؤرّج بن عمرو السّدوسيّ (١٩٥هـ) نقل عنه في ثلاثة مواضع^(٤).
- ٦- أبو محمّد يحيى بن المبارك اليزيديّ (٢٠٢هـ) نقل عنه في موضع واحد^(٥).
- ٧- التضر بن شميل المازنيّ (٢٠٤هـ) نقل عنه أبو تراب في أربعة مواضع^(٦).

(١) ينظر: التهذيب ١/٧١، ٢/١٣١، ٣/٣٣٣، ٥/٢٩٤، ١١/٣١٩، ١٢/١٦٦، والصّاح (كمل) ١٨١٣/٥.

(٢) ينظر: التهذيب ٤/٩٣.

(٣) ينظر: التهذيب ١/١٤١، ٤/٤٤١، ٧/٥١٥، ١٢/١٩٤، ١٦/٢٠٥.

(٤) ينظر: التهذيب ٢/٣٧، ١٠/٦٢٤، ١١/٢٤٤.

(٥) ينظر: التهذيب ٥/٢٩٤.

(٦) ينظر: التهذيب ١/١٢٩، ٥/٣٨٦، ٦/٤٩٦، ١٤/٢٩٦.

- ٨- أبو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني (٢٠٦هـ) نقل عنه في موضع واحد^(١).
- ٩- أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (٢٠٧هـ) نقل عنه في عشرة مواضع^(٢).
- ١٠- أبو عبيدة معمر بن المثنى (٢٠٩هـ) نقل عنه في موضعين^(٣).
- ١١- أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (٢١٤هـ) نقل عنه أبو تراب في واحد وخمسين موضعاً^(٤).
- ١٢- أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري (٢١٥هـ) نقل عنه في سبعة مواضع^(٥).

(١) ينظر: التهذيب ١٣/٢٢٧.

(٢) ينظر: التهذيب ١/٣٣٤، ٣/٣٩٥، ٦/٢٣٧، ٧/٤٣، ٨/١٨٢، ٨/٣٧٣، ٩/٣٩٢، ١٠/٥٥٢، ١١/٢٤٨، ٢٤٩.

(٣) ينظر: التهذيب ٩/٣١١، ١٢/٣٥٥.

(٤) ينظر: التهذيب ١/١٢٨، ١٣٣، ٢٠٧، ٢١٥، ٣٠٥، ٣١٧، ٣١٩، ٣٨٨، ٤٣٤، ٢/٣٧، ٣٠٢، ٣٢٣، ٣/٣٧٢، ٤/٢١٢، ٥/٣٣٧، ٦/١٨٨، ٢١٤، ٣٦٩، ٧/٧٤، ٨٤، ١٠٥، ٢١٣، ٦٧٩، ٨/٤٤، ٨٨، ١٨٦، ٩/٢١٠، ٢٥٩، ٤٢٣، ١٠/٦٢، ٨٥، ٢٧٩، ٣٠١، ٣٥٤، ٤٧٠، ١١/٩٨، ٢٧١، ٣٠٠، ٣١٦، ٤٨٣، ١٢/٩٦، ١٣/١٤٨، ٢٧١، ٣٥٠، ٣٦٠، ١٤/٣٢٢، ٣٥٥، ١٥/٣٥٥، ١٦/٥٢، ١٧١، وينظر: المحيط في اللغة ٣/٣١.

(٥) ينظر: التهذيب ٢/٢٦٢، ٤/٢١٢، ٦/٩٨، ٧/٤٣، ٩/٤١٣، ١٢/٩٦، ٣٧٩.

١٣- أبو عبد الله محمّد زياد المعروف بابن الأعرابيّ (٢٣١هـ) نقل عنه في تسعة مواضع ^(١).

١٤- أبو العميثل عبد الله بن خالد الأعرابيّ (٢٤٠هـ) نقل عنه في موضعين ^(٢).

١٥- أبو مُحلّم محمّد بن سعيد البغداديّ (٢٤٨هـ) روى عنه أبو تراب في موضع واحد ^(٣).

١٦- أبو مالك عمرو بن كركرة الأعرابيّ صاحب كتاب «خلق الإنسان» (من علماء القرنين الثاني والثالث) نقل عنه أبو تراب في موضع واحد ^(٤).

١٧- أبو الحسن عليّ بن حازم اللّحيانيّ (من علماء القرن الثالث) نقل عنه في أربعة مواضع ^(٥).

١٨- نصير بن أبي نصير الرازي النحوي (من علماء القرن الثالث) أدرك الأصمعي وأبا زيد وسمع منهما، ونقل عنه أبو تراب في موضع واحد ^(٦). هؤلاء هم مصادر أبي تراب الذين نقل من كتبهم أو نقل عنهم بواسطة كتاب أو راوٍ، ويمكن أن نخرج في النهاية بالملاحظات التالية:

(١) ينظر: التّهذيب ١/١٢٩، ٤/٦٥، ١١٨، ٦/٦، ١٢٢، ١٠/٢٧٩، ١٢/٢٢٧، ٣٠٦، ٥٧٣/١٥.

(٢) ينظر: التّهذيب ٩/٥٩، ١١/٥٤.

(٣) ينظر: التّهذيب ١٤/٥٧.

(٤) ينظر: التّهذيب ١٢/٣٧٩.

(٥) ينظر: التّهذيب ١/٧٨، ٤٩٢، ٢/٣٨٨، ١١/٣١٨.

(٦) ينظر: التّهذيب ٢/٢١٧.

١- ينقل أبو تراب عن مصادره دون أن تسميه كتبهم.

٢- يروى أبو تراب عن مصادره التي لم يدركها من غير السند، أي من غير سماع مُتَّصِل.

وكان كثير من العلماء في القرنين الثاني والثالث يتخرجون من ذلك، ويعدونه منقصة فيمن يصنعه، ثم بدأ بعضهم ينقل من كتب المتقدمين وصحفهم فيسقط السند.

وفي ذلك يقول أحمد بن محمد البشتي في مقدمة كتابه « التكملة » بعد أن ذكر المصادر التي نقل عنها: « استخرجت ما وضعته في كتابي من هذه الكتب ... ولعل بعض الناس يبتغي العنت بتهجينه والقدح فيه؛ لأي أسندت ما فيه إلى هؤلاء العلماء من غير سماع ... وإنما إخباري عنهم إخبار من صحفهم ، ولا يزري ذلك على من عرف الغث من السمين ، مَيَّز بين الصحيح والسقيم. وقد فعل مثل ذلك أبو تراب صاحب كتاب الاعتقاب ، فإنه روى عن الخليل بن أحمد و أبي عمرو بن العلاء والكسائي ، وبينه وبين هؤلاء فترة .. وكذلك فعل القُتيبي»^(١).

وقال الأزهري ردأ على البشتي ودفاعاً عن أبي تراب: « وأما قوله: إن غيره من المصنفين رَوَوْا في كتبهم عَمَّنْ لم يسمعوا منه مثل أبي تراب والقُتيبي، فليس رواية هذين الرجلين عَمَّنْ لم يرياه حُجَّةَ له، لأنهما وإن كانا لم يسمعا من كل من روى عنه فقد سمعا من جماعة الثقات المأمونين»^(٢).

(١) التهذيب ٣٣/١، وينظر: معجم الأدباء ٤٦١/١، ٤٦٢.

(٢) التهذيب ٣٤/١.

٣- يكثر أبو تراب من النقل عن الأصمعي وعلة ذلك أن للأصمعي كتاباً في الإبدال و الاعتقاب ، واسمه « القلب والإبدال »^(١) وهو يناسب موضوع كتاب « الاعتقاب » لأبي تراب.

ثانياً: من أدرّكهم أبو تراب، والتّقامهم وسمع منهم :

١- شمر بن حمّادويه الهرويّ (٢٥٥هـ) روى عنه أبو تراب سماعاً في خمسة مواضع^(٢).

٢- أبو سعيد الضّير أحمد بن خالد البغداديّ ثمّ التّيسابوريّ اللّغويّ (من علماء القرن الثّالث) وهو من شيوخ أبي تراب ، نقل عنه أبو تراب في ثلاثة وعشرين موضعاً^(٣) بعبارة « قال » أو « سمعت » أو « سألت ».

٣- عرام بن الإصبع السّلميّ (من علماء القرن الثّالث) نقل عنه أبو تراب في خمسة عشر موضعاً^(٤).

٤- أبو الوازع محمّد بن عبد الخالق الخراسانيّ اللّغويّ (من علماء القرن الثّالث) نقل عنه أبو تراب في موضعين^(٥).

ثانياً: الأعراب الرّواة:

(١) ينظر: الفهرست ٨٨، ووفيات الأعيان ٣٤٩/٢، وبغية الوعاة ١١٣/٢.

(٢) ينظر: التّهذيب ٢٦٢/٣، ٢٦٣، ٢٧/٤، ٦٢٨/١٠، ٣٢٢/١٤.

(٣) ينظر: التّهذيب ٧٨/١، ٢٩٤، ٣٦٤، ٥٩/٢، ٢٦٤، ٢٧/٤، ٢٤٠، ٤٥٢، ٦/٦، ٢٢٤،

٦٩/٧، ١٨٢، ٣٨٣، ٥٣٨، ٢٠٧/٩، ٢٥٩، ٤٥/١٠، ١١٢، ٢٩٧/١١ (في موضعين)

١٢٨، ٢٥/١٣، ٢٤٠، ٧٠/١٢.

(٤) ينظر: التّهذيب ٢١٣/١، ٢١٥، ١٨٤/٢، ٣٢٠، ٤٣٩/٣، ٩٤/٤، ١١٥/٦، ٣٩٧، ٧/

٩٦، ١١٩، ١٠٥/١٠، ٣٠٧، ٣٦٣/١١، ٤٢٢/١٢، ٧٢/١٥.

(٥) ينظر: التّهذيب ٧٨/١، ٣٢٢/١١.

استورد ابن طاهر جماعة من الأعراب ^(١) نيسابور ^(٢)، وكانوا من قبائل مختلفة من تميم وبكر وسليم وقيس وغيرهم، فيهم الفصحاء والشعراء والرواة، فالتقاهم علماء اللغة في نيسابور، وأخذوا عنهم فوائد جمّة، وكان من هؤلاء أبو تراب اللّغويّ فأنس هؤلاء الأعراب، وصحبهم زمناً والتقط من أفواههم، من اللّغة، ونوادرها، وطرائفها، الشيء الكثير ^(٣).

وكان أبو تراب وقيّاً معهم فحفظ أسماءهم في كثير من نقوله عنهم في كتابه الاعتقاب، فيما تفرق في كتاب ((تهذيب اللّغة)) للأزهري، إلا أنّه — أي الأزهريّ — قد يُجمل ذكرهم ويشير إليهم بقوله مثلاً: ((قال أبو تراب عن أصحابه)) ^(٤) أو: ((روى أبو تراب لبعضهم)) ^(٥) أو نحو ذلك، وهذا يحملنا على افتراض أنّه قد يُهمّل ذكرهم اختصاراً ومن هؤلاء:

١- خليفة الحُصينيّ:

وهو من أبرز رواة أبي تراب، وقد روى عنه في عشرين موضعاً ^(٦)، يدلّ أكثرها على أنّه سمع منه مباشرة، فهو يقول: سمعت، أو سألت، أو أخبرني أو أنشدني.

(١) ينظر: التهذيب ٢٦/١، ومعجم الأدباء ٢٥٣/١، ونكت الهميان ٩٧.

(٢) نيسابور مفعول ثانٍ لاستورد.

(٣) ينظر: إنباه الرواة ١٠٣/٤.

(٤) التهذيب ٦٧٦/٧.

(٥) التهذيب ١٦٩/١٣.

(٦) ينظر: التهذيب ١٥٦/١، ٣٧٥، ٤٥٠، ١٢٢/٢، ٣٦/٤، ٢٢٢، ٦٩/٥، ٤٩٦/٦، ٦/٦.

٢٤١، ٣١٧، ٣٢٠، ٤٣/١٢، ٨٢، ٢٢٧، ٣٨٤، ١٤/٥٤، ١١٩، ١٤١، وينظر:

اللسان (نشل) ٦٦٢/١١، والفاائق ٤٦/٢.

٢- شجاع السلمي:

روى عنه أبو تراب في سبعة عشر موضعاً^(١).

٣- أبو السَّمِيدَع الجَعْفَرِي:

روى عنه أبو تراب في أحد عشر موضعاً^(٢)، يقول في أكثرها: «سمعت

أبا السמידع يقول»

٤- مُذْرِك بن غَزْوَان الجَعْفَرِي:

روى عنه أبو تراب في ثمانية مواضع^(٣)

٥- الغنوي:

أعرابي من قبيلة غني، روى عنه أبو تراب في سبعة مواضع^(٤).

٦- مُبْتَكِر الجَعْفَرِي:

روى عنه أبو تراب في سبعة مواضع^(٥).

٧- أبو مُحَجَّن الضَّبَّاي:

(١) ينظر: التهذيب ١/٣١٥، ٣٨٧، ٤/٢١٤، ٢٨٥، ٤٤١، ٧/٣٩٣، ٨/٢٠٦، ٩/٣٧٣،

٣٧٨، ١٠/١٠٨، ٥٣٧، ١١/٣٦٩، ٤٠٣، ١٢/٢٠٠، ١٣/١١٣، ١٦/٩٩، واللسان

(بنش) ٦/٣٥٠.

(٢) ينظر: التهذيب ٢/١٧٩، ٥/٢٩٤، ٥٧٣، ٦/١٨٨، ٨/١٣٨، ١١/٨ في موضعين، ٨٢،

١٣/١٤٤، ١٥/٤٨٠، وينظر: الفائق ٢/٤٦.

(٣) ينظر: التهذيب ١/٣٨٧، ٢/٣٣١، ٣/٢٤٢، ٤/٤٢٨، ٧/٤٦٠، ٨/٣٣٧، ١١/٨، ١٣،

٣٤٥/.

(٤) ينظر: التهذيب ٢/٢٥٦، ٤/٢١٢، ٧/٤٨٧، ٨/٣٢٥، ٩/٤١١، ١٢/٣٠٨، وينظر:

الصاحح (رغم) ٥/١٩٣٨، واللسان (رغم) ١٢/٢٥٧.

(٥) ينظر: التهذيب ٢/٣٠٢، ٣٣١، ٧/٢٠٣، ٩/٢٠٨، ٣٥٤، ١١/٨، ١٢٦.

روى عنه في سبعة مواضع ^(١) ، يقول في أكثرها « سمعت أبا محجن يقول ».

٨- واقع السلمي:

روى عنه في خمسة مواضع ^(٢) .

٩- زائدة البكري:

روى عنه في أربعة مواضع ^(٣) .

١٠- مُدْرِك الكلابي:

روى عنه في أربعة مواضع ^(٤) .

١١- حَتْرَش الأعرابي:

روى عنه في أربعة مواضع ^(٥) .

١٢- أبو الجهم الجعفري:

روى عنه أبو تراب في ثلاثة مواضع ^(٦) .

١٣- أبو مقدام السلمي:

روى عنه في ثلاثة مواضع ^(٧) .

(١) ينظر: التهذيب ٢/٢٨٧، ٨/٢٤٣، ١٠/١٣٨، ١٥٩، ٥٤٨، ١٥/٧٢، ٣٧٣.

(٢) ينظر: التهذيب ١/٣٢٠، ٣/٢٠، ٦/٢٣٧، ١١/٣٨٣، ١٥/٨٢.

(٣) ينظر: التهذيب ٢/٣٣١، ٧/١١٩، ٨/٢٢٩، ٩/٢٠١، ١٤/٦٤، ١٥/٣٤٣.

(٤) ينظر: التهذيب ١١/٣٩١، ١٢/٣٤، والعباب (حرف الفاء ٤٨٢)، واللسان (مشن) ١٣/

٤٠٨.

(٥) ينظر: التهذيب ٨/٢٠٦، ٩/٢٠١، ١١/٢٩، ١٢/١٢١.

(٦) ينظر: التهذيب ٤/٣٣٧، ٦/١٠٢، ٨/٢١٧.

(٧) ينظر: التهذيب ٥/١٢٧، ٨/٣٩٣، ١٠/٦٧٣.

١٤- مُصْعَب الضَّبَّايّ:

روى عنه في ثلاثة مواضع ^(١).

١٥- شَبَّانَةُ الْأَعْرَابِيّ:

روى عنه في ثلاثة مواضع ^(٢).

١٦- أَبُو الْهَمَيْسَعِ الْأَعْرَابِيّ:

وهو من أعراب مَدْيَنَ، روى عنه أبو تراب في موضعين ^(٣).

وقال: «وكان أبو الهَمَيْسَعِ ذكر آتِه من أعراب مَدْيَنَ، وكنا لانكاد نفهم كلامه» ^(٤).

١٧- أَبُو الرَّبِيعِ الْبَكْرِيّ أَوْ الْبَكْرَاوِيّ:

روى عنه في موضعين ^(٥).

١٨- مُزَاحِمُ الْأَعْرَابِيّ:

روى عنه في موضعين ^(٦).

١٩- عُقْبَةُ السَّلْمِيّ:

روى عنه في موضعين ^(٧).

٢٠- الْبَاهِلِيّ:

(١) ينظر: التهذيب ٩/٢١٥، ١٠/٥٩٠، ١١/٣٣١.

(٢) ينظر: التهذيب ٨/٢٣٣، ١٢/١٩٤، ١٤/١٣٣.

(٣) ينظر: التهذيب ٣/٢٦٢، ١٢/٨٣.

(٤) التهذيب ٣/٢٦٢.

(٥) ينظر: التهذيب ١/٦٩، ١٠/٣٣٢.

(٦) ينظر: التهذيب ١٠/٢٨٠، ١١/٢٤٨.

(٧) ينظر: التهذيب ٦/٢١٤، ١٠/٨.

روى عنه في موضعين ^(١).

٢١- الجَعْفَرِيُّ:

روى عنه في موضعين ^(٢)، ولا أدري هل هو أبو الجَهْم أو مُدْرِكٌ أو أبو

السَّمِيدَع أو مُبْتَكِرٌ أو غيرهم؟

٢٢- مُدْرِكُ السَّلْمِيِّ:

روى عنه في موضع واحد ^(٣).

٢٣- مُبْتَكِرُ السَّلْمِيِّ:

روى عنه في موضع واحد ^(٤).

٢٤- رافع الأعرابي:

روى عنه في موضع واحد ^(٥).

٢٥- حُصَيْنُ السَّلْمِيِّ:

روى عنه أبو تراب في موضع واحد ^(٦).

٢٦- عُتَيْرُ بْنُ غَرْزَةَ الْأَسَدِيِّ:

روى عنه في موضع واحد ^(٧).

٢٧- عُثْمَانُ الْجَعْفَرِيُّ:

(١) ينظر: التهذيب ٥٠٦/٧، ٢٧/٨.

(٢) ينظر: التهذيب ١٥٩/٦، ٨٦/٧.

(٣) ينظر: التهذيب ٣٠/٩.

(٤) ينظر: التهذيب ٣٢/٩.

(٥) ينظر: التهذيب ٨٠/٧.

(٦) ينظر: التهذيب ٣٨/٨.

(٧) ينظر: التهذيب ٢٦٣/٣.

روى عنه في موضع واحد ^(١).

٢٨- أبو الخَيْهَفَعَى التَّمِيمِيّ:

روى عنه في موضع واحد ^(٢).

٢٩- سُلَيْمَان الْكَلَابِيّ:

روى عنه في موضع واحد ^(٣).

٣٠- زائدة القيسيّ:

روى عنه في موضع واحد ^(٤).

٣١- فُلان بن عبد الله التَّمِيمِيّ:

روى عنه في موضع واحد ^(٥).

(٣٢) سَلْمَان بن الْمُغِيرَةِ :

في موضع واحد ^(٦).

ويلحق هؤلاء جملة من الأعراب الرّواة، ممّا أجمله أبو تراب، أو أجملته المصادر الّتي نقلت عن كتابه « الاعتقاب » ولا نكاد نعرف عن هؤلاء شيئاً سوى أنّهم من الأعراب، أو من بعض القبائل، يشير إليهم بإشارات مجملة، كقوله:

سمعت أعرابياً من بني سليم

(١) ينظر: التّهذيب ٣٠٢/٢.

(٢) ينظر: التّهذيب ٢٦٣/٣.

(٣) ينظر: التّهذيب ١٦٩/٨.

(٤) ينظر: التّهذيب ١١٩/٧.

(٥) ينظر: التّهذيب ١٩٣/٣.

(٦) ينظر: التّهذيب ٢٠١/١٢.

أو سمعت أعرابياً من أشجع
أو سمعت أعرابياً من بني تميم
أو سمعت بعض بني سليم
أو سمعت العبسيين
أو سمعت الجعفريين
أو سمعت جماعة من أعراب قيس
أو قال أعرابي من بني عامر
أو قال رجل من بلحارث بن كعب
أو قال بعض بني أسد
أو قال بعض الكلابيين
أو أنشدني جماعة من فصحاء قيس وأهل الصدق منهم.

الفصل الثالث: شواهد

تقدم أن أبا تراب التقى جماعةً من الأعراب من رواة اللّغة والشّعر من الذين استُقدّموا إلى نيسابور في خراسان مطلع القرن الثالث إيّان ظهور الطّاهريّين، وأنّه لازمهم زمناً طويلاً، وسمع منهم فوائد جمّة أودعها كتابه «الاعتقاب»

ويبدو أنّ ذلك انعكس على شواهد؛ فطغى استشهاداه بالشّعر على غيره من الشّواهد كالقرآن، والحديث التّبويّ، فلا نكاد نجد له من شواهد القرآن إلا الشّاهد أو الشّاهدين؛ في كلّ التّصوص الّتي جمعت ^(١).

وليس الحديث بأوفر من ذلك فهو نادر — أيضاً — في نصوص كتاب «الاعتقاب» الّتي جمعتها، وقد وجدته يستشهد به على اعتقاب بعض الحروف في ثلاثة مواضع فحسب، أحدها أنّه روى عن رسول الله — صلّى الله عليه وسلّم — أنّه قال لعمّار: «ويحك يا ابن سُميّة بؤساً لك، تقتلك الفئة الباغية» ^(٢).

والثّاني روايته لحديث التّبي — صلّى الله عليه وسلّم — وهو قوله لعائشة — رضي الله عنها — ليلة تبعته وقد خرج من حجرّمها، فنظر إلى سوادها فلحقها، وهي في جوف حجرّمها فوجد لها نفساً عالياً، فقال: ويسها، ماذا لقيت اللّيلة ^(٣)؟

(١) ينظر: الفقرة رقم (٣٦٤).

(٢) ينظر الفقرة رقم (٧٧) من القسم الثّاني.

(٣) ينظر الفقرة رقم (٧٧) من القسم الثّاني.

والثالث روايته لحديث النبي - صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ أَبَدَّ يَدَهُ عَلَى الْأَرْضِ عِنْدَ انْكَشَافِ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ حَنْينَ فَأَخَذَ مِنْهَا قَبْضَةً مِنْ تَرَابٍ فَحَذَا بِهَا فِي وَجُوهِهِمْ^(١).

وروى أثراً واحداً عن ابن عباس - رضي الله عنه - استشهد به على معنى الفعل «فَرَعَ»^(٢).

أما الشعر فكان هو الغالب في شواهد أبي تراب للسبب الذي ذكرته آنفاً، فعلى الرغم من أن الكتاب لا يزال مفقوداً، وأن النصوص التي وردت في بعض المعاجم كالتهذيب ركّز أصحابها - في الغالب - على نصّ التعاقب (الإبدال) اختصاراً للشواهد أو اكتفاء بورودها في مواضع أخرى.

وعلى الرغم من ذلك فإنّ في النصوص المجموعة قدراً طيباً من الشواهد الشعرية، وهذا كله يسمح لنا بالقول: إنّ «الاعتقاب» لأبي تراب كان من المصادر اللغوية الغزيرة بالشعر؛ التي أفادت منها المصنّفات اللغوية، وعلى رأسها المعاجم.

ولمن استشهد أبو تراب بشعرهم: لبّيد، وجران العوّد، وسعد بن المنتحر البارقيّ، ورؤبة، وعديّ بن عليّ الغاضريّ، وعليّ بن شيبّة العطفانيّ، وعديّ بن زيد، والمخروّع السّعديّ، وذو الرّئمة، وأبو محضّة، والأخطل، وحاجز بن الجعيد الأزديّ، ورويشد الطائيّ، والأغلب العجليّ، وجزء بن الحارث، وأوس بن حجر، والأفوه الأوديّ، وأبو الصّامت الجشميّ، والكُميت ابن زيد، والجهم الجعديّ، وأمّ البهلُول.

(١) ينظر الفقرة رقم (٤٩).

(٢) ينظر الفقرة رقم (٢٣٨) من القسم الثاني.

وبعض هؤلاء الشعراء هم من غير المشهورين، وهم من شعراء الأعراب
الذين التقاهم أبو تراب في خراسان، أو من رواة الشعر منهم.
وقد يروي عنهم أبو تراب ولا يذكر اسم الشاعر أو الراوي، كقوله:
« أنشدني جماعة من فصحاء قيس وأهل الصدق منهم»^(١).

(١) ينظر : التهذيب ٥٧١/١٥، واللسان (نون) ٤٢٩/١٣ . .

الفصل الرابع قيمة الكتاب العلمية وأثره

يُعَدُّ كتاب « الاعتقاب » من المصادر اللُّغويَّة القديمة المتخصَّصة في التعاقب (الإبدال اللُّغوي) الَّتِي وجدت مادَّتها طريقها إلى بعض المعاجم الكبيرة، وقد أفاد منه من اطلع عليه، وأثنى عليه من خبره وعرف قيمته، كالأزهري الَّذي رفع من قدره، وعدَّه في المصنِّفات اللُّغويَّة المعتمدة الموثقة، ومدحه بجلَّتَيْن: إحداهما: خلَّوَه من التَّصحيف والتَّحريف.

والأخرى: بَعْدُ مؤلِّفه عن المجازفة فيما أودعه في نصوصه. وفي ذلك يقول حين ذكر مؤلِّفه أبا تراب: « وقد قرأت كتابه، فاستحسنته، ولم أره مُجازفاً فيما أودعه، ولا مُصحفاً في الَّذي أَلَفه »^(١). ومما يرفع من قيمة الكتاب أَنَّهُ كبير^(٢)، غزير المادَّة الَّتِي أخذها عن علماء عصره، كشمر، وأبي سعيد الضَّرير، وملازمته إِيَّاهما سنين عدَّة، وسماعه منهما كتباً جَمَّة، سوى ما سمع من الأعراب الفصحاء لفظاً، وحفظه عن أفواههم خطاباً^(٣).

ولكتاب « الاعتقاب » نصيب من الأثر في مصنِّفات اللُّغويين الَّذين جاءوا بعده، الَّتِي نقل أصحابها عنه منذ أواخر القرن الثالث، فقد وَجَدَتْ نصوصُ اللُّغويَّة طريقها إلى مصنِّفات كثير من اللُّغويين، وبخاصَّة الأزهري في التهذيب، كما سيأتي، ومن هؤلاء من صرَّح باسم أبي تراب أو كتابه، ومنهم

(١) التهذيب ٢٦/١.

(٢) ينظر: إنباه الرِّوَاة ١٠٢/٤.

(٣) التهذيب ١٤٥/٢.

من لم يصرّح بشيء من ذلك إلا في التادر، تمشياً مع منهجه في الاختصار، كما فعل الصّاحب بن عبّاد في « المحيط في اللّغة ».

ولما تعذّر القطع بأثر « الاعتقاب » في نصوص لم يصرّح أصحابها بالنقل عنه أو عن مؤلفه فقد اكتفيت بتتبع أثره في مصنّفات وجدت فيها تصرّيحاً بذلك، وربّتها زمنياً، وهي:

١- « التّكملة » لأبي حامد الخارزنجي البُشتيّ (٣٤٨هـ)

وهو تكملة لكتاب العين للخليل، ويتعذّر أن نعرف — على وجه الدقّة — مقدار الأثر الذي كان لأبي تراب في هذا الكتاب، لأنّه مفقود، فيبقى لنا تلمس ذلك من خلال ما نقل عن « التّكملة » من نصوص، وهي قليلة، ومن ذلك ما أورده الأزهري^(١) من مقدّمة كتاب « التّكملة » هذا، وفيها ذكر لأبي تراب، وإشارة إلى اعتماده مصدراً من مصادره، وروى الصّاحب بن عبّاد نصاً عنه عن أبي تراب، وهو في الإبدال والتعاقب، قال الصّاحب: « الخارزنجي عن أبي تراب: حَمَظُهُ وَحَمَزَةٌ: بمعنى واحد، أي: عصره »^(٢).

ونقل عنه شاهداً من الشّعر، أورده الأزهري^(٣)، والقفطي^(٤).

٢- « الإبدال » لأبي الطّيب اللّغوي (٣٥١هـ)

نقل عن أبي تراب في موضعين^(٥)، هما في كتاب الاعتقاب، كما يأتي في القسم الثّاني.

(١) ينظر: التّهذيب ٣٢/١ - ٣٤.

(٢) المحيط في اللّغة ٦٤/٣.

(٣) ينظر: التّهذيب ٣٤/١.

(٤) ينظر: إنباه الرّواة ١٤٦/١.

(٥) ينظر: الإبدال ٢٧٥/٢، ٢٧٨.

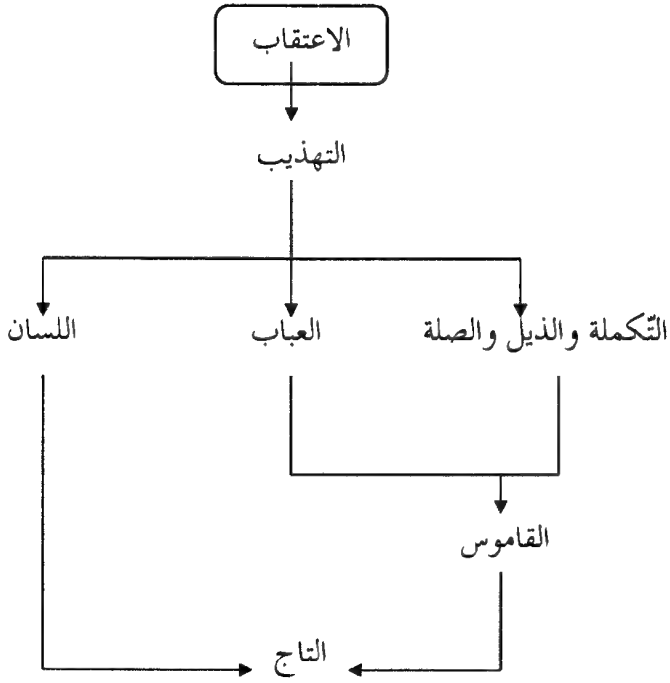
ولعله نقل عنه في غير هذين الموضعين دون أن يشير إليه.

٣- «تهذيب اللغة» للأزهري (٣٧٠هـ)

اطّلع الأزهريّ على كتاب «الاعتقاب» فأعجب بمادّته، ودقة مؤلفه، وبعده عن التصحيف فأفرغ أكثر الكتاب في معجمه، وفرّقَه على موادّه، وقال في مقدّمته: «وما وقع في كتابي لأبي تراب، فهو من هذا الكتاب»^(١).

وهذا العمل حفظ لنا الأزهريّ جُلّ الكتاب، وعن طريقه وصلت مواد «الاعتقاب» إلى كثير من معاجم اللغة، كـ «التكملة» و «العباب» للصّغانيّ، و «اللسان» لابن منظور، و «القاموس» للفيروزآباديّ، و «التاج» للزبيديّ، كما يتّضح من الرّسم البيانيّ التّالي:

(١) التهذيب ٢٦/١.



وقد بلغت التّصوص الّتي نقلها الأزهريّ عن «الاعتقاب» ونصّ عليها
أكثر من ستين وثلاثمائة نصّ، كما يظهر من القسم الثّاني من هذه الدراسة،
ويظهر — من الإحالات الّتي أوردتها عند الحديث عن اسمه والاضطراب فيه.

٤- «الحيط في اللغة» للصاحب بن عباد (٣٨٥هـ).

فيه نصّان لأبي تراب أحدهما من نصوص التعاقب وهو الذي رواه
الصاحب عن شيخه البشقي الخارزنجي^(١)، وأشرت إليه فيما سبق، والآخر رواه
الصاحب - فيما يظهر - عن أبي تراب^(٢)، ولا أدري هل أطلع على كتاب
أبي تراب أو لا، ولا أدري هل هذا النصّ من كتاب «الاعتقاب» أو من
«الاستدراك» لأنّ المادة ليست من مواد التعاقب (الإبدال)

ولعلّ الصاحب أفاد من كتاب الاعتقاب في مواضع أخرى ولكننا لم
نتبينها بسبب منهجه القائم على الاختصار الذي قاده إلى حذف مصادره.

٥- «الصحاح» للجوهريّ (٣٩٢هـ).

نقل عن كتاب «الاعتقاب» في ثلاثة مواضع^(٣)، وذكر اسم الكتاب
نصاً^(٤) في أحدها.

٦- «فقه اللغة وسرّ العربية» للثعالبيّ (٤٢٩هـ)

فيه ثلاثة نصوص منقولة عن أبي تراب^(٥).

٧- «الفائق في غريب الحديث» للزّنجشيريّ (٥٨٣هـ).

نقل عن أبي تراب في سبعة مواضع^(٦)، كلّها من الاعتقاب، ويبدو أنّه

(١) ينظر: الحيط ٦٤/٣.

(٢) ينظر: الحيط ٣١/٣.

(٣) ينظر: الصحاح (هرر) ٨٥٤/٢، (حرف) ١٣٤٣/٤، (كمل) ١٨١٣/٥.

(٤) ينظر: الصحاح (حرف) ١٣٤٣/٤.

(٥) ينظر: فقه اللغة وسرّ العربية ٤٨، ٥٢، ٣١٦.

(٦) ينظر: الفائق ٢٧/١، ٧/٢، ٤٦، ١٥٤، ٤١٦، ٣٤٧/٣، ١٣/٤.

أخذها من كتاب «الاعتقاب» بغير واسطة ، أو نقلها عن غير التهذيب ^(١) ، فبعض النصوص التي أوردها ليست في التهذيب ، أو هي فيه لكنها ليست منقولة عن أبي تراب ^(٢) .

٨- «العباب» للصّغانيّ (٦٥٠هـ)

فيه نصوص كثيرة ^(٣) عن أبي تراب من كتاب «الاعتقاب» ولعلها مأخوذة من التهذيب للأزهريّ، لأنه يسمّيه أبا تراب تارة، وابن الفرج تارة أخرى.

٩- «التكملة والذيل والصّلة» للصّغانيّ (٦٥٠هـ)

نقل فيه الصّغانيّ عن أبي تراب في مواضع متعدّدة ^(٤) ، ولعله — أيضاً — ينقل عن الأزهريّ؛ لأنه يسمّي صاحب الاعتقاب بالأسماء الثلاثة التي وردت في التهذيب.

(١) ينظر: التهذيب ٧/٢.

(٢) ينظر: التهذيب ٤١٦/٢، والذي في التهذيب ٣١٨/٣ عن أبي حاتم عن أبي عمرو .

(٣) ينظر: العباب (حرف الهزة) ١١٠ (لفأ)، وحرف الغين ٣٤ (دوغ)، ٧٦ (مشغ)، ٨٢ (نشغ) وحرف الفاء ٣٧ (أنف)، ٢٨٧ (سلخف)، ٢٨٧ (سلغف)، ٢٩٣ (شنغف)، ٣١٩ (شرهف)، ٣٣٠ (شلخف)، ٣٣٠ (سلغف)، ٣٣١ (شلغف)، ٤٤٧ (غف) ٤٨٢ (غلف)، ٦١٠ (يغف)، ٦٣٢ (وضف)، ٦٥٩ (هلفغ).

(٤) ينظر: التكملة ٤٨/١ (لفأ)، ٥٠ (مطأ)، ٢١٤ (عطب)، ٣٤٢ (نثت)، ١٣/٢ (نعجج)، ١٤٦ (ريخ)، ١٢٧/٣ (عمر)، ٢١٩ (نغر)، ٢٢٧ (وهر)، ٣٨١ (طهس)، ٣٨٢ (عبس)، ٤٥٦ (نبش)، ٥٠٠ (فنش)، ٥١٧ (ندش)، ٤٣/٤ (معض)، ٩٩ (نوض)، ١٩٢ (بنط)، ١٩٨ (شطظ)، ٢٢٧ (حجلجع)، ٢٤٤ (خهقع)، ٣٢٨ (قزع)، ٣٣٠ (قطع)، ٣٤٢ (كبع)، ٣٤٨ (كمع)، ٣٦٧ (نصع)، ٤٢٥ (مشغ)، ٤٣٨ (أنف)، ٤١٥/٥ (صمل)، ٥٠٣ (كعظّل)، ١٤٠/٦ (كمم)، ٢٧٥ (غسن).

١٠- «لسان العرب» لابن منظور (٧١١هـ).

وصلت إليه نصوص «الاعتقاب» عن طريق التهذيب، وفيه منها الكثير^(١)، وفي «اللسان» أيضاً اضطراب في اسم أبي تراب، على النحو الذي تقدم ذكره،

- (١) ينظر: اللسان ٩٥/١ (سطاء)، ١٥٣ (لكأ)، ١٥٧ (مطاء)، ٤٥٠ (زعب)، ٥٢٥ (صغب)، ٥٨٧ (عرب)، ٦٧٠ (قرطب)، ٢٥/٢ (حلت)، ٤٢ (سحت)، ٨٣ (لحت)، ١٠٥ (هلت)، ١٨٩ (مشت)، ٢٣٢ (حدج)، ٢٩٩ (سليج)، ٣٧١ (نيج)، ٣٩٣ (هليج)، ٤٥٠ (رضع)، ٣٩٠ (سمج)، ٥٤٩ (فلطج)، ٥٥٧ (قدح)، ٥٦٨ (قيح)، ٦١٨ (نضج)، ٦٣٩ (ويج)، ٥٤/٣ (مرخ)، ٢٦٤ (سمج)، ٥٤٩ (فلطج)، ٥٥٧ (قدح)، ٥٦٨ (قيح)، ٦١٨ (نضج)، ٦٣٩ (ويج)، ٥٤/٣ (مرخ)، ٢٦٤ (صدد)، ٢٦٦ (ضهد)، ٢٩٨ (عقد)، ٤٠٢ (مرد)، ٤١٠ (ملد)، ٥٠١ (غذذ)، ٤٨٠/٤ (صير)، ٦١١ (عنقر)، ١٣٣/٥ (كثر)، ١٣٥ (كدر)، ٢٣٦ (نمر)، ٨٥/٦ (دغس)، ١٢٧ (طهس)، ١٢٧ (طوس)، ١٢٩ (عبس)، ٢١٧ (مرجس)، ٢٣١ (نشش)، ٢٧١ (جحش)، ٢٧٦ (جنش)، ٢٨٥ (حشش)، ٣٠٦ (رمش)، ٣٢٤ (غطش)، ٣٤١ (كشش)، ٢٨٥ (حشش)، ٣٠٦ (رمش)، ٣٢٤ (غطش)، ٣٤١ (كشش)، ٣٥٠ (نبش)، ٣٥٢ (نخش)، ٣٥٢ (نشش)، ٣٥٨ (نقش)، ٣٧٣ (وقش)، ١٧/٧ (حقص)، ٠٣٧ (دلص)، ٦٧ (فصص)، ١٢٢ (مضض)، ١٣٦ (حضض)، ١٦٢ (رمض)، ١٩٩ (غضض)، ٢٤٨ (هضض)، ٢٦٦ (هط)، ٣٢٠ (سقط)، ٣٣٧ (شمعط)، ٤٤٦ (شنط)، ٤٠/٨ (حجلجع)، ٥٠ (جمع)، ٥٢ (جليع)، ٨١ (خهفيع)، ١١٨ (رجع)، ٢٧١ (قرع)، ٣٦٤ (نكع)، ٤٥٠ (مشغ)، ١٩/٩ (توف)، ٩٦ (درق)، ١٨٣ (شلخف)، ١٨٣ (شالغف)، ١٨٤ (شنغف)، ٣١٥ (لحف)، ٩٦/١٠ (درنق)، ١٤٤ (زلق)، ١٧٣ (شذق)، ٢٠٤ (صفق)، ٢٠٧ (صق)، ٢٣٩ (عذق)، ٢٩٥ (غحق)، ٤٦٣ (ضرك)، ٧٩/١١ (تلل)، ٨٠ (تبيل)، ١٥٣ (حسكل)، ١٦٠ (حقل)، ٣١٢ (زيجل)، ٣٧٠ (شمل)، ٣٨١ (صقل)، ٣٨٥ (عثم)، ٤٠٠ (طربل)، ٥٥٥ (قرقل)، ٥٨٨ (كعطل)، ٦٢٤ (مصل)،

وقد لاحظت عند مقابلة نصوص التهذيب باللسان أن ابن منظور قد يسقط اسم أبي تراب ، ويكتفي بذكر من روى عنه أبو تراب، أو يكتفي بذكر المادة اللغوية التي فيها التعاقب، وهو نوع من الاختصار.

١١- «وفاق المفهوم في اختلاف المقول والمرسوم» لابن مالك (٦٧٢هـ)

وهو كتاب في التعاقب (الإبدال) وفيه نقل عن أبي تراب في موضعين^(١) أحدهما عن طريق الأزهرى، ويبدو أن ابن مالك لم يطلع على كتاب «الاعتقاب» ولو اطلع عليه لأكثر من الثقل عنه؛ لأن موضوع كتابيهما واحد، وهو التعاقب.

١٢- «تاج العروس» للزبيدي (١٢٠٥هـ)

٦٦٢ (نشل)، ٦٨٨ (هيركل)، ٦٩٤ (هرجل)، ٦٩٨ (هضل)، ١٤٠/١٢ (حظم)،
٢٠٩ (دمم)، ٢٤١ (رسم)، ٢٥٧ (رغم)، ٣٢٥ (شلم)، ٣٧١ (طمم)، ٤٤٧ (فأم)،
٤٨٤ (قشم)، ٦٠٥ (هلم)، ٦١١ (هزم)، ٨/١٣ (أحن)، ٨٨ (جزن)، ١٦٠ (دفن)،
٢٧٧ (عثن)، ٢٨١ (عذن)، ٢٨٥ (عسن)، ٣١٣ (غسن)، ٣٢١ (فدن)، ٣٧٦ (فلن)،
٣٢٤ (لبن)، ٤٠٨ (مشن)، ٤٢٩ (نون)، ١٧٢/١٤ (حذذ)، ٤٢٩ (شرى)،
١٠٤/١٥ (عنا)، ١٤٠ (غذى)، ٣٧١ (هوا).

(١) ينظر: وفاق المفهوم ١٤٦، ٢١٠.

وصلت إليه نصوص « الاعتقاب » عن طريق « القاموس المحيط » و « اللسان » و أكثرها كان عن طريق هذا الأخير؛ ولهذا يمكن القول: إن أكثر ما في « اللسان » من نصوص « الاعتقاب » هو في « التاج » أيضاً ^(١).
هذا أثر « الاعتقاب » لأبي تراب في المادة اللغوية، أي من خلال التصوص اللغوية المنقولة عنه.



ونمة أثر له في المنهج، فقد كان أبو تراب يروي أحياناً عن علماء لم يدركهم كاخليل وأبي عمرو بن العلاء، فتابعه على ذلك الخارزنجي البشتي واحتج بصنيعه، وفي ذلك يقول الخارزنجي في مقدمة كتابه « التكملة »: « ولعل بعض الناس يتبغي العنت بتهجينه والقدح فيه، لأنني أسندت ما فيه إلى هؤلاء العلماء من غير سماع... وإنما إخباري عنهم إخبار عن صحفهم، وقد فعل مثل ذلك أبو تراب صاحب كتاب الاعتقاب، فأثّر روى عن الخليل بن أحمد، و أبي عمرو بن العلاء والكسائي، وبينه وبين هؤلاء فترة » ^(٢).
أما المنهج في الترتيب فإثني لا أستبعد أن يكون أبو الطيب اللغوي قد تأثر بمنهج أبي تراب في ترتيب الأبواب، وقد أشرت إلى هذا فيما تقدّم.

(١) ينظر على سبيل المثال وليس الحصر: التاج ٨٠/١ (شقا)، ١١٨ (مطأ)، ٥٩٢ (نقت)، ١٠٣/٢ (نيج)، ٤٩٩/٣ (مرد)، ٥١٦ (كثر)، ٣٩٥/٤ (دلس)، ٤١٦ (نصص)، ٥/٣٢٥ (خثفع)، ٤٠/٧ (غهب)، ٣٢٣ (دقل)، ٣٨٩/٨ (عثم)، ٢٧٦/٩ (عذن).
(٢) ينظر: إنباه الرّواة ١٤٤/١.

القسم الثاني

نصوص من كتاب «الاعتقاب»

«جمع وترتيب»

توطئة: في ترتيب النصوص المجموعة

تقدّم في دراسة الكتاب أنّ أبا تراب جعل كتابه موبّأً على الحروف، لكل حرفين متعاقبين باب، غير أنّ النصوص المتفرقة في المعاجم، وعلى رأسها « تهذيب اللغة » للأزهري لا تسعف في التعرف على نظام الكتاب في ترتيب الأبواب، والراجح أنّها لم تكن مرتبة، كما تقدّم ذكره في الدراسة.

وقد رأيت أنّ أرتّب ما جمعته من مادّة الكتاب على حروف الهجاء، بحسب أبوابها مقدّماً أسبق الحرفين في الهجاء ثمّ أجعل الترتيب له، فمثلاً: مدهمس ومدغمس، التبادل فيهما بين الهاء والغين، والغين أسبق من الهاء في الهجاء، فيكونان في باب الغين والهاء، ويكون « اختزع واختزل » في باب العين واللام، و « حلّته وحلّته » في باب الهمزة والتاء، و « الجرماق والجلماق » في باب الراء واللام، و « هرهرت الشّيء وفرفرته » في باب الفاء والهاء، وهكذا.

وإذا تساوى بابان أو أكثر في الحرف الأوّل قدّمت الأسبق من الحرفين الثّانين، نحو أبواب: (الباء والتّاء) و (الباء والثّاء) و (الباء والحاء) و (الباء والدّال) وهكذا في جميع الأبواب ^(١)، وهي الطّريقة التي سار عليها أبو الطّيب

(١) قد يشكّل على القارئ أنّ صاحب الكتاب - فيما ورد فيه ذكر لأسماء الأبواب وهو قليل جداً - قد يقدم في التسمية الحرف المتأخّر على الحرف المتقدّم، كما جاء في قول الأزهري فيما نقله عن أبي تراب: « جاء به في باب الظّاء والزّاي » (التهذيب ٤/٤٦١) لم يقل: الزّاي والظّاء و « قال ابن الفرج في باب الميم والباء » (التهذيب ١١/٢٤٤) ولم يقل: الباء والميم .

و « قد طلبته في باب العين والحاء لأبي تراب... » (التهذيب ٤/١١٠) لم يقل: الحاء والعين.

ونحو ذلك، فهل عليّ أن التزم في هذه الأبواب خاصة بهذا الترتيب بين الحرفين وهذه التسمية، أو لا ألتزم بذلك؟

اللّغويّ في كتابه « الإبدال » وليس بعيداً أن يكون قد اطلع على ترتيب أبي تراب وتأثر به، وقد وجدته ينقل عنه بعض التّصوص، كما تقدّم في الحديث عن أثر أبي تراب في غيره.

ثمّ رتبّ المادّة في كلّ باب بحسب أسبق الكلمتين المتعاقبتين في التّرتيب الهجائيّ الأبجديّ سواء كانت الكلمة الأولى أو الثّانية، فمثلاً «داك الرجل المرأة

=

ولقد رأيت ألا ألّتزم بذلك للأسباب التالية:

أولاً: أن الالتزام به يؤدّي إلى خلل كبير في التّرتيب الذي وضعته للأبواب.

ثانياً: أن أبا تراب نفسه - فيما نقل عنه - لم يلتزم به في المواد القليلة التي ورد فيها إشارة إلى تسمية الباب، فهو قد يقدم الحرف الأسبق من الحرفين، كما جاء في قول الأزهرري مثلاً: « ذكره في باب اعتقاب الباء والدّال » (التّهذيب ٢١٠/١٦) و « قال أبو تراب في باب التّاء والميم » (التّهذيب ٢٥٩).

و « ذكره في باب الجيم والحاء » (التّهذيب ٨/١١).

و « رواه ابن الفرج في باب الصّاد والفاء » (التّهذيب ٥٧٣/١٥).

و « نظرت في باب ما تعاقب من حرفي الصاد والطاء » (التّهذيب ٢٩٥/١١).

وهكذا، وهو يوافق المنهج الذي وضعته للأبواب في مادة الكتاب المجموعة.

ثالثاً: أنني وجدت الأزهرريّ يقول: « أبو تراب... ومثله مما تعاقب فيه الدّال والباء »

(التّهذب ٧٠/١٤) في حين يقول ابن منظور: « ومثله مما تعاقب فيه الباء والدال » فقدم

الباء .

رابعاً: أنني تأملت المادة المجموعة كاملة مما نص فيها على الأبواب وهو قليل، ومما لم ينص عليه

وهو الكثير، وتأملت الكلمات المتعاقبة وكيفية ترتيبها، فتبين لي أنه ليس ثمة طريقة ثابتة

لترتيب الأبواب والمواد ولعلّ جهد المؤلّف - رحمه الله - كان منصباً على تعاقب

الحرفين في الباب فحسب.

وباكها» أسبق في الترتيب من «حدجه بالعصا حدجاً، وحججه بها حيجاً» لأن «باكها» هي الأسبق، فقدّم النصّ الأوّل بها.

ومثل هذا أرجو أن يكون الترتيب محكماً في الأبواب، وفي المواد داخل كل باب، وما من بأس إن كان ثمة ألفاظ من المادة المجموعة من كتاب الاعتقَاب لا يتضح فيها الإبدال أو الاعتقَاب بمعناه التّاضح الذي تبلور عند بعض علماء العربية الذين يشترطون فيه حروفاً محدّدة يسمونها حروف الإبدال، ويشترطون فيه اتحاد الدلالة بين الكلمتين، وهذا أمر مهم نبّهت عليه في الدراسة، وذكرت أن أبا تراب يتّسع في جمع المادة وينزع إلى الاستفاضة في جمع الأشباه والتّظائر، ويستطرد أحياناً.

وثمة مواد قليلة جاء الاعتقَاب فيها في ثلاثة أحرف من ثلاث كلمات نحو «جيس وعيس ولبس» و «احتفد واحتمد واحتفل» ولمثل هذا باب خاص، يشار فيه إلى الأحرف الثلاثة المتعاقبة، فيكون النصّ الأوّل المشار إليه في باب «الجيم والعين واللام» ويكون الثاني في باب: «الدّال واللام والميم».

وربّما جاء الاعتقَاب في حروف مختلفة في كلمتين أو ثلاثة، مثل «مرط فلان فلاناً وهرده» فالاعتقَاب بين أربعة أحرف في كلمتين الميم والهاء من ناحية والطّاء والدّال من ناحية أخرى.

ونحو «بَضَعُهُ وَكَنَعُهُ وَكَوَعُهُ» وهذا تعاقب بين حروف مختلفة في ثلاث كلمات، وهو ضرب من الاتّساع في مفهوم الإبدال أو الاعتقَاب عند أبي تراب.

وجعلت لهذا التّوع باباً يلمّ شتاته سميته «باب الاعتقَاب في حروف مختلفة» جاء في نهاية الأبواب الهجائيّة قبل الباب الأخير الذي جعلته لما روى عن أبي تراب، ثمّ لا يدخل في شيء من الأبواب السّابقة؛ لأنّ ما فيه ليس من الاعتقَاب إنّما هو من الفوائد اللّغوية المتفرّقة، واللّغات، وأقوال العلماء أو

الرواة، وأشعار الشعراء، ونحو ذلك، وسمّيته: «باب الفوائد والتّوادر» ولم أحذفه؛ لأنّه جزء من كتاب «الاعتقاب».

وفيما يلي ما توفّرت عليه من نصوص كتاب الاعتقاب لأبي ثراب مجموعاً، ومصنفاً في أبواب، ومرتباً على الحروف:

* * *

(باب اعتقاب الهمزة والتّاء)

١- «قال ابن الفرج: قال الكسائي: حلّته؛ أي: ضربته. قال: وغيره يقول: حلّته»^(١).

(باب اعتقاب الهمزة والعين)

٢- «قال أبو ثراب: قال أبو زيد: ذأته ذأتا، ودعّته دَعْنًا، وهو أشدُّ الحنق»^(٢).

٣- «قال ابن الفرج: قال الأصمعي: يُقال للقوم: ذروني أكتّع سقاءكم، وأكتّته؛ أي: أكل ما علاه من الدّسم»^(٣).

٤- «قال أبو ثراب: مضى هجّع من اللّيل وهزيع، بمغنى واحد»^(٤). قال: وقال ابن الأعرابي: هجّع غرّته وهجّأ: إذا سكّن. قال: وقال ابن شميل: هجّع جوع الرجل يهجع هجعاً، أي: انكسر جوعه، ولم يشبّع بعد. قال: وهجّأ فلان غرّته وهجّع غرّته، وهجّأ غرّته — أيضاً. قال: وأهجع غرّته وأهجّأه، إذا سكّن ضمّته.

(١) التهذيب ٤/٤٤١، وينظر: اللسان (حلت) ٢/٢٥.

(٢) التهذيب ٢/٢٦٢.

(٣) التهذيب ١/٣٠٥، وينظر التاج (كتّع) ٥/٤٩١.

(٤) ليس المراد في اعتقاب هذا الباب: هجيع وهزيع، وإنما هو في: هجع وهجّأ.

قال: وَهَجَعَ الْقَوْمُ تَهْجِيعًا، إِذَا نَوُّمُوا»^(١).

(باب اعتقاب الهمزة والغين)

٥- «قال أبو ثراب: سَمِعْتُ الْبَاهِلِيَّ يَقُولُ: يُقَالُ لَبِيْضَةِ الْقَمَلَةِ: صُعَابٌ

وَصُؤَابٌ»^(٢).

(باب اعتقاب الهمزة والميم)

٦- «رَوَى أَبُو ثَرَابٍ عَنْ شَمِرٍ: زَمَجَ بَيْنَ الْقَوْمِ، وَزَأَجَ؛ إِذَا

حَرَّشَ»^(٣).

(باب اعتقاب الهمزة والواو)

٧- «قَالَ أَبُو ثَرَابٍ^(٤) أَحْنَ عَلَيْهِ وَوَحِنَ مِنَ الْإِحْنَةِ»^(٥)

(باب اعتقاب الهمزة والألف اللينة)

٨- قَالَ «ابْنُ الْفَرَجِ: سَمِعْتُ الْبَاهِلِيَّ يَقُولُونَ^(٦): وَطَا الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ

وَوَطَّأَهَا، بِالْهَمْزِ؛ أَيْ: وَطِنَهَا»^(٧).

(١) التهذيب ١٢٩/١.

(٢) التهذيب ٢٧/٨، وينظر: اللسان (صغب) ٥٢٥/١، ووافق المفهوم ٢٠١.

(٣) التهذيب ٦٢٨/١٠، ويلاحظ تباعد مخرجي الميم والهمزة، وقد أشرت إلى ذلك في نقد النصوص من الدراسة.

(٤) في اللسان (أحن) ٨/١٣: «ابن الفرج...».

(٥) التهذيب ٢٥٧/٥، وينظر: الفائق ٢٧/١.

(٦) في اللسان (مطأ) ١٥٧/١: «تقول» ولعله تحريف.

(٧) التهذيب (مطأ) ١٥٧/١، وهذه المادة في التهذيب (٤٤/١٤) منقولة بنصها عن ابن

بزرج، وهي في التكملة (مطأ) ٥٠/١ عن ابن الفرج، وكذا في التاج (مطأ) ١١٨/١ مع

اختلاف يسير في المادة، فلعل ما في التهذيب سهو من بعض النساخ.

(باب اعتقاب الهمزة والياء)

٩- « قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ الْفَرَجِ ^(١) : قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : الْأَكَاسِمُ : اللَّمْعُ مِنَ التَّبْتِ الْمُتْرَاكِبَةِ . يُقَالُ : لَمْعَةٌ أَكْسُومٌ ؛ أَي : مُتْرَاكِمَةٌ ، وَأَنْشَدَ :
أَكَاسِمًا لَلطَّرْفِ فِيهَا مُتَسَعٌ
وَلِلْأَيْوَلِ الْإِيلِ الطَّبِّ فَنَعُ

وقال غيره: رَوْضَةٌ أَكْسُومٌ وَيَكْسُومٌ؛ أَي نَدِيَّةٌ كَثِيرَةٌ ، وَأَبُو يَكْسُومٍ مِنْ ذَلِكَ ^(٢) .

(باب اعتقاب الباء والتاء)

١٠- « أَبُو ثَرَابٍ : الْبَلَابِلُ وَالْتَّلَاتِلُ : الشَّدَائِدُ ^(٣) .
١١- « قَالَ أَبُو ثَرَابٍ : قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : رَجُلٌ تَنْبَلٌ وَتَنْتَلٌ ، إِذَا كَانَ قَصِيرًا ^(٤) .
قَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ : « وَرَوَاهُ أَبُو ثَرَابٍ فِي بَابِ الْبَاءِ وَالتَّاءِ مِنَ الْإِعْتِقَابِ ^(٥) .

(١) في بعض نسخ التهذيب (٨٥/١٠) : « أبو ثراب » بدل : وقال إسحاق بن الفرج .

(٢) التهذيب ٨٥/١٠ .

(٣) التهذيب ٢٥٢/١٤ ، وينظر : الإبدال لأبي الطيب ٥٧٥/٢ ، و اللسان (تلل) ٧٩/١١ .

(٤) التهذيب ٣٥٥/١٤ .

(٥) ينظر : اللسان (تنبل) ٨٠/١١ .

(باب اعتقاب الباء والثاء)

١٢- « روى أبو تراب للأصمعي: بَلَجَ بالشَّيْءِ، وَثَلَجَ به، بالباء والثاء، إذا فرح به، يَلَجُ بَلَجًا، وقد أبلجني وأثلجني؛ أي: سَرَّني»^(١).

(باب اعتقاب الباء والحاء)

١٣- « قال ابن الفرج: كان حَصِيسُ القومِ وَبَصِيسُهُمْ كذا؛ أي: عَدَدُهُمْ»^(٢).

١٤- « قال ابن الفرج: يقال احتَضَضَتِ نَفْسِي لِفُلَانٍ وَابْتَضَضْتُهَا؛ إذا اسْتَرْدَقَهَا»^(٣).

(باب اعتقاب الباء والحاء والتون)

١٥- « قال أبو تراب: كان حَصِيسُ القومِ وَبَصِيسُهُمْ وَنَصِيسُهُمْ كذا وكذا؛ أي: عَدَدُهُمْ، بالحاء والتون والباء »^(٤).

(١) التهذيب ٩٨/١١، ويلاحظ تباعد مخرجي الحاء والباء في الكلمتين، وقد أشرت إلى ذلك في نقد النصوص من الدراسة.

(٢) التهذيب ٤٠٢/٣، وينظر (باب اعتقاب الباء والحاء والتون)

(٣) التهذيب ٣٩٨/٣، وينظر: اللسان (حَضَض) ١٣٦/٧.

(٤) التهذيب ١١٧/١٢.

(باب اعتقاب الباء والذال)

- ١٦- « أبو تراب ^(١) : أَذَنُ الرَّجُلِ بِالْمَكَانِ إِدْنَانًا ، وَأَبْنُ إِنْسَانًا ، إِذَا أَقَامَ ، ومثله ثَمَّا يَعَاقِبُ فِيهِ الذَّالُ وَالْبَاءُ : انْبَرَى وَانْدَرَى ، بِمَعْنَى وَاحِدٍ » ^(٢) .
- ١٧- قال أبو عمرو : « ذَاكَ الرَّجُلُ الْمَرْأَةُ يَدُوكُهَا دَوْكًا ، وَبَاكُهَا بَوْكًا ، إِذَا جَامَعَهَا . وَأَنشُد :

فَذَاكَهَا دَوْكًا عَلَى الصَّرَاطِ

لَيْسَ كَدَوْكٍ زَوْجَهَا الْوَطْوَاطِ

- وقال أبو تراب : قال أبو الربيع البكراوي : ذَاكَ الْقَوْمُ إِذَا مَرَضُوا ، وَهُمْ فِي دَوْكَةٍ ؛ أَي : مَرَضٍ » ^(٣) .
- ١٨- « قال ابن الفرج : حَدَجَهُ بِالْعَصَا حَدَجًا وَحَبَجَهُ بِهَا حَبْحًا ؛ إِذَا ضَرَبَهُ بِهَا » ^(٤) .

(١) في اللسان (دنن) ١٦٠/١٣ : ابن الفرج .

(٢) التهذيب ٧٠/١٤ .

(٣) التهذيب ٣٣١/١٠ ، ٣٣٢ .

(٤) التهذيب ١٢٦/٤ ، وينظر : اللسان (حدج) ٢٣٢/٢ .

(باب اعتقاب الباء والذال)

١٩- « حكى أبو تراب ^(١) عن بعض بني سليم، يقال: تَذَقُّطُ الشيء تَذَقُّطاً، وَتَبَقُّطُهُ تَبَقُّطاً، إذا أَخَذْتَهُ قَلِيلاً قَلِيلاً، ذكره في باب: اعتقاب الباء والذال » ^(٢).

(باب اعتقاب الباء والسين)

٢٠- « قال ابن الفرج ^(٣): سمعت أبا المقدام السلمي يقول: تسَقَطَت الخبر وتَبَقُّطته؛ إذا أَخَذْتَهُ شيئاً بعد شيء قليلاً قليلاً » ^(٤).

(باب اعتقاب الباء والسين واللام)

٢١- « قال ابن الفرج: سمعتُ شُجَاعاً السلمي يقول: بَرَدٌ بَحْتُ وَسَحْتُ وَلَحْتُ؛ أي: صادق، مثل ساحة الدار وباحتها » ^(٥).

(باب اعتقاب الباء والشين)

٢٢- « روى أبو تراب، عن مُصْعَب الضَّبَّاي: امرأة شَنِطِيَانٌ بَنِطِيَانٌ، إذا كانت سَيِّئَةَ الْخُلُقِ صَخَّابَةً » ^(٦).

(١) في بعض نسخ التهذيب ٢١٠/١٦: « قال ابن الفرج ».

(٢) التهذيب ٢١٠/١٦.

(٣) وفي اللسان (سقط) ٣٢٠/٧: « عن أبي تراب ».

(٤) التهذيب ٣٩٣/٨، ويلاحظ تباعد مخرجي السين والباء في الكلمتين، وقد أشرت إلى ذلك في نقد النصوص من الدراسة.

(٥) التهذيب ٢٨٥/٤، وينظر: اللسان (سحت) ٤٢/٢.

(٦) التهذيب ٣٣١/١١، وينظر: اللسان (شنتظ) ٤٤٦/٧، والمادة في هذا النص أقرب إلى

الإتباع، ولكن أبا تراب يتوسع في مفهوم الاعتقاب.

(باب اعتقاب الباء والصّاد)

٢٣- « أبو سعيد: هي الشّصائبُ والشّصائصُ للشّدائد.

قال أبو تراب: وقال غيره: هي الشّصائبُ والشّطائبُ، للشّدائد»^(١).

(باب اعتقاب الباء والطّاء)

٢٤- « أبو تراب عن الحصين^(٢) يُقال: الحقّ بطيّتك وبِيتك؛ أي: بحاجتك»^(٣).

٢٥- « قال أبو تراب: العَطشُ والقَبشُ واحد»^(٤).

(باب اعتقاب الباء والعين)

٢٦- « أبو تراب عن زائدة: ما فيه بُلالة ولا عُلالة؛ أي: ما فيه بقيّة »^(٥).

(باب اعتقاب الباء والفاء)

٢٧- « قال أبو تراب: سمعت السّلمي يقول بَنَشَ الرَّجُلُ في الأمر وفَنَشَ، إذا استرخى فيه، وأنشد أبو الحسن:

إِنْ كُنْتَ غَيْرَ صَائِدِي فَنَبِّشْ^(٦)

(١) التهذيب ٢٩٧/١١، والاعتقاب في هذا الباب في كلمتي: الشّصائب والشّطائب، وأما

الاعتقاب في «الشّصائب» و «الشّصائص» فسيأتي في فقرة رقم (١٧٩).

(٢) لعله: الحصيني.

(٣) التهذيب ٥٤/١٤.

(٤) التهذيب ١٦٢/١٦، وينظر: اللسان (غطش) ٣٢٤/٦، والإبدال في هاتين الكلمتين بين

حرفين متباعدين، وقد أشرت إلى ذلك في نقد النصوص من الدّراسة.

(٥) التهذيب ٣٤٣/١٥.

(٦) ينظر اللسان (نبش) ٣٥٠/٦.

قال: ويروى: فَبَنَشْ، أي اقْعُدْ»^(١).

٢٨- « قال الأصمعي فيما يروي عنه أبو تراب: ضربه فجَعَبَهُ وجَعَفَهُ، إذا ضرب به الأرض. ويثقلُ فيقال جَعَبَهُ تَجْعِيًّا، أي صَرَعَهُ. قال: والمُتَجَعَّبُ المَيِّتُ - أيضاً»^(٢).

٢٩- «قال أبو تراب: قال الأصمعي: الشَّاسِبُ والشَّاسِفُ: الذي يَسِرَ عليه جُلْدُهُ. وقال لبيد:

أَيِّكَ أَمْ سَمَحَجٌ تَخَيَّرَهَا خَلَجٌ تَسَرَّى نَحَائِصًا شُسْبًا
وله:

تَتَّقِي الْأَرْضَ بِدَفٍّ شَاسِبٍ وضُلُوعٍ تَحْتَ زَوْرٍ قَدْ نَحَلَ»^(٣)
٣٠- «الأصمعي فيما روى له أبو تراب: شَطَفَ وشَطَبَ، إذا ذهب وتباعد، وأنشد:

أَحَانِ مِنْ جِيرَتِنَا خُفُوفُ وأَفْلَقَتْهُمْ نِيَّةٌ شَطُوفُ»^(٤)
(باب اعتقاب الباء والقاف)

٣١- «قال ابن الفرج: سمعت أبا المقدام السلمي يقول: هذه بَاحَةٌ الدار وقاحتها، ومثله طين لازِبٌ ولازِقٌ، وَبَيْئَةُ البئر ونَقِيشَتُهَا، وقد نَبَّثَ عن الأمر ونَقَّتْ»^(٥).

(١) التهذيب ١١/٣٧٧.

(٢) التهذيب ١/٣٨٨.

(٣) التهذيب ١١/٣٠٠.

(٤) التهذيب ١١/٣١٦.

(٥) التهذيب ٥/١٢٧، وزاد ابن منظور في اللسان (قيح) ٢/٥٦٨: «عاقبت القاف الباء»

(باب اعتقاب الباء واللام)

٣٢- « قال ابن الفرّج: قال السّلمي: بَرْدٌ بَحْتُ لَحْتُ؛ أي: برد صادق»^(١).

٣٣- « أبو تراب: قال الأصمعي: شَخَل فلانٌ ناقته وشَخَبَهَا؛ إذا حلبها»^(٢).

٣٤- « قال ابن الفرّج: الهَرَجِيْبُ والهَرَجِيْلُ: الصُّخَام من الإبل. وقال جِران العَوْد:

حَتَّى إِذَا مَتَعْتُ وَالشَّمْسُ حَامِيَةً مَدَّتْ سَوَالِفَهَا الصُّهْبُ الهَرَجِيْلُ
وقال رؤبة:

مِنْ كُلِّ قَرَوَاءٍ وَهَرَجَابٍ فُنُقٌ

وهو الضخم من كل شيء»^(٣)

٣٥- « قال ابن الفرّج: هو يَهْضِلُ بالكلام وبالشَّعرِ وَيَهْضِبُ به: إذا كان يَسْحَحُ سَحّاً، وأنشد:

كَأَنَّهِنَّ بِجَمَادِ الْأَجْبَالِ

وَقَدْ سَمِعْنَ صَوْتَ حَادٍ جَلْجَالَ

مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ عَلَيْهَا هَضَالُ

عَقْبَانُ دَجْنٍ وَمَرَاذِيحُ الْعَالِ

(١) التهذيب ٤/٤٤١، وينظر: اللسان (سحت) ٢/٤٢، و (لحت) ٢/٨٣.

(٢) التهذيب ٧/٨٤.

(٣) التهذيب ٦/٥١٣، وينظر: اللسان (هرجل) ١١/٦٩٤.

قال: قيل له: هَضَال؛ لَأَنَّهُ يَهْضِلُ عَلَيْهَا بِالشَّعْرِ إِذَا حَدَا»^(١).

(باب اعتقاب الباء والميم)

٣٦- « قال ابن الفرج في باب الميم والباء: المرجاس: حَجَرٌ يُرْمَى بِهِ فِي

الْبَيْتِ لِيُطَيَّبَ مَاءُهَا، وَيَفْتَحَ عُيُونُهَا، وَأُنْشَدَ:

إِذَا رَأَوْا كَرِيهَةً يَرْمُونَ بِ رَمِيكَ بِالْمَرْجَسِ فِي قَعْرِ الطَّوِيِّ

قال: ووجدت هذا الشعر في أشعار الأزد « بالبرجاس في قَعْرِ الطَّوِيِّ »

بالباء. والشعر لسعد ابن المنتحر البارقى، وهو جاهلي، رواه المؤرِّج له، وهو حَجَرٌ يُرْمَى بِهِ فِي الْبَيْتِ »^(٢).

٣٧- قال الأزهري: « أبو عبيد عن الفراء: جَرَدَبْتُ الطَّعَامَ، وَهُوَ أَنْ

يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الشَّيْءِ يَكُونُ بَيْنَ يَدَيْهِ [عَلَى] الْخَوَانِ كَيْ لَا يَتَنَاوَلَهُ غَيْرُهُ ...

وروى أبو تراب عن الفراء: جَرَدَبَ وَجَرَدَمَ بِالْمَعْنَى الَّذِي رَوَاهُ أَبُو عُبَيْدٍ

عنه. وأنشده الغنوي:

فَلَا تَجْعَلْ شِمَالَكَ جَرْدِيلاً

وَزَعَمَ أَنَّ مَعْنَاهُ أَنْ يَأْخُذَ الْكَسْرَةَ بِيَدِهِ الْيُسْرَى، وَيَأْكُلُ بِالْيُمْنَى فَإِذَا فَنِيَ

مَا بَيْنَ يَدَيْ الْقَوْمِ أَكَلَ مَا فِي يَدِهِ الْيُسْرَى »^(٣).

٣٨- « أبو عبيدة: رَجَبْتُ فَلَاناً بِقَوْلِ سَيِّ، وَرَجَمْتُهُ، بِمَعْنَى

صَكَّكَ. قال أبو تراب: وقال أبو العميش مثله »^(٤).

(١) التهذيب ٩٩/٦، وينظر: اللسان (هضل) ٦٩٨/١١.

(٢) التهذيب ٢٤٤/١١، وينظر: اللسان (مرجس) ٢١٧/٦.

(٣) التهذيب ٢٤٩/١١.

(٤) التهذيب ٥٤/١١.

٣٩- « قال ابن الفرّج حكاية عن بعض الأعراب، قال: السّباح والسّماح: يُبوت من أدم، وأنشد:

إذا كان المسارح كالسّماح» (١)

٤٠- قال أبو تراب: قال ابن شميل: خُذ الشّفرة فالتّب بها في لبة الجزور، والتّم بها بمعنى واحد، وقد لَتَمَ في لَبَتِها وَلَتَبَ بالشّفرة؛ إذا طَعَنَ فيها بها انتهى والله أعلم» (٢).

(باب اعتقاب الباء والنون)

٤١- « قال أبو تراب: الكُبوب والكُئوع: الذّلّ والخضوع» (٣).

(باب اعتقاب الباء والياء)

٤٢- روى أبو تراب عن أبي سعيد الضّرير أنّه قال: إنّما هو اللّباء الذي يجعل في قِداد الجَدْي، وجعله تصحيفاً من المَحْدَث.

وقال أبو سعيد: اللّبا يُحلبُ في قِداد، وهي جُلودُ صغار المغزى، ثمّ يملّ في الملة حتّى يبيّس ويجمد، ثمّ يخرج ويباع كأثّة الجن، فإذا أراد الأكل أكله قشاً عنه الإهاب الذي طُبِخَ فيه، وهو جلدُ السّخلة الذي جعل فيه.

قال أبو تراب: وقال غيره: هو اللّياء - بالياء - وهو من نبات اليمّن، ورُبّما نبت بالحجاز في الخصب، وهو في خلقة البصلة، وقدر الحمصة، وعليه قشور رقيق، إلى السّواد ما هو، يُقلَى ثمّ يُدلك بشيء خشن، كالمنح ونحوه؛

(١) التهذيب ٣٤٦/٤، وينظر: اللسان (سمح) ٤٩٠/٢.

(٢) التهذيب ٢٩٦/١٤.

(٣) التهذيب ٣٢٦/١.

فيخرج من قشرة؛ فيؤكل بحتاً ، ورُبَّمَا أَكَلَ بالعسل، وهو أبيض، ومنهم من لا يقبله»^(١).

(باب اعتقاب التاء والطاء)

٤٣- « قال أبو تراب: سمعت عراماً يقول ... وكذلك امرأة سَلْطَانَة وسَلْطَانَة^(٢) »

(باب اعتقاب التاء والفاء)

٤٤- « أبو تراب عن عَرَام: ظلّ لبطنه نَتِيتٌ وَنَفِيتٌ بمعنى واحد^(٣) »

(باب اعتقاب التاء والكاف)

٤٥- « روى ابن الفرّج عن أبي سعيد قال: العِترَة: ساق الشجرة. قال: وعِترَة النبي - صلى الله عليه وسلم - عبد المطلب وولده. قال: ومن أمثالهم: عادت لعِترها لميس ولِعِكرها؛ أي: أصلها^(٤).
٤٦- « أبو تراب: قال الأصمعي: لعن الله أَمَّا لتأت به، وَلَكَأت به، أي: رمت به، قال: وقال شمر: لتأت الرجل بالحجر إذا رميته به، وَلَتَأْتُهُ بَعِينِي لَتَأً إِذَا أَحَدَدْتَ إِلَيْهِ النَّظَرَ^(٥). »

(باب اعتقاب التاء والميم)

(١) التهذيب ٢٠٧/٩، وواضح أنه لا تعاقب بين اللفظين، فلكل منهما معنى ليس في الآخر، وقد أشرت إلى ذلك في نقد النصوص من الدراسة.

(٢) التهذيب ٢١٣/١، وسرد هذا النص في باب اعتقاب القاف والنون.

(٣) التهذيب ٢٥٤/١٤، وينظر: التكملة (نت) ٣٤٢/١.

(٤) التهذيب ٢٦٤/٢.

(٥) التهذيب ٣٢٢/١٤، وينظر: اللسان (لكأ) ١٥٣/١.

٤٧- « قال أبو تراب في باب التاء والميم: قال الأصمعيّ: تتق الرجل، إذا امتلأ غضباً، ومَتَّق، إذا أخذه شبه الفواق عند البكاء قبل أن يبكي. وقال: وكان أبو سعيد يقول في قولهم: أنا تَتَّق وأنت مَتَّق، أنت غضبان وأنا غضبان.

قال: وحكاها أبو الحسن عن أعرابي من بني عامر»^(١).

(باب اعتقاب التاء والذال)

٤٨- « قال أبو تراب: يقال: هو ذو ذُرْوَة من المال؛ أي ذو ثُرْوَة»^(٢).

٤٩- « قال أبو تراب^(٣): حَدَّثْتُ التُّرَابَ في وجوههم، وَحَثَوْتُهُ بمعنى واحد. قال: وفي حديث النبي - صَلَّى الله عليه وسلم - أنه أَبَدَّ يده على الأرض عند انكشاف المسلمين يوم حنين فأَخَذَ منها قبضة من تراب فحذا بها في وجوههم فما زال حَدُّهُمْ كليلًا، أي: حثًا»^(٤).

٥٠- قال الأزهرى: « روى أبو تراب للأصمعيّ أنه قال: رأيتُ القومَ مُدْعَابِينَ كَأَنَّهُمْ عُرْفُ ضِبْعَانِ، وَمُتْعَابِينَ بِمَعْنَاهُ، وهو أن يَتَلَوَّ بعضهم بعضاً. قلت^(٥): وهذا عندي مأخوذ من انثعب الماء وانذعب إذا سَالَ وَانْصَلَّ جَرَيَانُهُ فِي التَّهْنِ»^(٦).

(١) التهذيب ٢٥٩/٩.

(٢) الفائق ٧/٢.

(٣) في اللسان (حذا) ١٧٢/١٤: « عن ابن الفرج ».

(٤) التهذيب ٢٠٥/٥، ٢٠٦.

(٥) القائل: الأزهرى.

(٦) التهذيب ٣٢٣/٢.

(باب اعتقاب الثاء والسين)

٥١- « قال المفضل: كَسَحَ وَكَشَحَ بمعنى واحد. حكاه أبو تراب »^(١).

(باب اعتقاب الثاء والشين)

٥٢- « قال أبو تراب: سَمِعْتُ أَبَا مِخْجَنَ الصَّبَّائِي يَقُولُ: مُثُّ الْجُرْحِ وَمُثَّه؛ أَي: أَنْفٍ عَنْهُ غَشِيَتُهُ »^(٢).

(باب اعتقاب الثاء والفاء)

٥٣- قال ابن منظور: « ويقال للحديد اللَّيْنُ: أَيْفٌ وَأَيْثٌ، بالفاء والطاء، قال الأزهري^(٣): حكاه أبو تراب »^(٤).

٥٤- « قال أبو تراب: الثَّوَجُ: لغة في الفوج. وأنشد لجندل:

مِنَ الدَّبَا ذَا طَبَبِي أَثَايِجِ

ويروى: أَفَاوِجِ؛ أَي: فَوْجاً فَوْجاً »^(٥).

٥٥- « قال ابن الفرغ: يقال للعجوز عُفَّةٌ وَعُثَّةٌ. قال: والعُفَّةُ: سَمَكَةٌ

جَرْدَاءٌ بِيضَاءٌ صَغِيرَةٌ إِذَا طَبَخَتْ فِيهِ كَالْأُرْزِ فِي طَعْمِهَا »^(٦).

٥٦- « روى ابن الفرغ للأصمعي أنه قال: انقعث الجدار وانقعث ،

إذا سقط من أصله. وروى عنه - أيضاً - أنه قال: انقعث الحافر اقتعاثاً، إذا

(١) التهذيب ٩٣/٤.

(٢) التهذيب ٧٢/١٥ وينظر: اللسان (مثن) ١٨٩/٢.

(٣) ذكره الأزهري في التهذيب ٤٨٣/١٥ ولم يعزه لأحد. ولعله مما غيره التماسخ.

(٤) اللسان (أنف) ١٥/٩، وهو في العباب (أنف) ٣٧ عن أبي تراب أيضاً.

(٥) التهذيب ١٧٠/١١.

(٦) التهذيب ١١٦/١، وينظر: العباب (حرف الفاء) ٤٤٧.

استخرج تراباً كثيراً من البئر»^(١).

٥٧- «قال أبو تراب: وقال عَرَامُ: القَعَاثُ: داءٌ يأخذ الغنم في أنوفها قال: وانقَعَثَ الشيءُ وانقَعَفَ، إذا انقلع»^(٢).

٥٨- «قال أبو تراب: هي النَّقِيَّةُ والنَّثِيَّةُ»^(٣).

(باب اعتقاب الثَّاءِ والهَاءِ)

٥٩- «قال أبو تراب: سمعت زائدة البكري يقول: العرب تدعو ألوان الصوف: العِهنَ، غير بني جعفر فإتَّهم يدعونه العِشْنُ، بالثَّاءِ. قال: وسمعت مُدْرِكُ ابنِ غَزْوَانَ الجعفري وأخاه يقولان: العِشْنُ: ضربٌ من الخُوصَةِ يرعاه المال إذا كان رطباً، فإذا يبس لم ينفع.

وقال مُبتَكِرٌ: هي العِهنَةُ، وهي شجرة غبراء ذات زهر أحمر»^(٤).

(باب اعتقاب الجيم والحاء)

٦٠- «أبو تراب عن اللحياني: رجل مُجَارِفٌ ومُحَارِفٌ، وهو الذي لا يكسِبُ خيراً»^(٥).

٦١- قال الأزهري: «قال أبو تراب: سمعت أبا السَّمِيدِ يقول: سِرْنَا عُقْبَةً^(٦) مُتَوَجّاً، ومُتَوَحّاً؛ أي: بعيدة، وذكره في باب الجيم والحاء. ويقال - أيضاً - في باب الجيم والحاء...»^(٧).

(١) التهذيب ٢١٥/١.

(٢) التهذيب ٢١٥/١، والقَعَاثُ ليس فيه اعتقاب، ولكنه في قوله: وانقَعَثَ الشيءُ وانقَعَفَ.

(٣) العباب (حرف الفاء) ٦١٠، والنَّقِيَّةُ: سُفْرَةٌ تتخذ من خُوصٍ مُدَوَّرَةٍ، وينظر: الفائق ١٣/٤.

(٤) التهذيب ٣٣١/٢، وينظر: اللسان (عن) ٢٧٧/١٣.

(٥) التهذيب ٤٢/١١.

(٦) قال محقق التهذيب ٨/١١: «كذا ضبطت في الأصول بضم العين وسكون القاف، وهو

يوافق ما في التاج (متج) قال: وفي بعضها حركة وهو الأكثر».

(٧) التهذيب ٨/١١.

(باب اعتقاب الجيم والحاء)

٦٢- « أبو تراب عن أبي المقدام السلمي: جَدَفَتِ السَّمَاءُ بِالثَّلَجِ، وَخَذَفَتْ، تَجْدِفُ وَتَخْدِفُ، إِذَا رَمَتْ بِهِ »^(١).

٦٣- قَالَ أَبُو تراب: بعد أن ذكر مُتَوَجَّاً وَمُتَوَحَّاً^(٢) في باب الجيم والحاء: « ويقال - أيضاً - في باب الجيم والحاء، [و] سمعت أبا السَّمِيدِعِ وَمُدْرَكاً وَمُبْتَكِراً الْجَعْفَرِيِّينَ، يَقُولُونَ: سَرْنَا عَقْبَةَ مُتَوَجَّاً وَمُتَوَحَّاً، أَي بَعِيدَةً، فَإِذَا هِيَ ثَلَاثُ لُغَاتٍ: مُتَوَحَّ وَمُتَوَخَّ وَمُتَوَجَّ »^(٣).

٦٤- قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: « أَمَّا الْعَظِيمُ الْهَشَّ الْوَالِجُ فِي جَوْفِ الْقَرْنِ فَإِنَّ أَبَا خَيْرَةَ قَالَ: هُوَ الْمَرِيخُ وَالْمَرِيحُ. وَيَجْمَعَانِ: أَمْرِيخَةً وَأَمْرِيحَةً. رَوَاهُ أَبُو ترابٍ لَهُ فِي كِتَابِ الْاِعْتِقَابِ^(٤) ».

قال: وسألت عنهما أبا سعيد، فلم يعرفهما.

قال: وَعَرَفَ غَيْرُهُ: الْمَرِيخُ: الْقَرْنُ الْأَبْيَضُ، الَّذِي يَكُونُ فِي جَوْفِ الْقَرْنِ^(٥).

(١) التهذيب ٦٧٣/١٠ و في الهامش: « في ل حذف بالجيم والذال المعجمتين، وفي الأصل بالحاء بدل الجيم والذال المعجمتين ، وكلاهما صحيح » وفي هذه المادة اعتقاب آخر بين الدال والذال، سيرد في مكانه ، وهذا يكون الاختلاف في هاتين الكلمتين بين أكثر من حرفين، وقد أشرت إليه في نقد النصوص من الدراسة.

(٢) ينظر الفقرة رقم (٦١).

(٣) التهذيب ٨/١١.

(٤) في بعض نسخ التهذيب ٥٣٨/٧: « حكاها ابن الفرج في كتاب الاعتقاب ».

(٥) التهذيب ٥٣٨، ٥٣٩/٧.

٦٥- وقال الأزهري في موضع آخر: « أبو تراب ^(١) - عن بعض

العرب - قال: المَرِيخ: الرَّجُلُ الأحمق.

والمَرِيخ: السَّهْمُ الذي يُغَالى به.

والمَرِيخ: القَرْنُ الذي في جوف القَرْن.

ويقال له: المَرِيخ.

وقال أبو خيرة: المَرِيخ والمَرِيح - بالخاء والجيم جميعاً - القَرْنُ الداخل

ويُجمعان: أَمْرِجَةٌ وأَمْرِجَةٌ.

وقال أبو تراب: سألت أبا سعيد عن المَرِيخ والمَرِيح فلم يعرفهما. قال:

وعرف غيره: المَرِيخ ^(٢).

(باب اعتقاب الجيم والدّال والشّين)

٦٦- «روى ابن الفرج عن أبي سعيد أنه قال: الارتعاج والارتعاش

والارتعاد واحد ^(٣).

(باب اعتقاب الجيم والزاي)

٦٧- «قال أبو تراب: مضى هجيع من الليل، وهزيع، بمعنى

واحد ^(٤).

(١) في بعض نسخ التهذيب ٣٨٣/٧ «ابن الفرج».

(٢) التهذيب ٣٨٣/٧، ٣٨٤، وينظر: اللسان (مرخ) ٥٤/٣ ويلاحظ أن اتحاد الدلالة بين

الكلمتين ليس واضحاً، وقد أشرت إلى هذا في نقد النصوص من الدراسة.

(٣) التهذيب ٣٦٤/١.

(٤) التهذيب ١٢٩/١.

(باب اعتقاب الجيم والعين واللام)

٦٨- «قال أبو تراب : يقال: هو جيس عيس لبس: إتياع، ويوم عبوس: شديد»^(١).

(باب اعتقاب الجيم والكاف)

٦٩- «قال الأصمعي - فيما روى ابن الفرّج - الجذّان والكذّان: حجارة رخوة، الواحدة: جذّانه وكذّانه، ومن أمثالهم السّائرة في الذي يقدم على اليمين الكاذبة: جذّها جذّ البعير الصّليّانة، أرادوا أنّه أسرع إليها»^(٢).

٧٠- «قال إسحاق بن الفرّج: سمعت شجاعاً السّلمي يقول: العبكة: الرجل البغيض الطّغامة، الذي لا يعي ما يقول، ولا خير فيه.

قال: وقال مُدرك الجعفري: هو العبّجة، جاء بهما في باب الكاف والجيم»^(٣).

(باب اعتقاب الحاء والحاء)

٧١- «أبو سعيد - فيما روى عنه أبو تراب: حَبَجَه بالعصا، وخَبَجَه بها، إذا ضربه بها»^(٤).

٧٢- «قال ابن الفرّج: سمعت أبا الجهم الجعفري يقول: سَبَخْتُ في الأرض، وسبختُ فيها؛ إذا تباعدت فيها.

قال: وسَبَخَ اليربوع في الأرض إذا حَفَرَ فيها، وسَبَخَ في الكلام إذا أكثر فيه»^(٥).

(١) التهذيب ١١٥/٢، ينظر: اللسان (عبس) ١٢٩/٦.

(٢) التهذيب ٤٧٠/١٠.

(٣) التهذيب ٣٨٧/١، وينظر: اللسان (عجج) ٣١٧/٢.

(٤) التهذيب ٦٩/٧.

(٥) التهذيب ٣٣٧/٤.

٧٣- «قال أبو سعيد المتح: القطع. يقال: متح الشيء ومتحه إذا قطعه من أصله، وقال: متح بسلحه ومتح به؛ إذا رمى به. رواه أبو تراب عنه» (١).

٧٤- «قال ابن الفرّج: محج المرأة ومحجها إذا كحها، ومحج اللبن ومخجه إذا مخضه» (٢).

٧٥- «قال ابن الفرّج: سمعت جماعة من قيس يقولون: التّضح والتّضح واحد، قال: وقال أبو زيد: نضحته ونضخته بمعنى واحد، قال: وسمعت الغنوي يقول: التّضح والتّضح، وهو فيما بان أثره وما رَقَّ بمعنى واحد. قال: وقال الأصمعي: التّضح: الذي ليس بينه فرج، والتّضح أرق منه» (٣).

(باب اعتقاب الحاء والراء)

٧٦- «قال أبو تراب: وسمعت عُتَيْر بن غَرْزَة الأسديّ يقول: ائْعَنْجَح المَطْرُ بمعنى ائْعَنْجَر (٤) إذا مال وكثر وركب بعضه بعضاً، فذكرته لشمر فاستغربه حين سمعه، وكتبه، وأنشدته فيه ما أنشدني عُتَيْر لَعْدِي بن عليّ الغاضريّ في الغيث:

جَوْنٌ تَرَى فِيهِ الرِّوَايَا دُلْحَا
كَأَنَّ جَنَانًا وَبَلْقًا ضُرْحَا
فِيهِ إِذَا مَا جُلْبُهُ تَكَلَّحَا

(١) التهذيب ٤/٤٥٢.

(٢) التهذيب ٤/١٧١.

(٣) التهذيب ٤/٢١٢، وينظر: اللسان (نضح) ٢/٦١٨.

(٤) في التهذيب ٣/٢٦٣: «(ائْعَنْجَر) وهو تحريف أو سهو.

وسحَّ سحاً ماؤه فائتجنجحا»^(١)

(باب اعتقاب الحاء والسين)

٧٧- « قال أبو تراب: جاء عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

أنه قال لعمّار: ويحك يا ابن سُمَيَّة بُوساً لك، تَقْتُلُك الفئنة الباغية.

[و] قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لعائشة ليلة تبعته^(٢) وقد

خرج من حُجْرَتِهَا، فنظر إلى سوادها فلحقها، وهي في جوف حُجْرَتِهَا، فوجد لها
نَفْساً عالياً، فقال: وَيَسَهَا، ماذا لَقِيت اللَّيْلَةَ؟»^(٣)

(باب اعتقاب الحاء والسين واللام)

٧٨- « قال اليزيدي: الْوَيْحُ وَالْوَيْسُ بمثلة الْوَيْل في المعنى. وقال أبو

تراب: سمعت أبا السَّمِيدِيع يقول في هذه الثلاثة: إِنَّ مَعْنَاهَا واحد»^(٤).

٧٩- « قال إسحاق [بن] الفرج: الْوَيْحُ وَالْوَيْلُ وَالْوَيْسُ بمعنى

واحد.

قال: وقال الخليل: ويس^(٥) كلمة في موضع رَأْفَة واستملاح، كقولك

لِلصَّبِيِّ: ويحه ما أملحه، وويسه ما أملحه.

قال: وسمعت أبا السَّمِيدِيع يقول: ويحك وويسك وويّلك بمعنى واحد.

قال: وقال اليزيدي: الْوَيْحُ وَالْوَيْلُ بمعنى واحد»^(٦).

(باب اعتقاب الحاء والعين)

(١) التهذيب ٢٦٣/٣.

(٢) في التهذيب ٢٩٥/٥: «تبعته النبي».

(٣) التهذيب ٢٩٥/٥، وينظر: اللسان (ويح) ٦٣٩/٢.

(٤) التهذيب ١٤٤/١٣.

(٥) في التهذيب ٢٩٤/٥ «وليس» والتصويب من العين ٣٣٢/٧.

(٦) التهذيب ٢٩٤/٥، ينظر: اللسان (ويح) ٦٣٩/٢.

٨٠- «روى^(١) أبو تراب للأصمعي: حَظَبَ على العمل وعَظَبَ إذا مَرَنَ عليه.

وقال: وقال أبو نصر: عَظَبْتُ يده إذا غلظت على العمل.

قال: وعَظَبَ جِلْدُهُ: إذا يبس.

وقال عثمان الجعفري: إن فلانا لحسن العُظُوب على المصيبة، إذا نزلت به، يعني أنه حسن التَّصَبُّر جميل العزاء.

وقال مبتكر الأعرابي: عَظَبَ فلان على ماله، وهو عاطب؛ إذا كان قائماً عليه؛ وقد حَسَنَ عُظُوبُهُ عليه^(٢).

٨١- «روى ابن الفرّج عن أبي سعيد الضّرير أنه قال: الأَرَصَحُ والأَرَصَعُ والأَزَلُّ واحد.

قال: وقال ذلك أبو عمرو.

ويقال: الرّصَعُ: قرب ما بين الوركين، وكذلك الرّصَحُ والرّسَحُ والزَّلُّ^(٣).

٨٢- «قال ابن الفرّج: سمعت خليفة الحصيني يقول: المقاذحة والمقاذعة: المشاتمة، وقاذحني فلان وقابحني: شاتمني^(٤).

(باب اعتقاب الحاء والكاف)

٨٣- «قال أبو تراب: قال أبو عمرو وابو سعيد في باب الحاء والكاف: السِّلْحَةُ والسِّلْكَةُ: فرخ الحجل، وجمعه سِلْحَانٌ وسِلْكَانٌ^(٥).

(١) في التهذيب ٣٠٢/٢ «(رواه)» والتصويب من الهامش.

(٢) التهذيب ٣٠٢/٢

(٣) التهذيب ٢٤٠/٤، ٢٤١، وينظر: اللسان (رصح) ٤٥٠/٢.

(٤) التهذيب ٣٦/٤، وينظر: اللسان (قذح) ٥٥٧/٢.

(٥) التهذيب ٣١١/٤.

(باب اعتقاب الخاء والهاء)

- ٨٤- قال ابن الفرج: أمر مُدْخَمَسٌ ومُدْهَمَسٌ: إذا كان مستوراً^(١).
٨٥- «قال أبو تراب - عن أصحابه : شباب مُطْرَهَمٌ ومُطْرَخِمٌ: بمعنى واحد»^(٢).

(باب اعتقاب الدال والذال)

- ٨٦- «أبو تراب عن أبي المقدام السلمي: جَدَفَتِ السَّمَاءُ بالثلج، وَخَدَفَتْ، تَجْدِفُ وَتَخْدِفُ، إِذَا رَمَتْ بِهِ»^(٣).
٨٧- «روى إسحاق بن الفرج عن شبانة الأعرابي أنه قال: غَلَامٌ أَمْلُوذٌ وَأَفْلُوذٌ إِذَا كَانَ تَامًا مُحْتَمَلًا شَطْبًا»^(٤).

(باب اعتقاب الدال والزاي)

- ٨٨- «قال إسحاق بن الفرج: تقول العرب: أَقْزَعٌ لَهُ فِي الْمَنْطِقِ، وَأَقْدَعٌ، وَأَرْهَفٌ ؛ إِذَا تَعَدَّى فِي الْقَوْلِ»^(٥).

(١) التهذيب ٦٦١/٧.

(٢) التهذيب ٦٧٦/٧.

(٣) التهذيب ٦٧٣/١٠، وفي هذا النص اعتقاب آخر بين الجيم والحاء، وقد أوردته هناك في المادة ذات الرقم (٦٢).

(٤) التهذيب ١٣٣/١٤، وسيأتي أيضاً في اعتقاب الفاء والميم في المادة ذات الرقم (٢٧٢).

(٥) التهذيب ١٨٦/١، وينظر: اللسان (قزع) ٢٧١/٨، وفيه «قال أبو تراب...»

(باب اعتقاب الدّال والضّاد)

٨٩- « روى ابن الفرج عن بعض العرب: غَضَضْتُ منه وغَذَذْتُ؛ أي: نقصت »^(١).

(باب اعتقاب الرّاء واللام)

٩٠- « قال أبو تراب: قال شجاع: الجرّماق والجِلْماق : ما عُصِبَ به القوس من العُقب. والجرامقة: جيل من النّاس »^(٢)

٩١- «أبو تراب: مرّ مرّاً ذَرْنَفَقاً وذَلْنَفَقاً، وهو مرّ سريع شبيه بالهمْلَجَة^(٣). وأنشد قول عليّ بن شيبة الغَطَفَانيّ:

فَراحَ يُعَاطِيَهُنَّ مَشِيّاً ذَلْنَفَقاً وَهُنَّ بِعِطْفِيهِ لَهْنٌ خَبِيبٌ^(٤)

٩٢- « أبو تراب عن زائدة: يقال: رَذَّه عن الأمر ولَدَّه، أي: صَرَفَهُ عنه برفق، قال: والرّذُّ: الظَّهَرُ والحُمُولَةُ من الإبل »^(٥).

٩٣- « يقال: انشمل الرّجل في حاجته، وانشمر فيها، وأنشد أبو

تراب:

وَجَنَاءُ مُقْوَرَّةٍ الْأَلِيطِ يَحْسَبُهَا

مَنْ لَمْ يَكُنْ قَبْلُ رَاهَا رَأْبَةً جَمَلًا

حَتَّى يَسْدُلُ عَلَيْهَا خَلْقُ أَرْبَعَةٍ

فِي لَازِقٍ لِحَقِّ الْأَقْرَابِ فَاَنْشَمَلَا

(١) التّهذيب ٦١/١٦، وينظر: اللسان (عذذ) ٥٠١/٣.

(٢) التّهذيب ٣٧٨/٩.

(٣) الهمْلَجَة: حُسْنُ سِيرِ الدّابة في سرعة وبخبرة. ينظر: اللسان (هملج) ٣٩٣/٢ / ٣٩٤.

(٤) التّهذيب ٤٢٢/٩، وفيه: فراح يعاطين. وهو تحريف، وينظر: اللسان (درفق) ٩٦/١٠.

(٥) التّهذيب ٦٤/١٤، ٦٥.

أراد أربعة أخلاف في ضرعٍ لازقٍ لحقٍ أقربها فانشمر وانضم.
وقال لآخر:

رَأَيْتُ بَنِي الْعَلَاتِ لَمَّا تَضَافَرُوا

يَحُوزُونَ سَهْمِي دُونَهُمْ فِي الشَّمَائِلِ

أي: يُتزلونني بالمرتلة الخسيسة، والعرب تقول: فلان عندي باليمين، أي
بمرتلة حسنة، وإذا خَسَتْ مرتلته قال: أنت عندي بالشمال.

وقال عديّ بن زيد يخاطب التّعمان بن المنذر، ويفضّله على أخيه:
كَيْفَ تَرْجُو رَدَّ الْمَفِضِّ وَقَدْ أَخَّرَ

رَقْدَحِيكَ فِي بَيَاضِ الشَّمَالِ

يقول: كنت أنا المفيض بقدح أخيك وقْدَحِكَ ففَوَزْتُكَ عليه، وقد كان
أخوك قد أَخَّرَكَ، وجعل قَدْحَكَ بالشَّمَالِ لئلا يَفُوزَ.

قال: ويقال: فلان مشمول الخلاق، أي كريم الأخلاق، أَخَذَ من الماء
الذي هَبَّتْ به الشَّمَالُ فَبَرَدَتْهُ»^(١).

٩٤- «أبو تراب: قال الأصمعي: إِنَّهُ لُمُطْرَحِمٌ وَمُطْلَحِمٌ، أي: متكبرٌ
ومتعظّمٌ وكذلك: مُسْلَخِمٌ»^(٢).

٩٥- «عُلْجُومٌ وَعُرْجُومٌ؛ عن أبي عمرو و أبي تراب»^(٣).

٩٦- «قال ابن الفرج: يقال: فَرَطَحَ القُرْصَ و فَلَطَحَهُ، إذا بسطه،
وأنشد لرجل من بلحارث بن كعب يصف حيّة:
جُعِلَتْ لَهَا زُمُهُ عَزِيزٌ وَرَأْسُهُ

(١) التهذيب ٣٧٣/١١، ٣٧٤، وينظر: اللسان (شمل) ٣٦٥/١١.

(٢) التهذيب ٦٧٩/٧.

(٣) الفائق ٤١٦/٢، والعُرجوم والعُلجوم: الناقة الشديدة الغليظة.

كالقُرص فُرطَح من طَحِين شعير^(١)

٩٧- قال الأزهري: «قال الأصمعي فيما روى عنه أبو تراب - أيضاً: القندفيل: الضخم:

وقال المخروع السعدي:

مَائِرة الصُّبْعَيْنِ قَنَدَفِيلُ

وقال ابن دريد: القندفير: العجوز»^(٢)

٩٨- «أبو تراب: ثَمَرٌ فِي الْجَبَلِ وَالشَّجَرِ وَثَمَلٌ، إِذَا عَلَا فِيهَا»^(٣).

٩٩- «روى أبو تراب للأصمعي: هَذَرَ الْغَلَامِ وَهَذَلٌ: إِذَا صَوَّتَ، قَالَ:

وَقَالَ أَبُو السَّمِينِ: ذَاكَ؛^(٤) إِذَا أَرَاغَ الْكَلَامَ وَهُوَ صَغِيرٌ، وَأَنْشَدَ قَوْلَ ذِي الرُّمَّةِ:

طَوَى الْبَطْنَ زَيْامَ كَأَنَّ سَحِيلَهُ

عَلَيْهِنَّ إِذْ وَلَّى هَدِيلُ غَلَامٍ

أي: غناء غلام»^(٥).

١٠٠- «قال أبو تراب أنشدني أبو خليفة الحُصَيْنِي لرجل يصف الجُعَلَ:

أَسْوَدُ كَاللَّيْلِ وَلَيْسَ بِاللَّيْلِ

لَهُ جَنَاحَانِ وَلَيْسَ بِالطَّيْرِ

(١) التهذيب ٣٢٩/٥، وينظر: اللسان (فلطح) ٥٤٩/٢.

(٢) التهذيب ٤٢٣/٩.

(٣) التهذيب ٢١٨/١٥، وينظر: اللسان (نمر) ٢٣٦/٥.

(٤) أي هذا القول الذي تقدّم وهو «هَذَرَ الْغَلَامِ وَهَذَلٌ».

(٥) التهذيب ١٨٨/٦.

يَجْرُ قَدْأَنَا وَلَيْسَ بِالشُّورِ

فجمع بين الرء واللام في القافية، وشَدَّد الفَدَّانَ»^(١).

(باب اعتقاب الرء والميم)

١٠١- «قال أبو تراب: سَمِعْتُ رافعاً يقول: لي عنده خُرَاشَةٌ وخُمَاشَةٌ؛

أي: حَقٌّ صغير»^(٢).

١٠٢- «قال أبو تراب: قال شُجَاع: سار القومُ وساموا، بمعنى واحد»^(٣).

١٠٣- «قال ابن الفرج: قال الأصمعي: تركت القوم في غَيْثَةٍ

وغيْثمة؛ أي: في قتال واضطراب»^(٤).

١٠٤- «قال إسحاق بن الفرج: سمعت أبا السَّمِيدِ يقول: كَمَعَ

الْفَرَسُ والرَّجُلُ والبعر في الماء وكرع، ومعناها شرع»^(٥).

١٠٥- «وقال ابن الفرج: قال الأصمعي: الوغْرُ والوغم الدَّخْلُ. قال:

وقال بعضهم: ذهب وَغَرٌ صدره وَوَعَمٌ صدره ؛ أي: ذهب ما فيه من الغلِّ

والعداوة»^(٦).

(١) التهذيب ١٤/١٤١، وينظر: اللسان (فدن) ٣٢١/١٣ وهذا يرى أبو تراب أن الجمع بين

الرء واللام في القافية ضرب من الاعتقاب، وقد أشرت إلى توسّعه في مفهوم الاعتقاب في

الحديث في نقد النصوص، من الدراسة.

(٢) التهذيب ٧/٨٠.

(٣) التهذيب ١٣/١١٣.

(٤) التهذيب ٨/٨٨.

(٥) التهذيب ١/٣٣٠، وينظر: التكملة (كمع) ٤/٣٤٨.

(٦) التهذيب ٨/١٨٦.

(باب اعتقاب الرّاء والتّون)

١٠٦- « قال إسحاق بن الفرّج: قال الأصمعيّ: يقال: ما أصبت منه حَبْرَبْرًا ولا حَبْنَبْرًا؛ أي: ما أصبت منه شيئاً.

قال: وقال أبو عمرو: يقال: ما فيه حَبْرَبْرٌ ولا حَبْنَبْرٌ، وهو أن يخبرك بالشيء فتقول ما فيه حَبْنَبْرٌ»^(١).

١٠٧- «قال ابن الفرّج: سمعت بعض بني سليم يقول: قد رَجَعَ كلامي في الرّجل ونَجَعَ فيه، بمعنى واحد.

قال: ورجع في الدّابة العَلْفُ ونَجَعَ؛ إذا تَبَيَّنَ أثره.

قال: والترحيع في الأذان: أن يكرّر قوله: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله.

ورَجَعَ الوِشْم والثّقوش وترجيعة: أن يعاد عليه السّواد مرّة بعد أخرى»^(٢).

١٠٨- «قال أبو تراب: سَمِعْتُ أبا السّميْدَع يقول: المَنجُولُ الَّذِي يُشَقُّ من رجليه إلى مَذْبَحِهِ، والمَرْجُولُ: الَّذِي يُشَقُّ من رجليه ثم يُقَلَّبُ إهابه»^(٣).

١٠٩- «قال ابن الفرّج: الضّئِن والضّير: الإبط، وأنشد:

ولا يَئُوبُ مُضْمَرًا في ضَبْرِي

زَادِي وَقَدْ شَوَّلَ زَاؤُ السَّفْرِ

(١) التهذيب ٣٣٧/٥.

(٢) التهذيب ٣٦٨/١، وينظر: اللسان (رجع) ١١٨/٨.

(٣) التهذيب ٨٢/١١.

أي: لا أخبأ طعامي في السفر فأزوب به إلى بيتي، وقد تَفَدَّ زَادُ أَصْحَابِي، ولكن أَعْطَمُهُمْ إِيَّاهُ.

ومعنى: شَوَّلَ: خَفَّ وَقَلَّ، كما تُشَوَّلُ الْمَرَادَةُ، إذا بقي فيها جُزَيْعَةٌ من ماء»^(١).

١١٠- «رَوَى أَبُو تَرَابٍ لِلأَصْمَعِيِّ: إِنَّهُ لَمَنَعَ الْفَنَطِيسَةَ وَالْفَرْطِيسَةَ، وَهِيَ الْأَرْنَبَةُ؛ أَيْ: هُوَ مَنَعَ الْحَوْزَةَ حَمِيَّ الْأَنْفِ.

وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَنَطِيسَةُ الذَّبِّ وَفَرْطِيسَتُهُ: أَنْفُهُ»^(٢).

١١١- «قَالَ أَبُو تَرَابٍ: سَمِعْتُ مُزَاهِمًا يَقُولُ: تَفَكَّنَ وَتَفَكَّرَ: وَاحِدٌ»^(٣).

١١٢- «قَالَ أَبُو تَرَابٍ: قَالَ أَبُو عَمْرٍو: الْكَدْنُ أَنْ تُتْرَحَ الْبُتْرُ فَيَبْقَى الْكَدْرُ، فَذَلِكَ الْكَدْنُ.

يُقَالُ: أَدْرَكُوا كَدْنَ مَائِكُمْ؛ أَيْ: كَدَرَهُ.

وَيُقَالُ: كَدَنَ الصَّلِيَّانِ إِذَا رُعِيَ فُرُوعُهُ وَبَقِيَ أَصُولُهُ»^(٤).

(بَابُ اعْتِقَابِ الرِّاءِ وَالْهَاءِ)

١١٣- «قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: هَدَمَ^(٥) فَلَانٌ ثَوْبَهُ وَرَدَّمَهُ: إِذَا رَقَعَهُ. رَوَاهُ أَبُو

تَرَابٍ^(٦) عَنْهُ»^(٧).

١١٤- «قَالَ ابْنُ الْفَرَجِ: الْمِهْزَامُ: عَصَا قَصِيرَةٌ، وَهِيَ الْمَرْزَامُ، وَأَنْشَدَ:

فَشَامَ فِيهَا مِثْلَ مِهْزَامِ الْعَصَا

(١) التهذيب ٣٠/١٢، وينظر: اللسان (ضمر) ٤٨٠/٤.

(٢) التهذيب ١٤٨/١٣.

(٣) التهذيب ٢٨٠/١٠.

(٤) التهذيب ١٢٢/١٠.

(٥) في التهذيب ٢٢٤/٦: «هَدَمَ» وفي اللسان (هدم) ٦٠٥/١٢: «هَدَمَ».

(٦) في بعض نسخ التهذيب ٢٢٤/٦: «ابن الفرج» وكذا في اللسان (هدم) ٦٠٥/١٢.

(٧) التهذيب ٢٢٤/٦.

ويُرْوَى: مثل مرّام»^(١).

١١٥- «روى أبو تراب لبعضهم: نَزَرَهُ عن كذا؛ أي: نَزَّهَهُ»^(٢).

(باب اعتقاب الرّاء والواو)

١١٦- «روى أبو تراب^(٣) لبعض العرب: رُمُحٌ مَرَكُوزٌ، وموَكُوزٌ

بمعنى واحد، وأنشد:

والشَّوْكَ في أْخْمَصِ الرِّجْلَيْنِ مَوْكُوزُ»^(٤).

(باب اعتقاب الرّاء والألف اللينة)

١١٧- «قال أبو تراب^(٥): سمعت مدرّكاً يقول: رجل أجْحَى وأَجْخَرُ

إذا كان قليل لحم الفَخِذَيْنِ، وفيهما تخاذل من العظام، وتَفَاحُجٌ»^(٦).

(باب اعتقاب الزّاي والسّين)

١١٨- «قال أبو تراب: سمعت أبا السميدع الحصيفي يقول: الرّجَزُ

والرّجْس: الأمر الشّدِيد يَتَوَلَّى بالتّاس»^(٧).

١١٩- «قال أبو تراب: امْلَزَ من الأمر، وامْلَسَ: إذا انفلت، وقد

مَلَزَتْهُ ومَلَسَتْهُ: إذا فعلت به ذلك»^(٨).

(١) التهذيب ١٦٤/٦، وينظر: اللسان (هزم) ٦١١/١٢.

(٢) التهذيب ١٦٩/١٣.

(٣) في بعض نسخ التهذيب ٣٢٣/١٠: «(روى ابن الفرج)»

(٤) التهذيب ٣٢٣/١٠.

(٥) في بعض نسخ التهذيب ٤٦٠/٧: «(قال ابن الفرج...»

(٦) التهذيب ٤٦٠/٧.

(٧) الفائق ٤٦/٢.

(٨) التهذيب ٢٢١/١٣.

(باب اعتقاب الزّاي والسّين والصّاد)

١٢٠- « أبو تراب - عن الأصمعي: يقال: بَخَزَ عَيْنَهُ وَبَخَسَهَا: إذا

فَقَّاهَا، وَبَخَسَهَا كَذَلِكَ» ^(١).

(باب اعتقاب الزّاي والسّين)

١٢١- «قال أبو تراب: قال عَرَّامٌ: نِيَّةُ زَمَخٍ وَشَمَخٍ، وَزَمُوخٌ وَشَمُوخٌ.

وَقَدْ زَمَخَ بِأَنْفِهِ وَشَمَخَ» ^(٢).

(باب اعتقاب الزّاي والضّاد)

١٢٢- «قال مُدْرِكُ الْكَلَالِيّ فيما روى ابن الفرج ^(٣) ارتَمَزَتِ

الفرس بالرجل، وارتمضت به؛ أي: وثبت به» ^(٤).

١٢٣- « روى أبو تراب للخليل: قال: التّعْرِيزُ كالتّعْرِيضِ فِي

الْخُصُومَةِ» ^(٥).

١٢٤- «أبو تراب عن مصعب الضّبّائي: تَقَوَّزَ الْبَيْتَ وَتَقَوَّضَ، إِذَا

انْهَدَمَ، سِوَاءَ كَانَ بَيْتٌ مَدْرٍ أَوْ شَعْرٍ» ^(٦).

(١) التهذيب ٢١٣/٧، وينظر ١٥٣/٧.

(٢) التهذيب ٩٦/٧.

(٣) فِي بَعْضِ نَسَخِ التَّهْذِيبِ ٣٤/١٢: «أبو تراب» وكذا فِي اللِّسَانِ (رَمَضٍ) ١٦٢/٧.

(٤) التهذيب ٣٤/١٢.

(٥) التهذيب ١٣١/٢.

(٦) التهذيب ٢١٥/٩.

١٢٥- «قال ابن الفرّج: جاء يَهْزُ المشي وَيَهْضُهُ؛ إذا مشى مشياً حسناً في تدافع»^(١).

(باب اعتقاب الزّاي والظّاء)

١٢٦- قال الأزهري: «قال أبو تراب: سمعت بعض بني سُليم يقول: حَمَزَه وَحَمَطَه؛ أي: عَصَرَه. جاء به في باب الظّاء والزّاء»^(٢).

(باب اعتقاب الزّاي والفاء)

١٢٧- «قال أبو تراب: سمعت مبتكراً يقول: زاخرتَه فزخرتَه، وفاخرتَه ففخرتَه»^(٣).

(١) التّهذيب ٣٤٦/٥، وينظر: اللسان (هضض) ٢٤٨/٧.

(٢) التّهذيب ٤٦١/٤، وينظر: المحيط في اللغة ٦٤/٣، وينظر: اللسان (حظم) ١٤٠/١٢.

(٣) التّهذيب ٢٠٣/٧.

(باب اعتقاب الزّاي والقاف)

١٢٨- « أبو تراب: قال الأصمعي: زَأَبْتُ وَقَأْتُ؛ أي: شَرِبْتُ»^(١).

(باب اعتقاب الزّاي واللام)

١٢٩- «روى ابن الفرّج عن أبي السّميدع، أخذت بِزَعْبٍ رقبته،

وَلَعَبَ رقبته، قال: وهي باللام في تميم، قال: وذلك إذا تبعه وقد ظنّ أنّه لم يدركه، فلحقه، أخذ بـرقبته أو لم يأخذ»^(٢).

١٣٠- « قال الكسائي وأبو عمرو: «الزَّقْمُ واللَّقْمُ: واحد، والفعل:

زَقَمَ يَزْقُمُ وَلَقَمَ يَلْقَمُ. حكى ذلك عنهما إسحاق بن الفرّج»^(٣).

(باب اعتقاب السّين والشّين)

١٣١- قال الأزهرّي: « قال ابن الفرّج: قال الفراء: يقال: أَلْحَقَ

الحِسَّ بِالْإِسِّ.

قال: وسمعت بعض بني أسد يقول: أَلْحَقَ الحِشَّ بِالْإِشِّ.

قال: كأنه يقول: ألحق الشّيء بالشّيء؛ إذا جاءك شيء من ناحية

فافعل مثله. جاء به أبو تراب في باب الشّين والسّين وتعاقبهما»^(٤).

١٣٢- « قال ابن الفرّج: قال ابن الأعرابي: الجَحْشُ: الجِهَادُ.

قال: وتُحوّل الشّين سينا، وأنشد:

(١) التّهذيب ١٣/٢٧١.

(٢) التّهذيب ٨/١٣٨، ١٣٩.

(٣) التّهذيب ١٦/٢٠٥، وفي بعض النسخ من التّهذيب: « أبو تراب عن الكسائي وأبي

عمرو...»

(٤) التّهذيب ٣/٣٩٥، وينظر: اللسان (حشش) ٦/٢٨٥، وتجبير الموشين في التعبير

بالسين والشّين ٤أ.

يَوْمًا تَرَانَا فِي عِرَاكِ الْجَحْشِ

نُتَبُّو بِأَجْلَالِ الْأُمُورِ الرَّثِيشِ

أي: الدواهي العظام»^(١).

١٣٣- «قال أبو تراب: سمعت أبا محجن وباهلياً يقولان: تَجَشَّمْتُ
الأمر وتَجَسَّمْتُهُ؛ إذا حملت نفسك عليه»^(٢).

١٣٤- «قال أبو تراب: سَمِعْتُ عَرَّامًا يَقُولُ: هُوَ الرَّسْمُ وَالرَّشْمُ
للأثر، ورسم^(٣) على كذا ورشم؛ أي: كتب.

وقال أبو عمرو: يقال للذي يطبع به: رَوَسَمَ وَرَوَّشَمَ، ورأسُوم
وراشُوم، مثل رَوَسَمَ الأكْداسَ وَرَوَّشَمَ الأُميرَ»^(٤).

١٣٥- «قال أبو تراب: سَمِعْتُ عَرَّامًا يَقُولُ: الرَّسْمُ وَالرَّشْمُ: الأثر،
وَرَسَمَ على كذا، وَرَشَمَ؛ أي كتب.

ويقال للخاتم الذي يُخْتَمُ بِهِ الْبَرُّ: الرَّوْسَمُ، وَالرَّوْشَمُ»^(٥).

١٣٦- «رَوَى أَبُو تَرَابٍ: قَالَ^(٦) ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: تَرَكْتُ الْقَوْمَ قَدْ
ارْقَسُوا، وَارْقَشُوا، وَارْقَشْتُ رِجْلًا الذَّابَّةَ، وَارْقَشْتَا؛ إِذَا اصْطَكَّتَا، وَضَرَبَ
بَعْضُهَا بَعْضًا»^(٧).

(١) التهذيب ١١٨/٤، وينظر: اللسان (جحش) ٢٧١/٦.

(٢) التهذيب ٥٤٧/١٠، ٥٤٨.

(٣) في التهذيب ٤٢٢/١٢: «(ووشم) وهو تحريف، والتصويب من اللسان (رسم) ٢٤١/١٢

(٤) التهذيب ٤٢٢/١٢.

(٥) التهذيب ٣٦٣/١١.

(٦) كذا في التهذيب ١٢٢/٦ والسياق يقتضي أن يقول: قال: قال... قال.

(٧) التهذيب ١٢٢/٦.

- ١٣٧- «روى ابن الفرّج^(١) لأبي عمرو: السَّوْذُق والسَّوْذُق: السَّوَار. قال أبو إسحاق^(٢): السَّوْذَانِق والسَّوْذَانِق: الصَّقْر»^(٣).
- ١٣٨- «أبو تراب: سَرَهَفَ غِذَاءَهُ، وشَرَهَفَهُ، إذا أَحَسَنَ غِذَاءَهُ»^(٤).
- ١٣٩- «قال أبو سعيد: سَطَّ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ وَشَطَّأَهَا: إذا وَطَّئَهَا، رواه أبو تراب عنه»^(٥).
- ١٤٠- «أبو تراب - جماعة من أعراب قيس-: السَّلْخَفُ والسَّلْخَفُ: المضطرب الخلق»^(٦).
- ١٤١- «ابن الفرّج: السَّلْعَقُ والسَّلْعَفُ: المضطرب الخلق»^(٧).
- ١٤٢- «أبو تراب: قال ابن الأعرابي: السَّنَاسِنِ والسَّنَاشِنِ: العِظَامُ، وقال الجَرَنَفَشُ:

كَيْفَ تَرَى الْغَزْوَةَ أَبْقَتَ مِنِّي
سَنَاشِنَا كَخَلْقِ الْمَجْنِّ»^(٨)

- ١٤٣- «قال أبو تراب: الْعَشَقُ وَالْعَسَقُ، بِالشَّيْنِ وَالسَّيْنِ: اللَّزُومُ لِلشَّيْءِ لَا يَفَارِقُهُ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلْكَالِفِ عَاشِقٌ، لِلزُّومِ هَوَاهُ»^(٩).

(١) في بعض نسخ التهذيب ٣١١/٨: «روى أبو تراب...» وكذا في اللسان (شدق) ١٠/١٧٣.

(٢) في بعض نسخ التهذيب ٣١١/٨: «أبو تراب».

(٣) التهذيب ٣١١/٨.

(٤) التهذيب ٥٣٥/٦، وينظر: العباب (حرف الفاء) ٣١٩.

(٥) التهذيب ٢٥/١٣، وينظر: اللسان (سطأ) ٩٥/١ والمادة فيه مروية عن ابن الفرّج.

(٦) التهذيب ٦٤٩/٧، وينظر: اللسان (شلخف) ١٨٣/٩.

(٧) العباب (حرف الفاء) ٣٣٠.

(٨) التهذيب ٣٠٦/١٢.

(٩) التهذيب ١٧٠/١.

١٤٤- « قال ابن الفرّج: قال الخليل: المعشُّ: المطلب.

قال: وقال غيره: المعسُّ: المطلب»^(١).

١٤٥- «قال أبو تراب: سمعت الجعفريّ يقول: نُخَشَ لحم الرجل،

ونُخِسَ؛ أي: قُلّ.

قال: وقال غيره: نُخَشَ - بفتح التّون»^(٢).

(باب اعتقاب السّين والشّين والياء)

١٤٦- «قال أبو تراب: قال خليفة الحصريّ: يقال: تَعَامَسْتُ عن

الأمر وتَعَامَشْتُ وتعاميت بمعنى واحد»^(٣).

(باب اعتقاب السّين والصّاد)

١٤٧- «قال أبو تراب^(٤): قال الغنويّ: سخا النَّار وصخاها؛ إذا

فتح عينها»^(٥).

١٤٨- «قال أبو تراب: قال أبو عبيدة: جاء فلان يضرب أسدريه

وأصدريه؛ أي: عطفيه، وذلك إذا جاء فارغاً»^(٦).

١٤٩- «قال أبو تراب: قال النضر: هو صُقْع الرّكبة وأصقاعها،

لنواحيها. قال: ويقال سُقْع، والدّيكُ يَسْقَعُ وَيَصْقَعُ»^(٧).

(١) التهذيب ١/٧١.

(٢) التهذيب ٧/٨٦، وينظر اللسان (نخش) ٦/٣٥٢.

(٣) التهذيب ٢/١٢٢.

(٤) في بعض نسخ التهذيب ٧/٤٨٧: «ابن الفرّج»

(٥) التهذيب ٧/٤٨٧.

(٦) التهذيب ١٢/٣٥٥.

(٧) التهذيب ١/١٨٣.

١٥٠- «قال أبو تراب: قال القراء: سُندوق وصندوق، ويجمع

صناديق وسناديق»^(١).

١٥١- «روى أبو تراب للخليل أنه قال: فريضة الرجل: الرقبة.

وفريضة: عروقه.

وفي حديث قيلة: أن جويرية لها كانت قد أخذتها الفرصة.

قال أبو عبيد: العامة تقول لها: الفرسة - بالسّين - المسموع من العرب

بالصّاد، وهي ريح الحديدة.

قال: والفرس - بالسّين - الكسر، والفرص: الشق»^(٢).

١٥٢- «قال أبو تراب: قال شبانة^(٣): فصلت المرأة ولدها وفسلته؛

أي: فطمته»^(٤).

(باب اعتقاب السّين والطّاء)

١٥٣- «روى إسحاق بن الفرج عن الأصمعي: بعته الملسى والمّلطى،

وهو البيع بلا غهدة»^(٥).

(١) التهذيب ٣٩٢/٩.

(٢) التهذيب ١٦٦/١٢.

(٣) في التهذيب ٩٤/١٢ «شبانة» بالياء، وهو تصحيف. ينظر: اللسان (ملد) ٤١٠/٣،

و (دغس) ٨٥/٦، و (دغس) ٩٠/٦، (دهمس) ١٠٣/٦.

(٤) التهذيب ١٩٤/١٢.

(٥) التهذيب ٣٦٠/١٣.

(باب اعتقاب السين والعين)

١٥٤- « قال أبو الحسن اللّحيانيّ: سمعت العامريّة تقول في كلامها: تركتهم^(١) سامراً بمكان كذا وعامراً.

قال أبو تراب: فسألت مُصعباً عن ذلك فقال: مقيمين مجتمعين»^(٢).

١٥٥- «قال ابن الفرّج: سمعت أبا السّميدع يقول: تنطّع في الكلام وتنطّس؛ إذا تأنّق فيه»^(٣).

(باب اعتقاب السّين والفاء)

١٥٦- «أبو تراب عن الحصينيّ: ذهب منّي الأمرُ فلتنةً وسلّنةً؛ أي: سبقني وفاتني»^(٤).

(باب اعتقاب السين والقاف)

١٥٧- «قال أبو تراب: قال أبو عبيدة: به ألاق وألاسّ، من الأوّلُق والألسّ، وهو الجنون»^(٥).

١٥٨- «قال إسحاق بن الفرّج: قال أبو عمرو: طريقٌ مدعوس ومدعوق، وهو الذي دعقه الناس. وقال الأصمعيّ: طريق دَعَسٌ ودَعَقٌ؛ أي: مَوْطُوء كثير الآثار»^(٦).

(١) في التهذيب ٣٨٨/٢: «تركتم» والتصويب من اللسان (سمر) ٣٧٧/٤.

(٢) التهذيب ٣٨٨/٢.

(٣) التهذيب ١٧٩/٢، ويلاحظ تباعد مخرجي السين والعين في الكلمتين، وقد أشرت إلى ذلك في نقد النصوص من الدراسة.

(٤) التهذيب ٣٨٤/١٢.

(٥) التهذيب ٣١١/٩.

(٦) التهذيب ٢٠٧/١.

- ١٥٩- « قال أبو تراب: قال أبو زيد: القندأؤ: القصير من الرجال، وهم قندأؤن. والسندأؤ: الفسيح من الإبل في مشيه، والجمع السندأؤون» (١).
- ١٦٠- « قال مُدْرِك السِّلْمِيّ فيما روى ابن الفَرَج (٢) عنه: مَلَسَنِي الرَّجُل بِلِسَانِهِ وَمَلَقَنِي وَدَرَقَنِي؛ أَي: لَتَنِي وَأَصْلَحَ مِنِّي، يَدْرُقُنِي وَيَمْلُسُنِي وَيَمْلُقُنِي» (٣).

(باب اعتقاب السين والكاف)

- ١٦١- « روى أبو تراب عن الأصمعي: يقال: اختصر فلان الجارية، وابتسرها وابتكرها (٤)؛ إذا اقترعها (٥) قبل بلوغها» (٦).
- ١٦٢- « قال أبو تراب: سمعت الغنوي يقول: ناقة ذات نسناس؛ أي: ذات سير باق.
- قال: ويقال: بلغ من الرجل نسيئته؛ إذا كان يموت وقد أشرف على ذهاب نكيسته (٧) وقد طعن في حوصه مثله» (٨).

(١) التهذيب ٤١٣/٩ والدلالة مختلفة في الكلمتين، وقد نبهت على ذلك في نقد النصوص، في الدراسة.

(٢) في بعض نسخ التهذيب ٣٠/٩: «أبو تراب عن مدرّك السِّلْمِيّ»، وكذا في اللسان (درق) ٦٩/٩.

(٣) التهذيب ٣٠/٩.

(٤) قوله: ابتسرها وابتكرها هما كلمتا الاعتقاب.

(٥) بالقاف - كافترعها بالفاء.

(٦) التهذيب ١٠٥/٧.

(٧) في اللسان (نس) ٢٣١/٦، «نكيسته».

(٨) التهذيب ٣٠٨/١٢، وينظر اللسان (نس) ٢٣١/٦.

(باب اعتقاب السّين واللام)

١٦٣- « قال ابن الفرّج: قال السّلميّ: غُسَّ له الحنجَرُ والسّنانُ، وغلَّهُ له؛ أي: دُسَّه له، وهو لا يشعُرُ به»^(١).

١٦٤- قال الأزهريّ: « قال أبو تراب: قال الأصمعيّ: كلَّسَ على القوم، وكلَّلَ وصمَّم؛ إذا حمل.

وقال أبو الهيثم: كلَّسَ فلان عن قرْنِه وهَلَّلَ؛ إذا جُبِنَ وفرَّ عنه. قلت^(٢): وهذا أصحُّ مما روى أبو تراب»^(٣).

(باب اعتقاب السّين والميم)

١٦٥- «قال أبو تراب: قال بعض أعراب قيس: سلَّجَ الفَصِيلُ النَّاقَةَ ومَلَّجَهَا؛ إذا رَضَعَهَا»^(٤).

١٦٦- «أبو تراب؛ عن مصعب: امْتَلَّ واستَلَّ، وانْمَلَّ وانْسَلَّ، بمعنى واحد»^(٥).

(باب اعتقاب السّين والهاء)

١٦٧- « قال ابن الفرّج: سمعت واقعا السّلميّ يقول: اهْلَتَ يعدو، واهْلَتَ يعدو.

(١) التهذيب ٩٩/١٦.

(٢) القائل: الأزهريّ.

(٣) التهذيب ٦١/١٠، ٦٢.

(٤) التهذيب ٣٥٣/١٥، وينظر: اللسان (سلج) ٢٩٩/٢..

(٥) التهذيب ٣٥٣/١٥، وينظر: اللسان (سلج) ٢٩٩/٢.

قال: وقال الفراء: سَلَتَهُ وَهَلَّتَهُ. وقال اللحياني: سَلَتَ الدَّمَ وَهَلَّتَهُ: قَشَرَهُ بِالسَّكِينِ»^(١).

(باب اعتقاب الشين والصاد)

١٦٨- «أبو تراب: سمعت مبتكراً يقول: الوقشُ والوقصُ ؛ صِغَارُ الحَطَبِ الَّذِي يُشَيِّعُ بِهِ النَّارَ»^(٢).

(باب اعتقاب الشين والغين)

١٦٩- «أبو تراب : سمعت السلمي يقول: أَشْرَيْتُ بَيْنَ الْقَوْمِ وَأَغْرَيْتُ، وَأَشْرَيْتَهُ بِهِ فَشَرِي، مِثْلَ أَغْرَيْتَهُ بِهِ فَغَرِي»^(٣).

١٧٠- «قال إسحاق بن الفرج: سمعت شُجَاعاً وَحْتَرَشَأَ يَقُولَان: هذه كلمة فاغية فينا؛ أي: فاشية»^(٤).

(باب اعتقاب الشين والفاء)

١٧١- «روى أبو تراب عن الضبائي: لَعَنَ اللَّهُ أَمَّا شَطَّاتٌ بِهِ، وَفَطَّاتٌ بِهِ، أَي: طَرَحَتْهُ»^(٥).

١٧٢- «روى أبو تراب، عن أبي الوازع: نَدَفَ القطنَ وَنَدَشَهُ، بمعنى واحد، قال رؤية:

فِي هِجْرِيَّاتِ الْكُرْسُفِ الْمَنْدُوشِ»^(٦).

(١) التهذيب ٢٣٧/٦، وينظر: اللسان (هلت) ١٠٥/٢.

(٢) التهذيب ٢٠٨/٩، وينظر: اللسان: (وقش) ٣٧٣/٦، و فقه اللغة للتعالي ٤٨.

(٣) التهذيب ٤٠٣/١١، وينظر: اللسان (شرى) ٤٢٩/١٤.

(٤) التهذيب ٢٠٦/٨.

(٥) التهذيب ٣٩٢/١١.

(٦) التهذيب ٣٢٢/١١، وينظر: اللسان (ندش) ٣٥٢/٦.

١٧٣- « قال أبو تراب قال الأصمعي: ماء لا يُنكف ولا يُترَح.

قال: وقال ابن الأعرابي: نَكَفَ البئرَ ونَكَشَهَا؛ أي: نزعها»^(١).

(باب اعتقاب الشّين واللام)

١٧٤- « قال ابن الفرّج^(٢): سمعت الغنوي يقول: المُنْقَشَةُ والمُنْقَلَةُ من

الشَّجَاجِ الَّتِي تَنْقَلُ مِنْهَا الْعِظَامُ»^(٣).

(باب اعتقاب الشّين والتّون)

١٧٥- « أبو تراب: إن فلاناً لَيَمْتَشُ من فلان، وَيَمْتَشُنُ من فلان؛

أي: يُصِيبُ منه»^(٤).

(باب اعتقاب الصّاد والضّاد)

١٧٦- قال الأزهري: « رَوَى أبو تراب: الكسائي: يقال: هذه

الصُّبْلُ، لِلدَّاهِيَةِ. قال: وهي لغة لبني ضَبَّة:

قال: وهي بالضّاد أعرف.

قلت: وأبو عبيد رواه الصُّبْلُ - بالضّاد - ولم أسمع به بالضّاد إلا ما جاء

به أبو تراب»^(٥).

١٧٧- « قال أبو تراب: سمعت زائدة يقول: صَدَّه عن الأمر وضدّه،

أي: صرفه عنه بِرَفْقٍ»^(٦).

(١) التهذيب ٢٧٩/١٠.

(٢) في اللسان (نقش) ٣٥٨/٦: « قال أبو تراب»

(٣) التهذيب ٣٢٥/٨.

(٤) التهذيب ٣٨٣/١١، وينظر: اللسان (مشن) ٤٠٨/١٣.

(٥) التهذيب ١٩٤/١٢.

(٦) التهذيب ٤٥٦/١١، وينظر: وفاق المفهوم ١٤٦، واللسان (صدد) ٢٦٤/٣.

١٧٨- « أبو تراب: قال الأصمعي: مضمض إناءه ومضمصه، إذا حَرَّكَهُ. وقال اللحياني: إذا غسله» ^(١).

(باب اعتقاب الصّاد والطّاء)

١٧٩- « قال أبو تراب: الشّطائب والشّصائب: الشّدائد» ^(٢).

١٨٠- « أبو سعيد: هي الشّصائب والشّصائص» ^(٣)، للشّدائد. قال

أبو تراب: وقال غيره: هي الشّصائب والشّطائب، للشّدائد» ^(٤).

١٨١- « قال ابن الأعرابي: أنشد أبو محضة أبياتاً ثم قال: هذه

بِصْرَاهُنَّ وَبِطْرَاهُنَّ.

قال أبو تراب: وسألت الحُصيني عن ذلك فقال: هذه الأبيات

بِطْرَاوَتِهِنَّ وَصِرَاوَتِهِنَّ؛ أي: بِجِدَّتِهِنَّ وَغَضَاضَتِهِنَّ» ^(٥).

١٨٢- « قال المؤرّج - فيما روى له أبو تراب: النَّصْع والنَّطْع لواحد

الأنطاع ^(٦) وهو ما يُتخذ من الأدم. وأنشد لحاجز بن الجعيد الأزدي:

فَنَحَرَهَا وَنَخَلَطَهَا بِأُخْرَى كَأَنَّ سَرَائِهَا نَصْعَ دِهِنٍ

قال: ويقال: نصع بسكون الصّاد» ^(٧).

(١) التهذيب ٤٨٣/١١.

(٢) التهذيب ٣١٧/١١.

(٣) هاتان ليستا كلمتي الباب، والمراد ما بعدهما.

(٤) التهذيب ٢٩٧/١١.

(٥) التهذيب ٢٢٧/١٢.

(٦) أصاب هذه الكلمة والتي قبلها بعض التحريف في مطبوعة التهذيب ٣٧/٢.

(٧) التهذيب ٣٧/٢.

(باب اعتقاب الصّاد والفاء)

١٨٣- «روى ابن الفرّج لابن الأعرابي في باب الصّاد والفاء:

فَبِتُّ وَصَبْتُ، إِذَا رَدَيْتَ مِنَ الْمَاءِ»^(١).

١٨٤- «قال أبو تراب: سمعت أبا السّميدع يقول: فَبِتُّ فِي الشَّرَابِ

وَصَبْتُ، إِذَا كَرَعْتُ فِيهِ نَفْسًا»^(٢).

(باب اعتقاب الصّاد والقاف)

١٨٥- «قال أبو تراب: قال الأصمعيّ: يقال: شَرِبَ حَتَّى نَصَعَ وَحَتَّى

نَقَعَ، وَذَلِكَ إِذَا شَفَى غَلِيلَهُ»^(٣).

(باب اعتقاب الصّاد والكاف)

١٨٦- «قال أبو تراب: قال أبو محجن وغيره من الأعراب: صَلَّتُ الْفَرَسَ

وَكَلَّتُهُ؛ إِذَا رَكَبْتَهُ.

قال: وصبيته: مثله، ورجل مصّلت مكلّت إذا كان ماضياً في الأمور»^(٤).

(باب اعتقاب الصّاد واللام)

١٨٧- «قال أبو تراب: قال حترش: فَصَصْتُ^(٥) كَذَا مِنْ كَذَا؛ أَي:

فصلته: وَاَنْفَصَّ مِنْهُ؛ أَي: انفصل، وَاَفْتَصَصْتُهُ: افترزته»^(٦).

(١) التهذيب ٥٧٣/١٥.

(٢) التهذيب ٥٧٣/١٥، وينظر: اللسان (فأم) ٤٤٧/١٢.

(٣) التهذيب ٣٧/٢.

(٤) التهذيب ١٣٨/١٠.

(٥) في التّهذيب ١٢١/١٢ «قصصت» (بالقاف) وهو تصحيف، يدلّ عليه السّياق وما في

اللسان (فصص) ٦٧/٧، والتاج (فصص) ٤١٦/٤.

(٦) التهذيب ١٢١/١٢.

(باب اعتقاب الصّاد والهاء)

١٨٨- « روى أبو تراب لأبي عمرو قال: المهرّوع: المصروع من الجهد وقاله الكسائي»^(١).

(باب اعتقاب الضّاد والطّاء)

١٨٩- «قال ابن الفرج: قال أبو عمرو: الإحباط: أن يكُدَّ الرَّجُل رَكَبَتَهُ فلا يَدْعُ فيها ماء، قال: والإحباط: أن يذهب ماؤها فلا يعود كما كان، قال: وسألتُ الحصريّ عنه، فقال: هما بمعنى واحد»^(٢).

١٩٠- أبو تراب عن أبي سعيد البغداديّ، قال: الأنواضُ والأنواطُ واحد، وهي ما تُنَوِّط على الإبل إذا أُوقِرَتْ، وقال رؤبة:
جاذِبْنَ بالأَصْلَابِ والأَنْوَاضِ»^(٣)

١٩١- « قال أبو تراب: سَمِعْتُ الباهليّ يقول: وَخَطَهُ الشَّيْبُ، وَوَحَّضَهُ، بمعنى واحد»^(٤).

(١) التهذيب ١/١٤١.

(٢) التهذيب ٤/٢٢٢.

(٣) التهذيب ١٢/٧٠.

(٤) التهذيب ٧/٥٠٧.

(باب اعتقاب الضّاد والظّاء)

١٩٢- «قال أبو تراب: سمعت أعرابياً من أشجع يقول: بهضني هذا الأمر وبهظّني؛ أي: فدحني.

قال: ولم يتابعه على ذلك أحد، والله أعلم»^(١).

١٩٣- «قال بعض الكلابيين — فيما روى أبو تراب: تماضّ القوم وتماظّوا، إذا تلاحوا وعَضَّ بعضهم بعضاً بالسنتهم»^(٢).

(باب اعتقاب الضّاد والعين)

١٩٤- «قال أبو تراب: سمعت العنوي يقول: العمدُ والضمدُ: الغضب»^(٣).

١٩٥- «قال أبو تراب: قال أبو زيد والأصمعيّ معاً: سمعت ضوّة القوم وعوتّهم؛ أي: أصواتهم»^(٤).

(باب اعتقاب الضّاد والغين)

١٩٦- «أبو تراب: قال الأصمعيّ: أَعَدَّ الرجلُ فهو مُعِدٌّ، وأَصَدَّ فهو مُصَدٌّ؛ أي: غضبان»^(٥).

(١) التهذيب ١٠٤/٦، وينظر: اللسان (مض) ١٢٢/٧.

(٢) التهذيب ٤٨٣/١١.

(٣) التهذيب ٢٥٦/٢.

(٤) التهذيب ٩٦/١٢.

(٥) التهذيب ٥٢/١٦، وفيه غضبان، وهو تحريف، وينظر: الإبل للأصمعيّ ١١٧.

(باب اعتقاب الضّاد والفاء)

١٩٧- «روى ابن الفرّج عن بعضهم: غَضَضْتُ الغُصْنَ، وغَضَفْتُهُ، إذا كَسَرْتَهُ، فلم تُنْعَم كَسْرُهُ»^(١).

(باب اعتقاب الضّاد والكاف)

١٩٨- «روى أبو تراب للأصمعي: هو آرَضُهُمْ أن يفعلَ ذاك، وآرَكُهُمْ أن يفعلَهُ؛ أي: أخلَقَهُمْ. قال: ولم يبلغني ذلك عن غيره»^(٢).

(باب اعتقاب الضّاد واللام)

١٩٩- «روى أبو تراب للفراء: رَجُلٌ جَلَدٌ، ويبدلون اللام ضاداً: رَجُلٌ جَصَدٌ»^(٣).

٢٠٠- «قال ابن الفرّج: قال الفراء: يقال: اضجعته فاضطجع.

قال: وبعضهم يقول: فالطجع^(٤) يظهار اللام، وهو نادر. قال: وربما أبدلوا اللام ضاداً كما أبدلوا الضّاد لاماً، قال بعضهم: الطراد واضطرادٌ، لطراد الخيل.

قال: وروى إسحاق عن المعتمر بن سليمان عن ليث عن مجاهد والحكم قالاً: إذا كان عند اضطرادٍ، وعند ظلّ السيوف أجزى الرّجل أن تكون صلّاته

(١) التهذيب ٣٨/١٦، وينظر: الإبدال لأبي الطيّب ٢٧٥/٢، واللّسان (غضض) ١٩٩/٧.

(٢) التهذيب ٣٥٤/١٠.

(٣) التهذيب ٥٥٢/١٠، وينظر: الإبدال لأبي الطيّب ٢٧٨/٢.

(٤) في التهذيب ٣٣٤/١ ((فالضجع)) بالضّاد، وهو تحريف، والتصحيح من اللّسان

(ضجع) ٢١٩/٨، وهو ما يقتضيه السياق.

تكبيراً. قال: وفَسَّرَهُ ابن إسحاق: الطّراد»^(١).

٢٠١- «قال أبو تراب^(٢): قال أبو زيد: أزهدت بالرجل

إضهاداً، وألهدت به إلهاداً، وهو أن تجور عليه وتستأثر»^(٣).

(باب اعتقاب الطّاء والطّاء)

٢٠٢- قال الأزهري: «قال أبو تراب: سمعت الأشجعي يقول: بهظني

الأمر وبهظني^(٤) بمعنى واحد.

قلت: ولم أسمعها بالطّاء لغيره»^(٥).

٢٠٣- «روى أبو تراب عن الأصمعي أنّه قال: لا تذهب بما صنعت

طَلْفاً ولا ظَلْفاً؛ أي: باطلاً»^(٦).

٢٠٤- «قال أبو تراب^(٧): قال أبو عمرو: الْمُعْظُظَةُ

والمُعْظُظَةُ - بالطّاء والطّاء -: القَدْرُ الشّديدة الغليان»^(٨).

(١) التهذيب ٣٤٤/١، ٣٣٥.

(٢) في اللسان (ضهد) ٢٦٦/٣: ((روى ابن الفرج لأبي زيد....))

(٣) التهذيب ٩٨/٦، وينظر: اللسان (ضهد) ٢٦٦/٣.

(٤) في التهذيب ١٨١/٦: ((بهظني)) بالطّاء المعجمة، وهو تصحيف طباعي، والتصويب من

هامشه، وقد تقدمت هذه المادة في باب الضاء والطّاء، وهي هنا برواية أخرى مختلفة.

(٥) التهذيب ١٨١/٦، ينظر: اللسان (مخط) ٢٦٦/٧.

(٦) التهذيب ٣٥٠/١٣.

(٧) في بعض نسخ التهذيب ٥٩/١٦: ((روى ابن الفرج لأبي عمرو...)).

(٨) التهذيب ٥٩/١٦.

(باب اعتقاب الطّاء والعين)

٢٠٥- «روى ابن الفرج^(١) لبعض بني كلاب: أنّه قال: مررت على عَرَقة الإبل وطرقتها؛ أي: على أثرها»^(٢).

(باب اعتقاب الطّاء والغين)

٢٠٦- «أبو تراب عن الأصمعيّ: غَسَمَ الليلُ وأغَسَمَ إذا أظْلَمَ. قال: والغَسَمَ والطَّسَمَ عند الإمساء، وفي السَّماء غَسَمٌ من سحاب وأغَسَامٌ، ومثله أَطْسَامٌ من سحاب ودُسَمٌ وأدْسَامٌ، وطُلَسٌ من سحاب، وقد أغسمنّا في آخر العَشيّ»^(٣).

(باب اعتقاب الطّاء والقاف)

٢٠٧- «قال أبو تراب: سمعتُ بعضهم يقول: احتَطَبَ عليه في الأمر واحتَقَبَ بمعنى واحد»^(٤).

٢٠٨- قال الأزهرى: «قال اللحياني: الصَّعُوط والسَّعُوط^(٥) بمعنى واحد. وروى أبو تراب له في كتابه: خطيب مصْطَعٌ ومصْطَعٌ، بمعنى واحد»^(٦).

(١) في بعض نسخ التهذيب ٢٣٨/١٦: ((روى أبو تراب)).

(٢) التهذيب ٢٣٨/١٦.

(٣) التهذيب ٤٤/٨.

(٤) التهذيب ٣٩٤/٤.

(٥) التعاقب ليس في هاتين الكلمتين، وإنما هو فيما يأتي من كلام أبي تراب في قوله: مصْطَعٌ ومصْطَعٌ.

(٦) التهذيب ٤٩٢/١.

٢٠٩- « قال أبو تراب: سمعت عَرَامًا يقول: عَفَقَ بِهَا وَعَفَطَ بِهَا إِذَا ضَرَطَ »^(١).

٢١٠- « قال أبو تراب: قال الخليل^(٢): المشوط الطويل الدقيق.

قال: وغيره يقول: هو المشوق »^(٣).

٢١١- « قال زائدة البكري وَحْتَرَشَ فِيمَا رَوَى أَبُو تراب عَنْهُمَا: هُوَ يَنْتَبِقُ الْكَلَامَ انْتِبَاقًا، وَيَنْتَبِطُهُ؛ أَي: يَسْتَخْرِجُهُ »^(٤).

(باب اعتقَاب الطاء واللام)

٢١٢- « قال أبو تراب: سمعت بعض قيس يقول: اشْمَعَطُ الْقَوْمَ فِي الطَّلَبِ، وَاشْمَعَلُوا، إِذَا بَادَرُوا فِيهِ، وَتَفَرَّقُوا. وَاشْمَعَلْتُ الْإِبِلَ وَاشْمَعَطْتُ إِذَا انْتَشَرَتْ »^(٥).

٢١٣- « قال بعض الأعراب: الطَّخِيفَةُ وَاللَّخِيفَةُ: الْحَزِيرَةُ - رَوَاهُ أَبُو تراب »^(٦).

٢١٤- « أبو تراب عن خليفة: نَشَلَتْهُ الْحَيَّةُ وَنَشَطَتْهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ »^(٧).

(١) التهذيب ١٨٤/٢.

(٢) في التهذيب ٣١٩/١١: ((قال الخليل)) وهو تحريف، والتصويب من اللسان (مشط) ٧/٤٠٣.

(٣) التهذيب ٣١٩/١١.

(٤) التهذيب ٢٠١/٩.

(٥) التهذيب ٣٢٦/٣، وينظر: اللسان (شمعط) ٣٣٧/٧.

(٦) التهذيب ٢٤٥/٧.

(٧) اللسان (نشل) ٦٦٢/١١ ولم أجده في التهذيب.

(باب اعتقاب الطّاء والنّون)

٢١٥- « أبو تراب عن أبي محجن: التّوّل لا يكون إلا في الخير؛ والتّطوّل، قد يكون في الخير والشرّ »^(١).

(باب اعتقاب الطّاء والعين)

٢١٦- « روى أبو تراب للأصمعي: طار القوم شظاظاً وشعاعاً. وأنشد لرويشد الطّائي يصف الضّأن:

طَرَنَ شَظَاطًا بَيْنَ أَطْرَافِ السَّنَدِ
لَا تَرَعُوِي أُمَّ بِهَا عَالِي وَلَدِ
كَأَنَّمَا هَآيَجَهُنَّ ذُو لَبَدِ »^(٢)

(باب اعتقاب الطّاء واللام)

٢١٧- « قال أبو تراب: قال بعض بني سلّيم: فلان مُحَافِظٌ عَلَى حَسْبِهِ وَمُحَافِلٌ عَلَيْهِ؛ إِذَا صَانَهُ »^(٣).

(باب اعتقاب العين والغين)

٢١٨- « قال أبو تراب: قال الخليل: الثُّعْبَانُ: ماء، الواحد ثُعْبٌ. قال: وقال غيره: هو الثُّعْبُ بِالغَيْنِ »^(٤).

٢١٩- « ابن الفرج: سمعت جماعة من أعراب قيس يقولون: الشَّلْغَفُ والشَّلْغَفُ المضطرب، بالعين والغين »^(٥).

(١) التهذيب ٣٧٣/١٥.

(٢) التهذيب ٢٧١/١١، وينظر: التكملة (شظظ) ١٩٨/٤.

(٣) التهذيب ٧٧/٥.

(٤) التهذيب ٣٣٣/٢.

(٥) اللسان (شلفغ) ١٨٣/٩، وينظر: التهذيب ٢٢٩/٨.

٢٢٠- « قال ابن الفرّج: سمعت زائدة البكري يقول: الشَّنْعَفُ والشَّنْعَفُ والهلَّغَفُ: المضطرب الخلق»^(١).

٢٢١- «قال أبو الحسن اللّحياني: صَغَصَ رأسه بالدهن وصَغَصَ، إذا رَوَّاه وروَّغَهُ.

وقال أبو سعيد: الصَّغَصَة: نُبتٌ يُسْتَمَشَى به.

وقال إسحاق بن الفرّج قال أبو الوازع: قال اليمامي: هو نبت يشرب ماؤه للمشي»^(٢).

٢٢٢- «قال ابن الفرّج: قال حُصَيْن السَّلَمي: فلان على أَعْصَانٍ من أبيه وأَعْصَانٍ؛ أي: أخلاق، وْعَصَّان: ماء نزل عليه قومٌ من أهل مأرب إليه نُسِبَ ملوك عَصَّان»^(٣).

٢٢٣- «قال أبو تراب: قال بعض العرب: عَفَقَتِ الإبل تَعْفَقُ عَفْقاً، إذا كانت ترجع إلى الماء في كلّ يوم أو كلّ يومين. وكلّ راجع مختلف عافق وغافق. ويقال: إنَّكَ لَتَعْفَقُ؛ أي: تكثر الرجوع»^(٤).

٢٢٤- «قال أبو تراب: يقال: ما أَعْنَى شيئاً، وما أَعْنَى شيئاً بمعنى واحد»^(٥).

(١) اللسان (سنغف) ١٨٤/٩، وينظر: التهذيب ٢٢٩/٨، والعباب (حرف الفاء) ٦٥٩.

(٢) التهذيب ٧٨/١.

(٣) التهذيب ٣٨/٨، ٣٩، وينظر: اللسان (غسن) ٣١٣/١٣.

(٤) التهذيب ٢٦٨/١.

(٥) اللسان (عنا) ١٠٤/١٥.

٢٢٥- «قال ابن الفرج ^(١): سمعت الضبائي يقول: إن فلانة لَتُعْزِي بالناس وتُعْزِي بهم؛ أي: تُغْزِي بهم، وقطع الله عنك عُنْدَاقَهَا أي: إغْرَاءَهَا» ^(٢).
٢٢٦- «قال أبو تراب: سمعت واقعا السلمي يقول: أَفْعَمْتُ الرَّجُلَ وَأَفْعَمْتُهُ إِذَا مَلَأْتُهُ غَضَبًا أَوْ فَرْحًا» ^(٣).

٢٢٧- «روى ابن الفرج عن أبي سعيد: في بطن الرَّجُلِ مَعْصٌ وَمَعْصٌ وَقَدْ مَعْصٌ وَمَعْصٌ، قال: وَتَمْعَصَ بَطْنِي وَتَمْعَصَ أَي: أَوْجَعَنِي» ^(٤).

٢٢٨- قال الأزهرى: «يُقال: إنه لطويل مُمَّعِطٌ كَأَنَّهُ قَدْ مُدَّ. قلت: المعروف في الطَّوْلِ المُمَّعِطُ بالغين معجمة، كذلك رواه أبو عبيد عن الأصمعي ولم أسمع مُمَّعِطٌ بهذا المعنى لغير الليث، إلا ما قرأته في كتاب الاعتقَابِ لأبي تراب، قال: سمعت أبا زيد وفلان بن عبد الله التميمي يقولان: رجل مُمَّعِطٌ وَمَمَّعِطٌ أَي: طويل.

قلت: ولا أبعد أن يكونا لغتين، كما قالوا لَعَنَّكَ وَلَعَنَّكَ بمعنى لَعَلَّكَ وَالْمَعْصُ وَالْمَعْصُ: الْبَيْضُ مِنَ الْإِبِلِ، وَسُرُوعٌ وَسُرُوعٌ لِلْقَضِيَانِ الرَّخْصَةِ» ^(٥).

(١) في اللسان (غنى) ١٤٠/١٥: ((قال أبو تراب...))

(٢) التهذيب ٢٤٣/٨، واللسان (غنى) ١٤٠/١٥.

(٣) التهذيب ٢٠/٣.

(٤) التهذيب ٥٩/٢، ٦٠، وينظر: التكملة (معص) ٤٣/٤.

(٥) التهذيب ١٩٣/٢.

- ٢٢٩- « روى ابن الفرج ^(١) للأصمعي: نَشَعَهُ وَنَشَعَهُ: إِذَا أَوْجَرَهُ. قال: وقال أبو عمرو: نُشِغَ بِهِ، وَنُشِعَ بِهِ، وَشُعِفَ بِهِ؛ أَي: أُولِعَ بِهِ » ^(٢).
- ٢٣٠- « قال الأصمعي فيما روى عنه أبو تراب: هُوَ النَّشُوعُ وَالنَّشُوعُ، لِلْوَجُورِ » ^(٣).
- ٢٣١- « قال ابن الفرج: قال مدرك الجعفري: كَذَبَتْ وَبَّاعَتُهُ وَوَبَّاعَتُهُ، وَبَّاعَتُهُ وَبَّاعَتُهُ » ^(٤).

(١) في بعض نسخ التهذيب ١٧١/١٦: ((أبو تراب)).

(٢) التهذيب ١٧١/١٦، ١٧٢، وينظر: العباب (حرف الغين) ٨٢.

(٣) التهذيب ٤٣٤/١.

(٤) التهذيب ٢٤٢/٣.

(باب اعتقاب العين والفاء)

٢٣٢- «قال إسحاق بن الفرج: سمعت أبا الربيع البكري يقول:

الْجَفْجَعُ وَالْجَفْجَفُ مِنَ الْأَرْضِ: المتطامن، وذلك أن الماء يتجفجف فيه فيقوم؛ أي: يدوم.

قال: وأردته أن يقول: يتجمع، فلم يقلها في الماء. وقال: جمع

الماشية وجفجفها؛ إذا حبسها»^(١).

٢٣٣- «أبو تراب، عن أبي السَّمِيدَع: بنو فلان ما يُعانون ما لهم ولا

يُفانونه؛ أي: ما يقومون عليه ولا يُصلحونه»^(٢).

٢٣٤- «قال أبو تراب: سمعتُ خليفة الحُصَيْنِي يقول: أَوْضَعَتِ النَّاقَةُ

وَأَوْضَعَتْ: إذا خَبَّتْ. وَأَوْضَعْتُها فوضعت؛ أي: أَخَبَّيْتُها فخبَّتْ»^(٣).

٢٣٥- «أبو تراب: اهِجَّعُ واهِجَّفُ: الطَّوِيلُ العَظِيمُ. وأنشد

الأصمعيّ لجران العود:

يُشَبِّهُهَا الرَّائِي الْمُشَبَّةُ: بَيَضَةً غَدَا فِي الثَّدْيِ عَنْهَا الظِّلْمُ الْهَجَّفُ»^(٤)

(باب اعتقاب العين والقاف)

٢٣٦- «روى ابن الفَرَج أبو تراب عن خليفة الحُصَيْنِي أَنَّهُ قَالَ:

الْجَلْعَةُ وَالْجَلْقَةُ: مَضْحَكُ الْإِنْسَانِ»^(٥).

(١) التهذيب ١/٦٩، ٧٠، وينظر: اللسان (جمع) ٥٠/٨.

(٢) التهذيب ١٥/٤٨٠.

(٣) التهذيب ١٢/٨٢، وينظر: العباب (حرف الفاء) ٦٣٢.

(٤) التهذيب ٣/٣٧٢.

(٥) التهذيب ١/٣٧٥، وينظر: اللسان (جلع) ٥٢/٨.

٢٣٧- « حكى ابن الفرّج عن بعض العرب أنّه قال: فتح الله عليك الجَلَلَةَ والجَلَلَةَ؛ أي: المكشّر»^(١).

٢٣٨- « قال نصير - فيما روى له أبو تراب: اندلع بطن المرأة واندلق إذا عَظُم واسترخى.

وقال غيره: اندلع السيف من غمده واندلق»^(٢).

٢٣٩- «قال أبو تراب: فَرَّع بين القوم وفَرَّق بمعنى واحد. وروى في ذلك حديثاً بإسناد له عن أبي الطّفيل قال: كنت عند ابن عبّاس فجاء بنو أبي لَهَب يختصمون في شيء بينهم، فاقتلوا عنده في البيت ، فقام يُفَرِّغ بينهم؛ أي: يحجز بينهم»^(٣).

٢٤٠- « قال ابن الفرّج: سمعت خليفة الحُصيني يقول: امتشعتُ ما في الصُّرع وامتشقتّه، إذا لم تدع فيه شيئاً.

قال: وكذلك امتشعت ما في يد الرّجل وامتشقتّه، إذا أخذت ما في يديه كلّ»^(٤).

٢٤١- « قال أبو تراب: ناقة مَيْلَع مَيْلَق؛ إذا كانت سريعة ، وقال شَمِر: المَيْلَع: النّاقة الخفيفة السّير»^(٥).

(١) التهذيب ٣٠٧/٨.

(٢) التهذيب ٢١٧/٢.

(٣) التهذيب ٣٥٦/٢.

(٤) التهذيب ٤٥٠/١.

(٥) التهذيب ٤٢٦/٢، ٤٢٧.

(باب اعتقاب العين والكاف)

٢٤٢- «روى إسحاق بن الفرج عن عَرَام أنه قال: العَدَانَةُ: الاست.

والعرب تقول: كذبت عَدَانَتَهُ وكَذَانَتَهُ بمعنى واحد»^(١).

(باب اعتقاب العين واللام)

٢٤٣- «روى أبو تراب عن أبي مَحَجَّن قال: الانبتاع والانبثال:

الانقطاع»^(٢).

٢٤٤- «قال إسحاق بن الفرج: سمعت خليفة الحُصَيْنِي يقول: اخترعَ

فلاناً عِرْقَ سوء فاختزله، أي: اقتطعه دون المكارم وقعد به»^(٣).

٢٤٥- «قال أبو تراب: سمعتُ الغنوي يقول: دَرَقَلُ القومُ درقَلَةً

ودرقعوا درقعة، إذا مَرَوْا مرّاً سريعاً»^(٤).

٢٤٦- «روى ابن الفرج^(٥) للفراء: فلان في صُقْعٍ خالٍ وصُقْلٍ

خالٍ؛ أي: ناحية خالية.

قال: وسمعت شجاعاً يقول: صَقَعَهُ بالعصا وصَقَلَهُ، وصَقَعَ به الأرض

وصقل به الأرض؛ أي: ضَرَبَ به»^(٦).

٢٤٧- «روى أبو تراب عن واقع السلمي: نكع عن الأمر ونكل بمعنى

واحد. وأنشد أبو حاتم في الإنكاع بمعنى الإعجال:

أَرَى إِبِلِي لَا تُنَكِّعُ الْوَرْدَ شُرْدَاً

(١) التهذيب ٢/٣٢٠.

(٢) التهذيب ٢/٢٨٧.

(٣) التهذيب ١/١٥٦.

(٤) التهذيب ٩/٤١١.

(٥) في اللسان (صقل) ١١/٣٨١: ((أبو تراب عن الفراء....))

(٦) التهذيب ٨/٣٧٣.

إِذَا شُلَّ قَوْمٌ عَنْ وُرُودٍ وَكُعِكُوا»^(١)

(باب اعتقاب العين والنون)

٢٤٨- «قال إسحاق بن الفرّج: سمعت بعض بني سليم يقولون: عَكَّطَهُ عن حاجته ونَكَّطَهُ، إذا صرفه عنها، وعَكَّطَ عليه حاجته ونَكَّطَهَا، إذا نَكَّذَهَا»^(٢).

٢٤٩- «قال ابن الفرّج: سمعت جماعة من قيس يقولون: تماجَنَ الرَّجُلَانِ وتماجعا، إذا ترافعا»^(٣).

(باب اعتقاب العين والهاء)

٢٥٠- «روى أبو تراب عن أعرابي من قيس أنّه قال هذا البيت:

مُجْتَرِي بِزَغْبِهِ وَزَهْبِهِ

أي: بنفسه. وزَعَبَ لي زُعْبَةً من ماله، وزَهَبَ لي زُهْبَةً؛ إذا أعطاه قطعة وافرة. وأعطاه زُهْباً من ماله فازدعبه وزِعْباً فازدعبه؛ أي: قطعة»^(٤).

٢٥١- «أبو تراب عن الجعفري: أعطاه زُهْباً من ماله فازدعبه؛ إذا احتمله وازدعبه مثله»^(٥).

(١) التهذيب ١/٣٢٠، ٣٢١.

(٢) التهذيب ١/٣٠٣.

(٣) التهذيب ١/٣٩٥، وينظر: الفائق ٣/٣٤٧.

(٤) التهذيب ٢/١٥٠، وينظر: اللسان (زعب) ١/٤٥٠.

(٥) التهذيب ٦/١٥٩.

٢٥٢- « قال إسحاق ^(١) بن الفرج: قال الأصمعي: عِدْفَةٌ وَعِدْفٌ،

وَهِدْفَةٌ وَهَدَفٌ بمعنى: قِطْعَةٌ.

قال: وقال عُقْبَةُ: رأيت هِدْفَةً من الناس: أي فِرْقَةً ^(٢)

٢٥٣- «قال أبو تراب: قال أبو عمرو: التَّعْجُ: السَّمْنُ، يقال: نَعَجَ

هذا بعدي، أي سَمِنَ.

قال: والتَّعْجُ: أن يربو وينتفخ.

قال: وقال غيره: التَّهَجُّ مثله ^(٣).

(باب اعتقاب الغين والقاف)

٢٥٤- «روى ابن الفرج ^(٤) لبعض العرب: مشغه مائة سَوُوطٍ ومشقة

مائة سَوُوطٍ؛ إذا ضربه ^(٥).

٢٥٥- «قال أبو تراب: سمعت الحُصَيْنِي يقول: سمعت نَعْيَةَ حَقٍّ وَنَعْيَةَ

حَقٍّ، أي: كلمة حَقٍّ ^(٦).

(باب اعتقاب الغين والكاف)

٢٥٦- «قال ابن الفرج: سمعت سُلَيْمَانَ الْكَلَابِيَّ يقول: داغ القَوْمُ

وداكوا: إذا عَمَّهم المرض، والقوم في دوغة من المرض وفي دوكة، إذا عَمَّهم

وآذاهم

وقال غيره: أصابتنا دوغة؛ أي: بردٌ.

(١) في بعض نسخ التهذيب ٢١٤/٦: ((قال ابن الفرج...))

(٢) التهذيب ٢١٤/٦.

(٣) التهذيب ٣٨٢/١.

(٤) في بعض نسخ التهذيب ١٨٨/١٦: ((أبو تراب...)) وكذا في اللسان (مشغ) ٤٥٠/٨.

(٥) التهذيب ١٨٨/١٦، وينظر: العباب (حرف الغين) ٧٦.

(٦) التهذيب ٣٢٠/٩.

- وقال أبو سعيد: في فلان دوغة ودوكة ؛ أي: حقٌّ»^(١).
- ٢٥٧- «قال أبو تراب: سمعت أبا مَحْجَنٍ يقول: غَنَظَه وَكَنَظَه؛ إذا ملأه وغمّه»^(٢).
- ٢٥٨- «قال أبو تراب: المَعَمَّة والمَكَمَّة: شيء يوضع على أنف الحمار كالكيس؛ وكذا العِمَامَة والكَمَامَة»^(٣).
- (باب اعتقاب الغين والهاء)
- ٢٥٩- «قال أبو تراب: سمعت شَبَانَةَ يقول: هذا أمرٌ مُدْغَمَسٌ ومُدْهَمَسٌ إذا كان مستوراً»^(٤).
- ٢٦٠- «قال ابن الفرج: سمعت أبا الجَهْم الجعفري يقول: نَهَضْنَا إِلَى الْقَوْمِ وَنَعَضْنَا إِلَيْهِمْ بمعنى واحد»^(٥).
- (باب اعتقاب الفاء والقاف)
- ٢٦١- «قال أبو تراب: سمعت الحصيني يقول: هم لا يقانون ما لهم ولا يُفَانُونَهُ بِالْقَافِ والفاء؛ أي: ما يقومون عليه»^(٦).
- (باب اعتقاب الفاء والكاف)
- ٢٦٢- «ثعلب عن ابن الأعرابي: إذا جاء الرَّجُلُ ومعه صبيانه قلنا: جاء بِحِسْكَلِهِ وَبِحِسْفِلِهِ وَحَمَكِهِ وَدَهْدَاهُ.

(١) التهذيب ١٦٩/٨، وينظر: اللسان (دوغ) ٤٢٥/٨، والعباب (حرف الغين) ٧٦.

(٢) التهذيب ١٥٩/١٠.

(٣) التهذيب ٤٦٧/٩، وينظر: التكملة (كم) ١٤٠/٦.

(٤) التهذيب ٢٣٣/٨، وينظر: اللسان (دغس) ٨٥/٦، وقد تقدم مثل هذا النص في باب الخاء والهاء.

(٥) التهذيب ١٠٢/٦.

(٦) التهذيب ٣١٧/٩.

وقال ابن الفرّج: الحساكِل والحسافِل^(١): صغار الصبيان، يقال: ملأ فلان وخلف يتامى حساكِل، واحدها حَسَكِل، وكذلك صغار كل شيء حَسَاكِل^(٢).

٢٦٣- «ابن الفرّج عن عُرّام: أَرْحَفَ الرَّجُلُ وَأَزْحَكَ إِذَا أُعِيتَ بِهِ دَابَّتُهُ»^(٣).

٢٦٤- «قال أبو تراب: سمعت التّعلبي يقول: فَرَسٌ قُلْتُ كُلتُ، وقُلْتُ كُلتُ؛ إِذَا كَانَ سَرِيعاً»^(٤).

٢٦٥- «روى أبو تراب في باب الكاف والفاء: الأفعى تَكِشُ وتَفِشُ^(٥)، وهو صوتها من جلدها، وهو الكشيش والقشيش. قال: والفحيح: صوتها من فيها.

قال: وقال بعض قيس: البكر يَكِشُ وَيَفِشُ، وهو صوته قبل أن يهدر»^(٦).
٢٦٦- «أبو عمرو: لَفَأَهُ بِالْعَصَا وَلَكَّاهُ، إِذَا ضَرَبَهُ بِهَا. وَلَفَأَهُ حَقَّهُ، إِذَا أَعْطَاهُ كُلَّهُ.

قال: وَلَفَأَهُ حَقَّهُ؛ إِذَا أَعْطَاهُ أَقْلَ مِنْ حَقِّهِ.
قال أبو سعيد: قال أبو تراب: أَحَسِبَ هَذَا الْحَرْفَ مِنَ الْأَضْدَادِ»^(٧).

(للبحث بقية في العدد القادم — إن شاء الله)

(١) ويروى أيضاً ((الحساقل)) بالقاف، وقد ذكره ابن منظور في اللسان في ثلاثة مواضع (حسفل) و (حسقل) و (حسكل) ١١/١٥٣، وكذلك في القاموس (حسفل) و (حسقل) و (حسكل) ١٢٧٢.

(٢) التهذيب ٥/٣٠٦.

(٣) التهذيب ٤/٩٤.

(٤) التهذيب ١٠/١٣٧.

(٥) التهذيب ٩/٤٢٥: ((تقش)) بالقاف، وهو تصحيف يدلّ عليه قوله: باب الكاف والفاء، وما في اللسان (كشش) ٦/٣٤١.

(٦) التهذيب ٩/٤٢٥.

(٧) التهذيب ١٥/٣٨٢، وينظر: العباب (حرف الهمزة) ١١٠.

